أسرار

الفتنة بين الصحابة

رضي الله عنهم

فضيلة الشيخ الدكتور
محمود المصري أبو عمار

ضياء سعيدة

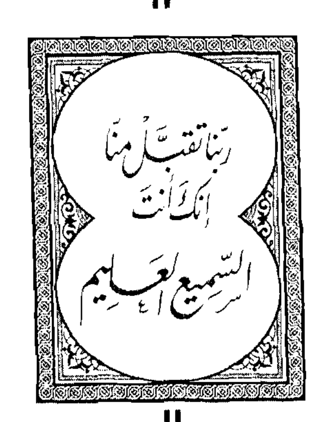
رضي الله عنهم

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

أسرار

الفتنة بين الصحابة





١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

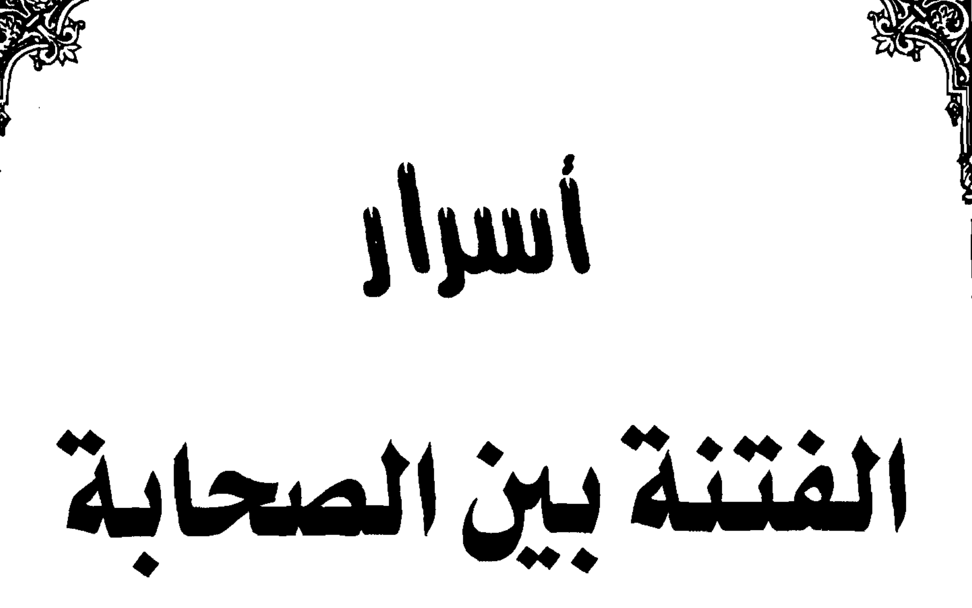
رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٥٢٢٦

الترقيم الدولي: 978-977-6430-82-2

مكتبة الصفا
للنشر والتوزيع

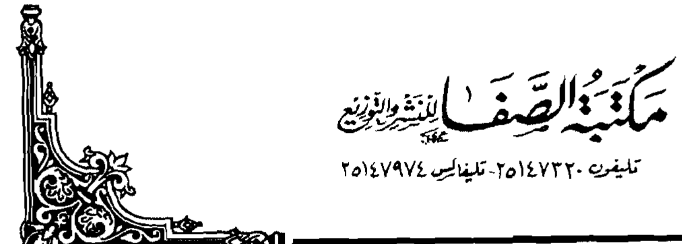
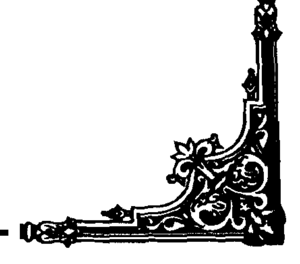
أولاد الحاج عويس أمين صالح

١٢٢ ميدان الأزهر/ أمام الجامع الأزهر/ القاهرة ت ٢٥١٤٧٣٢٠
١ درب الأتراك/ خلف الجامع الأزهر ت ٠١٠١٤٣١١١٤ تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤



أسرار
الفتنة بين الصحابة

فضيلة الشيخ الدكتور
محمود المصري
أبو عمار

مكتبة الصفا للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥١٤٧٣٢٠ - تليفاكس ٢٥١٤٧٩٧٤


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، فمازال فضل الله العظيم الكريم يتوالَى علينا بالتوفيق لإخراج ونشر الكتب النافعة، المبينة لشرع ربنا تبارك وتعالى، فقد مَنَّ علينا سبحانه بالتوفيق لإخراج عدة طبعات جديدة للمصحف الشريف، حرصنا فيها على غاية الإتقان فى جميع ما يتعلق بها.

كما وفقنا لإخراج كتب تفسير كتاب الله العزيز، سواء كان كاملًا، أو مفرقًا على هيئة سورة تلو السورة، أو مجموعة سور، أو موضوع تلو موضوع، كآيات الأحكام وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالكتاب العزيز، كما وفقنا لإخراج كتب الحديث النبوى الشريف والتى عليها قوام هذا الدين وهى بيان وتفسير لكتاب الله العزيز، والتى قام بها الجهابذة الأولون من سلفنا الصالح علماء الحديث، الذين وفقهم الله عز وجل لتوصيل الدين وتبليغه كتابًا وسنةً، قولًا وفعلًا، نصًّا وفَهمًا وعملًا.

وقد أخرجنا بفضل الله عدة كتب كموطأ الإمام مالك، وصحيحى الإمامين البخارى ومسلم، وسير أعلام النبلاء، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى، وشرح صحيح مسلم وغيرها من الكتب المتضمنة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، وشرحًا وبيانًا.

وأيضًا وفقنا لإخراج كتب العلوم الشرعية التى تخدم الكتاب والسنة

بشتى الأشكال. والتى قام بها من تبع الأولين بإحسان لبيان مراد الله عَزَّوَجَلَّ فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فى صور شتى ما بين المطول والمختصر- رحمنا الله وإياهم وغفر لنا ولهم، وأحسن إلينا وإليهم.

ويسرنا اليوم أن نقدم هذا الكتاب الذى بين يديك أخى القارئ وهو كتاب: «**أسرار الفتنة بين الصحابة**»، وهو إضافة جديدة لإصداراتنا والتى نرجو من الله عَزَّوَجَلَّ أن يتقبلها منا قبولًا حسنًا، وأن ينفع بها الإسلام والمسلمين.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكتبة الصفا

جعلها الله منارًا لخدمة العلم والدين

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾[(١)].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾[(٢)].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[(٣)].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

أما بعد:

۞ فإنَّ التاريخ هو حلقة الوصل بين الماضى والحاضر والمستقبل... فنحن أمة ذات تاريخ مجيدٍ ينبغى أن نفخر به وأن نستمد منه المُثل العُليا وأن نتخذه مُنطلَقًا للنهوض من كبوتنا، ومن ثَمَّ لقيادة الأمم كلها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء: الآية (١).

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان (٧٠، ٧١).

۞ ومع كل هذه القيمة التى ترتسم فى كل صفحة من صفحات تاريخنا المجيد فقد عانى التاريخ الإسلامى كثيرًا من الإهمال على مدار السنوات والقرون.. فكانت النتيجة المتوقعة أن عبث كثير من المستشرقين والمستغربين فى هذا التاريخ وأخرجوه لنا فى صورة مغايرة عن صورته الحقيقية.

۞ **يقول المستشرق «شاتلي»:**

۞ إذا أردتم أن تغزو الإسلام، وتُخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التى قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتى كانت السبب الأول والرئيسى لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، فعليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوى [1]. اهـ

۞ ويكفينا للدلالة على أهمية التاريخ أن نفقه الأمر الإلهى الحكيم: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2]، ودراسة التاريخ ليست دراسة تكميلية أو جانبية أو تطوعية، إنما هى ركن أساسى من أركان بناء الأمة القوية الصحيحة.

ففى دراستنا للتاريخ نعرض لأمور لا تستقيم حياة المسلمين بغيرها، فنحن نعرض لأمورٍ من العقيدة، وأمور من الفقه، وأمور من الأخلاق، وأمور من المعاملات، وأمور من الأحكام، ونعرض كذلك لفقه

(١) من «غزو العالم الإسلامي» للمستشرق «شاتلي» (ص ٢٦٤).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٧٦).

الموازنات، وفقه الأولويات وفقه الواقع... أو إن شئت فقل: نعرض لكل أمور الدين....

۞والتاريخ - من هذا المنظور- ثروة مدفونة تحتاج إلى بذل مجهود، وتفريغ وقت، وحشد طاقات،... تحتاج إلى عقول وقلوب وجوارح.

والتاريخ الإسلامى هو - ولا شك فى ذلك- أنقى وأزهى وأعظم وأدق تاريخ عرفته البشرية، وسعدت الدنيا بتدوينه... فالتاريخ الإسلامى هو تاريخ أمة شاهدة، وأمة خاتمة، وأمة صالحة، وأمة تقية نقية، وهو تاريخ أمة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، داعية إلى كل خير، محاربة لكل شر.

التاريخ الإسلامى هو تاريخ رجال ما عرف التاريخ أمثالهم أبدًا، فهم رجال فقهوا دينهم ودنياهم، فأداروا الدنيا بحكمة، وعيونهم على الآخرة... فتحققت المعادلة الصعبة العجيبة: عِزٌّ فى الدنيا، وعِزٌّ فى الآخرة... مجد فى الدنيا، ومجد فى الآخرة... مُلك فى الدنيا، ومُلك فى الآخرة.

التاريخ الإسلامى هو تاريخ حضارة جمعت كل مجالات الحياة فى منظومة رائعة راقية؛ جمعت الأخلاق والسياسة والاجتماع والاقتصاد والمعمار والقضاء والترفيه والقوة والإعداد والذكاء والتدبير... جمعت كل ذلك جنبًا إلى جنب مع سلامة العقيدة، وصحة العبادة، وصِدق التوجُّه، ونُبل الغاية... وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١]. هذا هو التاريخ الإسلامى فى أصله وجوهره[٢].

(١) سورة المائدة: الآية: (٣).

(٢) بتصرف من مقدمة الدكتور راغب السرجانى لكتاب (التاريخ الإسلامي).

۞ ولقد حظيت حقبة تاريخ الصحابة ﷺ بحظٍ وافر من التدليس والتزوير، وانطلق الكيد ضدهم أول ما انطلق من اليهود والفرس.

۞ أما اليهود فإنَّ التحريف مهنتهم التى يحترفونها «سجية تلك فيهم غير مُحْدَثة»، وكان من أخبثهم وشرهم فى هذا الأمر رأس الفتنة وأساس البلاء، المنافق الزنديق «عبد الله بن سبأ» المُلقب بـ«ابن السوداء»، الذى أسَّس للرافضة دينهم، وحرَّض الرعاع والغوغاء من الأعراب وغيرهم حتى خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وسفكوا دمه، وفتحوا باب الشر على مصراعيه.

۞ وأما المجوس فقد ملأ الحقد على الصحابة قلوبهم، لأنهم الذين كسروا ظهر الكسروية، وأطفأوا نار المجوسية، ومحوا الدولة الفارسية، ورأوا أن كيد الإسلام على الحيلة أنجع... فأظهر بعضهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيُّع، وأشعلوا نار الفتنة، وراهنوا على تمزيق الأمة إربًا إربًا.

۞ لقد كان أحد ملامح الصحوة الإسلامية الحديثة: المطالبة بتنقيح وتصفية التاريخ الإسلامي، ليعمل عمله المرتقب فى إحياء عز الإسلام، والتمكين للمسلمين...وظهرت بواكير الاستجابة فى عديد من المحاولات الجادة فى هذا المضمار والتى امتازت باعتمادها «منهج المحدثين» دون غيره ميزانًا للحكم على الروايات التاريخية سندًا ومَتنًا[١].

۞ وإن من أعظم الفترات التى أُثيرت حولها الكثير من الشبهات.. هى الفترة الأخيرة من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، وكذلك فترة خلافة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ... بسبب ما حدث من فتنة

(١) بتصرف من مقدمة الدكتور محمد إسماعيل المقدم لكتاب «حقبة من التاريخ».

قتل عثمان رضي الله عنه وما تبع ذلك من اختلاف الصحابة فى وقت وكيفية القصاص من قتلة عثمان... ومن ثَمَّ فقد دخل المتمردون وأشعلوا الفتنة بين الصحابة.. والتى انتهت بموقعة الجمل ثم موقعة صِفِّين.

❁ قال الإمام النووى رحمه الله تعالى:

«اعْلَمْ أَنَّ الدِّمَاء الَّتِي جَرَتْ بَيْن الصَّحَابَة رضي الله عنهم لَيْسَتْ بِدَاخِلَةٍ فِى هَذَا الْوَعِيد -يعنى قوله ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَان بِسَيفيهِمَا، فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»-، وَمَذْهَب أَهْل السُّنَّة وَالْحَقّ إِحْسَان الظَّنّ بِهِمْ، وَالْإِمْسَاك عَمَّا شَجَرَ بَيْنهمْ، وَتَأْوِيل قِتَالهمْ، وَأَنَّهُمْ مُجْتَهِدُونَ مُتَأَوِّلُونَ لَمْ يَقْصِدُوا مَعْصِيَة وَلَا مَحْض الدُّنْيَا، بَلْ اِعْتَقَدَ كُلّ فَرِيق أَنَّهُ الْمُحِقّ، وَمُخَالِفه يَأْثَم، فَوَجَبَ عَلَيْهِ قِتَاله لِيَرْجِع إِلَى الله وَكَانَ بَعْضهمْ مُصِيبًا، وَبَعْضهمْ مُخْطِئًا مَعْذُورًا فِى الْخَطَأ؛ لِأَنَّهُ لِاجْتِهَادٍ، وَالْمُجْتَهِد إِذَا أَخْطَأَ لَا إِثْم عَلَيْهِ».اهـ[1].

❁ وقال الإمام القرطبى رحمه الله تعالى[2]:

«لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خَطَأٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، إِذْ كَانُوا كُلَّهُمُ اجْتَهَدُوا فِيمَا فَعَلُوهُ وَأَرَادُوا اللهَ عز وجل، وَهُمْ كُلُّهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ، وَقَدْ تَعَبَّدْنَا بِالْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَلَّا نَذْكُرَهُمْ إِلَّا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَلِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَبِّهِمْ، وَأَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُمْ، وَأَخْبَرَ بِالرِّضَا عَنْهُمْ.

هَذَا مَعَ مَا قَدْ وَرَدَ مِنَ الْأَخْبَارِ مِنْ طُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ طَلْحَةَ شَهِيدٌ يَمْشِى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَلَوْ كَانَ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ عِصْيَانًا لَمْ يَكُنْ بِالْقَتْلِ فِيهِ شَهِيدًا. وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ خَطأً فِى التَّأْوِيلِ

---

(١) مسلم بشرح النووى (١٨/ ١١).

(٢) تفسير القرطبى (١٦/ ٣٢١).

وَتَقْصِيرًا فِي الوَاجِبِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الشَّهَادَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِقَتْلٍ فِي طَاعَةٍ، فَوَجَبَ حَمْلُ أَمْرِهِمْ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَدْ صَحَّ وَانْتَشَرَ مِنْ أَخْبَارِ عَلِيٍّ بِأَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فى النار. وقوله: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ**». وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ غَيْرُ عَاصِيَيْنِ وَلَا آثِمَيْنِ بِالْقِتَالِ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلْحَةَ: «**شَهِيدٌ**». وَلَمْ يُخْبِرْ أَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فِي النَّارِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ قَعَدَ غير مُخْطِئٍ فِي التَّأْوِيلِ. بَلْ صواب أراهم اللهُ الاِجْتِهَادَ. وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يُوجِبْ ذَلِكَ لَعْنَهُمْ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُمْ وَتَفْسِيقَهُمْ، وَإِبْطَالَ فَضَائِلِهِمْ وَجِهَادَهُمْ، وَعَظِيمَ غِنَائِهِمْ فِي الدِّينِ، رضي الله عنهم. وَقَدْ سُئِلَ بَعْضُهُم عَنِ الدِّمَاءِ الَّتِي أُرِيقَتْ فِيمَا بَيْنَهُمْ فَقَالَ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْهَا أَيْضًا فَقَالَ: تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا يَدِي، فَلَا أُخَضِّبُ بِهَا لِسَانِي. يَعْنِي فِي التَّحَرُّزِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي خَطَأٍ، وَالْحُكْمِ عَلَى بَعْضِهِمْ بِمَا لَا يَكُونُ مُصِيبًا فِيهِ...

۞ **وَقَالَ الْمُحَاسِبِيُّ:** فَأَمَّا الدِّمَاءُ فَقَدْ أَشْكَلَ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فِيهَا بِاخْتِلَافِهِمْ. وَقَدْ سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ قِتَالِهِمْ فَقَالَ: قِتَالٌ شَهِدَهُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَغِبْنَا، وَعَلِمُوا وَجَهِلْنَا، وَاجْتَمَعُوا فَاتَّبَعْنَا، وَاخْتَلَفُوا فَوَقَفْنَا.

۞ **وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله فى عقيدته المشهورة:**

«وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا نُفَرِّطُ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا

(١) سورة البقرة: الآية: (١٤١).

نَتبَرَّأُ مِنْ أَحَدٍ مِنهُمْ. وَنُبغِضُ مَنْ يُبْغِضُهُمْ، وَبِغَيرِ الْخَيرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا نَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ، وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدَ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ».اهـ[1].

۞ ولا بد أن نعتقد ونحن نقرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﷺ أمرين اثنين:

الْأَمْرَ الْأَوَّلَ: أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ خَيرُ الْبَشَرِ بَعْدَ أَنْبِيَاءِ اللهِ صلوات الله وسلامه عليهم؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللهَ تبارك وتعالى مَدَحَهُمْ ... وَالنَّبِيُّ ﷺ كَذَلِكَ مَدَحَهُمْ، وَبَيَّنَ فِي أَكْثَرَ مِنْ حَدِيثٍ أَنَّهُمْ أَفْضَلُ الْبَشَرِ بَعْدَ أَنْبِيَاءِ اللهِ صلوات الله وسلامه عليهم.

الْأَمْرَ الثَّانِيَ: أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيرُ مَعْصُومِينَ. نَعَمْ نَحْنُ نَعْتَقِدُ الْعِصْمَةَ فِي إِجْمَاعِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ[2] فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ أَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى ضَلَالَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ كَأَفْرَادٍ هُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ، فَالْعِصْمَةُ لِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَمَلَائِكَتِهِ، أَمَّا غَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ؛ فَلَا نَعْتَقِدُ عِصْمَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ،... إِذًا: لَابُدَّ أَنْ نَعْتَقِدَ أَن الصَّحَابَةَ خَيْرُ الْبَشَرِ، وَأَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ[3].

۞ وكان من أشهر كتب التاريخ التى تكلمت عن هذه الحقبة وعن غيرها من الحقب: كتاب التاريخ للإمام الطبرى ولكن هذا الكتاب يحتاج إلى عالِمٍ يستطيع من خلال دراسته لعلم مصطلح الحديث أن يعرف الغث

(١) كتاب (حقبة من التاريخ) / الشيخ عثمان الخميس (ص ١٧-١٩) بتصرف.

(٢) والدليل على ذلك قول النبى ﷺ: «**إن الله تعالى قد أجار أمتى أن تجتمع على ضلالة**» رواه ابن أبى عاصم، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٨٦).

(٣) حقبة من التاريخ (ص ٣١-٣٢).

من السمين من خلال الأسانيد التى ذكرها الإمام الطبري.

۞ يقول الإمام الطبرى فى مقدمة تاريخه:

«وَلْيَعْلَمِ النَّاظِرُ فِى كِتَابِنَا هَذَا أَنَّ اعْتِمَادِى فِى كُلِّ مَا أَحْضَرْتُ ذِكْرَهُ فِيهِ مِمَّا شَرَطْتُ أَنِّى رَاسِمُهُ فِيهِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى مَا رُوِّيتُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِى أَنَا ذَاكِرُهَا فِيهِ وَالْآثَارِ الَّتِى أَنَا مُسْنِدُهَا إِلَى رُوَاتِهَا، فَمَا يَكُنْ فِى كِتَابِى هَذَا مِنْ خَبَرٍ ذَكَرْنَاهُ عَنْ بَعْضِ الْمَاضِينَ، مِمَّا يَسْتَنْكِرُهُ قَارِئُهُ، أَوْ يَسْتَشْنِعُهُ سَامِعُهُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ لَهُ وَجْهًا فِى الصِّحَّةِ، وَلَا مَعْنًى فِى الْحَقِيقَةِ؛ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ فِى ذَلِكَ مِنْ قِبَلِنَا، وَإِنَّمَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ نَاقِلِيهِ إِلَيْنَا، وَأَنَّا إِنَّمَا أَدَّيْنَا ذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مَا أُدِّيَ إِلَيْنَا»[1].

أَظُنُّ أَنَّ الْإِمَامَ الطَّبَرِيَّ بِهَذِهِ الْمُقَدِّمَةِ الَّتِى قَدَّمَ لِكِتَابِهِ بِهَا أَلْقَى الْعُهْدَةَ عَلَيْكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْقَارِئُ!!

فَهُوَ يَقُولُ لَكَ: إِذَا وَجَدْتَ فِى كِتَابِى هَذَا خَبَرًا تَسْتَشْنِعُهُ، وَلَا تَقْبَلُهُ، فَانْظُرْ عَمَّنْ رَوَيْنَاهُ، وَالْعُهْدَةُ عَلَيْهِ، ... وَعَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَ مَنْ حَدَّثَنِى بِهَذَا، فَإِنْ كَانَ ثِقَةً فَاقْبَلْ، وَإِن لَمْ يَكُنْ ثِقَةً فَلَا تَقْبَلْ.

وَهَذَا الْأَمْرُ قَامَ بِهِ أَكْثَرُ الْمُحَدِّثِينَ، فَحِينَ تَرْجِعُ إِلَى كُتُبِ الْحَدِيثِ غَيْرِ «الصَّحِيحَيْنِ» اللَّذَيْنِ تَعَهَّدَا بِإِخْرَاجِ الصَّحِيحِ فَقَطْ.

كَأَنْ تَرْجِعَ إِلَى «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»، أَوْ «سُنَنِ أَبِى دَاوُدَ»، أَوِ «سُنَنِ الدَّارَقُطْنِيِّ» أَوِ «سُنَنِ الدَّارِمِيِّ» أَوْ «مُسْنَدِ أَحْمَدَ»، أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الْكُتُبِ تَجِدُهُمْ يَذْكُرُونَ لَكَ الْإِسْنَادَ، وَلَمْ يَتَعَهَّدُوا بِذِكْرِ الصَّحِيحِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا لَكَ الْإِسْنَادَ، وَوَاجِبُكَ أَنْتَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى الْإِسْنَادِ؛ فَإِذَا كَانَ السَّنَدُ

(١) مُقَدِّمَة «تَارِيخ الطَّبَرِيِّ» (ص ٥).

صَحِيحًا فَاقْبَلْ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا فَرُدَّهُ[١].

۞ وها أنا بعد أن شرفنى الله عَزَّوَجَلَّ بتصنيف كتاب «أصحاب الرسول ﷺ» منذ سنواتٍ طويلة أتشرف مرة أخرى لأكتب عن حقبة من التاريخ حدثت فيها فتنة كبيرة كانت بأشد الحاجة إلى إزالة الشبهات عنها، وإلى توضيح الأسرار التى كانت وراء تلك الفتنة.

۞ وإنه لشرف كبيرٌ لا أستحقه أن أقف مدافعًا عن خير جيلٍ بعد الأنبياء والمرسلين.. ألا وهو جيل أصحاب الرسول ﷺ.

۞ فتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع تلك الرسالة التى ننافح وندافع فيها عن أصحاب الرسول ﷺ.. ونوضح للأمة أن هذا الجيل هو خير جيل طلعت عليه الشمس بعد الأنبياء والمرسلين.

۞ جمعنى الله وإياكم مع النبى ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فى الفردوس الأعلى... إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



---

(١) حقبة من التاريخ (ص ٣٥).

وسائل الإخباريين فى تشويه التاريخ

(١) الاخْتِلاقُ وَالْكَذِبُ:

إِنَّهُمْ يَخْتَلِقُونَ قِصَّةً مَا، كَمَا اخْتَلَقُوا مَثَلًا أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا جَاءَهَا خَبرُ مَوْتِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَجدَتْ لِلهِ شُكْرًا .. وَهَذِهِ قِصَّةٌ مَكْذُوبَةٌ.

(٢) الزِّيَادَة عَلَى الْحَادِثَةِ أَوِ النُّقْصَانُ مِنْهَا بِقَصْدِ التَّشْوِيه:

فَمَثَلًا يَكُونُ أَصْلُ الْحَادِثَةِ صَحِيحًا كَحَادِثَةِ (السَّقِيفَةِ)، فَقِصَّةُ السَّقِيفَةِ صَحِيحَةٌ، وَوَقَعَ هُنَاكَ اجْتِمَاعٌ بَيْنَ أَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ وَأَبِى عُبَيْدَةَ مِنْ جَانِبٍ، وَالْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ، فَيَزِيدُونَ عَلَى هَذِهِ الحَادِثَة أَشْيَاءَ مِمَّا أَرَادُوا بِهِ تَشْوِيهَ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ.

(٣) التَّأْوِيلُ الْبَاطِلُ لِلأَحْدَاثِ:

وَهُوَ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِى تَأْوِيلِ الْحَدَثِ تَأْوِيلًا بَاطِلًا يَتَمَاشَى مَعَ أَهْوَائِهِم، وَيَتَمَاشَى مَعَ مُعْتَقَدِهِمْ وَبِدْعَتهم الَّتِى هُمْ عَلَيْهَا.

(٤) إِبْرازُ الْمَثَالِبِ وَالأَخْطَاءِ:

هُنَا تَكُونُ الْقِصَّةُ صَحِيحَةً، وَلَكِنْ يُبْرِزُونَهَا إِبْرَازًا يُرَكِّزُونَ فِيهِ عَلَى الْأَخْطَاءِ، وَيُغَطّونَ عَلَى أَيَّةِ مَحَاسِنَ.

(٥) صِنَاعَةُ الأَشْعَارِ لِتَأْيِيدِ حَوَادِثَ تَارِيخِيَّةٍ:

يَصْنَعُونَ شِعْرًا يُؤَلِّفُهُ أَحَدُهُمْ ثُمَّ يَنْسِبُهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَوْ يَنْسِبُهُ إِلَى أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَوْ يَنْسِبُهُ إِلَى الزُّبَيْرِ أَوْ إِلَى طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِى الطَّعْنِ فِى أَحَدِ الصَّحَابَةِ، كَمَا نَسَبُوا شِعْرًا لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -كذبًا عليه- أَنَّهُ قَالَ فِى حَقِّ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ:

تَبَغَّلْتِ تَجَمَّلْتِ وَلَوْ شِئْتِ تَفَيَّلْتِ

(٦) وَضْعُ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ الْمُزَيَّفَةِ :

كَمَا سَيَأْتِينَا –إِنْ شَاءَ اللهُ تبارك وتعالى – فِي قِصَّةِ مَقْتَلِ عُثْمَانَ رضي الله عنه حِينَ زُيِّفَتْ كُتُبٌ عَلَى لِسَانِ عُثْمَانَ، وَزُيِّفَتْ كُتُبٌ عَلَى لِسَانِ عَائِشَةَ، وَزُيِّفَتْ كُتُبٌ عَلَى لِسَانِ عَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ.

وَهَذَا غَيْرُ الْكُتُبِ الَّتِى تُؤَلَّفُ وَتُزَيَّفُ كَكِتَابِ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ» وَنُسِبَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ، وَكِتَابِ «الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ» الَّذِى نَسَبُوهُ لِابْنِ قُتَيْبَةَ[١].

۞ دور الشيعة فى الدَّسِّ على التاريخ الإسلامى وتشويهه :

أشهر أهل البدع الشيعة وهم أكثروا من الكذب فى التاريخ؛ ولذلك قال أهل العلم: «أكذب من رافضي»، وذلك لكثرة الكذب عندهم.

قال الأعمش: «أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين».

ويقول شريك القاضي: «احمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه دينًا».

ويقول الإمام الشافعي: «لم أرَ أَشْهَدَ بالزورِ من الرافضة».

فالقصد أن هذه الفرقة مع كون غيرها من الفرق أيضًا تكذب، ولكنها اشتهرت أكثر من غيرها باختلاق الكذب والأحاديث[٢].

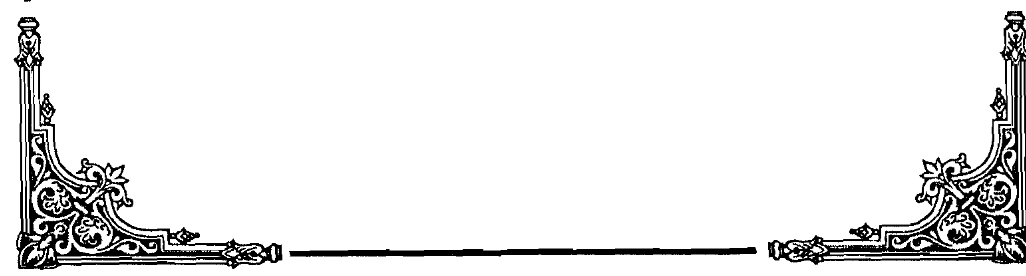
---

(١) انظُرْ مُقَدِّمَة «تَأْوِيل مشكل الْقُرآن» لابْن قُتَيْبَةَ (ص ٣٢) تَحْقِيق السّيد أَحْمَد صقر.

(٢) حقبة من التاريخ (ص ٣٨).

فضائل الصحابة

(رضي الله عنهم)





من فضائل أصحاب الرسول ﷺ

۞ وقبل أن أبدأ فى الكلام عن الفتنة التى كانت بين أصحاب الرسول ﷺ أحب أن أذكر بعض فضائل الصحابة رضي الله عنهم لنعرف قدرهم ومكانتهم عند الله وعند رسول الله ﷺ.

لله درّ أقوام أخلصوا الأعمال وحققوها، وقيدوا شهواتهم بالخوف وأوثقوها، وسابقوا الساعات بالطاعات فسبقوها، وخلَّصوا أعمالهم من أشراك الرياء وأطلقوها وقهروا بالرياضة أغراض النفوس الردية فمحقوها، فعن إبعاد مثلهم وقع نهى النبى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[1].

صعدت صحائفهم من الأكدار صافية، وارتفعت أعمالهم بالإخلاص ضافية، وأصبحت نفوسهم عن الدنيا متجافية، والناس فى أخلاط والقوم فى عافية، ففاق المولى منهم على الرئيس القرشى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

دموعهم بالأحداق محدقة ورؤوسهم فى الأسحار مُطرقة، وأكُفّهم بما تسكبه فى الخير منفقة، ونفوسهم بعد الجد من اللوم مشفقة، يردون من حياض المصافاة على أوفى الرعى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

خلّصوا الأعمال من الأكدار نفلًا وفرضًا واجتهدوا فى طاعة مولاهم ليرضى، وحضوا أنفسهم لطلب الحظ الأحظ حضًّا، وغضّوا أبصارهم عن غَضِّ الشهوات غضًّا، فإذا أبصرتهم رأيت أجسادًا مرضى وعيونًا قد ألفت السهر ما تكاد تطعم غَمضًا بادروا أعمارهم لعلمهم أنها ساعات تتقضَّى

(١) سورة الأنعام: الآية: (٥٢).

فأمدهم بالعون السرمدى، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ .

ابتلاهم فرضوا وصبروا، وأنعم عليهم فاعترفوا وشكروا، وجاءوا بكل ما يرضى ثم اعتذروا، وجاهدوا العدو[١] فما انقشعت الحرب حتى ظفروا، فنالوا غاية الإمكان فى المكان العلى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [٢][٣].

كانت قلوبهم بالحق متعلقة، وأنوارهم على الظواهر متألقة، كلما هدلت حمائم نوحهم هطلت غمائم شجوهم، دموعهم فى الدجى ذوارق لما بين أيديهم من المخاوف، يغسلون بالبكاء ذنوب الصحائف، خوفهم شديد وما فيهم مخالف، إذا جَنَّ الليل فالقدم واقف، يحنون إلى الحبيب حنين شارف[٤]، الدمع مساعد والحزن مساعف.

علموا أن الدنيا متاع يفنى فعبروها وما عمروها للسكنى، واشتغلوا بدار كلما نقضت هذه تبنى، طرق الوعظ أسماعهم فتلمحوا المعنى، يأخذون أهبة الرحيل: «ولا يأخذون عرض هذا الأدنى» لا كبر عندهم تراهم بين المساكين والزَّمنى، لو تأملتهم رأيت ضلوعًا على المحبة تحنى، حلف صادقهم على هجر الهوى والله ما استثنى، وأقبلوا على قدم الفقر فلما رآهم أغنى، ذكروا الجنة فاشتاقوا ولا شوق قيس إلى لبنى.

قال النبى ﷺ: **«إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمار وسلمان»**[٥][٦].

---

(١) جاهدوا الشيطان وأنفسهم فإن أعدى أعداء الإنسان نفسه التى بين جنبيه.

(٢) سورة الأنعام: الآية: (٥٢).

(٣) التبصرة للإمام ابن الجوزى (١/ ٥٦٧ – ٥٦٨) بتصرف.

(٤) الشارف: الناقة المسنة.

(٥) حسن: رواه الترمذى والحاكم عن أنس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٨).

(٦) التبصرة للإمام ابن الجوزى (١/ ٥٨٢ –٥٨٣) بتصرف.

وإذا أردنا أن نتحدث عن بعض فضائل الصحابة رضي الله عنهم فعلينا أن نذكر أولًا تزكية الخالق (جل وعلا) لهم فى كتابه الكريم.

فهم الذين قال الله فى حقهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [(١)].

وقال تعالى عنهم: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [(٢)].

وقال عز وجل فى حقهم: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [(٣)].

وزكاهم الله (جل وعلا) بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [(٤)].

وقال عز وجل فى حقهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢٣).

(٢) سورة البينة: الآية: (٨).

(٣) سورة الفتح: الآية: (١٨).

(٤) سورة الفتح: الآية: (٢٩).

(٥) سورة الحشر: الآيتان: (٨ – ٩).

وقال تعالى في حقهم: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٨٩)﴾ (١).

وقال تعالى في حقهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ (٢).

وقال تعالى في حقهم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)﴾ (٣).

وأمر الله نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم، فقال (جل وعلا): ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا (٢٨)﴾ (٤).

بل هم المخاطبون ابتداءً بقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥).

---

(١) سورة التوبة: الآيتان: (٨٨، ٨٩).

(٢) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١١٧).

(٤) سورة الكهف: الآية: (٢٨).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

وبقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)﴾[١].

وبقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه عن أصحاب الحبيب ﷺ

وما أجمل ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه عن أصحاب الحبيب ﷺ حيث يقول: «إن الله نظر فى قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر فى قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ»[٣].

وقال أيضًا: «من كان مستنًّا بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم»[٤].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٢) سورة آل عمران: الآيات: (١٧٢، ١٧٤).

(٣) رواه أحمد فى المسند (١/ ٣٧٩) رقم (٣٦٠٠)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧)، والهروى ورقمه (٨٦)، وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع (قاله الألبانى فى تخريج المشكاة ص١٩٣).

الأوسمة التى وضعها الحبيب ﷺ على صدور أصحابه رضي الله عنهم

وها هى أوسمة الشرف التى وضعها الحبيب ﷺ على صدور أصحابه رضي الله عنهم ونظرًا لكثرتها فسوف نكتفى بذكر بعضها - فالقليل منها كثير -.

فعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير أُمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». قال عمران: فلا أدرى أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثًا، «**ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السّمن**»[1].

وعن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**» قال: قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار[2].

وفى الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه مر بجنازة فأثنى الصحابة عليها خيرا فقال النبى ﷺ: «**وجبت، وجبت، وجبت**». ومر بجنازة فأثنى الصحابة عليها شرًّا. فقال نبى الله ﷺ: «**وجبت، وجبت، وجبت**». قال عمر: فِدًى لك أبى وأمى، مر بجنازة فأثنى عليها خيرًا فقلت: «**وجبت، وجبت، وجبت**»، ومر بجنازة فأثنى عليها شرًّا فقلت: «**وجبت، وجبت، وجبت**»؟

فقال رسول الله ﷺ: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض، أنتم شهداء الله فى**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٣٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٥١) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٣٣) كتاب فضائل الصحابة.

الأرض»(١).

وعن عائذ بن عمرو: أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال فى نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**».

فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخى(٢).

وعن سعيد بن أبى بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا، فقال: «ما زلتم هاهنا؟» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال: «**أحسنتم أو أصبتم**». قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «**النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابى، فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى، فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون**»(٣).

وعن أبى سعيد الخدرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتى على الناس**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٦٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٩٤٩) كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٠٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٣١) كتاب فضائل الصحابة، وأحمد (٤/ ٣٩٨ - ٣٩٩). قال النووى رَحِمَهُ اللَّهُ (شرح مسلم ص: ٣٩١) «**وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون**»: معناه من ظهور البدع والحوادث فى الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته ﷺ.

زمان فيغزو فئام[١] من الناس فيقولون: فيكم من صاحب[٢] رسول الله ﷺ؟[٣]. فيقولون لهم: نعم، فيُفتح لهم[٤]، ثم يأتى على الناس زمانٌ فيغزون فئامٌ من الناس، فيقال: فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: «هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، فيُفتح لهم»[٥].

وعن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآنى وصاحبنى، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآنى وصاحب من صاحبنى»[٦].

❊❊❊

(١) الفئام: الجماعة، وقيل: الجماعة الكثيرة (انظر لسان العرب ٣٣٣٦ فقد أورد هناك معان أخر بالإضافة إلى ما ذكرنا).

(٢) فى رواية مسلم «من رأى».

(٣) وهذا السؤال عن أصحاب النبى ﷺ ومن رآهم ومن رأى من رآهم للاستنصار والتبرك بهم وبدعائهم، وقد أورد البخارى رحمه الله هذا الحديث أيضًا فى كتاب الجهاد باب «من استعان بالضعفاء والصالحين فى الحرب» وقال الحافظ ابن حجر هناك: أى ببركتهم ودعائهم.

(٤) قال الحافظ فى الفتح (٦/ ٨٩): يفتح للصحابة لفضلهم ثم للتابعين لفضلهم ثم لتابعيهم لفضلهم، قال: ولذلك كان الصلاح والفضل والنصر للطبقة الرابعة أقل فكيف بمن بعدهم، والله المستعان.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٦٤٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٥٣٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٦) رواه ابن أبى شيبة (المصنف ١٢/ ١٧٨)، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٧/ ٥): إسناده حسن.

تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «لا تسُبُّوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ(١) أحدهم ولا نصيفه»(٢).

وعن عبد الله بن مغفل أن النبى ﷺ قال: «اللهَ اللهَ فى أصحابى، لا تتخذوهم

---

(١) المُد: قال فى «لسان العرب»: المُدُّ ضرب من المكاييل، وهو ربع صاع، وهو قدر مُد النبى ﷺ، وذكر أقوالًا أخرى، وقال: وقيل: إن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا، ونقل الحافظ ابن حجر فى الفتح (٧/ ٣٤) عن البيضاوى قوله: معنى الحديث: لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أُحد ذهبًا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مُد طعام أو نصيفه، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص وصدق النية، قلت (القائل الحافظ): وأعظم من ذلك فى سبب الأفضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج إليه، وأشار بالأفضلية بسبب الإنفاق إلى الأفضلية بسبب القتال كما وقع فى الآية: ﴿مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، فإن فيها إشارة إلى موقع السبب الذى ذكرته، وذلك أن الإنفاق والقتال كان قبل فتح مكة عظيمًا لشدة الحاجة إليه وقلة المعتنى به بخلاف ما وقع بعد ذلك؛ لأن المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجًا فإنه لا يقع ذلك الموقع المتقدم. والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٧٣) كتاب المناقب، عن أبى سعيد الخدرى. قوله: «نصيفه» قال الترمذى: ومعنى قوله: «نصيفه» أى نصف المد. أما حكم من سب أصحاب النبى ﷺ فننقل هنا بعض أقوال أهل العلم: قال النووى رحمه الله (شرح مسلم ٥/ ٤٠٠): واعلم أن من سب الصحابة رضي الله عنهم حرام من فواحش المحرمات، سواء من لابس الفتن منهم وغيره لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون كما أوضحناه فى أول فضائل الصحابة من هذا الشرح، قال القاضى: وسب أحدهم من المعاصى الكبائر ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يُعزر ولا يُقتل، وقال بعض المالكية: يُقتل.

وقال الحافظ ابن حجر فى «فتح البارى» (١/ ٣٦): اختلف فى ساب الصحابى، فقال عياض: ذهب الجمهور إلى أنه يُعزر، وعن بعض المالكية يُقتل، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين، فحكى القاضى حسين فى ذلك وجهين، وقواه السبكى فى حق من كفَّر الشيخين، وكذا من كفر من صرح النبى ﷺ بإيمانه أو تبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ.

غرضًا بعدى، فمن أحبهم فبحبى لهم أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى اختارنى، واختار لى أصحابًا، فجعل لى منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل»[2]. الصرف: النافلة، والعدل: الفريضة.

وقال الإمام الذهبى رحمه الله: «إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم فى حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسُننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سُنَّة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم، أو سبَّهم، فقد خرج من الدين، ومَرَق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكارَ ما ذكره الله تعالى فى كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحُبِّهم.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن فى

---

(١) رواه أحمد فى المسند (٤/ ٨٧)، (٥/ ٥٤، ٥٧)، وقال محققه: إسناده حسن، ورواه أيضًا الترمذى رقم (٣٨٦٢)، وغيره.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣٢)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى.

الوسائط طعن فى الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسَلَمَ من النفاق والزندقة والإلحاد فى عقيدته»[١].

وقال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: ومن الحجة الواضحة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذى شجر بينهم، فمَن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا منهم أو تنقَّص أو طعن عليهم، أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضى خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حُبهم سُنة، والدعاء لهم قُربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص[٢].

وقال ﷺ: **«احفظونى فى أصحابى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..»**[٣].

وقال ﷺ: **«إذا ذُكر أصحابى فأمسِكوا، وإذا ذُكرت النجوم فأمسِكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا»**[٤].

وقال ﷺ: **«لعن الله من سبَّ أصحابى»**[٥].

وفى رواية قال ﷺ: **«من سبَّ أصحابى فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»**[٦].

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ٢٧٦) - كبيرة سبّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.
(٢) السنة للإمام أحمد (ص: ٧٨).
(٣) صحيح: رواه ابن ماجه عن عمر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٠٦).
(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٤٥).
(٥) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عمر، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥١١١).
(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٢٨٥).

۞ وقال القرطبي في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١).

«لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خَطَأٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، إِذْ كَانُوا كُلُّهُمُ اجْتَهَدُوا فِيمَا فَعَلُوهُ وَأَرَادُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ، وَهُمْ كُلُّهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ، وَقَدْ تَعَبَّدْنَا بِالْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَلَّا نَذْكُرَهُمْ إِلَّا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَلِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَبِّهِمْ، وَأَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُمْ، وَأَخْبَرَ بِالرِّضَا عَنْهُمْ»(٢).

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣).

۞ يقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في «تفسيره»(٤): يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ رِضَاهُ عَنِ السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَرِضَاهُمْ عَنْهُ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ... إلى أن قال: فَيَا وَيْلَ مَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ سَبَّهم أَوْ أَبْغَضَ أَوْ سبَّ بَعْضَهُمْ، وَلَا سِيَّمَا سيدُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَخَيْرُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ، أَعْنِي الصِّدِّيقَ الْأَكْبَرَ وَالْخَلِيفَةَ الْأَعْظَمَ أَبَا بَكْرِ بْنَ أَبِي قُحَافَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ الطَّائِفَةَ الْمَخْذُولَةَ مِنَ الرَّافِضَةِ يُعَادُونَ أَفْضَلَ

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٢١).

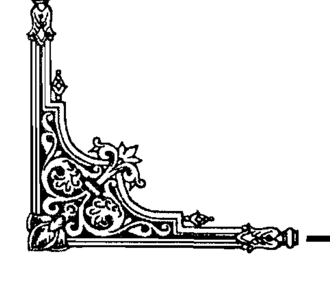
(٣) سورة التوبة: الآية: (١٠٠).

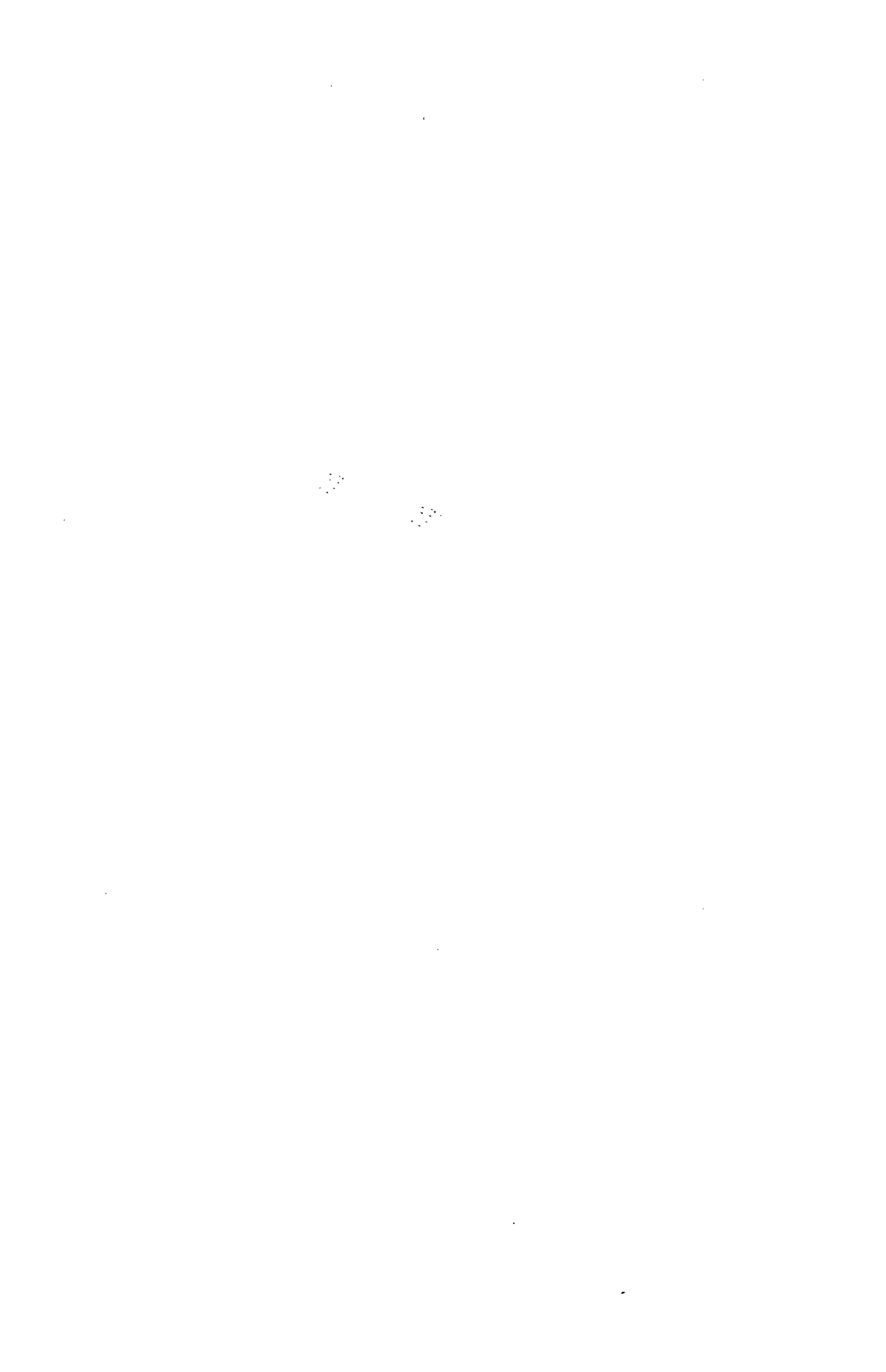
(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٧٠).

الصَّحَابَةِ ويُبغضونهم ويَسُبُّونهم، عِياذًا بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُقُولَهُمْ مَعْكُوسَةٌ، وَقُلُوبَهُمْ مَنْكُوسَةٌ، فَأَيْنَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يسبُّون مَنْ رضي الله عنهم؟ وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَتَرَضَّونَ عَمَّنْ رضي الله عنه، وَيَسُبُّونَ مَنْ سَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَيُوَالُونَ مَنْ يُوَالِي اللهَ، وَيُعَادُونَ مَنْ يُعَادِي اللهَ، وَهُمْ مُتَّبِعُونَ لَا مُبْتَدِعُونَ، وَيَقْتَدُونَ وَلَا يَبْتَدُونَ وَلِهَذَا هُمْ حِزْبُ اللهِ الْمُفْلِحُونَ وَعِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ.



ظهور الفتن





ظهور الفتن

ولقد أخبر النبي ﷺ أنَّ ظهور الفتن علامة من علامات الساعة ولقد ظهرت الفتن وكثرت ولا زالت الفتن تملأ الأرض إلى يومنا هذا .. أسأل الله أن يحفظني وإياكم من الفتن.

۞ قال ابن منظور في لسان العرب:

الفتن: جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كَثُرَ استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم أُطلقت على كلِّ مكروهٍ أو آيل إليه؛ كالإثم، والكفر والقتل، والتَّحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة[١].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتُزلزل الإيمان، حتى يصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، ... كلما ظهرت فتنةٌ؛ قال المؤمن: هذه مُهْلِكَتِي. ثم تنكشف، ويظهر غيرها، فيقول: هذه، هذه. ولا تزال الفتن تظهرُ في الناس إلى أن تقومَ السَّاعة.

روى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[٢].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي،

(١) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣١٧-٣٢١)، و«النهاية» (٣/ ٤١٠-٤١١)، و«فتح الباري» (١٣/ ٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١١٨) كتاب الإيمان.

فَكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالْحِجَارَةِ، فَإِنْ دُخِلَ - يَعْنِي عَلَى أَحَدِكُمْ - فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ»[١].

والمراد بالحديث: الْحَثُّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ تَعَذُّرِهَا وَالِاشْتِغَالِ عَنْهَا بِمَا يَحْدُثُ مِنَ الْفِتَنِ الشَّاغِلَةِ الْمُتَكَاثِرَةِ الْمُتَرَاكِمَةِ كَتَرَاكُمِ ظَلَامِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ لَا الْمُقْمِرِ ... وَوَصَفَ ﷺ نَوْعًا مِنْ شَدَائِدِ تِلْكَ الْفِتَنِ وَهُوَ أَنَّهُ يُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا أَوْ عَكْسُهُ وَهَذَا لِعِظَمِ الْفِتَنِ يَنْقَلِبُ الْإِنْسَانُ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ هَذَا الِانْقِلَابَ[٢].

وكم رأينا فى زماننا هذا من يبيع دينه بعَرَضٍ من الدنيا قليل ... يبيع دينه من أجل حفنة دراهم أو كرسىٍّ زائلٍ أو شهرةٍ زائفةٍ .. إلى غير ذلك من متاع الدنيا الزائل.

ومن أجل ذلك حذرنا النبى ﷺ من فتنة الدنيا.

عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[٣].

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٦٨٢).

(٢) شرح مسلم للنووى.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣١٥٨) كتاب الجزية والموادعة، ومسلم (٢٩٦١) كتاب الزهد والرقائق.

شدة الفتن

وقد أطلع الله رسوله عليه السلام على كثير من البلايا والفتن التى ستُبتلى بها الأمة الإسلامية فى مقبل الزَّمَان، ولذلك فإنَّ الرَّسول ﷺ أطال فى تحديث الصَّحابة عن تلك الفتن، وبيان المَخرج منها، ... يقول أَبُو زَيْدٍ عَمْرَو بْنَ أَخْطَبَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ» فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[١].

ولعل هذا المقام هو الذى ذكره حذيفة بن اليمان، فقد ثبت عنه أنه قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِى مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ»، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِى هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّىْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ»[٢].

وبعض هذه الفتن شديدة مظلمة ومنها خفيف، ... ففى حديث حذيفة فى صحيح مسلم عن الفتن: «**منهم** (أى: من الفتن) **ثلاث لا يكدن يذرن شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار، ومنها كبار**»[٣].

ويبلغ ثقل هذه الفتن وشدتها على المسلم أن يتمنَّى الموت ويرجوه كى يتخلص من البلاء... فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «**لا تَقُومُ السَّاعَةُ**

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٢) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩٢) كتاب الفتن.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَكَ»، وفى رواية عند مسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاة جَامِعَة، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»(٢).

وإنَّ من أعظم الأسباب التى توقع فى الفتن والبلاء قلة العلم، وكثرة الجهل، وترك الإسلام، وارتكاب الذنوب والمعاصى، وانتهاك الحرمات، فعن عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيُرْفَعُ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ»(٣).

وقد كثُرَ في الأحاديث إخبار الرسول ﷺ بكثرة القتل فى آخر الزمان، وليس المراد به قتل المسلمين للكفار، وإنما هو قتل بعض المسلمين

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١١٥) كتاب الفتن، ومسلم (٢٢٣١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٣) كتاب الفتن، ومسلم (٢٦٧٢) كتاب العلم.

لبعض، وفى كثير من الأحيان لا تعرف أسباب ذلك القتل ولا أهدافه.

ففى الحديث عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**إن بين يدى الساعة الهرج**، قالوا: وما الهرج؟ قال: **القتل، إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره، ويقتل أخاه، ويقتل عمه، ويقتل ابن عمه**، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: **إنه لتُنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شىء، وليسوا على شىء**»[١][٢].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ٣٩١)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٦٨٢).

(٢) القيامة الصُّغرى/ د. عمر الأشقر (١٧١-١٧٤) بتصرف.

عرض الفتن على القلوب

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ أن الأمر يزداد خطرًا وذلك عندما تُعرض الفتن على القلوب.

۞ عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ؟

فَقَالَ قَوْمٌ: نَحْنُ سَمِعْنَاهُ.

فَقَالَ: لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ فِى أَهْلِهِ وَجَارِهِ.

قَالُوا: أَجَلْ.

قَالَ: تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ، وَلَكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِىَّ ﷺ يَذْكُرُ الْفِتَنَ الَّتِى تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ. فَقُلْتُ: أَنَا. قَالَ: أَنْتَ لِله أَبُوكَ.

قَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا**[١] **عُودًا، فَأَىُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا**[٢] **نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ**[٣]**، وَأَىُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ؛ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا**[٤] **فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا**[٥]

---

(١) قال القاضي: «شبَّه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قُضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحدٍ»- انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» [٢/ ٣٣٠].

(٢) أُشربها: دخلت فيه دخولًا تامًّا، وألزمها وحلَّت منه مَحَلّ الشراب.

(٣) نكت فيه نكتة: نقط فيه نقطة.

(٤) الصَّفا: الحجر الأملس الذى لا يَعْلَق به شيء.

(٥) الربدة: لون بين السواد والغبرة.

كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا[1]، لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[2].

وفى لفظ أبى نعيم: «إِنَّ الْفِتْنَةَ تُعْرَضُ عَلَى الْقُلُوبِ، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِنْ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لا فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلاَلًا، أَوْ يَرَى حَلاَلًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا، فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ»[3].

۞ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِى ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[4]»[5].

وقال ﷺ: «مَا مِنَ الْقُلُوبِ قَلْبٌ، إِلَّا وَلَهُ سَحَابَةٌ كَسَحَابَةِ الْقَمَرِ، بَيْنَا الْقَمَرُ مُضِيءٌ إِذْ عَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةٌ، فَأَظْلَمَ إِذْ تَجَلَّتْ عَنْهُ فَأَضَاءَ»[6].

(١) مُجَخِّيًا: مائلًا، وقيل: منكوسًا.

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٤٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٢٧٢)، والحاكم فى المستدرك (٨٤٤٣).

(٤) سورة المطففين: الآية: (١٤).

(٥) حسن: رواه أحمد والترمذى والنسائي، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٠).

(٦) حسن: رواه الطبرانى فى الأوسط، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٨٢).

كيف يعرف العبد أنه قد أصابته الفتنة؟

۞ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ فَإِنْ كَانَ رَأَى حَلَالًا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا[1] فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ، وَإِنْ كَانَ يَرَى حَرَامًا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا[2] فَقَدْ أَصَابَتْهُ»[3].

۞ **قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:**

«إذا اسودَّ القلب وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان به إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا وربما استحكم عليه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلًا والباطل حقًّا.

الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ وانقياده للهوى واتباعه له.

والفتن التي تعرض على القلوب وهي أسباب مرضها، هي فتن الشهوات، وفتن الشبهات، وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصي، والبدع وفتن الظلم والجهل.

فالأولى: توجب فساد القصد والإرادة.

والثانية: توجب فساد العلم والاعتقاد[4].

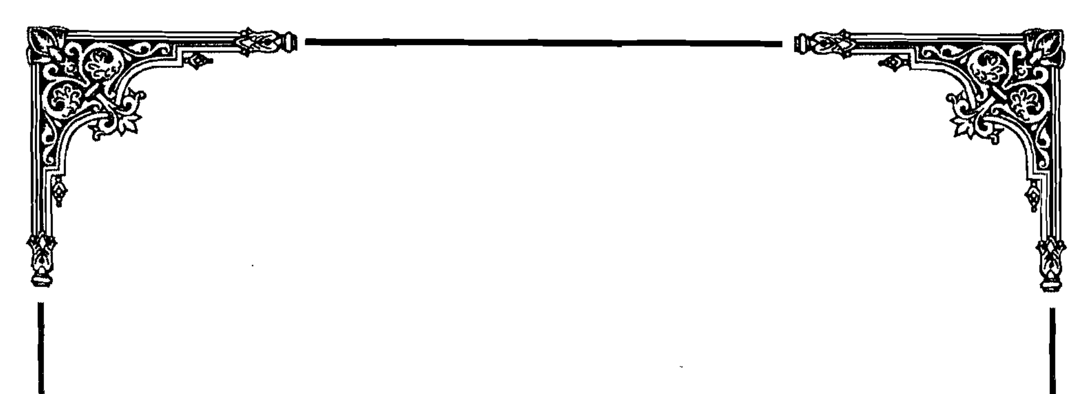
---

(١) أي: مُجمَع على تحريمه.

(٢) أي: مُجمَع على حِلِّه.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك»، وقال: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي.

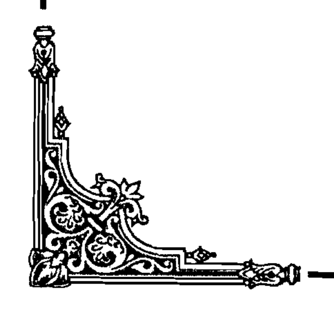
(٤) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٨).



* متى بدأت الفتن:

* أعلم الناس بالفتن:

* من أين تنطلق الفتن:





متى بدأت الفتن

۞ لا شكَّ أن بداية ظهور الفتن كان بعد مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

۞ فلقد كان أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه مثالًا للخليفة العادل المؤمن، المجاهد التقى الورع، القوى الأمين،... الحصن المنيع للأمة وعقيدتها، قضى رضي الله عنه خلافته كلها فى خدمة دينه وعقيدته وأمته التى تولى أمر قيادتها، فكان القائد الأعلى للجيش والفقيه المجتهد الذى يرجع الجميع إلى رأيه، والقاضى العادل النزيه، والأب الحنون الرحيم بالرعية، صغيرها وكبيرها، ضعيفها وقويِّها، فقيرها وغنيها، الصادق المؤمن بالله ورسوله، السياسى المُحنَّك المجرب والإدارى الحكيم الحازم، أحكم بقيادته صرح الأمة، وتوطدت فى عهده دعائم الدولة الإسلامية، وتحققت بقيادته أعظم الانتصارات على الفرس فى معارك الفتوح، فكانت القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند، وتمّ فتح بلاد الشام ومصر من سيطرة الروم البيزنطيين[1]، ودخل الإسلام فى معظم البلاد المحيطة بالجزيرة العربية، وكانت خلافته سدًّا منيعًا أمام الفتن، وكان عمر نفسه بابًا مغلقًا لا يقدر أصحاب الفتن على الدخول إلى المسلمين فى حياته، ولا تقدر الفتن أن تُطل برأسها فى عهده[2].

۞ **حوار بين عمر وحذيفة حول الفتن (واقتراب كسر الباب):**

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كنّا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فقال: أيكم

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب / للعانى (ص١٥١).

(٢) الخلفاء الراشدون / للخالدى (ص٧٧).

يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقلت: أنا أحفظه كما قال! قال: هات، لله أبوك، إنك لجريء. قلت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يُكفرها الصيام والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**». قال عمر: ليس هذا أريد. إنما أريد الفتنة التي تموج كموج البحر! قلت: ما لك ولها يا أمير المؤمنين؟ إنّ بينك وبينها بابًا مُغلَقًا!! قال: فيُكسر الباب أو يُفتح؟ قلت: لا. بل يُكسر!! قال: ذاك أحرى أن لا يُغلَق أبدًا، حتى قيام الساعة!!!

قال أبو وائل الراوي عن حذيفة: هل كان عمر يعلم مَن الباب؟ قال حذيفة: نعم. كما يعلم أن دون غدٍ الليلة! إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. قال أبو وائل: فَهِبنا أن نسألِ حذيفة: مَن الباب؟ فقلنا لمسروق: سَلْ حذيفة مَن الباب؟ فقال مسروق لحذيفة: مَن الباب؟ قال حذيفة: هو عمر[1]!!!

إن حذيفة قدّم العلم لعمر رضي الله عنه، بأن الباب المنيع هو الذي يمنع تدفق الفتن على المسلمين، ويحجزُها عنهم، إنَّ هذا سيُكسر كسرًا، وسيتحطم تحطيمًا، وهذا معناه أنه لن يُغلق بعد هذا حتى قيام الساعة، وهذا ما فهمه عمر، ... أي أن الفتن ستبقى منتشرة ذائعة بين المسلمين، ولن يتمكّنوا من إزالتها أو توقُّفها أو القضاء عليها، ... وحذيفة رضي الله عنه لا يقرر هذا من عنده، ولا يتوقعه توقُّعًا، فهو لا يعلم الغيب وإنما سمع هذا من رسول الله ﷺ ووعاه وحفظه كما سمعه، ولهذا يعلق على كلامه لعمر قائلًا: إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. أي: حدثته حديثًا صحيحًا صادقًا، لا أغاليط ولا

---

(١) صحيح: رواه البخاري، (٧٠٩٦) كتاب الفتن.

أكاذيب فيه؛ لأنني سمعته من رسول الله ﷺ[١].

وروى الطبراني أيضًا بسندٍ رجاله ثقات كما قال الحافظ أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه لَقِيَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فغَمَزَهَا، وَكَانَ عُمَرُ رَجُلًا شَدِيدًا، فَقَالَ: أَرْسِلْ يَدِى يَا قُفْلَ الْفِتْنَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَمَا قُفْلُ الْفِتْنَةِ؟ قَالَ: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَجَلَسْتُ فِى آخِرِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُصِيبُكُمْ فِتْنَةٌ مَا دَامَ هَذَا فِيكُمْ**» وَأَشَارَ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه[٢].

ثم إن عمر رضي الله عنه يعلم الحقيقة التى أخبره بها حذيفة، فهو يعلم أن خلافته بابٌ منيع يمنع تدفق الفتن على المسلمين، وأن الفتن لن تغزو المسلمين أثناء خلافته وعهده وحياته[٣]، وكان عمر رضي الله عنه يعلم من رسول الله ﷺ، أنه سيُقتل قتلًا، وسيلقى الله شهيدًا، .... قال أنس بن مالك رضي الله عنه: صعد رسول الله جبل أُحد، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف الجبل بهم. فضربه رسول الله ﷺ برجله، وقال له: «**اثبت أُحُد: فإنما عليك نبيّ، وصدِّيق، وشهيدان**»[٤].

۞ ولذا فإن من الفتن أن يَسُبَّ الشيعةُ الروافض فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

۞ وأنا أقول لهم ولغيرهم ممن لا يعرفون قدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / د. على الصلابى (ص ٥١٧-٥١٨) بتصرف.

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (ح ١٩٦٦)، وابن عساكر فى تاريخه (٤٤/ ٣٣٤)، وقال الحافظ فى «الفتح» (١٠/ ٣٩١) تحت حديث (٣٣٢١): «بإسنادٍ رجاله ثقات».

(٣) الخلفاء الراشدون / للخالدى (ص٧٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

تعالوا بنا لنعرف بعض فضائل ومناقب هذا الجبل الأشم الذى كان حصنًا منيعًا من حصون الإسلام.

❊❊❊

بعض فضائل ومناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلى أبا بكر الصدِّيق فى الفضل.

فهو أفضل الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين وأبى بكر ... وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده فى أفضليته رضي الله عنه وهو معتقد الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة[١]، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة بفضائل الفاروق رضي الله عنه ومنها:

(١) إيمانه وعلمه ودينه :

فقد جاء فى منزلة إيمانه رضي الله عنه ما رواه عبد الله بن هشام أنه قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسى. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «**لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحبّ إليك من نفسك**». فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «**الآن يا عمر**»[٢]. وأما علمه فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينما أنا نائم شربت** – يعنى اللبن – **حتى أنظر إلى الرّى يجرى فى ظفرى أو فى أظفاري، ثم ناولت عمر**». فقالوا: فما أوَّلته قال: «**العلم**»[٣]. وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم فى كثرة النفع وكونهما سببًا للصلاح، فاللبن للغذاء البدنى والعلم للغذاء المعنوى ... وفى الحديث فضيلة ومنقبة لعمر رضي الله عنه وإن الرؤيا من شأنها أن لا تُحمَل على ظاهرها

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام/ د. ناصر بن على عائض حسن الشيخ (١/ ٢٤٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٦٣٢) كتاب الأيمان والنذور.

(٣) فتح البارى (٧/ ٤٦).

وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحى لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ومنها ما يُحمَل على ظاهره.. والمراد بالعلم – فى الحديث – سياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ... واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبى بكر وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان فإن مدة أبى بكر كانت قصيرة فلم تَكْثُر فيها الفتوح التى هى أعظم الأسباب فى الاختلاف ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد ثم ازدادت اتساعًا فى خلافة عثمان فانتشرت الأقوال واختلفت الآراء ولم يتفق له ما اتفق لعمر فى طواعية الخلق له فنشأت من ثَمَّ الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله واستُخلف عليٌّ فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انشارًا.

وأما دينه، فقد قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيت الناس يُعرَضون علىَّ وعليهم قُمُص منها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومَرَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره**». قالوا فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»[1].

(٢) هيبة عمر وخوف الشيطان منه :

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يُكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما استأذن عمر بن الخطاب قُمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر .. ورسول الله يضحك. فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله فقال النبى ﷺ: «**عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب**». قال عمر: فأنت أحق أن يَهَبن يا رسول الله ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن، أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟! فقلن: نعم أنت أفظ

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢٣) كتاب الإيمان، ومسلم (٢٣٩٠) كتاب فضائل الصحابة.

وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**إيهًا يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا**[١] **قط إلا سلك فجًا غير فجّك**»[٢].

هذا الحديث فيه بيان فضل عمر رضي الله عنه وأنه من كثرة التزامه الصواب لم يجد الشيطان عليه مدخلًا ينفذ إليه[٣].

قال ابن حجر: فيه فضيلة لعمر تقتضى أن الشيطان لا سبيل له عليه لا أن ذلك يقتضى وجود العصمة إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه فى طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له بحسب ما تصل إليه قدرته، فإن قيل عدم تسليطه عليه بالوسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة لأنه إذا مُنع من السلوك فى طريق فأولى أن لا يلابسه بحيث يتمكن من وسوسته له فيمكن أن يكون حُفِظ من الشيطان، ولا يلزم من ذلك ثبوت العصمة له لأنها فى حق النبى واجبة وفى حق غيره ممكنة ووقع فى حديث حفصة عند الطبرانى فى الأوسط بلفظ: «**إن الشيطان لا يلقى عمر منذ أسلم إلا فَرَّ لوجهه**». وهذا دَالٌّ على صلابته فى الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض، ... وقال النووي: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه... وقال عياض: يُحتَمل أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان ... قال ابن حجر: والأول أولى[٤].

---

(١) الفج: الطريق الواسع ويُطلَق على المكان المنخرق بين الجبلين.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٨٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/ ٣٤٨).

(٤) فتح البارى (٧/ ٤٧-٤٨)، شرح النووى (١٥/ ١٦٥-١٦٧).

(٣) مُلهَم هذه الأمة:

قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون فإن يكُ فى أمتى أحدٌ فإنه عمر»[١] هذا الحديث تضمَّن منقبة عظيمة للفاروق ﭬ.

وقد اختلف العلماء فى المراد بالمحدَّث. فقيل: المراد بالمحدث: الملهم. وقيل: من يجرى الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل: مُكلَّم أي: تكلمه الملائكة بغير نبوة.. بمعنى أنها تكلمه فى نفسه وإن لم يرَ مكلمًا فى الحقيقة فيرجع إلى الإلهام. وفسَّره بعضهم بالتفرُّس[٢].

قال ابن حجر: والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له فى زمن النبى ﷺ من الموافقات التى نزل القرآن مطابقًا لها ووقع له بعد النبى ﷺ عدة إصابات[٣] وكون عمر ﭬ اختص بهذه المكرمة العظيمة وانفرد بها دون مَن سواه من الصحابة لا تدل على أنه أفضل من الصدِّيق ﭬ[٤].

قال ابن القيم: ولا تظن أن تخصيص عمر ﭬ بهذا تفضيل له على أبى بكر الصديق بل هذا من أقوى مناقب الصدِّيق فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة وتمام رضاعه من ثدى الرسالة استغنى بذلك عما تلقاه من تحديث أو غيره، فالذى يتلقاه من مشكاة النبوة أتم من الذى يتلقاه عمر من التحديث فتأمل هذا الموضع وأعطه حقه من المعرفة وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير[٥].

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٦٨٩) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) فتح البارى (٧/ ٥٠)، شرح النووى (١٥/ ١٦٦).

(٣) فتح البارى (٧/ ٥١).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (١/ ٢٥١).

(٥) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٥٥).

(٤) لم أر عبقريًا يفرى فريه:

قال رسول الله ﷺ: «**رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بَكْرةٍ على قليب**[١]، **فجاء أبو بكر فنزع ذَنوبًا أو ذَنوبين نزعًا ضعيفًا والله يغفر له**[٢]، **ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غَربًا فلم أرَ عبقريًّا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن**»[٣]، وهذا الحديث فيه فضيلة ظاهرة لعمر رضي الله عنه تضمنها قوله ﷺ: «**فجاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربًا**» ومعنى: استحالت صارت وتحولت من الصِّغَر إلى الكِبَر وأمّا «العبقري» فهو السيد وقيل: الذى ليس فوقه شيء ومعنى «**ضرب الناس بعطن**» أى أرووا إبلهم ثم آووا إلى عطنها وهو الموضع الذى تُساق إليه بعد السقى لتستريح.

وهذا المنام الذى رآه النبى ﷺ مثال واضح لما جرى للصدِّيق وعمر رضي الله عنهما فى خلافتهما وحسن سيرتهما وظهور آثارهما وانتفاع الناس بهما فقد حصل فى خلافة الصدِّيق قتال أهل الردة وقطع دابرهم وأشاع الإسلام رغم قِصَر مدة خلافته فقد كانت سنتين وأَشهُرًا فوضع الله فيها البركة وحصل فيها من النفع الكثير ولما توفى الصدِّيق خلفه الفاروق فاتسعت رقعة الإسلام فى زمنه وتقرر للناس من أحكامه ما لم يقع مثله فكثر انتفاع الناس فى خلافة عمر لطولها فقد مصَّر الأمصار ودوَّن الدواوين وكثرت الفتوحات والغنائم.. ومعنى قوله ﷺ: «**فلم أرَ عبقريًّا من الناس يفرى فريه**»: أى لم أرَ سيدًا يعمل عمله ويقطع قطعه ومعنى قوله ﷺ: «**حتى ضرب الناس بعطن**»،

---

(١) القليب: البئر غير المطوية.

(٢) والله يغفر له: هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبى بكر وإنما كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٨٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٣٩٣) كتاب فضائل الصحابة.

قال القاضي عياض ظاهره أنه عائد إلى خلافة عمر خاصة وقيل: يعود إلى خلافة أبي بكر وعمر جميعًا لأن بنظرهما وتدبيرهما وقيامهما بمصالح المسلمين تم هذا الأمر... «**وضرب الناس بعطن**». لأن أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وألَّفهم وابتدأ الفتوح ومهَّد الأمور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت فى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[١].

(٥) غيرة عمر رضي الله عنه وبشرى رسول الله له بقصر فى الجنة:

قال رسول الله ﷺ: «**رأيتنى دخلت الجنة فإذا أنا بالرُّميصاء امرأة أبى طلحة وسمعت خشفة فقلت مَن هذا؟ فقال: هذا بلال ...ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت. لمن هذا؟ فقالوا: لعمر فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك**». فقال عمر: بأبى وأمى يا رسول الله أعليك أغار[٢]، وفى رواية قال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر فذكرت غيرته فوليت مدبرًا**». فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله[٣]؟... هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أخبر النبى ﷺ برؤيته قصرًا فى الجنة للفاروق وهذا يدل على منزلته عند الله تعالى[٤].

(٦) أحب أصحاب رسول الله ﷺ إليه بعد أبى بكر:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: قلت يا رسول الله، أيُّ الناس أحبّ إليك؟

---

(١) شرح النووى (١٥/ ١٦١-١٦٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٢٤٢) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٣٩٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٣٩٥) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة والصحابة (١/ ٢٤٥).

قال: «**عائشة**» قلت: يا رسول الله، من الرجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟ قال: «**ثم عمر بن الخطاب**» ثم عَدَّ رجالًا[١].

(٧) بشرى لعمر بالجنة:

عن أبى موسى الأشعرى قال: كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح فقال النبى ﷺ: «**افتح له وبشّره بالجنة**»، ففتحت له، فإذا أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ: فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**»، ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل، فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه**» فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان[٢][٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٦٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٢٨٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٤) كتاب المناقب.

(٣) نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عمر) د. على الصلابي.

أعلم الناس بالفتن إلى قيام الساعة

۞ لا شكَّ أن أعلم الناس بالفتنة - بعد النبى ﷺ - هو الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

لو أردنا أن نعرف قدر هذا الرجل العظيم فما علينا إلا أن نتدبر هذا الحوار الذى دار بينه وبين رسول الله ﷺ ... عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يُدركنى، فقلت: يا رسول الله: إنَّا كنا فى جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخن**»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديى، تعرف منهم وتُنكر**»، قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، قلت: يا رسول الله، صِفْهُم لنا؟ فقال: «**هم مِن جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك**»[١].

وعنه **أيضًا أنه قال**: والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بينى وبين الساعة[٢].

وعنه **أيضًا أنه قال**: قام فينا رسول الله مقامًا، فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه، ونسيه من نسيه[٣].

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٦٠٦) كتاب المناقب.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٦٦٠٤) كتاب القدر - ومسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

قال الإمام الذهبى رَحِمَهُ اللهُ: قلت: قد كان ﷺ يُرتِّل كلامه ويفسره، فلعله قال فى مجلسه ذلك ما يُكتب فى جزء، فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن فى الوجود، لما تهيأ أن يقوله فى سَنةٍ، بل ولا فى أعوام، ففكِّر فى هذا[1].

عن زاذان: أن عليًّا سُئل عن حذيفة، فقال: علم المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه تجدوه بها عالمًا[2].

وهكذا عكف حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على دراسة الشر والأشرار والنفاق والمنافقين لكى يحذر منهم، بل ويحذِّر الأمة من شرورهم.

وعن أبى يحيى، قال: سأل رجل حذيفة، وأنا عنده، فقال: ما النفاق؟ قال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به[3].

وكان النبى ﷺ قد أَسَرَّ إلى حذيفة أسماء المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة فى الأمة[4]... حتى كان أمير المؤمنين عمر وهو الملهم الفطن الأريب يستدل برأى حذيفة وببصيرته فى اختيار الرجال ومعرفتهم.

بل وقد ناشده عمر عندما علم أن النبى ﷺ أسر إليه بأسماء المنافقين فقال: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكى أحدًا بعدك[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٢/ ٣٦٦).

(٢) قال الشيخ شعيب الأرناؤوط فى تخريج السير: رجاله ثقات، وفى المستدرك (٣/ ٣٨١) من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة وإسماعيل، عن قيس قال: سئل علىّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثم وقف عند شبهاته، فأحل حلاله، وحرم حرامه، وسئل عن عمار، فقال: مؤمن نسى، وإذا ذُكر ذكر، وسئل عن حذيفة، فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين.

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (٢/ ٣٦٣).

(٤) انظر البخارى (٧٠٩٦) كتاب الفتن، ومسلم (١٤٤) كتاب الإيمان.

(٥) نسبه فى الكنز (١٣/ ٣٤٤) إلى رستة - نقلًا من السير (٢/ ٣٦٤) للذهبى.

وظل حذيفة بن اليمان مؤتمنًا على أسرار المنافقين ما امتدت به الحياة، وظل الخلفاء يرجعون إليه فى أمرهم، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا مات أحد المسلمين يسأل: أحضر حذيفة للصلاة عليه؟... فإن قالوا: نعم، صلى عليه، وإن قالوا لا، شك فيه، وأمسك عن الصلاة عليه.

وقد سأله ذات مرة: أفى عُمالى أحد من المنافقين؟ فقال: واحدٌ، فقال: دُلنى عليه، فقال: لا أفعل... قال حذيفة: لكن عمر ما لبث أن عزله كأنما هُدى إليه.. فلقد كان عمر يملك فِراسة وشفافية يندر وجودها.

۞ **وعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ:** «وَاللهِ مَا أَنَا بِالطَّرِيقِ، إِلَى قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى وَلَا إِلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ بِأَعْلَمَ مِنِّى بِمَا يَكُونُ مِنْ بَعْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه وأرضاه»(١).

۞ **وَعَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه أيضًا، أَنَّهُ قَالَ:** «لَوْ حَدَّثْتُكُمْ بِكُلِّ مَا أَعْلَمُ مَا رَقَدْتُمْ فِى اللَّيْلِ»(٢).

---

(١) أخرجه نعيم فى «الفتن» (٢٧) (١/ ٣٤).

(٢) أخرجه نعيم فى الفتن (١٨) (١/ ٣٢).

من أين تنطلق الفتن

ونحن نعلم أن أكثر الفتن التى ظهرت فى المسلمين كان منبعها من المشرق حيث يطلع قرنُ الشيطان.. كما أخبر النبى العدنان ﷺ.

❁ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما **قَالَ:** دَعَا النَّبِىُّ ﷺ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى صَاعِنَا، وَمُدِّنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِى مَكَّتِنَا وَمَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِى شَامِنَا وَيَمَنِنَا**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِىَّ اللهِ وَفِى عِرَاقِنَا، فَقَالَ: «**إِنَّ بِهَا قَرْنَ الشَّيْطَانِ، وَنَبْحَ الْفِتَنِ، وَإِنَّ الْجَفَاءَ بِالْمَشْرِقِ**»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ، يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**»[(٢)(٣)].

وفى رواية لمسلم أنه قال: «**رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ**» **يَعْنِى الْمَشْرِقَ**[(٤)].

قال ابن حجر: «وأول الفتن كان منبعها من قِبَلِ المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبُّه الشيطان ويفرحُ به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة»[(٥)].

---

(١) رواه الطبرانى، ورواته ثقات. «مختصر الترغيب والترهيب» (ص ٨٧) للحافظ ابن حجر.

(٢) (قرن الشيطان): قوة الشيطان وأتباعه، أو أن للشمس قرن على الحقيقة. وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عَبَدتها له. انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٤٦).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخارى (١٠٣٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٩٠٥) كتاب الفتن.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٥) كتاب الفتن.

(٥) «فتح البارى» (١٣/ ٤٧).

فمن العراق ظهر الخوارج، والشيعة، والروافض، والباطنية، والقَدَرية، والجهميَّة، والمُعتزلة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق؛ من جهة الفرس المجوس؛ كالزردشتية[1]، والمانويّة[2]، والمزدكية[3]، والهندوسية[4]، والبوذيَّة[5]، وأخيرًا وليس آخرًا: القاديانية[6]،

(١) (الزردشتية): هم أصحاب زردشت بن يورشب، وأبوه من أذربيجان، ومن عقيدتهم أن النور والظلمة أصلان متضادان، وهما مبدأ موجودات العالم، وزردشت يقول: إن البارى تعالى هو خالق النور والظلمة ومبدعهما، والزردشتية جماعة منظمة، ولها درجات ومراتب، وموطنهم فارس. انظر «الملل والنحل» (١/ ٢٣٦-٢٣٧) للشهرستانى، وكتاب «وجاء دور المجوس» (ص ٢٤) للدكتور عبد الله الغريب.

(٢) (المانوية): هم أصحاب مانى بن فاتك المجوسى، وعقيدتهم أن العالم مخلوق من أصلين قديمين هما النور والظلمة. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٢٤٤).

(٣) (المزدكية): أصحاب مزدك بن بافداد، الذى دعا إلى الإباحية واشتراك الناس فى النساء والأموال، وليست الشيوعية الحديثة إلا امتدادًا للمزدكية. انظر: «الملل والنحل» (١/ ٢٤٩)، وكتاب «وجاء دور المجوس» (ص ٢٧-٢٩).

(٤) (الهندوسية): ديانة الجمهرة العظمى فى الهند الآن، وقد جاء بها الآريون عندما فتحوا الهند، وليس لها مؤسس معيَّن، وهى مجموعة عقائد، ولهم آلهة كثيرة، ويقسمون الناس إلى أربع طبقات، أعلاها البراهمة، وأدناها المنبوذون، ولهم كتاب مقدس اسمه «الويدا» وهو عبارة عن تاريخ للآريين، وهم طبقة البراهمة، وفيه مجموعة تعاليم. انظر: «مقارنة الأديان / أديان الهند الكبرى» (٤/ ٤٦-٤٩) لأحمد شلبى.

(٥) (البوذية): مؤسس هذه النحلة اسمه (سيد هارتا)، ثم تَسمَّى بـ«بوذا»، ودعوته تقوم على التقشف، والزهد، والرياضات، ويقول بالتناسخ - والتناسخ أساس أديان الهند - وبوذا لا يؤمن بوجود إله. وقد امتزجت البوذية بالهندوسية، وذابت فيها، وأصبح بوذا من آلهة الهندوس. انظر: «مقارنة الأديان / أديان الهند الكبرى» (٤/ ١٣٧-١٧٠).

(٦) (القاديانية): نسبة إلى مؤسسها الميرزا غلام أحمد القاديانى، وكان ظهور هذه النحلة فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى فى الهند، فى إقليم (بنجاب) بباكستان، وادَّعى النبوة، وأنه المسيح الموعود، وساعده الإنكليز فى نشر دعوته، ومن أباطيله نسخ الجهاد، وفرض طاعة الحكومة البريطانية، وأنَّ نزول عيسى من نسج النصارى، ومَن قال إن عيسى ما مات؛ فقد =

والبهائية[1].. إلى غير ذلك من المذاهب الهدَّامة.

وأيضًا؛ فإن ظهور التتار فى القرن السابع الهجرى كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدَّمار والقتل والشرِّ العظيم ما هو مُدوَّنٌ فى كتب التاريخ.

وإلى اليوم لا يزال المشرق منبعًا للفتن والشرور والبدع والخرافات، والإلحاد،... فالشيوعية الملحدة مركزها روسيا والصين الشيوعية، وهما فى المشرق، وسيكون ظهور الدَّجَّال ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن[2].

❁ قال الدكتور عمر الأشقر رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن استقرأ التاريخ علم أن الفتن كانت تهب على الأمة الإسلامية والعالم الإسلامى من جهة المشرق، فمنها ثارت الفتنة التى أدت إلى مقتل

= أشرك، وكان هلاكه سنة (١٩٠٨م). انظر: «القاديانى ومعتقداته» للشيخ منظور أحمد الباكستانى، و«القاديانية ثورة على النبوة والإسلام»، و«القاديانى والقاديانية دراسة وتحليل»؛ كلاهما لأبى الحسن الندوى.

(١) (البهائية): مؤسس هذه النحلة رجل من فارس، اسمه الميرزا على محمد الشيرازى، الذى لقِّب نفسه بـ(الباب)، وقد سجنته حكومة فارس، ثم قتلته، وخلفه أحد أتباعه، وهو بهاء الله ميرزا حسين على، ومن عقائده نسخ القرآن، وهدم الكعبة، وإبطال الحج، وادَّعى النبوة، وله كتاب سماه «الكتاب الأقدس».

وقد تطوَّر مذهب البهائيين حتى ادَّعوا أن البهاء إله، فقد كان نقش (إكليشة) نشراتهم: «بهاء يا إلهى».

انظر: كتاب «دراسات عن البهائية والبابية»، مجموعة رسائل لجماعة من الكتاب المسلمين، طبع المكتب الإسلامى، ط. الثانية، (١٣٩٧ هـ)، دمشق.

(٢) بتصرف من أشراط الساعة.

الخليفة الراشد عثمان، ومنها خرجت فرقة الحرورية المارقة: الخوارج، وبقيت رياح الخوارج تعصف بالأمة فى العهد الأموى، وبها قامت ثورة الزنج فى عام ٢٥٥هـ بالبصرة، وفى عام ٢٧٨هـ انبعثت منها حركة القرامطة، ومن اطلع على ما أحدثه الزنج والقرامطة فى الأمة الإسلامية يذهل مما ارتكبوه من فظائع.

وليس المشرق قصرًا على العراق، فمن الشرق هبَّت رياح التتار، وسيبقى الأمر كذلك إلى أن تأتى رايات الدجال، من خُراسان كما أخبر الرسول ﷺ.

ولا تعارِضُ هذه الأحاديث - التى تحدد البؤرة التى تنبعث منها الفتن على الأمة الإسلامية - حديث الرسول ﷺ الذى يرويه عنه أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: «أشرف النبى ﷺ على أُطم من آطام المدينة، فقال: **«هل ترون ما أرى؟»** قالوا: لا. قال: **«فإنى أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر»**[1][2].

يقول ابن حجر فى شرح الحديث: «اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن فى البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصِفِّين كان بسبب مقتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفِّين، وكل قتال وقع فى ذلك العصر إنما تولَّد عن شىء من ذلك، أو عن شىء تولَّد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه، ثم

---

(١) أشار الرسول ﷺ فى هذا الحديث إلى كثرة الفتن وعمومها لناس لا تختص بها طائفة دون أخرى، كما يعم المطر النواحى التى ينزل فيها، ومن قرأ التاريخ وما جرى بعد مقتل عثمان ومقتل الحسين علم صدق مقالة الرسول ﷺ.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٦٠) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٨٥) كتاب الفتن.

عليه بتولِّيه لهم، وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهى من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب، وبين الحديث الآتى أن الفتنة من جهة المشرق»[(١)][(٢)].

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ١٣).

(٢) القيامة الصغرى (ص ١٨٣-١٨٤).

فضل العبادة في أيام الفتن

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الناس فى الفتن رجل آخذٌ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه أو رجل معتزل فى بادية يؤدى حق الله الذى عليه»[١].

وعن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «عبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ»[٢].

وعن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال رسول الله ﷺ: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»[٣].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه، والترمذى، وأبو داود وزاد «قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٧٢).

فضل العزلة لمن يخشى على نفسه من الفتن

قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً؟ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنانِ فَرَسِهِ فِى سَبِيلِ الله حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ ؛ أَلا أُخْبِرُكُمْ بالَّذِى يَتْلوهُ؟ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِى شِعْبٍ يُقِيمُ الصَّلاةَ ويُؤْتِى الزَّكاةَ ويَعْتَزِلُ شرُورَ النّاسِ ؛أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النّاسِ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِالله وَلا يُعْطِى»[٢].

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رجل: أى الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله» قال: ثم من؟ قال: «ثم رجل معتزل فى شِعبٍ من الشعاب يعبد ربه» وفى رواية: «يتقى الله ويدع الناس من شره»[٣].

وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من خير معاش الناس لهم: رجل مُمسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل أو الموتَ مظانَّه ورجل فى غُنيمة فى رأس شعفة من هذه الشَّعف أو بطن وادٍ من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا فى خير»[٤].

وعن معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من جاهد فى سبيل الله كان

(١) صحيح: رواه البخارى (٣٣٠٠) كتاب بدء الخلق.

(٢) صحيح: رواه أحمد والنسائى والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٠١).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٧٨٦) كتاب الجهاد والسير، ومسلم (١٨٨٨) كتاب الإمارة.

(٤) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٩) كتاب الإمارة.

ضامنًا على الله ومن عاد مريضًا كان ضامنًا على الله ومن دخل على إمامه يُعزره كان ضامنًا على الله ومن جلس في بيته لم يغتب إنسانًا كان ضامنًا على الله»(١).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «طُوبى لمن مَلَك لسانه ووسِعه بيته وبكى على خطيئته»(٢).

وعن عامر بن سعد قال: كان سعد بن أبي وقاص في بيته فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال: أعوذ بالله من شر هذا الراكب فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك وتركت الناس يتنازعون المُلك بينهم فضرب سعد في صدره وقال: اسكت.. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»(٣).

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ بَيْنَ يَدَى السَّاعَةِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللّيْلِ المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافِرًا القاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ من القائم والقائم فيها خير من الماشي والمَاشِي فِيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي فَكَسِّرُوا قِسيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أوْتارَكُمْ واضْرِبوا سُيُوفَكُمْ بالحِجارَةِ فإنْ دُخِلَ على أحَدٍ مِنْكُمْ بَيْتُهُ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَى آدَمَ»(٤).

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة

---

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٣١٦) (٢٧٣٨).

(٢) حسن: رواه الطبراني في الصغير وأبو نعيم في الحلية، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٢٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٩).

فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم وخفَّت أماناتهم وكانوا هكذا» وشبك بين أصابعه قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك - جعلني الله تبارك وتعالى فداك -؟ قال: «الزم بيتك وابكِ على نفسك واملك عليك لسانك وخُذ ما تعرف و دَعْ ما تُنكر وعليك بأمر خاصة نفسك و دَعْ عنك أمر العامة»[1].

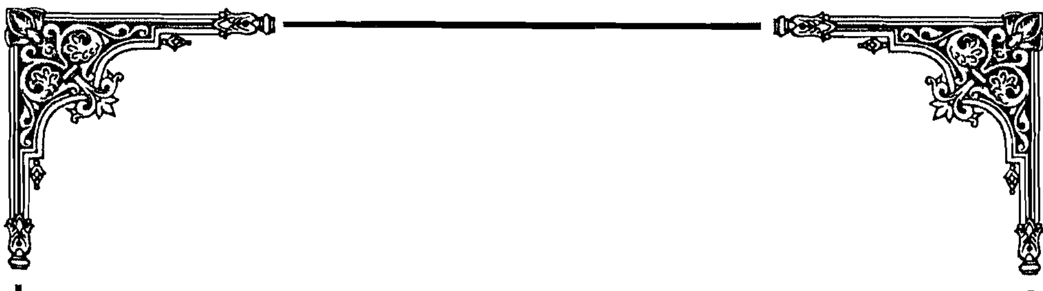
وعن المقداد بن الأسود قال: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن السعيد لمَنْ جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنِّب الفتن، ولمن ابتُلى فصبر»[2].

---

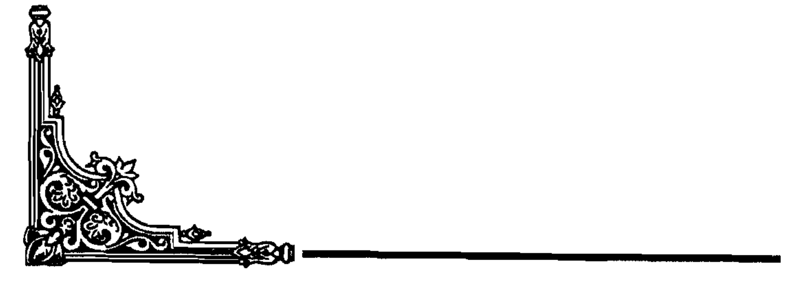
(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٣).

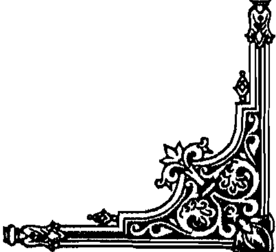
(٢) صحيح: رواه أبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٣٧).





إخبار النبي ﷺ بمقتل عثمان رضي الله عنه







إخبار الرسول ﷺ عن الفتنة التى يُقتل فيها عثمان رضي الله عنه

(١) من نجا من ثلاث فقد نجا:

عن عبد الله بن حوالة أن رسول الله ﷺ قال: «**من نجا من ثلاثٍ فقد نجا** -ثلاث مرات-: **موتى، والدجال، وقتل خليفة مصطبر بالحق مُعطيه**»[١].

ومعلوم أن الخليفة الذى قُتل مصطبراً بالحق هو عثمان، ... فالقرائن تدل على أن الخليفة المقصود بهذا الحديث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وفى الحديث -والله أعلم- لفتة عظيمة إلى أهمية السلامة من الخوض فى هذه الفتنة حسيًّا ومعنويًّا،... أما حسيًّا فذلك يكون فى الفتنة من تحريض وتأليب وقتل وغير ذلك، وأما معنويًّا فبعد الفتنة من خوضٍ فيها بالباطل، وكلام فيها بغير حق، وبهذا يكون الحديث عامًّا للأمة، وليس خاصًّا بمن أدرك الفتنة.[٢]

(٢) يُقتل فيها هذا المُقنَّع يومئذ:

عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فمرَّ رجل فقال: «**يُقتَل فيها هذا المُقنَّع يومئذ مظلومًا**» قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان[٣].

(٣) هذا يومئذ على الهدى:

عن كعب بن عجرة قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجلٌ مُقنَّعٌ رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا يومئذ على الهدى**». فوثبت فأخذت بضبعى عثمان، ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت: هذا؟ قال: «**هذا**»[٤].

(١) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٠٥)، وصححه الألبانى فى ظلال الجنة (١١٧٧).

(٢) فتنة مقتل عثمان/ د. محمد عبد الله الغبان (١/ ٤٤).

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٥٥١) إسناده حسن.

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٦٠٦٧).

(٤) تهيج فتنة كالصياصي، فهذا ومن معه على الحق:

عن مرة البهزى قال: كنت عند رسول الله ﷺ وقال بهز -من رواة الحديث-: قال رسول الله ﷺ: «**تهيج فتنة كالصياصى، فهذا ومن معه على الحق**». قال: فذهبت فأخذت بمجامع ثوبه، فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه(١).

(٥) هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى:

عن أبى الأشعث قال: قامت خطباء بإيلياء فى إمارة معاوية رضي الله عنه، فتكلموا وكان آخر من تكلم مُرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت،... سمعت رسول الله ﷺ يذكر فتنة فقربها، فمر رجل مُقَنَّع فقال: «**هذا يومئذ وأصحابه على الحق والهدى**»، فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلت بوجهه إليه فقال: «**هذا**»، فإذا هو عثمان رضي الله عنه(٢).

(٦) عليكم بالأمين وأصحابه:

عن أبى حبيبة أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم تَلقون بعدى فتنة واختلافًا**» أو قال «**اختلافًا وفتنة**»، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: «**عليكم بالأمين وأصحابه**»، وهو يشير إلى عثمان بذلك(٣).

---

(١) المسند (٥/ ٣٣) له طرق تقويه.

(٢) صحيح: مسند أحمد، (١٧٦٠٢)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣١١٩).

(٣) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/ ٩٩)، وأحمد (٢/ ٣٤٥)، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣١٨٨).

(٧) فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه :

عن عبد الله بن عامر، عن النعمان بن بشير عن عائشة قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان، فأقبل عليه رسول الله ﷺ، فلما رأينا رسول الله ﷺ أقبلت إحدانا على الأخرى فكان من آخر كلامه كلمة أن ضرب منكبيه وقال: «**يا عثمان، إن الله عَزَّوَجَلَّ عسى أن يُلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**»[١].

(٨) إن رسول الله ﷺ عَهِد إليَّ عهدا وإنى صابر نفسى عليه :

عن أبى سهلة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ادعوا لى بعض أصحابي**» قلت: أبو بكر؟ قال: «**لا**»، قلت: عثمان؟ قال: «**نعم**»، فلما جاء قال: «**تنحَّى**»، فجعل يُسَارّه[٢] ولون عثمان يتغير، فلما كان يوم الدار وحُصر قلنا: يا أمير المؤمنين، ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهدًا وإنى صابر نفسى عليه[٣]. وهذا الحديث يبين شدة محبة رسول الله ﷺ لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وحرصه على مصالح الأمة بعده، فقد أخبره بأشياء تتعلق بهذه الفتنة التى ستنتهى بقتله، وحرص عليه الصلاة والسلام على سريتها، حتى إنه لم يصل إلينا منها إلا ما صرح به عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أثناء الفتنة لما قيل له: ألا تقاتل؟ فقد قال: لا، إن رسول الله ﷺ عَهِد إلَيَّ عهدًا، وإنى صابر عليه[٤]. ويظهر من قوله هذا، أن النبى ﷺ قد أرشده إلى الموقف الصحيح عند اشتعال الفتنة، وذلك أخذًا منه ﷺ بحجز الفتنة أن تنطلق،

---

(١) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٤٧).

(٢) من المسارة مفاعلة، من السر أى المناجاة -أى: يُكلمه سرًّا-.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٥٠٦)، إسناده صحيح.

(٤) المصدر السابق.

وفى بعض الروايات زيادة تكشُّف عن بعض مكنون هذه المسارَّة، فقد جاء فيها أن النبى ﷺ قال له: «**وإن سألوك أن تنخلع من قميصٍ قمَّصك الله عز وجل فلا تفعل**»[١]. ومضمون هذا العهد الذى ذكره عثمان رضي الله عنه يتعلق بالفتنة والوصية بالصبر فيها وعدم الخلع، وإن كان يفهم من هذه الأحاديث بأنه سيكون خليفة يومًا ما.

ويبدو أن هناك وصايا وإرشادات تتعلق بهذه الفتنة، انفرد بمعرفتها عثمان رضي الله عنه وذلك محافظة من النبى ﷺ على السرية فيها، ومما يبين ذلك أنه أمر عائشة رضي الله عنها بالانصراف[٢] عندما أراد الإسرار بها لعثمان رضي الله عنه، كما أسر إليه إسرارًا رغم خلو المكان من غيرهما حتى تغير لونه، مما يدل على عظم المُسرِّ به. وربط عائشة رضي الله عنها هذا الإسرار بالفتنة دليل واضح على أن هذه المسارة كانت حول الفتنة التى قُتل فيها، كما أن الإسرار تضمن توجيهات منه ﷺ إلى عثمان ليقف الموقف الصحيح عند عرض الخلع، وأن النبى ﷺ لم يقتصر على الإخبار بوقوع الفتنة، فقد أخبر بذلك علانية فى أحاديث كثيرة كما تقدم، فإسراره يدل على أن هذا الإسرار تضمن أشياء أخرى زيادة على الإخبار عن وقوعها، ... ورغَّب عليه الصلاة والسلام بالمحافظة على سريتها لحكمة اقتضت ذلك الله أعلم بها.

وهذا الحديث يفسر لنا جليًا سبب إصرار عثمان على رفض القتال أثناء الحصار، كما يفسر أيضا سبب رفضه للتنازل عن الخلافة وخلعها عندما

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٦١٣) إسناد صحيح - الطبقات (٣/ ٦٦،٦٧).

(٢) فقد قال لها النبى ﷺ: (تنحّى)، ومعنى التنحى الانصراف - الفيروز آبادي، القاموس المحيط (٤/ ٣٩٦).

عرض القوم عليه ذلك، وهما موقفان طالما تساءل الباحثون والمؤرخون عن السبب الذى أدى عثمان إليهما واستشكلوهما[١].

وحادث فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه من ضمن حوادث كثيرة أخبر رسول الله ﷺ فى حياته بأنها ستقع بالغيب، ... فإن علم الغيب صفة من صفات الله عز وجل، ليست لأحد من خلقه وإنما ذلك علم أطلعه الله عليه وأمره أن يبينه للناس[٢] قال تعالى:

﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٣].

---

(١) فتنة مقتل عثمان / محمد عبد الله الغبان، (١/ ٤٨).

(٢) المصدر السابق – نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) / د. على الصلابي.

(٣) سورة الأعراف: الآية: (١٨٨).

استخلاف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

استمر اهتمام الفاروق رضي الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها حتى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهى بلا شك لحظات خالدة، تجلى فيها إيمان الفاروق العميق وإخلاصه وإيثاره(١). وقد استطاع الفاروق فى تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يُسبَق إليها فى اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلًا ملموسًا ومَعلمًا واضحًا على فقهه فى سياسة الدولة الإسلامية.

لقد مضى قبله الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يستخلف بعده أحدًا بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولما طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر فى الأمر مليًّا وقرر أن يسلك مسلكًا آخر يتناسب مع المقام؛ ... فرسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الناس وكلهم مُقِرٌّ بأفضلية أبى بكر وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادرًا وخصوصًا أن النبى صلى الله عليه وسلم وجَّه الأمة قولًا وفعلًا إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده. والصدِّيق لما استخلف عمر كان يعلم أن عند الصحابة أجمعين قناعة بأن عمر أقوى وأفضل من يحمل المسئولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ولم يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر(٢)، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى فى عدد محصور، وقد حصر ستة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يَصْلُحون لتولِّى الأمر ولو أنهم يتفاوتون، وحدد لهم

---

(١) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب/ للعاني، (ص١٦١).

(٢) أوليات الفاروق / د. غالب عبد الكافى القرشي، (ص١٢٢).

طريقة الانتخاب ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة وحدَّد الحُكم فى المجلس، والمرجح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات فى المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحدٍ أن يدخل أو يسمع ما يدور فى مجلس أهل الحل والعقد[1].

(١) أوليات الفاروق/ د. غالب عبد الكافى القرشي، (ص١٢٤).

قصة الشورى

لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، جَعَلَ الْخِلَافَةَ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، ... وَقِصَّةُ الشُّورَى رَوَاهَا الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (حَتَّى نَعْلَمَ أَنَّ التَّارِيخَ لَا يَضِيعُ) فهَذَا الإِمَامُ الْبُخَارِيُّ رَوَى لَنَا أَعْظَمَ قضيتين ... فَعِنْدَمَا نَقُولُ: إِنَّنَا لابُدّ أَن نَتَثَبَّت، فَالحَمْدُ للهِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَثَبَّتَ، وَنستطيع أَنْ نَجِدَ رِوَايَات صَحِيحَة؛ لِأَمْثَالِ هَذِهِ القِصص.

وَلَقَدْ ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ قِصَّةً طَوِيلَةً فِي مَقْتَلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قِيلَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَخْلِفْ.

قَالَ: مَا أَجِدُ أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ، أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ.

وَقَالَ: «يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ».

عِنْدَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: «اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ».

فَقَالَ الزُّبَيْرُ: جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ[1].

---

(١) هَذِهِ الرِّوَايَةُ تُبينُ لَنَا حَقِيقَةَ الأَمْرِ، وَهِيَ أَنّ الزُّبَيرَ بْنَ الْعَوَّامِ لَم يَكُنْ يَبْغَضُ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَيْفَ وَهُوَ ابْنُ عَمَّتِهِ صَفِيَّةَ، وَقَدْ رَشَّحَهُ لِلخِلَافَةِ كَمَا هُوَ ظَاهر مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ.

وَقَالَ طَلْحَةُ: جَعَلْتُ أَمْرِى إِلَى عُثْمَانَ.

وَقَالَ سَعْدٌ: جَعَلْتُ أَمْرِى إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ».

تَنَازَلَ ثَلَاثَة: تَنَازَلَ طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ.

الْمُرَشَّحُونَ إِذًا ثَلَاثَةٌ: عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ.

«فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنَ الْأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ عَلَيْهِ وَالْإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِى نَفْسِهِ». فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُو عَنْ أَفْضَلِكُمَا.

قَالَا: نَعَمْ. فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِى الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ.

ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ -وَهُوَ عُثْمَانُ- فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، ... فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ»[1].

هَذِهِ رِوَايَةُ الْبَيْعَةِ لِعُثْمَانَ رضي الله عنه كَمَا فِى صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ.

۞ وَهُنَاكَ تَفْصِيلَاتٌ أُخْرَى فِى الصَّحِيحِ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ جَلَسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ يَسْأَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ حَتَّى قَالَ رضي الله عنه:

«وَاللهِ مَا تَرَكْتُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَّا وَسَأَلْتُهُمْ فَمَا

(١) «صَحِيح الْبُخَارِيِّ»، كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَة، بَاب قِصَّة الْبَيْعَة، حَدِيث (٣٧٠٠).

رَأَيْتُهُمْ يَعْدِلُونَ بِعُثْمَانَ أَحَدًا»[(١)].

أَيْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ مُبَاشَرَةً فِي الْبَيْعَةِ، وَإِنَّمَا جَلَسَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتَارَ عُثْمَانَ.

۞ وَمِنَ الْمُحْزِنِ أَنَّنَا نَرَى كُتُبَ التَّارِيخِ الْحَدِيثَةِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ عَنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ تُعْرِضُ عَنْ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ، وَتَأْخُذُ بِرِوَايَةِ أَبِي مِخْنَفٍ الْمَكْذُوبَةِ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ، وَهَذَا نَصُّهَا:

«لَمَّا طُعِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوِ اسْتَخْلَفْتَ، قَالَ: مَنْ أَسْتَخْلِفُ؟ لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: «**إِنَّهُ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ**».

وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَيًّا اسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنْ سَأَلَنِي رَبِّي قُلْتُ: سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ: «**إِنَّ سَالِمًا شَدِيدُ الْحُبِّ لِلهِ**». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَدُلُّكَ عَلَيْهِ؟ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، ... فَقَالَ: قَاتَلَكَ اللهُ، وَاللهِ مَا أَرَدْتَ اللهَ بِهَذَا، وَيْحَكَ كَيْفَ أَسْتَخْلِفُ رَجُلًا عَجَزَ عَنْ طَلَاقِ امْرَأَتِهِ، لَا أَرَبَ لَنَا فِي أُمُورِكُمْ، مَا حَمِدْتُهَا فَأَرْغَبُ فِيهَا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، إِنْ كَانَ خَيْرًا فَقَدْ أَصَبْنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ عَنَّا آلَ عُمَرَ، بِحَسْبِ آلِ عُمَرَ أَنْ يُحَاسَبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ وَيُسْأَلَ عَنْ أَمْرِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، أَمَا لَقَدْ جَهَدْتُ نَفْسِي وَحَرَمْتُ أَهْلِي، وَإِنْ نَجَوْتُ كَفَافًا لَا وِزْرَ وَلَا أَجْرَ إِنِّي لَسَعِيدٌ، وَانْظُرْ فَإِنِ اسْتَخْلَفْتُ فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ)، وَإِنْ أَتْرُكْ فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي (يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ)، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللهُ دِينَهُ.

فَخَرَجُوا ثُمَّ رَاحُوا فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ عَهِدْتَ عَهْدًا؟ فَقَالَ: قَدْ

---

(١) «صَحِيح الْبُخَارِيِّ»، كِتَاب الْأحكام، بَاب كَيْفَ يُبَايِع الْإِمَام النَّاس، حَدِيث (٧٢٠٧).

كُنْتُ أَجْمَعْتُ بَعْدَ مَقَالَتِي لَكُمْ أَنْ أَنْظُرَ فَأُوَلِّي رَجُلًا أَمْرَكُمْ هُوَ أَحْرَاكُمْ أَنْ يَحْمِلَكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَأَشَارَ إِلَى عَلِيٍّ، وَرَهَقَتْنِي غَشْيَةٌ فَرَأَيْتُ رَجُلًا دَخَلَ جَنَّةً قَدْ غَرَسَهَا فَجَعَلَ يَقْطِفُ كُلَّ غَضَّةٍ وَيَانِعَةٍ فَيَضُمُّهُ إِلَيْهِ وَيُصَيِّرُهُ تَحْتَهُ، فَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ غَالِبُ أَمْرِهِ وَمُتَوَفٍّ عُمَرَ، فَمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَمَّلَهَا حَيًّا وَمَيِّتًا، عَلَيْكُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»: سَعِيدُ ابْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ مِنْهُمْ وَلَسْتُ مُدْخِلَهُ، وَلَكِنِ السِّتَّةُ: عَلِيٌّ، وَعُثْمَانُ ابْنَا عَبْدِ مَنَافٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَعْدٌ خَالَا رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ حَوَارِيُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَابْنُ عَمَّتِهِ، وَطَلْحَةُ الْخَيْرِ ابْنُ عُبَيْدِ اللهِ، فَلْيَخْتَارُوا مِنْهُمْ رَجُلًا فَإِذَا وَلَّوْا وَالِيًا فَأَحْسِنُوا مُؤَازَرَتَهُ وَأَعِينُوهُ، وَإِنِ ائْتَمَنَ أَحَدًا مِنْكُمْ فَلْيُؤَدِّ إِلَيْهِ أَمَانَتَهُ.

فَخَرَجُوا فَقَالَ الْعَبَّاسُ لِعَلِيٍّ: لَا تَدْخُلْ مَعَهُمْ.

قَالَ: أَكْرَهُ الْخِلَافَ. قَالَ: إِذًا تَرَى مَا تَكْرَهُ.

فَلَمَّا أَصْبَحَ عُمَرُ دَعَا عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ، فَقَالَ: إِنِّي نَظَرْتُ فَوَجَدْتُكُمْ رُؤَسَاءَ النَّاسِ وَقَادَتَهُمْ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا فِيكُمْ، وَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْكُمْ رَاضٍ، إِنِّي لَا أَخَافُ النَّاسَ عَلَيْكُمْ إِنِ اسْتَقَمْتُمْ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ اخْتِلَافَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَيَخْتَلِفُ النَّاسُ، فَانْهَضُوا إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ بِإِذْنٍ مِنْهَا فَتَشَاوَرُوا وَاخْتَارُوا رَجُلًا مِنْكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا حُجْرَةَ عَائِشَةَ وَلَكِنْ كُونُوا قَرِيبًا، وَوَضَعَ رَأْسَهُ وَقَدْ نَزَفَهُ الدَّمُ.

فَدَخلُوا فتَنَاجَوْا ثُمَّ ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ فقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْف: سُبْحَانَ اللهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يمُتْ بَعْدُ، فَأَسْمَعَهُ فَانْتَبَهَ، فَقَالَ: أَلا أَعْرِضُوا عَنْ هَذَا أَجْمَعُونَ، فَإِذَا مِتُّ فَتَشَاوَرُوا ثَلاثَة أَيَّام وَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ صُهَيْبٌ، وَلَا يَأْتِيَنَّ الْيَوْمُ الرَّابِعُ إِلَّا وَعَلَيْكُمْ أَمِيرٌ مِنْكُمْ، وَيَحْضُرُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ مُشِيرًا وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَطَلْحَةُ شَرِيكُكُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ قَدِمَ فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ فَأَحْضِرُوهُ أَمْرَكُمْ، وَإِنْ مَضَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ قَبْلَ قُدُومِهِ فَاقْضُوا أَمْرَكُمْ. وَمَنْ لِي بِطَلْحَةَ؟ فقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: أَنا لَكَ بِهِ وَلَا يُخَالِفُ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَرْجُو أَنْ لَا يُخَالِفَ إِنْ شَاءَ اللهُ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ يَلِيَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، عَلِيٌّ، أَوْ عُثْمَانُ.

فَإِنْ وَلِي عُثْمَانُ فَرَجُلٌ فِيهِ لِينٌ، وَإِنْ وَلِي عَلِيٌّ فَفِيهِ دُعَابَةٌ، وَأَحْرَى بِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ.

وَإِنْ تُوَلُّوا سَعْدًا فَأَهْلُهَا هُوَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ الْوَالِي فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ خِيَانَةٍ وَلَا ضَعْفٍ، وَنِعْمَ ذُو الرَّأْيِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، مُسَدَّدٌ رَشِيدٌ لَهُ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، فَاسْمَعُوا مِنْهُ.

وَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ: يَا أَبَا طَلْحَة إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ طَالَمَا أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِكُمْ، فَاخْتَرْ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَاسْتَحِثَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ.

وقَالَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ: إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حُفْرَتِي فَاجْمَعْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ حَتَّى يَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ.

وَقَالَ لِصُهَيْبٍ: صَلِّ بِالنَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَأَدْخِلْ عَلِيًّا، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ، وَطَلْحَةَ إِنْ قَدِمَ، وَأَحْضِرْ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَر

وَلَا شَيْءَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، وَقُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلًا وَأَبَى وَاحِدٌ، فَاشْدَخْ رَأْسَهُ، أَوِ اضْرِبْ رَأْسَهُ بالسَّيْفِ.

وإِنِ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ رُؤُوسَهُمَا.

فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ، وَثَلَاثَةٌ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَر، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ حُكِمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلًا مِنْهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَاقْتُلُوا الْبَاقِينَ إِنْ رَغِبُوا عَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[١].

قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يَسْتَحِلُّ عُمَرُ رضي الله عنه رِقَابَ أُولَئِكَ الصَّحَابَةِ الْأَجِلَّةِ: عُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وهو قَدْ قَالَ: أُولئكَ القَوم الَّذينَ مَاتَ رَسُول الله ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، عليه الصلاة والسلام، فهَذَا يُظْهِرُ لَكَ كَذِبَ هَذِهِ الرِّوَايَةِ، ... ثُمَّ مَنْ سَيَجْرُؤُ عَلَى التَّنفِيذِ؟ وَهَلْ سَيُتْرَكُ؟

إِنَّهُ التَّلْفِيقُ، وَلَا شَيْءَ غَيْرُ التَّلْفِيقِ.

۞ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ وَبَايَعُوهُ، وَهُوَ أَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، ... لِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: «مَا كُنَّا نَعْدِلُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ بَقِيَّةَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِي أَنَّهُ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْمَعُنَا وَلَا

---

(١) «تَارِيخ الطَّبَرِيِّ» (٣/ ٢٩٢).

(٢) «صَحِيح الْبُخَارِيّ»، كِتَاب فَضَائِل الصّحَابَة، بَاب مَنَاقِب عُثْمَان، حَدِيث (٣٦٩٧).

يُنْكِرُهُ[١][٢].

وهذا بيان ما أُجمل فى الفقرات السابقة:

(١) العدد الذى حدده للشورى وأسماؤهم:

أما العدد فهو ستة، وهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعًا ... وترك سعيد بن زيد وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بنى عدي[٣]. وكان عمر رضي الله عنه حريصًا على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أن فيهم من هو أهلٌ لها، فهو يبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشحين للخلافة[٤].

(٢) طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا فى بيت أحدهم ويتشاوروا وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مُشيرًا فقط وليس له من الأمر شيء، ويصلى بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي، وقال له: أنت أمير الصلاة فى هذه الأيام الثلاثة حتى لا يولى إمامةَ الصلاة أحدًا من الستة فيصبح هذا ترشيحًا من عمر له بالخلافة[٥]. وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصارى أن يرقبا سير الانتخابات[٦].

---

(١) «الْمُعْجم الْكَبِير» للطّبَرانيّ (١٢/ ١٣١٣٢)، وَ «السُّنَّة» للخلّالِ (ص ٣٩٨) وَ «السّنة» لابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (٥٥٣) وَقَالَ مُحقّقُهُ الْعلّامةُ الْأَلْبَانِيّ «إِسْنَادُه صَحِيح».

(٢) حقبة من التاريخ / أ. عثمان الخميس (ص ٦٠-٦٥) بتصرف.

(٣) البداية والنهاية (٤/ ١٤٢).

(٤) الخلفاء الراشدون / للخالدي، (ص٩٨).

(٥) الخلافة والخلفاء الراشدون / للبهنساوي، (ص٢١٣).

(٦) أشهر مشاهير الإسلام فى الحرب والسياسة، (ص٦٤٨).

(٣) مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بثلاثة أيام وهى فترة كافية وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شُقة الخلاف ستتسع، ولذلك قال لهم: لا يأتى اليوم الرابع إلا وعليكم أمير[١].

(٤) الحكم فى حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم فى المجلس وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضى ثلاثةٌ رجلًا منهم وثلاثةٌ رجلًا منهم فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأى الفريقين حُكم له فليختاروا رجلًا منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ... ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنه مُسدَّد رشيد، فقال عنه: ونعم ذو الرأى عبد الرحمن بن عوف، مُسدَّدٌ رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[٢].

(٥) جماعة من جنود الله تراقب الاختيار وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصارى وقال له: يا أبا طلحة، إن الله عَزَّوَجَلَّ أعزَّ الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلًا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلًا منهم[٣]. وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتمونى فى حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلًا منهم[٤].

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣٦٤).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٥).
(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٢٥).
(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٢٥).

(٦) جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل :

ومن فوائد قصة الشورى، جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل؛ لأن عمر جعل الشورى فى ستة أنفس مع علمه أن بعضهم كان أفضل من بعض، ... ويؤخذ هذا من سيرة عمر فى أمرائه الذين كان يؤمرهم فى البلاد؛ حيث كان لا يراعى الفضل فى الدين فقط، بل يضم إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، ... فاستخلف معاوية والمغيرة ابن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضل من كُلٍّ منهم فى أمر الدين والعلم؛ كأبى الدرداء فى الشام، وابن مسعود فى الكوفة(١).

(٧) جمع عمر بين التعيين وعدمه :

جمع عمر بين التعيين، كما فعل أبو بكر أى تعيين المرشح، وبين عدم التعيين كما فعل الرسول ﷺ، فعين ستة وطلب منهم التشاور فى الأمر(٢).

(٨) الشورى ليست بين الستة فقط :

عرف عمر أن الشورى لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون فى أخذ رأى الناس فى المدينة فيمن يتولى الخلافة؛ حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيام فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية من يتولى بعده عن اتفاق من معظم الموجودين حينئذ ببلده التى هى دار الهجرة، وبها معظم الصحابة وكل من كان ساكنًا فى بلدٍ غيرها كان تبعًا لهم فيما يتفقون عليه،

(١) المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/ ٩٧).

(٢) المصدر السابق.

فما زالت المدينة حتى سنة ٢٣ هـ مجمع الصحابة؛ ... لأن كبار الصحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[1].

(١) المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي (٢/ ٩٧) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان).

خلافته الراشدة

ولما تولى عثمان الخلافة بعد مقتل عمر كان حريصًا على أن يسير على نهج أبى بكر وعمر فى العدل والرحمة.

فكان رحيمًا بالمسلمين يتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ويعرف مشكلاتهم ويسعى لراحة الناس من حوله فإن غاب أحد اطمأن عليه وكان متواضعًا مع الفقراء والمساكين وكان يسير فى الأسواق ليسأل الناس عن أخبارهم وأسعار طعامهم وكان يزور المرضى وينام فى المسجد أحيانًا فيقوم وقد أثَّر الحصير فى جنبه كما حدث للنبى ﷺ .

وفى خلافته كثر الناس بالمدينة واتسعت وكثر المال واغتنى الناس فى عهده حتى كان المنادى يأتى إليهم ويناديهم: أيها الناس هَلُمُّوا إلى عطاياكم أيها الناس أَقبلوا على أرزاقكم هيا إلى السمن والعسل فيذهبون ويأخذون السمن والعسل والقماش والمسك والزبيب حتى امتلأت بيوت المسلمين بالخيرات ولم يكن فى ذلك الوقت مؤمن يخاف مؤمنًا وإنما كان المؤمن يألف أخاه المسلم ويواده وينصره ويحبه لله.

۞ وعلى الرغم من أن عثمان كان من أكثر الناس بعيرًا وشياهًا قبل الخلافة إلا أنه كان بعد الخلافة ينفق كل أمواله على الناس حتى لم يبق له غير بعيرين حَجَّ عليهما إلى بيت الله الحرام.

۞ ولقد ازدادت مساحة البلاد الإسلامية فى عهده وفتح الله على المسلمين بلادًا كثيرة.

من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه

۞ وها هى باقة عطرة من الأوسمة والفضائل التى وضعها الحبيب المصطفى ﷺ على صدر عثمان بن عفان رضي الله عنه:

(١) افتح له وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه :

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبى ﷺ: «**افتح له، وبشِّره بالجنة**» ففتحت له فإذا هو أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ... ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى ﷺ: «**افتح له وبشره بالجنة**» ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: «**افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**» فإذا هو عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان[١].

هذا الحديث تضمَّن فضيلة هؤلاء الثلاثة المذكورين؛ وهم أبو بكر وعمر وعثمان، وأنهم من أهل الجنة كما تضمَّن فضيلة لأبى موسى، وفيه دلالة على جواز الثناء على الإنسان فى وجهه إذا أَمِنت عليه الإعجاب ونحوه، ... وفيه معجزة ظاهرة للنبى ﷺ لإخباره بقصة عثمان والبلوى، وأن الثلاثة يستمرون على الإيمان والهدى[٢].

(٢) اسكن أُحد فليس عليك إلا نبى وصدِّيق وشهيدان :

عن أنس رضي الله عنه قال: صعد النبى ﷺ أُحدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان،

---

(١) صحيح: رواه البخاري، (٣٦٩٥) كتاب المناقب.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم، (١٥/ ١٧٠، ١٧١).

فرجف، فقال: «اسكن أُحد -أظنه ضربه برجله- فليس عليك إلا نبى وصدِّيق وشهيدان»(١).

(٣) اهدأ فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ، فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد**»(٢).

(٤) حياء عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن يحيى بن سعيد بن العاص أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبى ﷺ وعثمان حدَّثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابسٌ مِرْط عائشة فأذن لأبى بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: «**اجمعى عليك ثيابك**»، قال عثمان: فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله، ما لى لم أركَ فزعت لأبى بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «**إن عثمان رجلٌ حيي، وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ فى حاجته**»(٣).

(٥) استحياء الملائكة من عثمان:

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: رواه البخاري، رقم (٣٦٩٧) كتاب المناقب.

(٢) صحيح: رواه مسلم، رقم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه مسلم، رقم (٢٤٠٢) كتاب فضائل الصحابة .

مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوَّى ثيابه. فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تُبالِه، ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيت ثيابك، فقال: «**ألا استحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!**»[1].

قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، .... والحياء فرع يتولد من إجلال من يشاهده ويعظم قدره، مع نقصٍ يجده في النفس، فكأنه غلب عليه إجلال الحق تعالى، ورأى نفسه بعين النقص والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقربين، فَعَلتْ رتبة عثمان كذلك، فاستحيت منه خلاصة الله من خلقه، كما أن مَن أحب الله أحب أولياءه، ومن خاف الله خاف منه كل شيء[2].

(٦) أصدقها حياءً عثمان:

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياءً عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أُبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمةٍ أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»[3].

---

(١) صحيح: رواه مسلم، رقم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) فيض القدير للمناوي، (٤/ ٣٠٢).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٩٥).

أهمية دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه[١]

۞ لا شك أننا بحاجة شديدة لدراسة وقائع فتنة مقتل الخليفة الراشد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وما ترتَّب عليها من أحداث فى موقعة الجمل وصِفِّين وغيرهما ليعرف الكون كله أن أصحاب الرسول ﷺ هم خير جيل عرفته البشرية كلها بعد الأنبياء والمرسلين..... وأنَّهم اجتهدوا فى هذه الفتنة فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ وما أراد واحدٌ منهم من وراء ذلك أى شيء من حُطام الدنيا الزائل.

۞ ولقد ورد عن كثير من السلف والعلماء الأمر بالتوقف عن الخوض فى تفاصيل ما وقع بين الصحابة، وإيكال أمرهم إلى الله الحكم العدل، مع الترضِّى عنهم، واعتقاد أنهم مجتهدون، مأجورون إن شاء الله، والحذر من الطعن فيهم والوقوع فى أعراضهم؛ لما يَجُرّ ذلك من الطعن فى الشريعة؛ إذ هم حَمَلتُها وحاملوها إلينا، ... ومن ذلك ما رُوى عن عمر بن عبد العزيز أنه سُئل عن أهل صِفِّين فقال: تلك دماء طهر الله منها يدي، فلا أحب أن أُخضب لسانى فيها[٢]. وسُئل أحدهم عن ذلك فقال متمثلًا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣].

وهذا النهى مُعلَّل، علَّته الخوف مما ذكرناه من الطعن فيهم والوقوع فى أعراضهم، وما يستوجب ذلك من غضب الله ومقته، فإذا انتفت هذه العلة

---

(١) بتصرف من كتاب (أحداث وأحاديث الفتنة الأولى) / د. عبد العزيز صغير.

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١١٤)، عون المعبود (١٢/ ٢٧٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٤).

فالظاهر أنه لا حرج فى ذلك، إذا كان الكلام والبحث فى تفاصيل ما وقع بينهم لا يؤدى إلى الطعن فيهم مطلقًا، فلا بأس من دراسة ذلك والتعمُّق فى أسبابه ودوافعه وتفصيلاته الدقيقة ونتائجه وتداعياته على مجتمع الصحابة، ثم على مَن بعدهم، ... وقد كتب كثير من العلماء عن الفتنة، أمثال: ابن كثير والطبرى وغيرهما حول أحداث تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام، وفصلوا فى قضايا كثيرة تتعلق بتلك الفتنة، ومنهم من ذهب إلى حد تخطئة أحد الطرفين، أو كليهما اعتمادًا على روايات ونصوص كثيرة اختلط فيها الصحيح بغيره[1].

۞ وهناك أسباب تدعو علماء أهل السنة وطلاب العلم منهم للغوص فى أعماق فتنة الهرج التى وقعت فى صدر الإسلام والبحث عن تفاصيلها، ومن هذه الأسباب:

(١) أن المؤلفات المعاصرة التى تناولت أحداث الفتنة بين الصحابة والتابعين انقسمت إلى ثلاثة أنواع:

(أ) مصنفات تَربَّى أصحابها على موائد الفكر الغربى الحاقد على التاريخ الإسلامي، أو الجاهل بالتاريخ الإسلامي، فلم يروا فيه شيئًا جميلًا، فراحوا يطعنون فى الصحابة والتابعين بطريقة تخدم أهداف أعداء الإسلام وخصومه، الذين قاموا بدراسة أحداث تلك الفتنة وتفاصيلها، وإعطائها تفسيرات تطعن فى جموع الصحابة، وتضرب الإسلام فى أصوله، وتجعل من هذه الأحداث صراعًا سياسيًّا على مناصب وكراسٍ، تَخلَّى فيه الصحابة عن إيمانهم وتقواهم وصدقهم مع الله، وانقلبوا إلى طُلاب دنيا،

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج/ د. عبد العزيز دخان، (ص٧٩).

وعُشاق زعامة، لا يهمهم أن تُراق الدماء، وتُزهق الأرواح وتُسلب الأموال وتُستباح الحُرمات إذا كان فى ذلك ما يحقق لهم ما يريدون من الرياسة والزعامة... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وممن تولى كِبر هذه الفرية طه حسين (الفتنة الكبرى)[١]، الذى هو بحقٍّ فتنة كبرى على عقول الناشئة من أبناء المسلمين؛ فقد راح طه حسين يُشنع على الصحابة ويُشكك فى نياتهم، ويتهمهم باتهامات مُغرضة خدمة لأهداف أعداء الإسلام والمسلمين[٢]. وقد تأثر الكثير بمنهجه، ويبدو أن أمثال هؤلاء اعتمدوا على الروايات التاريخية التى أوردها المؤرخون كالطبرى وابن عساكر وغيرهما، والتى اختلط فيها الغَثُّ بالسمين، والكذب بالصدق، ... أخذها دون مراعاة لمنهج هؤلاء فى مصنفاتهم، وهذا خطأ كبير. وقد تأثرت هذه الكتابات بالفكر المنحرف والكتابات غير الصحيحة للتاريخ الإسلامى[٣]، كما فى روايات وأخبار الكلبي[٤]، وأبى مخنف[٥]، ونصر بن مزاحم المنقرى[٦]، والتى توجد حتى عند الطبرى فى

---

(١) انظر الفتنة الكبرى (عثمان) (علىّ وبنوه).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، (ص٨٠).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) محمد بن السائب الكلبي- قال ابن حبان: كان سبئيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يَمُت وإنه راجع إلى الدنيا. توفى سنة ١٤٦ هـ. ميزان الاعتدال (٣/ ٥٥٨) ابن أبى حاتم، الجرح والتعديل (٧/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٥) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدى من أهل الكوفة، قال ابن عدي: شيعى محترق صاحب أخبارهم، توفى سنة ١٥٧هـ، له تصانيف كثيرة منها: الردة، الجمل، صِفِّين، وغيرها.

(٦) نصر بن مزاحم بن سيار المنقرى الكوفي.. قال الذهبي: رافضى جلد تركوه، توفى سنة ٢١٢هـ. ومن كتبه: وقعة صفين، وهو مطبوع، والجمل ومقتل الحسين، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٥٣).

تاريخه، لكن الطبرى يذكرها مُسندة لهؤلاء، فيعرف أهل العلم حالها [١].
وكما فى كتابات المسعودى فى مروج الذهب واليعقوبى فى تاريخه.

وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب فى حاشية (العواصم) إلى أن التدوين التاريخى إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع المعوجة والشعوبية المتلفعة برداء الضلال دور فى طمس معالم الخير فيه، وتسويد صفحاته الناصعة [٢].

ويظهر هذا الكيد لمن تدبر كتاب (العواصم من القواصم) لابن العربى مع الحاشية الممتازة التى وضعها العلامة محب الدين الخطيب.

لقد سوَّد بعض الكُتَّاب آلاف الصفحات بسبٍّ أفضل قرن عرفته البشرية، وصرفوا أوقاتهم وجهودهم لتشويه تاريخ المسلمين [٣]. وكانت هذه المادة (التاريخية) الكبيرة والتى تجدها فى كتب التاريخ التى وضعها الروافض أو شاركوا فى بعض أخبارها، وتراها فى كتب الحديث عندهم، وفيما كتبه شيوخهم فى القديم؛ من ضلالات الحق، وفى الحديث من تقوُّل هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائهة هى المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم، وجاء ذلك الجيل المهزوم روحيًّا، والذى يرى فى الغرب قدوته وأمثولته من المستغربين، فتلقَّف ما كتبته الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله، وتبنَّى أفكارهم ونشر شُبهاتهم فى ديار المسلمين، وكان لذلك أثره الخطير فى أفكار المسلمين وثقافتهم،

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية / ناصر الغفارى (٣/ ١٤٥٧).
(٢) المصدر نفسه (٣/ ١٤٥٨).
(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية / ناصر الغفارى (٣/ ١٤٥٩).

وكان الرفض هو الأصل فى هذا الشر كله .. وإن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالانحراف لهى موضوع مهم يستحق الدراسة والتتبُّع، ... لقد بدأت استفادة العدو الكافر من شبهات الأعداء وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ عهد الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)[١].

(ب) مصنفات لبعض علماء هذه الأمة من المعاصرين، وهى مفيدة إجمالًا، ولكن طريقة عرضهم للأحداث وتفسيرهم لمواقف بعض الصحابة والتابعين فيها كثير -أو بعض- من عدم الإنصاف، مثل ما كتبه أبو الأعلى المودودى رَحِمَهُ اللَّهُ فى كتابه (الخلافة والملك)، وما دوَّنه الشيخ محمد أبو زهرة رَحِمَهُ اللَّهُ فى كتابه (تاريخ الأمم الإسلامية) و (الإمام زيد بن علي)، فالكتابان مشحونان بكثير من التحامل على مقام بعض الصحابة والطعن على خلفاء بنى أمية، وتنقُّصهم وتجريدهم من أية خصلة حميدة أو عملٍ صالح[٢]. ويبدو أن أمثال هؤلاء العلماء لم يحققوا فى الروايات التاريخية، فتورطوا فى الروايات الرافضية الشيعية وبنوا عليها تحليلاتهم واستنتاجاتهم، ... غفر الله لنا ولهم.

(ج) مصنفات حاول أصحابها أن يسلكوا فيها منهج علماء الجرح والتعديل فى نقد الروايات التاريخية وعرضها على أصول منهج المحدثين من حيث السند والمتن من أجل تمييز صحيحها من سقيمها، وسليمها من عليلها.

وفى هذه المؤلفات محاولة جيدة وجهد مشكور للوقوف فى وجه هذا

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية/ ناصر الغفارى (٣/ ١٤٥٩).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، (ص٨١).

الزيف، وتفسير الأحداث التفسير الصحيح الذى لا يتعارض مع فضل الصحابة وإيمانهم وجهادهم[١]، ومن هذه المؤلفات الجيدة ما كتبه الدكتور يوسف العش فى (تاريخ الدولة الأموية)، وما كتبه محب الدين الخطيب تعليقًا على كتاب (العواصم من القواصم) لأبى بكر بن العربي، وما كتبه صادق عرجون فى كتابه (عثمان بن عفان)، وما سطره الدكتور سليمان بن حمد العودة فى كتابه (عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام)، وما كتبه محمد أمحزون فى كتابه (تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة)، وما كتبه الدكتور أكرم العمرى فى كتابه (الخلافة الراشدة)[٢]، وما كتبه عثمان الخميس فى كتابه (حقبة من التاريخ)، وما كتبه الدكتور محمد حسن شراب فى كتابه (المدينة النبوية.. فجر الإسلام والعصر الراشدي)، وما قام به محب الدين من تحقيقات نافعة وتعليقات صائبة على كتاب (العواصم من القواصم) و (المنتقى)، وغيرها من الكتب والبحوث والرسائل التى سارت على نفس المنهج؛ فقد ظهر من هذا البيان شدة الحاجة إلى وجود مؤلفات ومصنفات ترد على هذه المزاعم والأخطاء، ولا يتم الرد على هؤلاء المزيفين للتاريخ الإسلامى ومقام الصحابة إلا بمحاولة دراسة تفاصيل تلك الأحداث، وغربلة الأخبار والروايات الواردة بميزان الجرح والتعديل، والتصحيح والتضعيف[٣].

وقد جاء عن ابن تيمية قوله: لكن إذا ظهر مبتدع، يقدح فيهم بالباطل فلا بد

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، (ص٨١).

(٢) المصدر نفسه، (ص٨٢).

(٣) المصدر نفسه، (ص٨٣).

من الذَّبِّ عنهم، وذكر ما يُبطل حُجته بعلمٍ وعدل[(١)]. وقد ذهب الإمام الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ فى هذا مذهبًا آخر، فهو يدعو إلى إحراق هذه الكتب التى فيها هذا الكذب والتشويه لمقام الصحابة، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: كما تقرر الكف عن كثير مما وقع بين الصحابة وقتالهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك فى الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فينبغى طَيُّه وإخفاؤه بل إعدامه؛ لتصفو القلوب وتتوافر على حب الصحابة والترضِّى عنهم[(٢)]. وقد أفادنا الذهبى فى كلامه فائدة كبيرة، وهو تصريحه بكون أكثر ما يُنقل من ذلك فى الكتب والدواوين كذبًا وزورًا وافتراءً على مقام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

إلا أن اقتراح الذهبى بحرق تلك المؤلفات لم يَعُد مُمكنًا؛ فقد انتشرت هذه الكتب، وتولت طباعتها كثير من دور النشر، وكثير من ذوى النيات السيئة فلم يبقَ إلا وضعها موضع الدراسة وبيان ما فيها من عوار وخطأ وكذب؛ حفظًا لأجيال المسلمين من انحراف السلوك والعقيدة.

(٢) تظهر أهمية دراسة فتنة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وما ترتَّب عليها من أحداث لمعرفة أسباب الفتنة الحقيقية، سواء كانت هذه الأسباب داخلية أو خارجية، ومعرفة نصيب كل سبب من الأسباب فيما حدث، ... وهل هناك أسباب يمكن إدراجها فى هذا السبيل؟

إن الذى يقرأ طرفًا مما كُتب عن هذه الفتنة يحس أن مؤامرة كبرى جرى التخطيط لها، وتعاون المجوس والنصارى واليهود والمنافقون على

---

(١) منهاج السنة (٣/ ١٩٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٩٢).

تنفيذها؛ فقضية تآمر الأعداء تُرافق الأمة الإسلامية في كل مراحل تاريخها الطويل.

إلا أن هذه المؤامرة ما كانت لتنجح لولا وجود عوامل ضعف داخلية أسهمت في التمكين لنجاح هذه المؤامرة ... أصبحت دراسة عهد الصحابة -والحالة هذه- واجبًا من الواجبات في سبيل معرفة أسباب ضعف الأمة الإسلامية، وتحديد مكامن الداء التي أُوتيت منها، والاستفادة من ذلك في إصلاح حاضر هذه الأمة وتجنُّبها هذه المزالق في مستقبل حياتها؟ أم كُتب عليها أن تظل ترزأ تحت ثقل أدوائها من الداخل وكيد أعدائها من الخارج.

إن ما وقع من أحداثٍ جسام في فتنة مقتل عثمان ﵁ وما ترتَّب عليها من أحداث تحتاج لدراسة عميقة ومتأنية لكي نستخرج من تلك الحقبة التاريخية دروسًا وعِبراً نستضيء بها في حاضرنا؛ لكي نسترشد بها في سعينا الجاد لإعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة، حتى تَسعد البشرية بدين الله وشرعه، وتخرج من شقاوتها وتعاستها وضنكها بسبب بُعدها عن شرع الله تعالى.

❀❀❀




ما الحكمة من إخبار النبى ﷺ بوقوع تلك الفتن؟[1]

لقد أخبر النبى ﷺ فى كثير من أحاديثه بأن هذه الأمة ستختلف وستقاتل،.. وتعددت الأحاديث التى تشير إلى ذلك بإجمال أو بتفصيل، وتنوعت أساليب الإخبار عن ذلك من ذكرٍ لأسباب الفتن أو لنتائجها، أو لبعض أحداثها ووقائعها، أو لمن يثيرونها، وغير ذلك، ... وكان كثير من هذا البيان والتوضيح منه ﷺ جوابًا لأسئلة الصحابة الكرام الذين كانوا يطرحونها عليه، وهم يشاهدون ويتذوقون النعمة العظيمة التى أفاءها الله عليهم، وهى نعمة الأخوة ووحدة الصف واجتماع الكلمة، فراحوا يسألون عما إذا كانت هذه النعمة ستدوم أم تزول، ولما كان رسول الله ﷺ يعلم بالوحى أنها لن تدوم كما هى أحب أن يربيهم على الاستعداد لهذه المحن والفتن حتى يُحسنوا التصرف يوم يقدر الله لهذه الفتنة أن تقع، فيسعوا إلى علاجها فى وقتها، .... ومن خلال النظر فى جملة الأحاديث الواردة فى ذكر الفتن نلمح الحكم التالية:

(١) أن النبى ﷺ وهو يذكر هذه الفتن والوقائع يريد أن يُربى الأمة على الاستعداد لها حتى تُحسن التصرف يوم تقع هذه الفتن، فتسعى إلى علاجها فى وقتها.

(٢) إن فى هذه الأحاديث إشارات إلى من يثيرونها، وأنها أحيانًا تكون من قوم ظاهرى الإيمان والتشدد، ولكن عقولهم منحرفة، وقلوبهم ملتوية، وهم فى جملة حالهم غير مدركين ولا فاقهين.

---

(١) بتصرف من كتاب (أحداث وأحاديث الفتنة الأولى) د. عبد العزيز صغير - نقلًا عن كتاب (سيرة أمير المؤمنين عثمان) / د. على الصلابي.

(٣) إن هذه الفتنة تكشف المنافقين وتصقل قلوب المؤمنين فيزدادون إيمانًا، ويتحفزون للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو نوع من الابتلاء تصقل به النفوس وتتعود المجاهدة وتتعرف الخير فتأمر به .. والشر فتنهى عنه.

(٤) إن الإخبار عن هذه الفتن يحمل فى مضمونه تحذيرًا شديدًا من الوقوع فيها، أو ملابسة شيء منها؛ ذلك أن المؤمنين من هذه الأمة - من الصحابة وغيرهم- حين يسمعون خبر النبى ﷺ بأن منهم من سيحدث منه القتل، ومنهم من سيتعلق بالدنيا، ومنهم من سيترك الجهاد، ومنهم، ومنهم.. تتحرك فى نفوسهم مشاعر المواجهة لهذه الفتن، ويقول كل واحدٍ منهم: لعلى أنجو،.. ويصبح الموقف منها الخوف على الدوام أن يقع فى تلك المهالك على غفلة، والخوف فى هذا الباب من أعظم سُبل النجاة.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: بعد أن أورد عدة أحاديث مرفوعة فى وقوع هذا الخلاف والاختلاف فى هذه الأمة: وهذا المعنى محفوظ عن النبى ﷺ من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعها فى الأمة، وكان يحذر أمته لينجو مَن شاء الله له السلامة[(١)].

(٥) إن الإخبار عن هذه الفتن أدق فى تحديد سُبل النجاة منها.

فإن الإنسان مهما بالغت فى تحذيره من خطر يهدده - دون أن تحدد له هذا الخطر أو تبين له كيفية الوقوع فيه- قد لا يتصور الطريقة التى سيحدث بها، ولا يستبين طبيعة المشكلة التى سيواجهها، وقد يقع فى المحذور دون أن يعرف أنه المقصود بالتحذير.

---

(١) اقتضاء الصراط (١/ ١٢٧).

(٦) إن الإخبار عن تلك الفتن اقترن فى بعض الأحاديث بذكر أسبابها، أو بيان نتائجها، أو موقف المسلم منها، وهذا ينفع المسلم أو الأمة كلها فى نبذ أسباب الفتن، أو الحكم على وقائع معينة من خلال النظر فى نتائجها، أو اتخاذ الموقف السليم منها ابتداءً.

(٧) ثم إن فيها دليلًا واضحًا على صدق رسالة محمد ﷺ ونبوته، يزداد به إيمان الصحابة الذين سمعوا الحديث ثم رأوا تأويله فى مواقفهم بعد مدة، ويزداد به إيمان المؤمن -كل مؤمن- فى كل عصرٍ ومصر، وهو يعيش وقائع الفتن والاختلافات التى أخبر النبى ﷺ بوقوعها.

۞ وقد جمع الدكتور عبد العزيز صغير دخان أحاديث الفتنة وقام بدراستها، وبيان صحيحها من ضعيفها فى كتابه (أحداث وأحاديث فتنة الهرج)، ثم استخرج من الأحاديث الصحيحة معانى دلَّت عليها تلك الأحاديث، منها:

(١) أن الفتنة سُنة الله عَزَّوَجَلَّ فى الأمم، وفى هذه الأمة إلى قيام الساعة، وهى فتن كقطع الليل المظلم، عمياء صَمَّاء بكماء، من سعى فيها هلك فى الدنيا والآخرة، ومَن كَفَّ يده أفلح، لا يكاد يبصر فيها أحدٌ موقفه إلا من أحياه الله بالعلم وزوَّده بالتقوى، وهداه إلى ما اختُلف فيه من الحق بإذنه.

(٢) وفى هذه الأحاديث أن فتنة القتال بين المسلمين أمرٌ واقع لا محالة، ولا سبيل لإنكاره واستغرابه بدءًا بما وقع بين الصحابة والتابعين، ومرورًا بالعصور الإسلامية إلى اليوم، ولكن الواجب هو معرفة أسباب هذا القتال لتلافيها، أو السعى فى إطفاء نار الفتنة حينما تشبُّ فى ديار المسلمين، وألا ينبغى أن يقف المسلم منها موقف المتفرج.

(٣) ومن رحمة الله بهذه الأمة أن يُكفِّر عنها ذنوبها فى الدنيا.

وليس القتل والفتن التى تنزل ساحتها والزلازل التى تصيبها إلا كفارة لهذه الذنوب.

(٤) وفى بعض هذه الأحاديث إشارة واضحة وصريحة إلى أن منبت معظم هذه الفتن من قِبَل المشرق، وكذلك كان الواقع؛ فإن الفتنة الأولى بدأ تحريكها فى الكوفة والبصرة، وفتنة الجمل كانت هناك.

(٥) وفى الفتنة يبيع قومٌ دينهم بعَرَضٍ من الدنيا يسير، وتتحكم فيها الشهوات والشبهات، ويصير أهل الإسلام الصحيح غُرباء فى سلوكهم وتصرفاتهم، ويصبح المتمسك بدينه أشبه ما يكون بالذى يقبض على الجمر أو على الشوك، صابرًا محتسبًا ما يصيبه من الألم والأذى فى سبيل دينه وما يعتقد أنه حق.

(٦) وفى الفتنة يحفظ الله طائفة من الناس، فلا تلتبس بالفتنة، ولا تتلطخ أيديهم من دماء المسلمين، ... يسعون فى إصلاح ذات البين، والدعوة إلى مبادئ الإسلام الصحيحة من رحمة وأُخوة ... وسيكون موقفهم غريبًا بدون شك وسط الجموع الهائجة والأهواء المستحكمة.

(٧) وفى الفتنة يلعب اللسان دورًا أخطر من السيف، بل إن اللسان يكون غالبًا منشأ الفتن والبلايا، فَرُبَّ كلمة شرٍّ مسمومة انطلقت فأشعلت النار فى القلوب، وهيَّجت ما كان مستكنًّا فى النفوس، وشحذت العواطف، وكانت سببًا فى فتنٍ ضارية.

(٨) وفى الفتنة ينقص العلم؛ إما بموت العلماء أو بسكوتهم واعتزالهم إيثارًا للسلامة، أو لانصراف الناس عنهم لسبب من الأسباب، ويَسُود عندها الجهل، ويتخذ الناس رؤساءً جُهالًا، فيُفتوا بغير علم، فيُضِلوا

ويَضِلوا، ويَسُود الرويبضة -وهو التافه من الناس- ويستعلى السفهاء منهم.

(٩) وفى هذه الأحاديث أن الله عَزَّوَجَلَّ ضَمِن لرسوله ﷺ ألا يُهلك هذه الأمة بالسنين والمجاعات، وألا يسلط عليهم عدوًّا فيتمكن منها دائمًا، مهما كانت قوة هذا العدو وإمكانياته وجبروته، ولكن الأمر الذى لم يضمنه الله لرسوله ﷺ هو ألا تختلف هذه الأمة، ... وسيكون هذا هو الباب الذى يدخل منه العدو الخارجي؛ إذ أن الأمة إذا اختلفت فيما بينها وقتل بعضها بعضًا، ضَعُفت عوامل القوة فيها، وتمكَّن منها عدوها فعبث بخيراتها ومُقدراتها، ولن يرفع عنها حتى تعود إلى تحقيق القوة فى نفسها بالوحدة، وجمع الكلمة، والاحتكام إلى شرع الله.

(١٠) وفى الأحاديث أن وقوع الفتنة واستمرارها مظنة ظهور فرق المنحرفين عن هدى الإسلام، وتَمكُّن أهل الباطل وظهورهم.

(١١) وفى الفتنة تتغير أخلاق الناس وتتبدل، ويزهد الناس فى العمل الصالح، ومشاريع الخير، ويُلقَى بين الناس العداوة والبغضاء والحقد، ويختلط الأمر على الناس.

(١٢) وفى الأحاديث أن هذه الفتن يسبقها أمن واستقرار وصلاح أحوال الناس المادية والأمنية، حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضُلاَّل الطريق، ويظهر هذا فى عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد كان عهد أمن واستقرار وتدفُّق الأموال والخيرات، ثم حدثت فتنة الهرج فقُوض ذلك كله، حتى تبدَّل الحال من الأمن إلى الخوف.

(١٣) وفى الفتنة يُقتل خيار الناس وذوو العقول والرأى فيهم، ويبقى رجرجة من الناس لا تعرف معروفًا ولا تُنكر منكرًا ... هذه بعض المعانى من أحاديث الفتن.

ما هى أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه؟

۞ قال الإمام الزهري: ولى عثمان اثنتى عشرة سنة أميرًا للمؤمنين. أول ست سنين منها لم ينقم الناس عليه شيئًا، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب؛ لأن عمر كان شديدًا عليهم، أما عثمان فقد لان لهم ووَصَلهم. ثم حدثت الفتنة بعد ذلك، وقد سَمَّى المؤرخون المسلمون الأحداث فى النصف الثانى من ولاية عثمان ٣٠ - ٣٥هـ (الفتنة) التى أدت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه ... كان المسلمون فى خلافة أبى بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث فى أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعًا من التفرُّق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان(١).

۞ وما هى أهم أسباب الفتنة:

أولاً: دور عبد الله بن سبأ فى تحريك الفتنة:

فى السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت فى الأفق سمات الاضطراب فى المجتمع الإسلامى نتيجة عوامل التغير التى ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مُستغلِّين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية، ... ومن هؤلاء عبد الله بن سبأ المُلقَّب بابن السوداء. وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين فى تضخيم دوره فى الفتنة، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذى لعبه فى أحداث الفتنة كعامل من عواملها على أنه

---

(١) طبقات ابن سعد (١/ ٣٩ - ٤٧)، البداية والنهاية (٧/ ١٤٤ - ١٤٩) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١١٢).

أبرزها وأخطرها؛ إذ أن هناك أجواء للفتنة مهَّدت له، وعوامل أخرى ساعدته. وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادَّعاها واخترعها من قِبَل نفسه وافتعلها من يهوديته الحاقدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه؛ وهو الدَّسّ فى المجتمع الإسلامي، بغية النَّيل من وحدته وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل التى أدت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وتفرق الأمة شيعًا وأحزابًا[١].

وخلاصة ما جاء به أنه أتى بمقدمات صادقة، وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السُّذَّج والغُلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك فى ذلك مسالك ملتوية لبَّس فيها على مَنْ حوله حتى اجتمعوا عليه؛ فطرق باب القرآن بتأوله على زعمه الفاسد، حيث قال: لَعَجَبٌ ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويُكذِّب بأن محمدًا يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[٢] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[٣]. كما سلك طريق القياس الفاسد من ادعاء إثبات الوصية لعليٍّ رضي الله عنه بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبى وصي، وكان عليٌّ وصى محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعليٌّ خاتم الأوصياء. وحينما استقر الأمر فى نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، فصادف ذلك هوى فى نفوس بعض القوم حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ، ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصى

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٢٧).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٥).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٧).

رسول الله ﷺ فانهضوا فى هذا الأمر فحرِّكوه، وابدأوا بالطعن على أُمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر"[1]. وبثَّ دُعاته، وكاتَب من كان استفسد من الأمصار وكاتبوه ودعوا فى السر إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك فى أمصارهم وهؤلاء فى أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة، وأوسعوا الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يُظهرون ويُسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل مصر: إنَّا لفى عافية مما ابتُلى به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنا لفى عافية مما فيه الناس.

ويظهر من هذا النَّص الأسلوب الذى اتبعه ابن سبأ؛ فهو أراد أن يوقع فى أعين الناس بين اثنين من الصحابة؛ حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو عليٌّ، وجعل الثانى مغتصبًا وهو عثمان، ثم حاول بعد ذلك أن يحرك الناس - خاصة فى الكوفة - على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولاتهم، علمًا بأنه ركز فى حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته؛ فالقُراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المُفتراة على عثمان؛ مثل تحيُّزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٨).

المسلمين عليهم، وأنه حمى الحِمى لنفسه، إلى غير ذلك من التُّهم والمطاعن التى حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان ﵁، ثم إنه أخذ يحض أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مُفجعة عن مصرهم إلى بقية الأمصار، وهكذا يتخيل الناس فى جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه،... والمستفيد من هذه الحال هم السبئية؛ لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم فى إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي[(١)]. هذا وقد شعر عثمان ﵁ بأن شيئًا ما يُحاك فى الأمصار، وأن الأمة تمخض بِشَرٍّ فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها[(٢)].

على أن المكان الذى رتع فيه ابن سبأ هو مصر، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان ﵁ ويحث الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق، ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ (يقصد عليًّا)[(٣)]. وقد غشَّهم بكتب ادَّعى أنها وردت من كبار الصحابة، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعًا؛ حيث تبرأوا مما نُسب إليهم من رسائل تؤلب الناس على عثمان[(٤)]. ووجدوا عثمان مُقدِّرًا للحقوق بل وناظرهم فيما نسبوا إليه، ورَدَّ عليهم افتراءهم وفسَّر لهم صدق أعماله، حتى قال أحد هؤلاء الأعراب وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعله مُكر به وبكم[(٥)] ... ويعتبر الذهبى أن

---

(١) الدولة الأموية، يوسف العش (ص١٦٨)، تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٠).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٨).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٣٦٥).

(٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣١).

عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر، وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة، ثم على الإمام عثمان فيها[١]. ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنما كان عُماله ضمن شبكة من المتآمرين، وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقُراء وغيرهم....ويروى ابن كثير أن من أسباب تألُّب الأحزاب على عثمان: ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر، وإذاعته بين الناس كلامًا اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشرٌ كثير من أهل مصر[٢].

وعَبْدُ اللهِ بْنُ سَبَأٍ هُوَ يَمَانِيٌّ يَهُودِيٌّ أَظْهَرَ الإِسْلَامَ، ثُمَّ انْتَهَجَ التَّشَيُّعَ لِعَلِيٍّ ﷺ، وَهُوَ الَّذِى تُنْسَبُ إِلَيْهِ فِرْقَةُ السَّبَئِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا بِأُلُوهِيَّةِ عَلِيٍّ ﷺ، وَهُمُ الَّذِينَ جَاءُوا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ، فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ هُوَ. قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ قَالُوا: أَنْتَ اللهُ. فَأَمَرَ مَوْلَاهُ قَنْبَرًا بِأَنْ يَحْفِرَ حُفْرَةً، وَيُشْعِلَ فِيهَا النَّارَ، وَ قَالَ:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرا   أَجَّجْتُ نَارِى وَدَعَوْتُ قَنْبَرا[٣]

وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ أَحْرَقْتُهُ بِالنَّارِ، فَأَحْرَقَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ، وَفَرَّ مَنْ فَرَّ، ... وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَبَأٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ قُتِلَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تبارك وتعالى.

وَأَظْهَرَ ابْنُ سَبَأٍ بَعْضَ الْعَقَائِدِ الْيَهُودِيَّةِ، كَالْقَوْلِ بِالرَّجْعَةِ وَالْوَصِيِّ، وَأَنَّ الْإِمَامَةَ تَكُونُ فِى بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

واسْتَخْدَمَ الْأَعْرَابَ، فَأَخَذَ يُشِيعُ عِنْدَهُمُ الْأَكَاذِيبَ مُدَّعِيًا أَنَّ عُثْمَانَ فَعَلَ

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٨).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٦٧، ١٦٨) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) / للصلابي.

(٣) أصلُه فِى «صَحِيح الْبُخَارِيِّ»، كِتَاب استتابة الْمُرْتَدِّينَ، بَاب حكم الْمرتدِّ وَالْمرتدة وَاستتابتهم، حَدِيث (٦٩٢٢)، وَتَفْصِيل الْقِصَّة ذكرهَا الْحَافِظُ ابْنُ حَجرٍ رحمه الله فِى شرحه لهَذَا الْحَدِيث، وَقَالَ: «رويناه فِى الْجزء الثَّالِثِ مِنْ «حَدِيثِ أَبِى طَاهِرٍ الْمخلص» وَسندُه حسنٌ».

كَذَا وَكَذَا، وَكَتَبَ كُتُبًا مُزَوَّرَةً (هُوَ وَمَنْ سَاعَدَهُ) وَمَنْ وَقَفَ مَعَهُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الزُّبَيْرِ، وَعَلِيٍّ، وَطَلْحَةَ، وَعَائِشَةَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَخْتِمُونَهَا بِأَخْتَامِهِمُ الْمُزَوَّرَةِ، ... كُلُّهَا فِيهَا الإِنْكَارُ عَلَى عُثْمَانَ وَالتَّذَمُّرِ مِنْ سِيَاسَتِهِ، وَفِي السَّابِقِ لَا تُوجَدُ أَجْهِزَةُ اتِّصَالَاتٍ حَدِيثَةٌ كَمَا هُوَ الْآنَ، وَأُولَئِكَ أَعْرَابٌ تَأْتِيهِمْ هَذِهِ الْأَخْبَارُ فَيَقْبَلُونَ وَيُصَدِّقُونَ.

قَالَ مَسْرُوقٌ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَرَكْتُمُوهُ (أَيْ: عُثْمَان) كَالثَّوْبِ النَّقِيِّ مِنَ الدَّنَسِ، ثُمَّ قَرَّبْتُمُوهُ تَذْبَحُونَهُ كَمَا يُذْبَحُ الْكَبْشُ.

فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: هَذَا عَمَلُكِ كَتَبْتِ إِلَى النَّاسِ تَأْمُرِينَهُمْ بِالْخُرُوجِ عَلَيْهِ.

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَالَّذِي آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ وَكَفَرَ بِهِ الْكَافِرُونَ، مَا كَتَبْتُ لَهُمْ سَوَادًا فِي بَيَاضٍ، حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذَا.

قَالَ الْأَعْمَشُ: فَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ كُتِبَ عَلَى لِسَانِهَا[1].

فَكُتِبَتْ كُتُبٌ مُزَوَّرَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كُلُّهَا تَذُمُّ عُثْمَانَ ابْنَ عفَّانَ... وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَبَأٍ هَذَا لَهُ أَتْبَاعٌ فِي شَتَّى الْوِلَايَاتِ، وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَيْهِ، وَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، وَ يُرْسِلُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ: فَعَلَ بِنَا الْوَالِي كَذَا بِأَمْرِ عُثْمَانَ، وَفَعَلَ بِنَا الْوَالِي كَذَا بِأَمْرِ عُثْمَانَ، ذَهَبْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَفَعَلَ عُثْمَانُ بِنَا كَذَا، وَ عُثْمَانُ فَعَلَ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ كَذَا، وَجَاءَتْنَا رِسَالَةٌ مِنَ الزُّبَيْرِ ابْنِ الْعَوَّامِ، جَاءَنَا خِطَابٌ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، جَاءَنَا كِتَابٌ مِنْ عَائِشَةَ، جَاءَنَا كَذَا ... فَصَارَ الْأَعْرَابُ الَّذِينَ لَا يَفْقَهُونَ مِنْ دِينِ اللهِ تبارك وتعالى إِلَّا الشَّيْءَ الْيَسِيرَ يَتَأَثَّرُونَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَغَلَتْ قُلُوبُهُمْ عَلَى عُثْمَانَ - رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ-.

---

(١) «الْبِدَايَة وَالنِّهَايَة» (٧/ ٢٠٤). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: «إِسْنَاده صَحِيح».

ثانيًا: طبيعة التحول الاجتماعي في عهد عثمان رضي الله عنه:

حدثت تغيرات اجتماعية عميقة، ظلت تعمل في صمت وقوة لا يلحظها كثير من الناس، حتى ظهرت على ذلك الشكل العنيف المتفجر بدءًا من النصف الثاني من خلافة عثمان، وبلغت قمة فورانها في التمرد الذي أدى إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه[١].

لما توسعت الدولة الإسلامية عبر حركة الفتوح حصل تغيُّر في تركيبة المجتمع واختلالات في نسيجه؛ لأن هذه الدولة بتوسُّعها المكاني والبشري ورثت ما على هذه الرقعة الواسعة من أجناس، وألوان، ولغات، وثقافات، وعادات، ونُظم، وأفكار، ومعتقدات، وفنون أدبية وعمرانية، ومظاهر، وظهرت على سطح هذا النسيج ألوان مضطربة وخروقات غير منتظمة، ورقع غير منسجمة، مما صيرت المجتمع غير متجانس في نسيجه التركيبي وبالذات في الأمصار الكبرى المؤثِّرة: البصرة، والكوفة، والشام، ومصر، والمدينة، ومكة فقد كانت الأمصار الكبيرة بمواقعها وأهميتها، تدفع بجيوش الفتوح وتستقبلها وهي عائدة، وقد نقص عددها بالموت والقتل، وتستقبل بدلا عنهم أو أكثر منهم أعدادًا وفيرة من أبناء المناطق المفتوحة، فرس، وترك، وروم، وقبط، وكرد، وبربر، وكان أكثرهم من الفرس أو من النصارى العرب أو غيرهم أو من اليهود[٢]. وأكثر سكان هذه الأمصار الكبيرة هم ممن شاركوا في حركة الفتح الإسلامي ثم استقروا في هذه الأمصار، وكان أغلب هؤلاء من القبائل العربية من جنوبها وشمالها

---

(١) الدولة الأموية المفترى عليها، (ص١٦٦).

(٢) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٣٧٩).

وشرقها، والذين لم يكونوا - عادة - من الصحابة، وبمعنى أدق ليسوا ممن تلقوا التربية الكافية على يد رسول الله ﷺ أو على أيدى الجيل الأول من الصحابة؛ إما لانشغالهم بالفتوح أو لقلة الصحابة. وقد حصلت تغيرات فى نسيج المجتمع البشرى المكون من جيل السابقين وسكان البلاد المفتوحة، والأعراب ومَن سبقت لهم رِدة، واليهود والنصارى، فى تكوين نسيج المجتمع الثقافي، وفى بسطة عيش المجتمع، وفى ظهور لون جديد من الانحرافات، وفى قبول الشائعات(١).

(١) المتغيرات فى نسيج المجتمع البشري:

(أ) لقد تكون هذا النسيج من قطاعات عدة:

قطاع الأسبقين ممن بقى من الصحابة ومن الذين نالوا قسطًا من رعاية الصحابة، ولكن هذا القطاع وذاك ظل يتناقص إما عن طريق الموت والقتل فى ميادين الفتوح، وإما عن طريق تفرقهم فى الأمصار.

(ب) سكان المناطق المفتوحة:

وكانوا يشكلون الأكثرية بالنسبة للقادمين إليهم مع حركة الفتوح؛ فقد ظل القادمون قلة وإن كان لهم حضور فعلى فى إدارة البلد أو التأثير السلوكى والأخلاقى والفكرى واللغوي، إلا أنهم رغم ذلك يُعتبرون قِلَّة.

۞ وقد كان الأعاجم الذين جاءوا من البلاد المفتوحة من أسرع الناس إلى الفتنة، ذلكم لأن أغلب الأعاجم من الأمم الموتورة، والشعوب المقهورة، فتكثر مسارعتهم للفتن لأسباب كثيرة، منها:

۞ جهلهم وحداثة عهد أكثرهم بالكفر، والمُلك والعِز الذى كانوا

(١) المصدر نفسه، (ص٣٨٠).

عليه، ثم سُلبوه.

۞ قلة فقههم فى الدين، بسبب العجمة وغيرها.

۞ العصبية وكراهية العرب.

۞ أن طوائف منهم دخلت الإسلام ظاهرًا وخوفًا من السيف أو الجزية، وأضمروا للإسلام والمسلمين الشر والكيد، فيسارعون إلى كل فتنة.

۞ طمع أهل الأهواء فيهم للأسباب المذكورة وتحريضهم لهم[1].

(ج) أولئك الأعراب عُرفوا بأنهم من سكان البادية:

وهم مثل بقية الناس منهم المسلم التقى ومنهم الكافر والمنافق، إلا أنهم كما قال الله عنهم: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2]؛ وذلك لأنهم أقسى قلوبًا وأغلظ طبعًا وأجفى قولًا،... ولصفاتهم هذه فهم جديرون وأخلق بهم أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من الشرائع والأحكام والجهاد؛ فهم من أسرع الناس فى الفتن.

(د) وفصيل أو قطاع آخر فى نسيج المجتمع الإسلامى وهو ممن سبقت لهم ردة:

وكانت حياتهم فى الإسلام قصيرة وانتماؤهم إليه ضرورة،... ولا ننفى أن منهم مَن زَكِى وصلح وكان من الفضلاء إلا أن منهم من لم يتذوق حلاوة الإسلام، فظل -رغم انتسابه للإسلام- يعيش بعقليته السابقة ونفسيته التى عاشها قبل الإسلام، ... العقلية القبلية، تناوشه العصبيات، وكأن الإسلام

---

(١) دراسات فى الأهواء والفرق والبدع / ناصر العقل (ص١٦١).

(٢) سورة التوبة: الآية: (٩٧).

لم يدخل فيهم أو أنهم ظنوا عدم التناقض بين ما يعرفونه من إسلام وما يتعاملون به فى الواقع من دوافع قبلية.

لقد شكلت طوائف من المرتدين عنصرًا ساهم فى تهيئة أجواء الفتنة.

(هـ) اليهود والنصارى:

وكان بعضهم -وهو كثير- قد خرج أو أُخرج من جزيرة العرب فاستقروا فى الأمصار الكبيرة، ومنها الكوفة والبصرة، وكان اليهود خاصة -حسب طبعهم- ظلوا فى تلك الأمصار المُطلة على ميادين الفتوح يمارسون مهنتهم المشهورة المزدوجة: السيطرة المالية بوسائلهم المختلفة، والتآمر على قطع اليد التى تمد لهم المساعدة.[١]

(٢) تكوينات نسيج المجتمع الثقافي:

فإلى جوار هذا الخليط البشرى كان هناك خليط آخر لا يقل خطره - إن لم يفق الخليط البشري- ألا وهو الخليط الثقافي؛ حيث تدفقت الثقافات والأفكار والنظم والعقائد مع تلك الأعداد البشرية التى انضمت إلى محتويات المجتمع الإسلامي، فصارت تُشكل حِملًا ضخمًا على عاتقه، ومما زاد الطين بلة أنه بالرغم من اندماج المسلمين فى نسيج البلدان المفتوحة؛ حيث عاشوا فى أوساطهم وتزوجوا منهم، وتعلموا لغاتهم، ولبسوا ملابسهم، ومارسوا عاداتهم، إلا أنه بالرغم من ذلك فقد كان تأثيرهم فى أهل البلد المفتوح محدودًا فى هذه الفترة المبكرة[٢].

فلم ينل أهالى هذه البلاد المفتوحة حظًّا وافرًا من التربية، ولم تتشبع بروح الإسلام كما هو حال الصحابة من المهاجرين والأنصار.

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٣٨١).

(٢) المصدر نفسه، (ص٣٨١).

(٣) ظهور جيل جديد:

فقد حدث فى المجتمع تغيُّر أكبر؛ ذلك أن جيلًا جديدًا من الناس ظهر، وأخذ يحتل مكانة فى المجتمع، وهو غير جيل الصحابة،... جيل يعيش فى عصر غير العصر الذى كانوا يعيشون فيه، ويتصف بما لا يتصفون به؛ فهو جيل[١]. يُعتَبر فى مجموعِه أقل من الجيل الأول الذى حمل على كتفيه عبء بناء الدولة وإقامتها، فقد تميز الجيل الأول من المسلمين بقوة الإيمان والفهم السليم لجوهر العقيدة الإسلامية والاستعداد التام لإخضاع النفس لنظام الإسلام المتمثل فى القرآن والسنة، وكانت هذه الميزات أقل ظهورًا فى الجيل الجديد الذى وُجِد نتيجة للفتوحات الواسعة، وظهرت فيه المطامع الفردية، وبعثت فيه العصبية للأجناس والأقوام وبعضهم يحملون رواسب كثيرة من رواسب الجاهلية التى كانوا عليها، ولم ينالوا من التربية الإسلامية على العقيدة الصحيحة السليمة مثل ما نال الرعيل الأول من الصحابة رَضِوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ على يد رسول الله ﷺ؛ وذلك لكثرتهم وانشغال الفاتحين بالحروب والفتوحات الجديدة.[٢]

(٤) استعداد المجتمع لقبول الشائعات:

وهكذا ندرك من خلال هذا الخليط غير المتجانس فى نسيج المجتمع أنه صار مُهيَّأً للهزات، مستعدًّا للاضطراب، قابلًا لتلقِّى الإذاعات والأقاويل والشائعات[٣].

---

(١) الدولة الأموية، يوسف العش، (ص١٣٢).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (١/ ٣٥٦).

(٣) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٣٨٢)، نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) / د. على الصلابي.

ثالثًا: خروج كبار الصحابة من المدينة:

كان عمر رضي الله عنه قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج فى البلدان إلا بإذنٍ وأَجَل.

لقد كان عمر يخاف على هؤلاء الصحابة من انتشارهم فى البلاد المفتوحة وتوسعهم فى القطاع والضياع، فكان يأتيه الرجل من المهاجرين وهو ممن حُبس فى المدينة فيستأذنه فى الخروج فيجيبه عمر: لقد كان لك فى غزوك مع رسول الله ما يبلغك، وخير لك من الغزو اليوم ألا ترى الدنيا ولا تراك.

وأما عثمان فقد سمح لهم بالخروج ولان معهم ... يقول الشعبي: فلما ولى عثمان خلَّى عنهم فاضطربوا فى البلاد وانقطع إليهم الناس، فكان أحب إليهم من عمر، فكان من نتائج هذا التوسع أن اتخذ رجال من قريش أموالًا فى الأمصار، وانقطع إليهم الناس.[١]

رابعًا: الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر الذى سبقه:

كان مجيء عثمان رضي الله عنه مباشرة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختلاف الطبع بينهما مؤديًا إلى تغيُّر أسلوبهما فى معاملة الرعية ،... فبينما كان عمر قوى الشكيمة، شديد المحاسبة لنفسه ولمن تحت يديه، كان عثمان ألين طبعًا وأرق فى المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسه أو يأخذ الناس بما يأخذهم به عمر حتى يقول عثمان لنفسه: يرحم الله عمر، ومَن يطيق ما كان عمر يطيق.[٢]

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤١٣)

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤١٨).

لكن الناس وإن رغبوا فى الشوط الأول من خلافته لأنه لان معهم وكان عمر شديدًا عليهم، حتى أصبحت محبته مضرب المثل، فقد أنكروا عليه بعد ذلك، ويرجع هذا إلى نشأة عثمان فى لطفه ولين عريكته ورقة طبعه ودماثة خُلقه، مما كان له بعض الأثر فى مظاهر الفَرق عند الأحداث بين عهده وعهد سلفه عمر بن الخطاب، وقد أدرك عثمان ذلك حين قال لأقوامٍ سجنهم: أتدرون ما جرأكم عليَّ؟ ما جرأكم علىَّ إلا حلمي[١].

وحين بدت نوايا الخارجين وقد ألزمهم عثمان الحجة فى رَدِّه على المآخذ التى أخذوها عليه أمام الملأ من الصحابة والناس، أبى المسلمون إلا قتلهم، وأبَى عثمان إلا تركهم لحلمه ووداعته قائلًا: بل نعفو ونقبل، ولنبصرهم بجهدها، ولا نحادّ أحدًا حتى يركب حدًّا أو يُبدى كفرًا[٢].

۞ ولذلك قال عبد الله بن عمر: والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد.

إذن لماذا نقموا على عثمان؟ لأن عثمان كان يسامح ويترك ويُفوِّت لهم تلك الأخطاء ويعفو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

خامسًا: الرخاء الذى أصاب الأمة فى زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان رسول الله ﷺ يرى ما يعانيه أصحابه من شظف العيش وفقر الحال، فكان يُصبرهم، ثم يخبرهم أن هذا الحال الذى هم عليه لن يدوم طويلًا، حتى تُفتح عليهم خزائن الدنيا وخيراتها،... وحذَّرهم من الاشتغال بذلك عن العمل الصالح والجهاد فى سبيل الله، وما يمكن أن يجره ذلك

(١) المصدر نفسه (٥/ ٢٥٠).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/ ٣٦٤).

عليهم من التقاتُل على الدنيا ومتاعها الزائل.

وقد فقه عمر بن الخطاب هذا التحذير فكان من سياسته حماية المسلمين من غوائل فتنة المال وزخارف الدنيا، فاجتهد فى منع المسلمين من التوسع فى بلاد العجم، ولولا ظهور مصلحة أخرى راجحة فى توسُّعهم لبقى المنع قائمًا، إلا أن هذا التراجع من عمر لم يشمل كبار الصحابة والمهاجرين والأنصار، الذين كانوا بالمدينة إذ بقى المنع فى حقهم[(١)].

ولا شك أن الذى فعله عمر كان يدل على إحساسه وخوفه من انتشار المسلمين فى أرضٍ تزخر بألوان الخيرات والأرزاق فتستولى الدنيا على قلوبهم وتُفسد عليهم آخرتهم. فلما جاء عهد عثمان وتوسعت الفتوحات شرقًا وغربًا، وبدأت الأموال تتقاطر على بيت المال من الغنائم والأسلاب وامتلأت أيدى الناس بالخيرات والأرزاق[(٢)]، وغَنىٌّ عن الإشارة أن النعم والخيرات وتلك الواردات من الفتوح سيكون لها أثرها على المجتمع؛ إذ تجلب الرخاء وما يترتب عليه من انشغال الناس بالدنيا والافتتان بها، كما أنها مادة للتنافس والبغضاء، خاصة بين أولئك الذين لم يصقل الإيمان نفوسهم، ولم تهذبهم التقوى من أعراب البادية وجُفاتها، ومن مُسلمة الفتوحات وأبناء الأمم المترفة الدُّخلاء فى الإسلام الذين جروا شوطًا بعيدًا فى زخارف الدنيا وبهجتها، واتخذوها غاية يتنافسون فيها.

وقد أدرك عثمان هذه الظاهرة وأنذر بما سيؤول إليه أمر الأمة من

---

(١) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، (ص٥٥٩).

(٢) أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، (ص٥٦٦).

التبدُّل والتغيُّر فى كتابه المُوجَّه إلى الرعية: «فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثة فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم للقرآن».(١)

وفى مثل هذه الظروف، والخيرات وافرة، فاضت الدنيا على المسلمين وتفرغ الناس بعد أن فتحوا الأقاليم واطمأنوا فأخذوا ينقمون على خليفتهم(٢).

ومن هنا يُعلَم أثر الرخاء فى تحريك الفتنة، ومن هنا أيضا يمكن فهم مقالة عثمان ﷺ لعبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب(٣): إن الرعية قد أبطر كثيرًا منهم البطنة فقصِّر بهم، ولا تقتحم بالمسلمين فإنى خاشٍ أن يُبتلوا(٤).

سادسًا: تآمر الحاقدين:

لقد دخل فى الإسلام منافقون موتورون اجتمع لهم من الحقد والذكاء والدهاء ما استطاعوا أن يدركوا نقاط الضعف التى يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة ... ووجدوا من يستمع إليهم بآذان مصغية، فكان من آثار ذلك ما كان(٥)؛ فقد عرفنا سابقًا وجود يهود ونصارى وفرس، وهؤلاء جميعًا معروف باعث غيظهم وحقدهم على الإسلام والدولة الإسلامية.

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٤٥).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/ ٣٦٢).

(٣) المقصود بالباب منطقة فى جهات أذربيجان تسمى الدر البند، معجم البلدان (١/ ٣٠٣).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (١/ ٣٦١).

(٥) الأساس فى السنة (٤/ ١٦٧٦).

ولكننا هنا نضيف مَن وقع عليه حَدٌّ أو تعزيرٌ لأمرٍ ارتكبه فى وسط الدولة، عاقبه الخليفة أو ولاته فى بعض الأمصار وبالذات البصرة والكوفة ومصر والمدينة، فاستغل أولئك الحاقدون من يهود ونصارى وفرس وأصحاب الجرائم مجموعات من الناس كان معظمهم من الأعراب، ممن لا يفقهون هذا الدين على حقيقته فتكونت لهؤلاء جميعًا طائفة وُصفت من جميعٍ مَن قابلهم بأنهم أصحاب شر(١).

سابعًا: طموح الطامحين:

وُجد فى الجيل الثانى من أبناء الصحابة رضي الله عنهم من يعتبر نفسه جديرًا بالحكم والإدارة، ووَجد أمثال هؤلاء أن الطريق أمامهم مغلق، وفى العادة أنه متى وجد الطامحون الذين لا يجدون لطموحهم متنفسًا فإنهم يدخلون فى كل عملية تغيير، ومعالجة أمر هؤلاء فى غاية الأهمية(٢).

ثامنًا: استثقال بعض القبائل لرئاسة قريش:

الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِى دَخَلَتْ فِى الْإِسْلَامِ وَبِخَاصَّةٍ تِلْكَ الَّتِى ارْتَدَّ بَعْضُ رِجَالِهَا عَنْ دِينِ اللهِ تبارك وتعالى ثُمَّ رَجَعُوا بِقُوَّةِ السَّيفِ بَعْد أَن قُوتِلُوا، رَجَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ عَنْ قَنَاعَةٍ، وَبَعْضُهُم مِنْ غَيْرِ قَنَاعَةٍ، وَ بَعْضُهُمْ رَجَعَ وَفِى الْقَلْبِ شَيْءٌ،... أُولَئِكَ اسْتَثْقَلوا أَنْ تَكُونَ الرِّئَاسَةُ دَائِمًا فِى قُرَيْشٍ، لِمَاذَا الرِّئَاسَةُ فِى قُرَيْشٍ؟ وَلِذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونَ: «وَجَدَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الرِّئَاسَةَ عَلَى قُرَيْشٍ، وَ أَنِفَتْ نُفُوسُهُمْ، فَكَانُوا يُظْهِرُونَ الطَّعنَ فِى الْوُلَاةِ»(٣)، وَوَجَدُوا فِى لِينِ عُثْمَانَ فُرْصَةً لِذَلِكَ.

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٣٩٢).

(٢) الأساس فى السنة (٤/ ١٦٧٦).

(٣) «تَحْقِيق مَوَاقِف الصَّحَابَة فِى الْفِتْنَة» (١/ ٣٦٥).

تاسعًا: توقف الفتوحات:

۞ حين توقفت الفتوح فى أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعية أو بشرية لم تتجاوزها سواء فى جهات فارس وشمالى بلاد الشام أم فى جهة أفريقية، توقفت الغنائم على أثرها، فتساءل الأعراب: أين ذهبت الغنائم القديمة؟ أين ذهبت الأراضى المفتوحة التى يعدُّونها حقًّا من حقوقهم؟

وانتشرت الشائعات الباطلة التى اتهمت عثمان ﷺ بأنه تصرَّف فى الأراضى الموقوفة على المسلمين وفق هواه، وأنه أقطع منها لمن شاء من الناس، وقد كان لها أثر ووقع على الأعراب؛ خاصة أن معظمهم بقى بدون عمل يقضون شطرًا من وقتهم فى الطعام والنوم، والشطر الآخر بالخوض فى سياسة الدولة والحديث عن تصرفات عثمان التى كانت تهوِّلها السبئية. وقد أدرك أحد عُمال عثمان هذا الأمر -وهو عبد الله بن عامر- فأشار على الخليفة حيث طلب من عماله -وهم وزراؤه ونصحاؤه- أن يجتهدوا فى آرائهم ويشيروا عليه، فأشار عليه أن يأمر الناس بالجهاد ويجمهرهم فى المغازى حتى لا يتعدى همُّ أحدهم قمل فروة رأسه ودبرة دابته.[1]

وفى ذلك الجو من الحديث والفكر عند أفراد تعودوا الغزو ولم يفقهوا من الدين شيئًا كثيرًا يمكن أن يتوقع كل سوء، ويكفى أن يُحرِّك هؤلاء الأعراب وأن يُوجَّهوا توجيها، فإذا هم يثورون ويُحدثون القلاقل والفتن، وهذا ما حدث بالفعل؛ فإن الأعراب بسبب توقف الفتوحات ساهموا فى بوادر الفتنة الأولى، وكانوا سببًا من أسباب اندلاعها[2].

(١) تاريخ الطبرى (٢/ ٣٤٠).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة، (ص٣٥٣).

عاشرًا: استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس:

۞ **وأهم هذه الأساليب**: إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلافها على لسان الصحابة رضي الله عنهم؛ عائشة وعليّ وطلحة والزبير، والإشاعة بأن على بن أبى طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة، وأنه الوصى بعد رسول الله ﷺ، وتنظيم فرق فى كُلٍّ من البصرة والكوفة ومصر، ... أربع فرق من كل مصر، مما يدل على التدبير المسبق.

وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاءوا إلا بدعوة الصحابة، وصعَّدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل[1].

وإلى جوار هذه الوسائل استخدموا مجموعة من الشعارات منها: التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم، ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان إلى أن تمادوا فى جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة عثمان، وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنُصرة الخليفة عثمان، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة والتشوق إلى قتله بأى وسيلة[2].

الحادى عشر: المفهوم الخاطئ للورع:

الورع فى الشريعة طيب؛ وهو أن يترك ما لا بأس به مخافة مما فيه بأس.

---

(١) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٤٠١).

(٢) دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة، (ص٤٠٢).

وهو فى الأصل: تَرفُّع عن المباحات فى الله ولله ... والورع شيء شخصى يصح للإنسان أن يطالب به نفسه، ولكن لا يصح أن يطالب به الآخرين. ومن أخطر أنواع الورع: الورع الجاهل الذى يجعل المباح حرامًا أو مفروضًا، وهذا الذى وقع فيه أصحاب الفتنة[1]؛ فقد استغل أعداء الإسلام يومها مشاعرهم هذه ونفخوا فيها، فرأوا فيما فعله عثمان من المباحات أو المصالح خروجًا على الإسلام وتغييرًا لسُنة مَن سبقه، وعظمت هذه المسائل فى أعين الجهلة فاستباحوا أو أعانوا من استباح دم الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﵁، وفتحوا على المسلمين باب الفتنة إلى اليوم.

وهذا الورع الجاهل نلاحظه اليوم فى تصرفات بعض المسلمين الذين يصرون على تكييف أحكام الإسلام وفق ما يشتهون أو يكرهون، أو وفق عاداتهم وتقاليدهم[2].

الثانى عشر: التدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان ﵁:

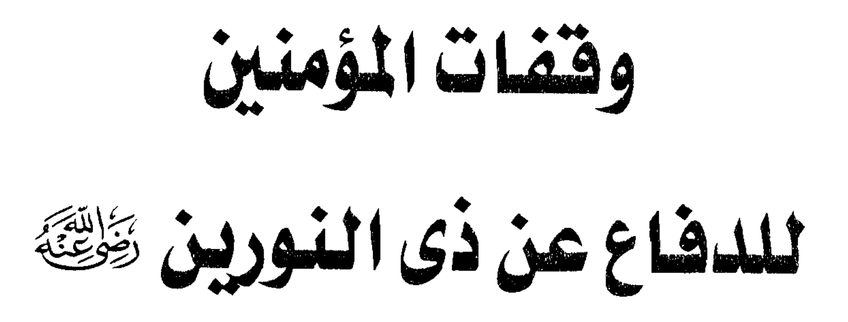
كان المجتمع مُهيأً لقبول الأقاويل والشائعات نتيجة عوامل وأسباب متداخلة، وكانت الأرض مُهيأة، ونسيج المجتمع قابلًا لتلقِّى الخروقات، وأصحاب الفتنة أجمعوا على الطعن فى الأمراء بحجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى استمالوا الناس إلى صفوفهم، ووصل الطعن إلى عثمان بن عفان ﵁ نفسه باعتباره قائد الدولة.

---

(١) الأساس فى السنة (٤/ ١٦٧٦).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، (ص٥١٧).





وقفات المؤمنين

للدفاع عن ذى النورين رضي الله عنه



وقفات المؤمنين للدفاع عن (ذى النورين)

۞عجبًا ثم عجبًا لمن ينقمون على ذى النورين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ!!!

هل ينقمون على عدله أم على جُوده أم على رحمته أم على إيمانه أم على أنه من العشرة المبشرين بالجنة؟!!!

قال الحسن البصرى رَحِمَهُ اللهُ: «أَدْرَكْتُ عُثْمَانَ على ما نقموا عليه، قلَّما يَأْتِي عَلَى النَّاس يَوْمٌ إِلَّا وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ فِيهِ خَيْرًا، فَيُقَالُ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اغْدُوا عَلَى أَعْطِيَاتِكُمْ، فَيَأْخُذُونَهَا وَافِرَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: اغْدُوا عَلَى أَرْزَاقِكُمْ فَيَأْخُذُونَهَا وَافِرَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُمُ اغْدُوا عَلَى السَّمْنِ وَالْعَسَلِ.

الْأَعْطِيَاتُ جَارِيَةٌ، وَالْأَرْزَاقُ دَارَّةٌ، وَالْعَدُوُّ مُتَّقًى، وَذَاتُ الْبَيْنِ حَسَنٌ، وَالْخَيْرُ كَثِيرٌ، وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَخَافُ مؤمنًا، ومن لقيه فهو أخوه، من كَانَ أُلْفَتُهُ وَنَصِيحَتُهُ وَمَوَدَّتُهُ قَدْ عَهِدَ إِلَيْهِمْ أَنَّهَا سَتَكُونُ أَثَرَةً، فَإِذَا كَانَتْ فَاصْبِرُوا.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حِينَ رَأَوْهَا لَوَسِعَهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَطَاءِ وَالرِّزْقِ وَالْخَيْرِ الْكَثِيرِ، بل قَالُوا: لَا وَاللهِ مَا نُصَابِرُهَا: فَوَاللهِ مَا وردوا وَمَا سَلِمُوا.

وَالْأُخْرَى كَانَ السَّيْفُ مُغْمَدًا عَنْ أَهْلِ الْإِسْلَام فَسَلُّوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَوَاللهِ مَا زَالَ مَسْلُولًا إِلَى يَوْمِ النَّاسِ، هَذَا وَايْمُ اللهِ إِنِّى لِأُرَاهُ سَيْفًا مَسْلُولًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

يقول عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ: أدركت زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما من نفس مسلمة إلا ولها فى مال الله حق(٢).

---

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن عساكر، والطبرانى فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع (٩/ ٩٤): إسناده حسن، وأخرجه ابن شبة فى تاريخ المدينة.

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن شبة.

جملة الافتراءات والمآخذ التى أخذت على عثمان رضي الله عنه

۞ أَمَّا الْمَآخِذُ الَّتِي أُخِذَتْ عَلَى حُكْمِ عُثْمَانَ رضي الله عنه أُجْمِلُهَا ثُمَّ أُفَصِّلُهَا إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى:

الْأَوَّلُ: تَوْلِيَةُ أَقَارِبِهِ.

الثَّانِي: نَفْيُ أَبِي ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ[١].

الثَّالِثُ: إِعْطَاءُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ خُمْسَ إِفْرِيقِيَةَ.

الرَّابِعُ: إِحْرَاقُ الْمَصَاحِفِ وَجَمْعُ النَّاسِ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ.

الْخَامِسُ: ضَرْبُ ابْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى فُتِقَتْ أَمْعَاؤُهُ ... وَ ضَرْبُ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ حَتَّى كُسِرَتْ أَضْلَاعُهُ.

السَّادِسُ: الزِّيَادَةُ فِي الْحِمَى.

السَّابِعُ: الْإِتْمَامُ فِي السَّفَرِ.

الثَّامِنُ: الْغِيَابُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ.

التَّاسِعُ: الْفِرَارُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ يَوْمَ أُحُدٍ.

الْعَاشِرُ: الْغِيَابُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ.

الْحَادِي عَشَرَ: لَمْ يَقْتُلْ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ بِالْهُرْمُزَانِ.

الثَّانِي عَشَرَ: زِيَادَةُ الْأَذَانِ الثَّانِي يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

الثَّالِثَ عَشَرَ: رَدُّ عُثْمَانَ الْحَكَمَ، وَقَدْ نَفَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم.

وَهُنَاكَ أَشْيَاءُ أُخْرَى كَقَوْلِهِمْ إِنَّهُ صَعِدَ إِلَى دَرَجَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي

---

(١) «الرَّبذة»: تبعدُ عَنِ الْمَدِينَةِ مَسِيرةَ ثَلَاثَة أَيَّامٍ عَلَى طَرِيق مَكَّةَ «معجم الْبلدان»(٣/ ٢٤)، وحَاليًا ١٤٠كم.

الْمِنْبر، فكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو بَكْرٍ نَزَلَ إِلَى الثَّانِيَةِ، وَلَمَّا جَاءَ عُمَرُ نَزَلَ إِلَى الْأُولَى، وَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ صَعِدَ إِلَى الثَّالِثَةِ، وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ الْأَمْرُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَقَالُوا كَذَلِكَ كَانَ عُمَرُ يَضْرِبُ بالدُّرَّةِ، فَصَارَ هُوَ يَضْرِبُ بِالسَّوْطِ، وَقَالُوا آذى أَبَا الدَّرْدَاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، ... وَغَيْرُهَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَكْثَرُهَا كَذِبٌ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَإِلَيكَ تَفْصِيلُ هَذِهِ الْأُمُورِ[١]:

۞ المأخذ الأول: قولهم: إن عثمان رضي الله عنه ولَّى أقاربه:

مما قاله المفترون فى هذا الشأن عن عثمان: أنه ولَّى أقاربه: معاوية، وعبد الله بن عامر بن كريز، ومروان، والوليد بن عقبة، وأعطى مروان خُمس إفريقية.

قال ابن العربى رحمه الله: هذا كله باطل سَندًا ومَتنًا، فأما معاوية: (فعمر) ولَّاه، وجمع له الشام كلها، وأقرَّه عثمان، وأما عبد الله بن كريز، فولَّاه كما قال: لأنه كريم العمَّات والخالات.

وأما تولية الوليد بن عقبة فقد قال عثمان: ما وليته لأنه أخي، وإنما وليته؛ لأنه ابن أم حكيم عمة النبى ﷺ وتوأمة أبيه.

والولاية اجتهاد، وقد عزل عمر سعد بن أبى وقاص، وقدَّم أقل منه درجة.

ومروان رجلٌ عَدلٌ من كبار الأئمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين، والفقهاء على تعظيمه، والتلفُّت إلى فتواه، والانقياد إلى روايته، أمَّا السفهاء من المؤرخين والأدباء فيقولون على أقدارهم.

---

(١) حقبة من التاريخ / الشيخ عثمان الخميس (ص ٧٣-٧٤).

وأما الوليد وحَدُّه في الخمر، فقد حَدَّ عمر قدامة بن مظعون على الخمر، وهو أمير وعزله، وليست الذنوب مُسقطة للعدالة إذا وقعت منه التوبة.

وأما إعطاؤه خُمس إفريقية لواحد فلم يصح.

وأما توليته لعبد الله بن سعد بن أبى السرح، وهو الذى ارتدَّ بعد إسلامه، فلقد تاب وعاد وحَسُن إسلامه، وجاهد جهاد الأبرار، ومات بين التسليمتين، ومعلوم أن الذنوب ليست مُسقطة للعدالة إذا وقعت منها التوبة.

۞ **وتعالوا بنا لنسأل:** مَن أقارب عثمان الذين ولَّاهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

والجواب: أن أَقَارِبُ عُثْمَانَ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ:

أَوَّلُهُمْ: مُعَاوِيَةُ.

الثَّانِي: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى السَّرْحِ.

الثَّالِثُ: الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَة.

الرَّابِعُ: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ.

الخَامِسُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ.

هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ وَلَّاهُمْ عُثْمَانُ، وَهُمْ مِنْ أَقَارِبِه، وَهَذَا فِى زَعْمِهِمْ مَطْعَنٌ عَلَيْهِ، فَلْنَنْظُرِ إِلَى بَاقِى وُلَاةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هُمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، جَابِرٌ الْمُزَنِيُّ، حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، أَبُو الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ، حَكِيمُ بْنُ سَلَامَةَ، الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيُّ، عُتَيْبَةُ بْنُ النَّهَاسِ، مَالِكُ بْنُ حَبِيبٍ، النُّسَيْرُ الْعَجَلِيُّ، السَّائِبُ بْنُ الْأَقْرَعِ، سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ، سَلْمَانُ بْنُ رَبِيعَة، خُنَيْسُ بْنُ خبيش.

هَؤُلَاءِ هُمْ وُلَاةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَبِنَظْرَةٍ سَرِيعَةٍ نَجِدُ أَنَّ عَدَدَ الْوُلَاة مِنْ أَقَارِبِ عُثْمَانَ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوَلِّي بَنِي أُمَيَّةَ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ يُقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْوُلَاةَ لَمْ يَتَوَلَّوا كُلُّهُمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

بَلْ كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ وَلَّى الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ ثُمَّ عَزَلَهُ فَوَلَّى مَكَانَهُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَلَمْ يَكُونُوا خَمْسَةً فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

وَأَيْضًا لَمْ يُتَوَفَّ عُثْمَانُ إِلَّا وَقَدْ عَزَلَ أَيْضًا سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ.

فَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ عُثْمَانُ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ مِنَ الْوُلَاةِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وَهُمْ: مُعَاوِيَةُ، وَعَبْدُ اللهِ ابْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرح، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْن كُرَيْزٍ فَقَطْ.

وهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّنَبُّهُ إِلَيْهِ: وَهُوَ أَنَّ عُثْمَانَ عَزَلَ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ مِنَ الْكُوفَةِ! ... الْكُوفَةُ الَّتِي عَزَلَ مِنْهَا عُمَرُ الفَارُوق سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ وَعزَلَ ابْنَ مَسْعُودٍ.

وعَزَلَ عُثْمَانُ مِنْهَا أَبَا مُوسَى وَالْوَلِيدَ وَغَيْرَهُمَا.

الكُوفَةُ الَّتِي دَعَا عَلِيٌّ عَلَى أَهْلِهَا.

الكُوفَةُ الَّتِي غَدَرَ أَهْلُهَا بِالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

الكُوفَةُ الَّتِي نَقَضَ أَهْلُهَا الْعَهْدَ مَعَ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ.

وأخيرًا وَلَيْسَ آخِرًا ... الْكُوفَةُ الَّتِي قَتَلَ أَهْلُهَا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ!

الكُوفَةُ الَّتِي لَمْ تَرْضَ بِوَالٍ أَبَدًا.

إِذًا عَزْلُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأُولَئِكَ الْوُلَاةِ لَا يُعْتَبَرُ مَطْعَنًا فِيهِمْ بَلْ مَطْعَنًا فِي الْمَدِينَةِ الَّتِي وُلُّوا عَلَيْهَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام ابْن تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللهُ: «لَا نعرفُ قَبِيلَةً مِنْ قَبَائلِ قُرَيْشٍ فِيهَا عُمَّالٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَر مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ؛ لأنَّهم كَانُوا كَثِيرين، وَفيهم شَرَفٌ وَسُؤْدُدٌ»[1].

والوُلَاة الَّذِينَ وَلَّاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَاسْتَعْمَلَهُم مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ هُمْ عَتَّابُ ابْنُ أُسَيْدٍ، أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، خَالِد بْن سَعِيدٍ، عُثْمَان بْن سَعِيدٍ، أَبَانُ بْنُ سَعِيدٍ. هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ كَعَدَدِ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُثْمَان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... ولَّاهم رسول الله ﷺ.

وَكَأَنَّ السّؤَال الَّى يَطْرَح نفسه أَأَثْبَتَ هَؤُلَاءِ الْوُلَاةُ كَفَاءَتَهُمْ أَوْ لَا؟ وَسَتَأْتِي شَهَادَاتُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي أُولَئِكَ الْوُلَاةِ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ يُقَالُ كَذَلِكَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَلَّى أَقَارِبَهُ[2]، وَلَمْ يَنْقِمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَلَا نَنْقِمُ عَلَيْهِ نَحْنُ أَيْضًا، لِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ- وَهُوَ تَوْلِيَةُ عُثْمَانَ لِأَقَارِبِهِ- الَّذِي يَنْقِمُهُ عَلَى عُثْمَانَ اثْنَانِ إِمَّا سُنِّيٌّ وَ إِمَّا شِيعِيٌّ.

۞ فَأَمَّا الشِّيعِيُّ فَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِأَنَّ: عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَلَّى أَقَارِبَهُ أَيْضًا، فَالْأَمْرُ سَوَاءٌ؛ فَإِذَا كَانَتْ تَوْلِيَةُ عُثْمَانَ لِأَقَارِبِهِ تُعَدُّ مَطْعَنًا عَلَيْهِ، فَكَذَلِكَ تَوْلِيَةُ عَلِيٍّ لِأَقَارِبِهِ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ مَطْعَنًا عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ تكنْ مَطْعَنًا عَلَى عَلِيٍّ فَلَيْسَتْ بِمَطْعَنٍ عَلَى عُثْمَانَ، بَلْ إِنَّ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُثْمَانُ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ بِاسْتِثْنَاءِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ.

---

(١) «مِنْهَاج السُّنَّة»(٦/ ١٩٢).

(٢) وَلَّى: (عَبْد اللهِ) وَ(عُبَيْد اللهِ) وَ(قثم) وَ(تمام) أَبْنَاء الْعَبَّاس، وَ(ربيبه مُحَمَّد بْن أَبِي بَكرٍ)، وَ(عَبْد الرَّحْمَنِ ابْن هبيرة ابْن أخته أم هانئ). «تَارِيخ خَلِيفَة بْن الْخياط» (ص. ٢٠٠- ٢٠١).

۞ وَأَمَّا إِذَا كَانَ الَّذِى يُنْكِرُ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُنِّيًا؛ فَيُقَالُ لَهُ: أَنْتَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُون عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَلَّاهُمْ مُحَابَاةً لَهُمْ، وَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلًا لِلْوِلَايَةِ.

وَثَانِيهِمَا: أَنْ تَقُولَ إِنَّ عُثْمَانَ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الْوِلَايَةَ وَلِذَلِكَ وَلَّاهُمْ، وَالْأَصْلُ إِحْسَانُ الظَّنِّ فِي أَمْثَالِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ كُلِّهِ نَنْظُرُ فِي سِيَرِ أُولَئِكَ الْوُلَاةِ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

۞ ولننظر الآن إلى أقوال أهل العلم فى أولئك الولاة:

۞ الأَوَّلُ: مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ:

لا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِى سُفْيانَ كَانَ مِنْ خَيْرِ الْوُلَاةِ، بَلْ إِنَّ أَهْلَ الشَّام كَانُوا يُحِبُّونَهُ حُبًّا شَدِيدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخطَّابِ قَدْ وَلَّاهُ عَلَيْهَا، وَكُلُّ الَّذِى فَعَلَه عُثْمَانُ أَنَّهُ أَبْقَاهُ عَلَى تِلْكَ الْوِلَايَةِ، وَزَادَهُ وِلَايَاتٍ أُخْرَى.

ثُمَّ هُوَ كَاتِبٌ لِلْوَحْيِ زَمَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمْ مَنْ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَ تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ**»[1].

وَكانَ مُعَاوِيَةُ كَذَلِكَ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ.

۞ الثَّانِي: عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى السَّرْحِ.

كَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَابَ إِلَى اللهِ (جلَّ وَعَلَا)، وَرَجَعَ لِيُبَايعَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ عُثْمَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَايِعْهُ، فَإِنَّهُ جَاءَ تَائِبًا، فَلَم يُبَايِعْهُ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ كَلَّمَ النَّبِيَّ ﷺ الثَّانِيَة

(١) «صَحِيح مُسْلِم» كِتَاب الإمارة: بَاب خِيَارِ الْأَئِمَّةِ وَشِرَارِهِم حَدِيث (١٨٥٥).

وَالثَّالِثَةَ، فَمَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ فَبَايَعَهُ[١]، فَرَجَعَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَتَابَ إِلَى اللهِ تبارك وتعالى، وَكَانَ مِنْ خَيْرِ الْوُلَاةِ، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ إِفْرِيقِيَةَ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْهُ: «لَمْ يَتَعَدَّ، وَلَا فَعَلَ مَا يُنْقَمُ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ عَامَ الْفَتْحِ، وَكَانَ أَحَدَ عُقَلَاءِ الرِّجَالِ وَأَجْوَادِهِمْ»[٢].

وَالْفُتُوحَاتُ الْكَثِيرَةُ فِي إِفْرِيقِيَةَ كُلُّهَا كَانَتْ عَلَى يَدِهِ رضي الله عنه.

الثَّالِثُ: سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ:

كَانَ مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى قَالَ الذَّهَبِيُّ عَنْهُ: «كَانَ أَمِيرًا شَرِيفًا جَوَادًا، مَمْدُوحًا، حَلِيمًا، وَقُورًا، ذَا حَزْمٍ وَعَقْلٍ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ»[٣].

الرَّابِعُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ:

هُوَ الَّذِي فَتَحَ بِلَادَ كِسْرَى وَخُرَاسَانَ،... وَانْتَهَتْ دَوْلَةُ فَارِسَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ عَلَى يَدِهِ، وَفَتَحَ سَجِسْتَانَ وَكَرْمَانَ وَغَيْرَهُمَا مِنَ الْبِلَادِ.

قَالَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ: «كَانَ مِنْ كِبَارِ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ وَشُجْعَانِهِمْ وَأَجْوَادِهِمْ»[٤].

الْخَامِسُ: الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ:

ذُكِرَ عِنْدَ الشَّعْبِيِّ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَجِهَادُهُ، وَمَا كَانَ مِنْ فُتُوحَاتِهِ فَقَالَ:

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو داود، كِتَاب الْحدود، بَاب الْحكم فِي مَنِ ارْتَدَّ (٤٣٥٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِ «صحيح سنن أبي داود».

(٢) «سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاءِ» (٣/ ٣٤).

(٣) «سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاءِ» (٣/ ٤٤٥).

(٤) «سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاءِ» (٣/ ٢١).

لَوْ أَدْرَكْتُمُ الْوَلِيدَ، وَغَزْوَهُ وَإِمَارَتَهُ!![١]

وَقَدْ بَقِيَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ خَمْسَ سِنِينَ لَيْسَ عَلَى بَيْتِهِ بَابٌ، مَنْ يُرِيدُهُ يَأْتِي وَيُكَلِّمُهُ، وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ، ... وَلَكِنَّهُم أَهْلُ الْكُوفَةِ كَمَا يُقَالُ[٢].

۞ المأخذ الثاني: قولهم بأنه حرق المصاحف:

قَدِمَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّاسَ قَدِ افْتَرَقُوا فِى الْقُرْآنِ، وَاخْتَلَفُوا اخْتِلَافًا شَدِيدًا، حَتَّى إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْكُفْرِ بِالْقُرْآنِ، فَطَلَبَ مِنْ عُثْمَانَ أَنْ يَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى قِرَاءَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَن يَجْمَعَ الْقُرْآنَ مَرَّةً ثَانِيَةً[٣].

فَأَمَرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَمَرَ بِإِحْرَاقِ مَاخَالَفَهُ.

۞ وَالْمَصَاحِفُ الَّتِى أَحْرَقَهَا عُثْمَانُ فِيهَا أَشْيَاءُ مِنْ مَنْسُوخِ التِّلَاوَةِ وَقَدْ أَبْقَاهُ بَعْضُ الصَّحَابَةِ.

وَفِيهَا: تَرْتِيبُ السُّوَرِ عَلَى غَيْرِ التَّرْتِيبِ الَّذِى فِى الْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِى عَرَضَهَا جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

۞ وَفِى بَعْضِ الْمَصَاحِفِ تَفْسِيرَاتٌ لِبَعْضِ الصَّحَابَةِ، لِذَلِكَ أَمَرَ عُثْمَانُ بِإِحْرَاقِ تِلْكَ الْمَصَاحِفِ، وَكَتَبَ الْمُصْحَفَ الْوَحِيدَ وَفِيهِ الْقَرَاءَاتُ، وَلَمْ يلْغِ الْقِرَاءَاتِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تَارِيخ الطَّبَرِيِّ سَنَة ٣٠ هـ (٢/ ٦١٠).

(٢) حقبة من التاريخ (ص ٧٤-٧٨) بتصرف.

(٣) «صَحِيح الْبُخَارِيّ»، كِتَاب فَضَائِل الْقُرآن، بَاب جمع الْقُرآن، حَدِيث (٤٩٨٧).

وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: بَلْ تَرَكَ حَرْفًا وَاحِدًا فَقَطْ وَهُوَ مَا كَانَ عَلَى لِسَانِ قُرَيْشٍ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ وَإِحْرَاقِ بَقِيَّةِ الْمَصَاحِفِ:

«تِلْكَ حَسَنَتُهُ الْعُظْمَى، وَخَصْلَتُهُ الْكُبْرَى، فَإِنَّه حَسَمَ الْخِلافَ وَحَفِظَ اللهُ الْقُرآنَ عَلَى يَدَيْهِ»[1].

فَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ لِعُثْمَانَ، جَعَلُوهَا مِنْ مَسَاوِئِه وَمَثَالِبِهِ رَضِي اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَعَينُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيبٍ كَليلَةٍ ... وَلَكن عَينَ السُّخْطِ تُبْدِى المَسَاوِيَا

قال على بن أبى طالب: «... فوالله ما حرقها إلا على ملإٍ من أصحاب رسول الله ﷺ،... جَمعَنا وقال: ما تقولون فى هذه القراءة التى اختلف الناس فيها، يلقى الرجلُ الرجلَ، فيقول: قراءتى خير من قراءتك وهذا يَجُرُّ إلى الكُفْر، فقلنا: ما الرأي؟ قال: أريد أن أجمع الناس على مصحفٍ واحد، فإنكم إن اختلفتم اليوم كان مَنْ بعدكم أشد اختلافًا، فقلنا: نِعْم ما رأيت»[2].

۞ المأخذ الثالث والرابع والخامس: قولهم: أنه لم يحضر بدراً وأنه فرَّ يوم أُحد وأنه لم يحضر بيعة الرضوان:

جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ فَقَالَ: مَنِ الْقَوْمُ؟ قَالُوا: قُرَيْشٌ. قَالَ: مَنِ الشَّيْخُ فِيكُمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ. فَجَاءَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ فَحَدِّثْنِى عَنْهُ.

هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

(١) «الْعواصم مِنَ الْقواصم» (ص ٨٠).

(٢) «منهاج السنة» (٦/ ٢٥٢-٢٥٣).

فَقَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغيَّبَ عَنْ بَدْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: هَلْ تعْلَمُ أَنَّهُ تَغيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ الْمِصْرِيُّ: اللهُ أَكبرُ- يَعْنِى ظَهَرَ الْحَقُّ الَّذِى يُرِيدُهُ-.

فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: تَعالَ أُبيِّنْ لَكَ: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

وأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ**».

وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ[2]، فَبَعَثَه الرَّسُولُ ﷺ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بَعْدَمَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**» فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الْآنَ مَعَكَ[3].

۞ المأخذ السادس: قولهم بأنه ضرب عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود:

أما الطعن عليه بأنه ضرب عمارًا حتى فتق أمعاءه!! فقال أبو نعيم فى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٥٥).

(٢) أى لبَعَثَه النَّبِيّ ﷺ بدلَ عُثْمَانَ، لِأَنَّهُ أَرْسله النَّبِيُّ ﷺ لأهلِ مَكَّةَ حَتَّى يبينَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا جَاءَ ليؤديَّ عُمرَتَهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَحدثت بَيْعَةُ الرِّضوانِ بَعْدَمَا ذهب عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ وَلَم يَكُنْ حَاضرًا وَإِنَّمَا ذهبَ بأمرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَكَّةَ،... فبَيْعةُ الرّضوانِ ما تمّت إِلَّا انْتِقَامًا لعُثْمَانَ لَمَّا بلغ النَّبى ﷺ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتلَ، فبَايع النَّبِيُّ ﷺ بَيْعَةَ الرِّضوان أَصْحَابَه عَلَى الِانتِقَامِ لعُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ إِنْ كَانَ قَدْ صحَّ قتله.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ، كِتَاب: فَضَائِل الصَّحَابَة، باب: مَنَاقِب عُثْمَان، حَدِيث (٣٦٩٩).

«تثبيت الإمامة»: هذا غير ثابت عنه،... وقال ابن العربي: وأما ضربه عمارًا فزورٌ، وإفكٌ. ودعوى ضربه ابن مسعود، وكسر أضلاعه، ومنعه عطاءه سنتين!! كل هذا باطلٌ وزورٌ، ولا أصل له[١].

بل لقد قال الإمام ابن تيمية: «فإن قيل: إن عثمان قد ضرب ابن مسعود وعمار، فهذا لا يقدح فى واحدٍ منهم، فإنا نشهد أن الثلاثة فى الجنة، وأنهم من أكابر أولياء الله المتقين، ولقد ضرب عمر، أُبيّ بن كعب بالدرة لما رأى الناس يمشون خلفه، وقال: ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع»[٢][٣].

۞ المأخذ السابع: قولهم بأنه أخرج أبا ذر إلى الربذة:

وهذا ظلم عظيم، ومنكر أثيم... فعثمان رضي الله عنه أعدل وأفضل من أن يفعل بالأفاضل من الصحابة ما لا يستحقون، أو ينالهم بمكروه؛ وإنما كان هذا من عثمان تخييرًا لأبى ذر ... والدليل على ذلك ما رواه زيد بن وهب قال: «مررتُ بالربذة، فقلت لأبى ذر رضي الله عنه: ما أنزلك هذا المنزل؟ فقال: أُخبرك، إنى كنت بالشام فتذاكرت أنا ومعاوية هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤].

فقال معاوية: هذه نزلت فى أهل الكتاب، وقلت أنا: فيهم وفينا، فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك فكتب إلىَّ: أن أقْدِم علىَّ، فقدمتُ عليه فانثال علىَّ الناس كأنهم لم يعرفونى فشكوت ذلك إلى عثمان، فخيّرنى فقال:

---

(١) تثبيت الإمامة / لأبى نعيم (ص ١٥١-١٥٢).

(٢) منهاج السنة (٣/ ١٩٢).

(٣) نقلًا من ترطيب الأفواه (ص ١٤١-١٤٧) بتصرف.

(٤) سورة التوبة: الآية: (٣٤).

انزل حيث شئت»[١].

وقال عبد الله بن الصامت: «دخلت مع أبى ذر فى رهط من غفار على عثمان بن عفان من الباب الذى لا يُدخَل عليه منه، قال: وتخوفنا عثمان عليه، فانتهى إليه فسلّم عليه، قال: ثم ما بدأه بشىء إلا أن قال: أحسبتنى منهم يا أمير المؤمنين؟! والله ما أنا منهم- يعنى الخوارج- ولا أدركهم، ولو أمرتنى أن أعضّ على عرقوبى قتب لعضضت عليهما حتى يأتينى الموت وأنا عاضٌّ عليهما.

قال: صدقت يا أبا ذر، إنَّا إنما أرسلنا إليك لخير؛ لتجاورنا بالمدينة.

قال: لا حاجة لى فى ذلك، ثم استأذنه فى الربذة، فقال: ائذن لى فى الربذة.

قال: نعم نأذن لك ونأمُر لكَ بنَعَم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح فتصيب من رَسلها[٢].

قال: لا حاجة لنا فى ذلك، يكفى أبا ذر صِرمته[٣] ثم خرج فنادى: دونكم معاشر قريش، دنياكم فاعذمُوها لا حاجة لنا فيها، ودعونا وديننا[٤].

۞ قال غالب القطان: قلت للحسن البصرى: أعثمان أخرج أبا ذر؟ قال: لا معاذ الله[٥].

---

(١) حديث صحيح: أخرجه أبو نعيم (١٣٩) فى «تثبيت الإمامة».

(٢) يعنى: اللبن.

(٣) الصرمة: القطعة من الإبل.

(٤) صحيح: أخرجه ابن سعد فى «طبقاته» (٤/ ٢٣٢)، وابن شبة فى «تاريخ المدينة» (٣/ ١٠٣٦، ١٠٤١) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٦٠).

(٥) إسناده حسن: أورده الذهبى فى «تاريخ الإسلام»، وابن شبة (٣/ ١٠٣٧).

وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ إذا ذُكر له أن عثمان بن عفان سيَّره أخذه أمرٌ عظيم، ويقول: هو خرج من قِبَل نفسه، ولم يُسيِّره عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

۞ المأخذ الثامن: قولهم أنه ردَّ الحكم بن العاص وقد نفاه رسول الله ﷺ:

وَهَذِهِ الفِرْيَةُ يُرَدُّ عَلَيْهَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

أَوَّلَا: أَنّهَا لَمْ تَثْبُتْ وَلَا تُعْرَفُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

ثَانِيًا: الْحَكَمُ كَانَ مِنْ مُسْلِمَةَ الْفَتْحِ، وَكَانَ مِنَ الطُّلَقَاءِ، وَالطُّلَقَاءُ مَسْكَنُهُمْ مَكَّةُ وَلَمْ يَعِيشُوا فِي الْمَدِينَةِ، فَكَيْفَ يَنْفِيهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا أَصْلًا.

ثَالِثًا: النَّفْيُ الْمَعْلُومُ فِي شَرِيعَتِنَا أَقْصَاهُ سَنَةٌ لِلزَّانِي غَيْرِ الْمُحْصَنِ، وَلَمْ يُعْلَمْ فِي شَرْعِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّ هُنَاكَ نَفْيًا مَدَى الْحَيَاةِ، ... وَأَيُّ ذَنْبٍ هَذَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الْإِنْسَانُ أَن يُنفَى مَدَى الْحَيَاةِ؟

فالنَّفْيُ عُقُوبَة تَعْزِيرِيَّةٌ مِنَ الْحَاكِمِ، ... فَلَوْ فَرَضْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِعْلًا نَفَاهُ وَاسْتَمَرَّ مَنْفِيًّا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ثُمَّ أَعَادَه عُثْمَانُ بَعْدَكُمْ؟ بَعْدَ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

أَيْنَ الْبَأْسُ هُنَا؟

هَذَا إِنْ صَحَّتْ .. وَهِيَ لَمْ تَصِحَّ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَبِلَ شَفَاعَةَ عُثْمَانَ فِي عَبْدِ اللهِ بْن سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ، وَكَانَ قَدِ ارْتَدَّ وَلَاشَكَّ أَنَّ الْحَكَمَ لَمْ يَأْتِ بِجُرْمٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، فَكَيْفَ يُسَامِحُ النَّبِيُّ ﷺ ذَاكَ وَلَا يُسَامِحُ هَذَا؟!!.

۞ هَذِهِ هِيَ الْمَآخِذُ عَلَى عُثْمَانَ!! بعضها أمُور مكذوبة عليه، وبعضها محاسن له جُعلت مساوئ، وبعضها أمور اجتماعية أخطأ أو أصاب،

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن شبة (٣/ ١٠٣٧).

وبعضها أخطاء وقعت منه فعلًا ولكنها أخطاء مغفورة، وأخطاء مغمورة فى بحر حسناته رضي الله عنه[١].

۞ المأخذ التاسع: قولهم أنه زاد الأذان الثانى يوم الجمعة:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بَعْدِي**»[٢].

وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ سُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ عُثْمَانَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَرَأَى مَصْلَحَةً فِي أَن يُزَادَ هَذَا الْأَذَانُ لِتَنْبِيهِ النَّاسِ عَنْ قُرْبِ وَقْتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بَعْدَ أَنِ اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْمَدِينَةِ، فَاجْتَهَدَ فِى هَذَا وَوَافَقَهُ جَمِيعُ الصَّحَابَةِ، وَاسْتَمَرَّ الْعَمَلُ بِهِ لَمْ يُخَالِفْهُ أَحَدٌ حَتَّى فِي زَمَنِ عَلِيٍّ وَزَمَنِ مُعَاوِيَةَ وَزَمَنِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يُخَالِفْهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَهِيَ سُنَّةٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

وهى من السُّنن الَّتِى قال عليها النَّبى ﷺ: «**عليكم بسنَّتى وسُنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي**».

ثُمَّ هُوَ لَهُ أَصْلٌ فِي الشَّرْعِ، وَهُوَ الْأَذَانُ الْأَوَّلُ فِى الْفَجْرِ، فَلَعَلَّ عُثْمَانَ قَاسَ هَذَا الْأَذَانَ عَلَيْهِ[٣].

۞ المأخذ العاشر: قولهم أنه لم يقتل عُبيد الله بن عمر بالهرمزان مع ظهور القصاص ووجوبه:

وَالْمَشْهُورُ فِى كُتُبِ التَّارِيخِ أَنَّهُ بَعْدَمَا قَتَلَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِيُّ عُمَرَ بْنَ

---

(١) حقبة من التاريخ (ص ٨٩).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٣) حقبة من التاريخ (ص ٨٨).

الْخطَّابِ قتَل نَفْسَهُ لَمَّا أَلْقَوُا الْعبَاءَةَ عَلَيْهِ[١]، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ قَامَ عُبَيْدُ اللهِ ابْنُ عُمَرَ فَقتَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ الْهُرمُزَانُ، وَكَانَ مَجُوسِيًّا فَأَسْلَمَ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ قَالَ: كَانَ مَعَ أَبِى لُؤلُؤَةَ الْمَجُوسِيِّ قَبْلَ مَقْتَلِ عُمَرَ بثَلَاثَةِ أَيَّام[٢] وَبيْنَهُمَا الْخِنْجَرُ الَّذِى قُتِلَ بِهِ عُمَرُ، فَظَنَّ أَنَّ الْهُرمُزَانَ مُشَارِكٌ لِأَبِى لُؤْلُؤَةَ فِى هَذِهِ الْجَرِيمَةِ فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَقَتَلَهُ.

وَحُبِسَ عبيد الله بن عُمر فِى دَارِ سعدِ بن أبى وقَّاص ... اجْتَمَعَ عثمان مع أصحاب النبى ﷺ، وقال: ماذا ترون؟

فمن قائل: يُقتل قصاصًا؛ لأنه قتل رجلًا مسلمًا.

ومِن قائل: قُتل عمر قبل يومين وتقتل ولده الآن! كيف يكون حال آل الخطاب؟! **ومِن قائل:** إنه تأوَّل.

۞ وَهُنَا ثَلَاثَةُ تَوْجِيهَاتٍ لِعَدَمِ قَتْلِ عُبَيْدِ اللهِ بالْهُرْمُزَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْهُرْمُزَانَ تَمالَأَ مَعَ أَبِى لُؤْلُؤَةَ عَلَى قَتْلِ عُمَرَ كَمَا رَآهُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ، وَبِهَذَا يَكُونُ مُسْتَحِقًّا لِلقَتْلِ كَمَا قَالَ عُمَرُ: «لَوْ تَمالَأَ أَهْلُ صَنْعَاءَ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ لَقَتَلْتُهُم بِهِ»[٣]، فَهُنَا يَكُونُ دَمُ الْهُرمُزَانِ مُبَاحًا؛ لِأَنَّهُ شَارَكَ فِى قَتْلِ عُمَرَ.

الثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقْتُلْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ لَمَّا تَأَوَّلَ فِى عَهْدِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ فِى إِحْدَى الْمَعَارِكِ رَأَى رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ قَتَلَ مِنَ الْمُسْلِمينَ الْكَثِيرَ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَآهُ الْمُشْرِكُ فَرَّ مِنْهُ ثُمَّ اخْتبأَ خَلْفَ شَجَرَةٍ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ، كِتَاب: فَضَائِل الصَّحَابَة، باب: قصّة الْبيْعَة، حَدِيث (٣٧٠٠).

(٢) وكان عبد الرحمن بن أبى بكر قد رآهما وأخبر عبيد الله بذلك، انظر الطبرى (٣/ ٣٠٣) القصة من طريق سيف بن عمر وهو كذاب.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيّ، كِتَاب: الدّيات، باب: إِذَا أَصَابَ قَوْم مِنْ رجل، حَدِيث (٦٨٩٦).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَقَتَلَهُ أُسَامَةُ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ هَذَا الْأَمْرُ اسْتَدْعَى أُسَامَةَ فَقَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

قَالَ: إِنَّمَا قَالَهَا تعَوُّذًا -يَعْنِي خَائِفًا مِنَ السَّيْفِ-. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**»... يَقُولُ: فَمَا زَالَ يُرَدِّدُهَا عَلَيَّ «**قَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!**» حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلَّا الْآنَ[١].

فَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُقِمِ الْقَصَاص عَلَى أُسَامَةَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَوِّلًا، فَكَذَلِكَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِعُثْمَانَ لَمْ يُقِمِ الْحَدَّ عَلَى عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَوِّلًا.

الثَّالِثُ: قِيلَ: إِنَّ الْهُرمُزَانَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ، وَالْمَقْتُولُ الَّذِى لَا وَلِيَّ لَهُ وَلِيُّهُ السُّلْطَانُ فَتَنَازَلَ عَنِ الْقَتْلِ. وَقِيلَ: إِنَّ لَهُ وَلَدًا يُقَال لَهُ: الْقَامَذْبَان، وَأَنَّهُ تنَازَلَ عَنْ دَمِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ[٢].

والقصة ليس لها سند صحيح ولكنها مشهورة فى كتاب التاريخ ونحن كذلك ذكرنا فى الردِّ عليها المشهور فى كتب التاريخ[٣].

ولقد ردَّ ابن العربى ردًّا شافيًا وكافيًا فى «العواصم من القواصم»:

أما تلك القصة سَندًا ومَتنًا ففيها اضطراب،... يقول ابن عبد البر: «قصته فى قتل الهرمزان وجفينة، وبنت أبى لؤلؤة، ففيها اضطراب، وفى

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: «صَحِيح الْبُخَارِيِّ»: كِتَاب الْمغازي، بَاب بعث النَّبِيِّ ﷺ أُسَامَةَ إِلَى الْحرقات، حَدِيث (٤٢٦٩)، «صَحِيح مُسْلِم»: كِتَاب الْإِيمَان باب: تَحرِيم قَتلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَن قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، حَدِيث (١٥٨) (٩٦).

(٢) قِصَّة تنازل الْقامذبان عَنْ قتلِ عُبَيْد اللهِ فِى «تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ» (٣/ ٣٠٥)، وَلَكِنَّهَا مِنْ طَرِيقِ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ الكَذَّابِ.

(٣) حقبة من التاريخ (ص ٨٦-٨٨).

الرواية الصحيحة أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تشاور مع المهاجرين والأنصار، ولم يقتل مسلمًا بكافر، وأعطى الدية بدلًا من ذلك فأى مخالفة فى ذلك؟»[١].

۞ المأخذ الحادى عشر: قولهم بأنه أعطى مروان خُمس أفريقية:

وهذا كذب وافتراء؛ لأنه لم يثبت أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعل هذا أبدًا.

۞ المأخذ الثانى عشر: قولهم أنه استزاد فى الحمى:

الحِمَى هى المحمية، ... كانَ الرَّسُولُ ﷺ لَهُ حِمَى وَقَالَ: **«إِنَّمَا الحِمَى حِمَى اللهِ وَلِرَسُولِهِ»**[٢].

وَقَدْ وَضَعَ عُمَرُ حِمىً لإبِلِ الصَّدَقَةِ، وَضَعَ لَهُمْ أَرْضًا خَاصَّةً لَا يُرْعَى فِيهَا إِلَّا إِبِلُ الصَّدَقَةِ، حَتَّى تَسْمَنَ وَيَسْتَفِيدَ مِنْهَا النَّاسُ، فَلَمَّا جَاءَ عُثْمَانُ وَكَثُرَتِ الصَّدَقَاتُ، وَسَّعَ هَذَا الْحِمَى فَنَقَمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ حَتَّى قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا حَمَيْتَ مِنَ الْحِمَى، آللهُ أَذِنَ لَكَ أَم عَلَى اللهِ تَفْتَرِي؟

فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ حَمَى الْحِمَى قَبْلِى لِإِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا وَلِيتُ زَادَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ فَزِدْتُ فِى الْحِمَى[٣].

۞ المأخذ الثالث عشر: قولهم إنه أمر بالعطاء من مال الصدقة:

ومن تلك المطاعن الواهية: أنه أمر بالعطاء من مال الصدقة وأن الناس أنكروه.

وللرد على ذلك يقول أبو نعيم الأصبهانى رَحِمَهُ اللَّهُ:

« عُثْمَانُ أَعْلَمُ مِمَّنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ، وَلِلْأَئِمَّةِ إِذَا رَأَوُا الْمَصْلَحَةَ لِلرَّعِيَّةِ فِى

---

(١) العواصم من القواصم لابن العربى (ص ٧٧، ١١٦).

(٢) «صَحِيح الْبُخَارِيّ». كِتَاب الْمساقات: بَاب «لَا حمى إِلَّا لله وَلرَسُولِهِ ﷺ» حَدِيث (٢٣٧٠).

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَد فِى «فَضَائِل الصَّحَابَة» (١/ ٤٧٠ رقم ٧٦٥) بِسَنَدٍ صَحِيح.

شَيْءٍ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَلَا يُجْعَلُ إِنْكَارُ مَنْ جَهِلَ الْمَصْلَحَةَ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَهَا، وَلَا يَخْلُو زَمَانٌ مِنْ قَوْمٍ يَجْهَلُونَ وَيُنْكِرُونَ الْحَقَّ مِنْ حَيْثِ لَا يَعْرِفُونَ، وَلَا يَلْزَمُ عُثْمَانَ رضي الله عنه فِيمَا أَمَرَ بِهِ إِنْكَارٌ لِمَا رَأَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ، فَقَدْ فَرَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ يَوْمَ الْجِعْرَانَةِ وَتَرَكَ الْأَنْصَارَ لِمَا رَأَى مِنَ الْمَصْلَحَةِ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: تُقْسَمُ غَنَائِمُنَا فِي النَّاسِ وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَكَانَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَى الْإِنْكَارِ عَلَى مَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِمْ بِمَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَصْلَحَةِ فِيمَا قَسَمَ. وَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ إِنْكَارِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَى عُثْمَانَ رضي الله عنه؛ لِأَنَّ مَالَ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْغَنِيمَةِ فَلَا يَلْزَمُ عُثْمَانَ رضي الله عنه مِنْ إِنْكَارِ مَنْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ شَيْئًا إِلَّا مَا لَزِمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حِينَ رَأَى الْمَصْلَحَةَ فِيمَا فَعَلَ اقْتِدَاءً بِنَبِيِّهِ ﷺ»[1].

۞ المأخذ الرابع عشر: قالوا: أنه أتم الصلاة فى السفر:

صَلَّى الرَّسُولُ ﷺ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلى عُمَرُ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّى عُثْمَانُ صَدْرًا مِنْ خِلَافَتِهِ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَتَمَّ فِي السَّفَرِ.

وَالْجَوَابُ هُوَ:

أَوَّلًا: هَذِهِ مَسْأَلَةٌ فِقْهِيَّةٌ اجْتِهَادِيَّةٌ اجْتَهَدَ فِيهَا عُثْمَانُ فَأَخْطَأَ فَكَانَ مَاذَا؟ هَذَا إِذَا كَانَ قَدْ أَخْطَأَ فِعْلًا.

وَهَلْ هَذَا الْأَمْرُ يُبِيحُ دَمَ عُثْمَانَ؟ وَمَنِ الْمَعْصُومُ غَيْرُ رُسُلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِمْ وَسَلَّمَ؟ ثُمَّ إِنَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ خِلَافًا بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَكْثَرُ

(١) «تثبيت الإمامة» لأبى نعيم (ص ١٤٩).

أَهْل الْعِلْم عَلَى أَنَّ الْقَصْرَ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ مُسْتَحَبَّةٌ [١]، فَإِذَا كَانَ عُثْمَانُ فَعَلَ شَيْئًا فَهُوَ أَنَّهُ تَرَكَ الْمُسْتَحَبَّ فَقَطْ، وَفَعَلَ الْجَائِزَ، أَوْ تَرَكَ الرُّخْصَةَ وَفَعَلَ الْعَزِيمَةَ.

۞ **أَمَّا لِمَاذَا أَتَمَّ عُثْمَانُ؟ فَقَدْ قِيلَ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:**

(١) لِأَنَّهُ تَأَهَّلَ - أَى تَزَوَّجَ - فِي مَكَّةَ فَكَانَ يَرَى أَنَّهُ فِي بَلَدِهِ فِي مَكَّةَ وَلِذَلِكَ أَتَمَّ هُنَاكَ.

(٢) إِنَّهُ خَشِيَ أَن يُفْتَنَ الْأَعْرَابُ وَيَرْجِعُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَيَقْصُرُونَ الصَّلَاةَ هُنَاكَ، فَأَتَمَّ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ أَن أَصْلَ الصَّلَاةِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ.. وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تبارك وتعالى.

(٣) ولَمَّا أَتَمَّت عَائِشَةُ فِي السَّفَرِ رضي الله عنها قَالُوا لِعُرْوَةَ: مَاذَا أَرَادَتْ عَائِشَةُ؟ قَالَ: تَأَوَّلَتْ كَمَا تَأَوَّلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، ... فَالْقَصْدُ أَنَّ عُثْمَانَ تَأَوَّلَ [٢].

۞ **وقفة لطيفة:**

۞ وقد بيَّن ابن تيمية بأن عثمان رضي الله عنه ليس معصومًا، فقال: والقاعدة الكلية فى هذا أن لا نعتقد أن أحدًا معصوم بعد النبى صلى الله عليه وسلم؛ بل الخلفاء وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذنوب التى تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تُكفَّر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يُبتلون أيضا بمصائب يكفر الله بها، وقد يُكفَّر عنهم بغير ذلك، فكل ما يُنقَل عن عثمان غايته أن يكون ذنبًا أو خطأً،

---

(١) بِهِ قَالَ مالك وَالشافعيُّ وَالْأوزاعيّ وَأحمدُ. «الْمغني» (٢/ ٥٤).

(٢) جاءَ فِى كِتَاب «الْكَافِي» للكليني (٤/ ٥٢٤) عَنْ أَبِى عَبْدِ الله جَعفَر الصَّادِق: أَنَّ الْإِتمامَ أَفْضَلُ فِى الْحرمين.

وعثمان رضي الله عنه قد حصلت له أسباب المغفرة من وجوه كثيرة ... منها سابقته وإيمانه وجهاده وغير ذلك من طاعته.

وقد ثبت أن النبي ﷺ شهد له؛ بل بشره بالجنة على بلوى تصيبه[1].

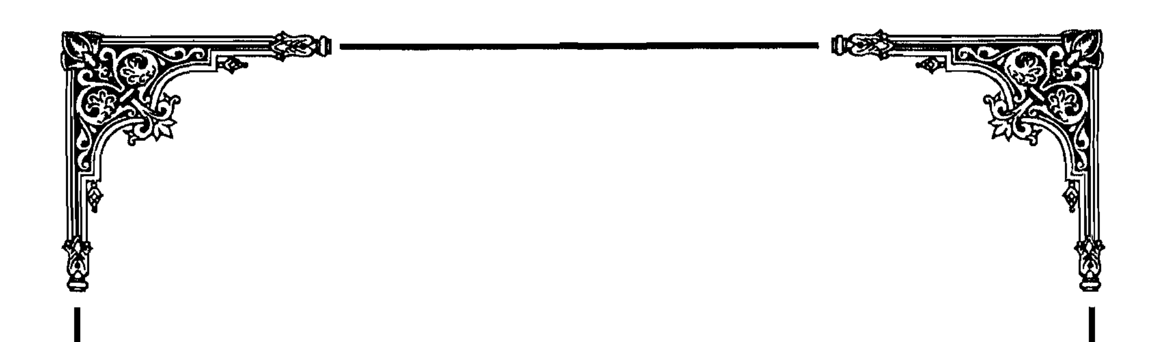
ومنها أنه تاب من عامة ما أنكروه عليه، وأنه ابتُلى ببلاء عظيم فكفَّر الله به خطاياه وصبر حتى قُتل شهيدًا مظلومًا، وهذا من أعظم ما يُكفَّر به الخطايا[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٧٤) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٣)، كتاب فضائل الصحابة.

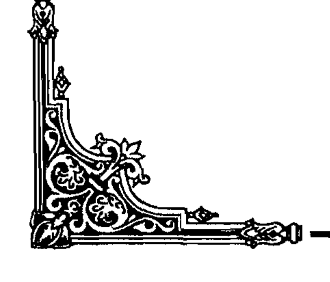
(٢) ذو النورين.. عثمان بن عفان / محمد مال الله، (ص٦٣).





دور ابن سبأ فى إشعال الفتنة

حصار ومقتل عثمان رضي الله عنه





مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

۞ لقد كانت هناك مقدمات سبقت هذا العمل الإجرامى الشنيع (مقتل عثمان رضي الله عنه).. وكانت تلك المقدمات تتمثل فى إشعال الفتنة.

فلقد نجح الحاقدون فى إزاحة الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة.. وعيَّن عثمان رضي الله عنه سعيد بن العاص واليًا جديدًا على الكوفة.. فلما وصل إلى الكوفة صعد على المنبر.

وبعدما حمد الله وأثنى عليه، قال: والله لقد بُعثت إليكم وإنى لكاره، ولكنى عندما أمرنى عثمان، لم أجد بُدًّا من التنفيذ، ألا وإن الفتنة قد أطلعت رأسها فيكم، والله لأضربنَّ وجهها، حتى أقمعها، أو تغلبنى وإنى رائد نفسى اليوم[1].

وبعد أن اطَّلع سعيد على أحوال الكوفة وأهلها أدرك أن الفتنة قد تعمقت جذورها فيها، وعلم أن هناك مجموعة من الخوارج والحاقدين وأعداء الإسلام يتآمرون من أجل إحداث فتنة كبيرة.

فكتب سعيد إلى أمير المؤمنين عثمان؛ ليخبره بالأوضاع المتردية فى الكوفة فأرسل إليه عثمان برسالة يطلب منه فيها إعادة أوضاع أهلها وتصنيفهم على أساس تقديم أهل العلم والصدق والجهاد، وأن يجعل الأعراب الذين نزلوا البلاد بعد فتحها تبعًا لأولئك السابقين المجاهدين.

وأن يحفظ لكل إنسانٍ منزلته ومكانته، وأن يحكم فيهم بالقسط والعدل.

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٨٠).

وقام سعيد بتنفيذ تلك الأوامر وأخبر الخليفة بذلك.

وهناك فى المدينة جمع عثمان أهل الحل والعقد، وأبلغهم بأوضاع الكوفة ورسوخ الفتنة فيها، وما فعله سعيد فيها من أجل وأد الفتنة... فقالوا: أصبت بما فعلت ولا تُسعف أهل الفتنة بشيء ولا تقدمهم على الناس، ولا تُطعهم فيما ليسوا له بأهل، فإنه إذا تولى الأمور مَن ليس أهلًا لها لم يقم بها بل يفسدها، ... فقال عثمان لهم: يا أهل المدينة، إن الناس قد تحركوا للفتنة، فاستعدوا لمواجهتها، واستمسكوا بالحق، وسوف أخبركم بأخبارها وأنقلها لكم أولًا بأول [1].

۞ تأذِّى الأعراب من الإصلاح:

وهنا تأذى الأجلاف من الأعراب فى الكوفة من تقديم أهل السابقة والعلم والجهاد فى الرئاسة والمجالس.. وأخذوا يعيبون على الولاة بأنهم قدموا هؤلاء عليهم.. فاستغلَّ الحاقدون هذا الأمر ليغرسوا فى نفوسهم كراهية الخليفة وواليه سعيد بن العاص ونشر الإشاعات ضده بين الناس.

فلما رفض عامة الناس هذا الكلام سكت هؤلاء الحاقدون وأصبحوا يُخفون أمرهم ولا يُظهرونه... ولكنهم كانوا يدسون الإشاعات والافتراءات سرًّا بين الناس لنشر الفوضى والانقلاب على الخليفة.

۞ والتفَّ حولهم الحاقدون ممن أدَّبهم أو حدَّهم أو عزَّرهم الخليفة أو أحد ولاته،.. ونظم هؤلاء الأعداء (جمعية سرية) خبيثة جعلوا أعضاءها هؤلاء الذين استجابوا لهم، وجعلوا لهم أتباعًا فى المدن الكبيرة والأقاليم العديدة، وكوَّنوا شبكة اتصالات سرية بينهم. وكانت أهم فروع جمعيتهم

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٢٨١).

الخبيثة في: الكوفة، والبصرة، ومصر، ولهم بعض العناصر فى المدينة المنورة والشام [1].

۞ ما الذى فعله عبد الله بن سبأ؟

وهنا استثمر عبد الله بن سبأ تلك الأحداث وأوصى أتباعه المجرمين فى تلك الجمعية السرية الخبيثة التى انتشرت فى بلاد المسلمين، فقال لهم: انهضوا فى هذا الأمر، فحركوه وابدؤوا بالطعن على أمرائكم وولاتكم الذين يعينهم الخليفة، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لتستميلوا الناس إليكم، وادعوهم إلى هذا الأمر [2]... وبثَّ عبد الله بن سبأ دُعاته فى الأمصار، وكاتب أتباعه الذين أفسدهم فى الأمصار وضمهم إليه وكاتبوه، وتحرك أتباعه فى البلدان بدعوتهم ودعوا مؤيديهم فى السر إلى ما هم عليه من الخروج على الولاة والخليفة، والعمل على عزل عثمان عن الخلافة.

۞ وأصبح أتباع ابن سبأ يؤلفون الافتراءات والأكاذيب عن عيوب الأمراء والولاة، وينشرونها فى كتب يرسلها بعضهم إلى بعض فى الأمصار حتى شاعت أخبار كاذبة وافتراءات كثيرة فى بلاد المسلمين عن الخليفة والأمراء فهيَّجوا الناس على الولاة والأمراء.. بل وعلى الخليفة نفسه... وكان الهدف من وراء ذلك عزل عثمان رضي الله عنه والقضاء على دولة الإسلام.

۞ ومما هو جديرٌ بالذكر أن عبد الله بن سبأ توجَّه إلى الشام ليُفسد بعض أهلها؛ لكنه لم ينجح فلقد كان له معاوية رضي الله عنه بالمرصاد.

---

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٢٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٨).

۞ فذهب ابن سبأ إلى البصرة ليُجند أتباعه من الحاقدين.. وكان والى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز.. وكان رجلًا عادلًا صالحًا.. فلما وصل ابن سبأ إلى البصرة نزل عند رجل خبيث وكان لصًّا وهو (حكيم بن جبلة).

۞ فلما علم عبد الله بن عامر أن رجلًا غريبًا نزل على حكيم بن جبلة(١) استدعاه، وقال له: ما أنت؟ قال ابن سبأ: أنا رجل من أهل الكتاب رغب فى الإسلام فأسلم، ورغب فى جوارك فأقام عندك... قال ابن عامر: ما هذا الكلام الذى يبلغنى عنك؟ اخرج عني... أخرجه ابن عامر من البصرة، فغادرها ابن سبأ بعد أن ترك فيها رجالًا وأتباعًا له، وجعل فيها فرعًا لحزبه السبئى اليهودي.

ذهب ابن سبأ إلى الكوفة فوجد فيها رجالًا من المنحرفين جاهزين لاستقباله، فجنَّدهم لجماعته وحزبه، ولما علم به سعيد بن العاص أخرجه من الكوفة، فتوجه إلى مصر، فأقام فيها وعشَّش فيها وباض، وفرَّخ فيها وأفسد، واستمال أُناسًا هناك من الرعاع والبلهاء، ومن الحاقدين والموتورين، ومن العصاة والمذنبين. وكان ابن سبأ يرتب الاتصالات السرية بين مقره فى مصر، وبين أتباعه فى المدينة والبصرة والكوفة، ويتحرك رجاله بين هذه البلدان(٢).

واستمرت جهود ابن سبأ وأعوانه حوالى ست سنوات، حيث بدأوا

---

(١) وكان حكيم بن جبلة لصًّا، وعندما كانت تعود جيوش الجهاد إلى البصرة، كان حكيم يتخلف عنها ليسعى فى أرض فارس فسادًا، ويغير على أرض أهل الذمة، ويعتدى على أرض المسلمين، ويأخذ منها ما يشاء، فشكاه أهل الذمة والمسلمون إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر، وقال له: احبس حكيم بن جبلة فى البصرة، ولا تتركه يخرج منها حتى تأنس منه رشدًا، فحبسه ابن عامر فى بيته، وكان لا يستطيع أن يخرج من البصرة.

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٢٩).

أعمالهم الشيطانية سنة ثلاثين، ونجحوا فى آخر سنة خمس وثلاثين فى قتل الخليفة عثمان، واستمر إفسادهم طيلة خلافة علىّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ... وقرر (السبئيون) أن تكون بداية الفتنة فى الكوفة[1].

۞ سعيد بن العاص يُخرج أهل الفتنة من الكوفة:

ونعود مرة أخرى إلى الكوفة حيث ذهب الحاقدون من الخوارج ينشرون الإشاعات ويُذيعون الافتراءات والأكاذيب ضد سعيد بن العاص (والى الكوفة) وضد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فاستاء أهل الكوفة منهم وطلبوا من سعيد أن يعاقبهم، فقال لهم سعيد: إن عثمان قد نهانى عن ذلك، فإذا أردتم ذلك فأخبروه، ... وكتب أشراف أهل الكوفة وصلحاؤهم إلى عثمان بشأن هؤلاء النفر، وطلبوا منه إخراجهم من الكوفة ونفيهم عنها، فهم مفسدون مخربون فيها، فأمر عثمان واليه سعيد بن العاص بإخراجهم من الكوفة، وكانوا بضعة عشر رجلًا، وأرسلهم سعيد إلى معاوية فى الشام بأمر عثمان.

وكتب عثمان إلى معاوية بشأن هؤلاء فقال له: إن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خُلقوا للفتنة، فَرُعْهم وأخفهم وأدبهم وأقم عليهم، فإن آنست منهم رُشدًا فاقبل منهم[2] ... ومن الذين تم نفيهم إلى الشام: الأشتر النخعي، وجندب الأزدي، وصعصعة بن صوحان، وكميل بن زياد، وعمير ابن ضابئ، وابن الكواء[3].

۞ محاولات معاوية بن أبى سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع أهل الفتنة:

لما قدموا على معاوية رحب بهم وأنزلهم كنيسة تُسمَّى مريم، وأجرى

---

(١) المصدر نفسه، (ص١٣٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٤).

(٣) الخلفاء الراشدون، (ص١٣١).

عليهم بأمر عثمان ما كان يُجرى عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدى ويتعشى معهم، فقال لهم يومًا: إنكم قوم من العرب لكم أسنان وألسنة وقد أدركتم بالإسلام شرفًا وغلبتم الأمم، وحويتم مراتبهم ومواريثهم، وقد بلغنى أنكم نقمتم قريشًا، وإن قريشًا لو لم تكن لعُدتم أذلة كما كنتم[١].

كان عثمان رضي الله عنه يدرك أن معاوية للمعضلة،... فله من فصاحته وبلاغته وله من حلمه وصبره، وله من ذكائه ودهائه ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إن تقع المعضلة حتى يرسلها لابن أبى سفيان كى يحلها،.. وفعلًا بذل معاوية رضي الله عنه ما بوسعه من أجل إقناع هؤلاء النفر؛ أكرمهم أولًا، وخالطهم وجالسهم وعرف سرائرهم من خلال هذه المجالسة قبل أن يحكم عليهم بما نقلوا عنهم، وبعد أن أزال الوحشة عنهم وأزال الكُلفة بينه وبينهم، لاحظ أن النعرة القِبَلية هى التى تحركهم، وأن شهوة الحكم والسلطة هى التى تثيرهم، فكان لا بد أن يلج عليهم من زاويتين اثنتين:

الأولى: أثر الإسلام فى عزة العرب.

الثانية: دور قريش فى نشر الإسلام وتحمُّل أعبائه.

فإن كان للإسلام أثر فى تكوينهم فلا بد أن يرعووا لهذا الحديث.

بعد هذا وضع أمامهم صورة لوضع العرب، وقد انقلبوا بالإسلام أمة واحدة تخضع لإمام واحد، وودعوا حياة الفوضى وسفك الدماء والقبلية المنتنة[٢].

۞ لقد جلس معهم معاوية رضي الله عنه جلسة طويلة وحاورهم حوارًا هادئًا

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٤).

(٢) معاوية بن أبى سفيان/ منير الغضبان، (ص١٠١).

محاولًا أن يُثنيهم عن أفكارهم الخبيثة وأن يُخرجوا الحقد من قلوبهم.. لكنهم لم يستجيبوا.. فتركهم ثم جلس معهم فى اليوم التالى جلسة طويلة أيضًا وقال لهم:

أيُّهَا القوم: رُدوا علىَّ خيرًا، أو اسكتوا وتفكروا، وانظروا فيما ينفعكم وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه تعيشوا ونعش بكم.

قال صعصعة: لست بأهل ذلك، ولا كرامة لك أن تُطاع فى معصية الله. قال معاوية: أَوَ ليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله، وطاعته وطاعة نبيه ﷺ، وأن تعتصموا بحبله جميعًا ولا تفرقوا؟! قالوا: بل أمرت بالفُرقة وخلاف ما جاء به النبى ﷺ،... قال: إنى آمركم الآن إن كنت فعلت فأتوب إلى الله وآمركم بتقواه وطاعته وطاعة نبيه ﷺ، ولزوم الجماعة وكراهة الفرقة، وأن توقروا أئمتكم، وتدلوهم على كل حسن ما قدرتم، وتعظوهم فى لينٍ ولُطفٍ فى شيء إن كان منهم. قال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن من المسلمين من هو أحق به منك. قال معاوية: من هو؟ قالوا: من كان أبوه أحسن قدمًا من أبيك، وهو بنفسه أحسن قدمًا منك فى الإسلام. قال معاوية: والله إن لى فى الإسلام قدمًا، ولغيرى كان أحسن قدمًا مني، ولكنه ليس فى زمانى أحد أقوى على ما أنا فيه مني، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطاب، فلو كان غيرى أقوى منى لم يكن لى عند عمر هوادة ولا لغيري، ولم أُحْدِث من الحدث ما ينبغى لى أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين وجماعة المسلمين لكتب بخط يده فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا هو

خير.. فمهلًا فإن فى ذلك وأشباهه ما يتمنى الشيطان ويأمر، ولعمرى لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم وأمانيكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يومًا ولا ليلة، ولكن الله يقضيها ويدبرها وهو بالغ أمره، فعاودوا الخير وقولوه. قالوا: لست لذلك أهلًا، قال معاوية: أما والله إن لله سطوات ونقمات، وإنى لخائف عليكم أن تتابعوا فى مطاوعة الشيطان حتى تُحلَّكم مطاوعةُ الشيطان ومعصيةُ الرحمن دار الهوان من نِقَم الله فى عاجل الأمر والخزى الدائم فى الآجل،... فوثبوا عليه فأخذوا بلحيته ورأسه فقال: مه، إن هذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشام ما صنعتم بى وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتى يقتلوكم، فلعمرى إن صنيعكم ليشبه بعضه بعضًا،... ثم قام من عندهم فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلًا ما بقيت[1].

هذه المحاولة الأخيرة التى بذل فيها معاوية أمير الشام كل جهده، واستعمل حلمه وثقافته وأعصابه كى يُثنيهم عن الفتنة.

۞ معاوية يكتب إلى عثمان رضي الله عنهما بشأن أهل الفتنة:

كتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما قائلًا: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان، أما بعد: يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إلـيَّ أقوامًا يتكلمون بألسنة الشياطين، وما يُملون عليهم، ويأتون الناس - زعموا- من قِبَل القرآن فيُشبِّهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فُرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رُقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيرًا من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٠، ٣٣١).

وسط أهل الشام أن يُغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم فى مصرهم الذى نجم فيه نفاقهم[١].

۞ عبد الرحمن بن خالد بن الوليد يؤدب أهل الفتنة:

عندما اشتكى معاوية حال أهل الفتنة إلى عثمان.. كتب عثمان إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردَّهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا،.. وكتب سعيد إلى عثمان يضج منهم، فكتب عثمان إلى سعيد أن سيِّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد -وكان أميرًا على حمص[٢]- فلما وصلوا إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد استدعاهم، وكلمهم كلامًا شديدًا، وكان مما قاله لهم: يا آلة الشيطان، لا مرحبًا بكم ولا أهلًا، لقد رجع الشيطان محسورًا خائبًا، وأنتم ما زلتم نشيطين فى الباطل!! خسَّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم ويخزكم، يا معشر من لا أدرى من أنتم: أعرب أم عجم، لن تقولوا لى كما كنتم تقولون لسعيد ومعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردة، والله لأُذلنكم ... وأقامهم عبد الرحمن بن خالد عنده شهرًا كاملًا، وعاملهم بمنتهى الحزم والشدة، ولم يَلِن معهم كما لان سعيد ومعاوية، وكان إذا مشى مشوا معه، وإذا ركب ركبوا معه وإذا غزا غزوا معه، وكان لا يدع مناسبة إلا ويذلهم فيها، وكان إذا قابل زعيمهم (صعصعة ابن صوحان) يقول له: يا ابن الخطيئة، هل تعلم أن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، وأن من لم يصلحه اللين أصلحته الشدة، وكان يقول لهم:

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣١).

لماذا لا تردون عليَّ كما كنتم تردون على سعيد فى الكوفة، وعلى معاوية بالشام؟ لماذا لا تخاطبونى كما كنتم تخاطبونهما؟

ونفع معهم أسلوب عبد الرحمن بن خالد، وأخرسهم حزمه وشدته وقسوته وأظهروا له التوبة والندم، وقالوا له: نتوب إلى الله ونستغفره، أقِلنا أقالك الله، وسامحنا سامحك الله ... وبقى القوم فى الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد ... وأرسل عبد الرحمن أحد زعمائهم -وهو الأشتر النخعي- إلى عثمان ليُخبره بتوبتهم وصلاحهم، وتراجُعهم عما كانوا عليه من الفتنة، فقال عثمان للأشتر: احلل أنت ومن معك حيث شئتم فقد عفوت عنكم. قال الأشتر: نريد أن نبقى عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وذكر له من فضل عبد الرحمن وحزمه، فأقاما عند عبد الرحمن فى الجزيرة مدة أظهروا فيها التوبة والاستقامة والصلاح[1]، وسكت أصحاب الفتنة فى الكوفة إلى حين، وكان هذا فى شهور سنة ثلاث وثلاثين، بعدما تم نفى رؤوس الفتنة إلى معاوية فى الشام، ثم عبد الرحمن بن خالد،... فرأى أصحاب الفتنة فى الكوفة أن المصلحة تقتضى أن يسكنوا إلى حين[2].

۞ حال أهل الفتنة بالبصرة:

أما أهل الفتنة بالبصرة بزعامة حكيم بن جبلة فقد كانوا ضد أهل الفضل فيها وتآمروا وكذبوا عليهم، ... وكان من أفضل وأتقى أهل البصرة (أشج عبد القيس) واسمه عامر بن عبد القيس، وكان زعيمًا لقومه، وقد وفد على رسول الله ﷺ وتعلم منه، ومدحه رسول الله بقوله: «**إن فيك**

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٢٧).

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٣٤).

خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»[1]. وكان عامر بن عبد القيس من قادة الجهاد فى القادسية وغيرها، وكان مقيمًا فى البصرة، وكان على قسط كبير من الصلاح والتقوى، فكذب الخارجون عليه، واتهموه بالباطل، فسيَّره عثمان إلى معاوية بالشام، ولما كلمه معاوية وعامله، وعرف براءته وصدقه، وكذب الخوارج وافتراءهم عليه، وكان الذى تولى الكذب على عامر بن عبد القيس هو (حمران بن أبان) وهو رجل عاصٍ بدون دين؛ حيث تزوج امرأة فى أثناء عدتها، ولما علم عثمان بذلك فرق بينهما، وضربه ونكل به لمعصيته، ونفاه إلى البصرة، وهناك التقى مع زعيم السبئيين فيها؛ اللص حكيم بن جبلة[2].

وتم تحديد ساعة الصفر للخروج على الخليفة:

وفى سنة أربعٍ وثلاثين - السنة الحادية عشرة من خلافة عثمان - أحكم عبد الله بن سبأ اليهودى خطته، ورسم مؤامراته ورتب مع جماعته السبئيين الخروج على الخليفة وولاته، فقد اتصل ابن سبأ اليهودى من وكر مؤامراته فى مصر بالشياطين من حزبه فى البصرة والكوفة والمدينة، واتفق معهم على تفاصيل الخروج، وكاتبهم وكاتبوه، وراسلهم وراسلوه، وكان ممن كاتبهم وراسلهم، السبئيون فى الكوفة، وقد كان بضعة عشر رجلًا منهم منفيين فى الشام، ثم فى الجزيرة عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وبعد نفى أولئك الخارجين كان زعيم السبئيين الحاقدين فى الكوفة يزيد بن قيس، وقد خلت الكوفة فى سنة أربعٍ وثلاثين من وجوهها وأشرافها، لأنهم توجهوا للجهاد

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧) كتاب الإيمان.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٣، ٣٣٤).

فى سبيل الله، ولم يبقَ إلا الرعاع والغوغاء، الذى أثر فيهم السبئيون والمنحرفون وشحنوهم بأفكارهم الخبيثة، وهيَّجوهم ضد والى عثمان على الكوفة سعيد بن العاص[١].

۞ كيف كان حال أهل الكوفة عندما تحرك أهل الفتنة:

وها هو الإمام الطبرى رَحِمَهُ اللَّهُ يحكى عن أوضاع الكوفة عند تحرُّك أهل الفتنة سنة أربعٍ وثلاثين فقال:

وفد سعيد بن العاص إلى عثمان فى سنة إحدى عشرة من إمارة عثمان، وقد بعث سعيد قبل خروج الأشعث بن قيس إلى أذربيجان، وسعيد بن قيس إلى الري، والنسير العجلى إلى همذان، والسائب بن الأقرع إلى أصبهان، ومالك بن حبيب إلى ماه، وحكيم بن سلامة إلى الموصل، وجرير بن عبد الله إلى قرقيسيا، وسلمان بن ربيعة إلى الباب، وعتيبة بن النَّهاس إلى حلوان، وجعل على الحرب القعقاع بن عمرو التميمي.

وكان نائبه بعد خروجه عمرو بن حريث، وبذلك خلت الكوفة من الوجوه والرؤساء، ولم يبقَ فيها إلا منزوع أو مفتون[٢]. وفى هذا الجو خرج زعيم السبئيين فى الكوفة (يزيد بن قيس) بعد اتفاق مع شيطانه ابن سبأ فى مصر، وخرج معه أهل الفتنة الذين انضموا إلى جمعية ابن سبأ السرية، والغوغاء الذين تأثروا بها[٣].

۞ القعقاع بن عمرو التميمى يقضى على التحرك الأول:

خرج يزيد بن قيس فى الكوفة، وهو يريد خلع عثمان، فدخل المسجد

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٣٥).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٧).

(٣) الخلفاء الراشدون، للخالدي (ص١٣٦).

وجلس فيه وتجمع عليه فى المسجد السبئيون الذين كان ابن السوداء يكاتبهم من مصر، ولما تجمع الخارجون فى المسجد، علم بأمرهم القعقاع ابن عمرو أمير الحرب، فألقى القبض عليهم، وأخذ زعيمهم يزيد بن قيس معه، ولما رأى يزيد شدة القعقاع ويقظته وبصيرته لم يجاهره بهدفهم وخطتهم فى الخروج على الخليفة عثمان وخلعه، وأظهر له أن كل ما يريده هو وجماعته عزل الوالى سعيد بن العاص، والمطالبة بوالٍ آخر مكانه، فاستُجيب لطلبهم ولذلك أطلق القعقاع سراح الجماعة لما سمع كلام يزيد، ثم قال ليزيد: لا تجلس لهذا الهدف فى المسجد ولا يجتمع عليك أحد واجلس فى بيتك، واطلب ما تريد من الخليفة وسيحقق لك ذلك[1].

۞ تعديل الخطة فى الخروج والفتنة:

فلما وجد (يزيد بن قيس) قوة وسيطرة (القعقاع بن عمرو) اضطر إلى تعديل وتغيير خطته من أجل الخروج والفتنة.. فاستأجر رجلًا وأعطاه دراهم وبغلًا وأمره أن يذهب بسرعة وكتمان إلى السبئيين من أهل الكوفة الذين نفاهم عثمان بن عفان إلى الشام ثم إلى الجزيرة، وهم مقيمون عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد هناك، وقد أظهروا له التوبة والندم.

وقال يزيد لإخوانه الشياطين فى كتابه: إذا وصلكم كتابى فلا تضعوه من أيديكم حتى تأتوا إليَّ، فقد راسلنا إخواننا فى مصر -وهم السبئيون هناك- واتفقنا معهم على الخروج... ولما قرأ الأشتر كتاب يزيد خرج فورًا للكوفة، ولحق به إخوانه الخارجون، وفقدهم عبد الرحمن بن خالد فلم يجدهم فأرسل جماعة فى طلبهم فلم يدركوهم، واتصل يزيد بن قيس بجماعته مرة

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٧).

ثانية، واتصل جماعته بالرعاع والغوغاء فى الكوفة، وتجمعوا فى المسجد، ودخل عليهم الأشتر النخعى فى المسجد وعمل على إثارتهم وتهييجهم ودفعهم للثورة والخروج، وكان مما قال لهم: لقد جئتكم من عند الخليفة عثمان، وتركت واليكم سعيد بن العاص عنده، وقد اتفق عثمان وسعيد على إنقاص عطائكم، وخفض أموالكم من مئتى درهم إلى مئة درهم.

وقد كذب الأشتر فيما قال، ولم يتحدث عثمان وسعيد بذلك، ولكنه كيد السبئيين فى نشر الأكاذيب والافتراءات لتهييج العامة، واستخف الأشتر بكلامه الناس فى المسجد، وأثَّر فى الرعاع والغوغاء وهيَّجهم، وكانت ضجة كبيرة فى المسجد، وصار يكلمه عقلاء المسلمين من وجوههم وأشرافهم وصالحيهم وأتقيائهم؛ كأبى موسى الأشعري، وعبد الله بن مسعود، والقعقاع بن عمرو، فلم يسمع لهم، ولم يستجب لهم. وصاح يزيد بن قيس فى الغوغاء والرعاع داخل المسجد وخارجه، وقال: إنى خارج إلى طرق المدينة لأمنع سعيد بن العاص من دخول الكوفة، ومن شاء أن يخرج معى لمنع سعيد من الدخول والمطالبة بوالٍ مكانه فليفعل، فاستجاب لندائه السبئيون والرعاع، وخرج معه حوالى ألف منهم[1].

وكان القعقاع بن عمرو فى ذلك الوقت يرى قتل قادة أهل الفتنة قبل أن تقضى على الأخضر واليابس.

۞ أهل الفتنة يمنعون سعيد بن العاص من دخول الكوفة:

سار يزيد بن قيس ومعه الأشتر النخعى بالألف من الخارجين إلى مكان على طريق المدينة يسمى (الجَرَعة)، وبينما كانوا معسكرين فى

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٨)، الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٣٨).

الجرعة، طلع عليهم سعيد بن العاص عائدًا من عند عثمان، فقالوا له: عُد من حيث أتيت ولا حاجة لنا بك، ونحن نمنعك من دخول الكوفة، وأَخبِر عثمان أننا لا نريد واليًا علينا، ونريد من عثمان أن يجعل أبا موسى الأشعرى واليًا مكانك، .... قال لهم سعيد: لماذا خرجتم ألفًا لتقولوا لى هذا الكلام؟ كان يكفيكم أن تبعثوا رجلًا إلى أمير المؤمنين بطلبكم، وأن تُوقفوا لى رجلًا فى الطريق ليخبرنى بذلك، وهل يخرج ألف رجل لهم عقول لمواجهة رجلٍ واحد[١]؟

رأى سعيد بن العاص أن من الحكمة عدم مواجهتهم، وعدم تأجيج نار الفتنة، بل محاولة إخمادها، أو تأجيل اشتعالها على الأقل،... وهذا رأى أبى موسى الأشعري، وعمرو بن حريث والقعقاع بن عمرو فى الكوفة[٢].

وعاد سعيد بن العاص إلى عثمان وأخبره خبر القوم الخوارج، قال له عثمان: ماذا يريدون؟ هل خلعوا يدًا من طاعة؟ وهل خرجوا على الخليفة وأعلنوا عدم طاعتهم له؟ قال له سعيد: لا .. لقد أظهروا أنهم لا يريدوننى واليًا عليهم، ويريدون واليًا آخر مكاني، قال له عثمان: مَن يريدون واليًا؟ قال سعيد بن العاص: يريدون أبا موسى الأشعري، قال عثمان: قد عيَّنا وأثبتنا أبا موسى واليًا عليهم،.. ووالله لن نجعل لأحدٍ عُذرًا، ولن نترك لأحدٍ حُجة، ولنصبرن عليهم كما هو مطلوبٌ منَّا، حتى نعرف حقيقة ما يريدون.

وكتب عثمان إلى أبى موسى بتعيينه واليًا على الكوفة[٣].

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٨).

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٠٤).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٩).

وقبل وصول كتاب عثمان بتعيين أبى موسى واليًا كان فى مسجد الكوفة بعض أصحاب رسول الله ﷺ، وقد حاولوا ضبط الأمور وتهدئة العامة، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك؛ لأن السبئيين والحاقدين سيطروا على الرعاع والغوغاء وهيجوهم، فلم يعودوا يسمعون صوت عقل أو منطق.

وكان فى مسجد الكوفة وقت التمرد والفتنة اثنان من أصحاب رسول الله ﷺ هما: حذيفة بن اليمان، وأبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدري، وكان أبو مسعود غاضبًا لتمرُّد وثورة الرعاع وخروجهم إلى الجرعة، وعزلهم الوالى سعيد، وعصيانهم له، وهى أول مرة تحصل... بينما كان حذيفة بعيد النظر، يتعامل مع الحدث بموضوعية وتفكير[١].

قال أبو مسعود لحذيفة: لن يعودوا من الجرعة سالمين، وسيرسل الخليفة جيشًا لتأديبهم، وستُسفك فيها دماء كثيرة، فردَّ عليه حذيفة قائلًا: والله سيعودون إلى الكوفة، ولن يكون هناك اشتباك أو حرب ولن تُسفَك هناك دماء، وما أعلم من هذه الفتن شيئًا، إلا وقد علمته من رسول الله ﷺ وهو حي؛ حيث أخبرنا عن هذه الفتن التى نراها اليوم قبل وفاته، ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن الرجل يصبح على الإسلام ثم يُمسى وليس معه من الإسلام شيء، ثم يقاتل المسلمين، فيرتد وينكص قلبه ويقتله الله غدًا، وسيكون هذا فيما بعد.[٢]

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه متخصصًا فى علم الفتن، وتعامل مع فتن السبئيين فى الكوفة وغيرها وفق ما سمعه وعلمه من رسول الله ﷺ،

(١) الخلفاء الراشدون، (ص١٤١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٢).

واستحضر ما حفظه من تلك الأحاديث ففهم حقيقة ما يجرى حوله، ولم يستبعده ولم يستغربه وحاول الإصلاح ما أمكنه[١].

۞ أبو موسى الأشعرى يهدئ الأمور وينهى عن العصيان:

قام أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه بتهدئة الأمور، ونهى الناس عن العصيان، وقال لهم: أيها الناس، لا تخرجوا فى مثل هذه المخالفة، ولا تعودوا لمثل هذا العصيان، الزموا جماعتكم والطاعة، وإياكم والعَجَلة، اصبروا فكأنكم بأمير.[٢] فقالوا: فصلِّ بنا، قال: لا، إلا على السمع والطاعة لعثمان بن عفان، قالوا: على السمع والطاعة لعثمان[٣].

وما كانوا صادقين فى ذلك، لكنهم كانوا يُخفون أهدافهم الحقيقية عن الآخرين، وكان أبو موسى يصلى بالناس إلى أن جاءه كتاب عثمان بتعيينه واليًا على الكوفة، ولما هدأت الأمور فى الكوفة إلى حين - فى سنة أربع وثلاثين - عاد حذيفة بن اليمان إلى أذربيجان والباب يقود جيوش الجهاد هناك، وعاد العمال والولاة إلى أعمالهم فى مناطق فارس[٤].

۞ كتاب عثمان إلى الخارجين فى الكوفة:

كتب عثمان بن عفان إلى الخارجين من أهل الكوفة كتابًا يبين فيه الحكمة من استجابته لطلبهم فى عزل سعيد وتعيين أبى موسى بدله، وهى رسالة ذات دلالات هامة، وتبين طريقة عثمان فى مواجهة هذه الفتن، ومحاولته تأجيل اشتعالها ما استطاع، مع علمه اليقينى أنها قادمة، وأنه

---

(١) حذيفة بن اليمان/ إبراهيم العلي، (ص٨٦)، الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٤١).

(٢) أي: يأتيكم من قِبَل أمير المؤمنين عثمان.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٣٩).

(٤) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٤٢).

عاجز عن مواجهتها، فهذا ما علمه من رسول الله ﷺ،... قال لهم عثمان فى رسالته: أما بعد، فقد أمَّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سعيد، والله لأفرشن لكم عِرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي، واسألونى كل ما أحببتم مما لا يُعصَى الله فيه، فسأعطيه لكم، ولا شيئًا كرهتموه لا يُعصَى الله فيه إلا استُعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم حتى لا يكون لكم عليَّ حجة،... وكتب بمثل ذلك فى الأمصار.(١)

رضى الله عن أمير المؤمنين عثمان،... ما أصلحه، وأوسع صدره، وكم ظلمه السبئيون والخارجون والحاقدون وكذبوا وافتروا عليه(٢).

سياسة عثمان رضي الله عنه فى التعامل مع الفتنة:

لقد انتهج عثمان رضي الله عنه بعض الأساليب فى التعامل مع هذه الفتنة من أجل أن يقضى عليها فى مهدها.

أولاً: أرسل لجان تفتيش لتستوثق من أخبار الفتنة:

فأرسل لجان تفتيش وتحقيق لتستوثق من أخبار الفتنة فى الأمصار وبخاصة بعدما جاءه محمد بن مسلمة وطلحة بن عُبيد الله وغيرهما ليخبروه بما سمعوا من الإشاعات التى بثَّها عبد الله بن سبأ فى الأمصار. فاستشارهم فأشاروا عليه أن يبعث رجالًا إلى الأمصار ليأتوه بالأخبار.

فاختار عثمان رضي الله عنه محمد بن مسلمة وأسامة بن زيد وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمر فأرسل محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٣).

(٢) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٤٣)- نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) د. على الصلابي.

وعمار إلى مصر، وابن عمر إلى الشام، وكانوا على رأس جماعة، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعًا إلى عملهم الشاق المضنى الخطير العظيم، ثم عادوا جميعًا عدا عمار بن ياسر الذى استبطأ فى مصر ثم عاد، وقدَّموا بين يدى أمير المؤمنين ما شاهدوه وسمعوه وسألوا الناس عنه.[1] وكان ما جاء به هؤلاء واحد فى كل الأمصار، وقالوا: أيها الناس، ما أنكرنا شيئًا، ولا أنكر المسلمون إلا أن أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم[2] وأما ما روى من اتهام عمار بن ياسر رضي الله عنه بالتأليب على عثمان رضي الله عنه فإن أسانيد الروايات التى تتضمن هذه التهمة ضعيفة، لا تخلو من علة، كما أن فى متونها نكارة[3].

رجع مفتشوا الأمصار، واتضح بأنه ليس هناك ما يوجب على الخليفة أن يعزل واحدًا من ولاته،... والناس فى عافية وعدل وخير ورحمة واطمئنان، وأمير المؤمنين يعدل فى القضية، ويقسم بالسوية، ويرعى حق الله وحق الرعية، وما يُثار هو شكوك وأراجيف وأكاذيب يبثها الحاقدون فى الظلمات لكى لا يُعرَف مصدرها،... ولكن الخليفة البار الراشد العظيم لم يكتفِ بهذا، بل كتب إلى أهل الأمصار.

ثانيًا: كتب إلى أهل الأمصار كتابًا شاملاً بمثابة إعلان عام لكل المسلمين:

أما بعد: فإنى آخذ العمال بموافاتى فى كل موسم، وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلا ُرفع علىَّ شيء ولا على أحد من عمالى إلا أعطيته، وليس لى ولعيالى حق قبل الرعية إلا

(١) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر (ص٢١٠).
(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٨).
(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١١٧).

متروك لهم، وقد رفع إلىَّ أهل المدينة أن أقوامًا يشتمون، وآخرون يضربون، فيا من ضُرب سرًّا، وشُتم سرًّا،... مَن ادَّعى شيئًا من ذلك فليُوافِ الموسم فليأخذ بحقه حيث كان، منى أو من عمالي، أو تصدقوا فإن الله يجزى المتصدقين،... فلما قُرئ فى الأمصار أبكى الناس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إن الأمة لتمخَّض بِشَرٍّ[1].

❁ **عثمان رضي الله عنه يستشير ولاة الأمصار:**

بعث عثمان رضي الله عنه إلى ولاة الأمصار واستدعاهم على عَجَل: عبد الله ابن عامر، ومعاوية ابن أبى سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم فى المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص -وهم من الولاة السابقين-، وكانت جلسة مغلقة وخطيرة.

❁ وأخذ عثمان رضي الله عنه يستمع إلى آرائهم.. ثم سأل عمرو بن العاص وقال له:

فما ترى يا عمرو؟ قال: أرى أنك قد لِنت لهم، وتراضيت عنهم، وزِدتهم عما كان يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشد فى موضع الشدة وتلين فى موضع اللين،... إن الشدة تنبغى لمن لا يألوا الناس شرًّا، واللين لمن يخلف الناس بالنصح، وقد فرشتهما جميعًا اللين.

لقد خالف عثمان رضي الله عنه رأى أخيه عمرو باتباع الشدة، ولم يخالفه فى اتباع سنة صاحبيه، فرحى الفتنة دائرة، ولا تُعالَج بالعنف؛ لأن العنف هو الذى يدير هذه الرحى، ولن يرضى أمير المؤمنين أن يكون صاحبها (فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها)، وكان واضحًا صريحًا رضي الله عنه فيما لا

(١) تاريخ الطبرى (١/ ٣٤٩).

هوادة فيه وهى حدود الله، فلا مداهنة فيها ... وما غير ذلك؛ فالرفق أولى والمغفرة أفضل، ولا بد من تأدية الحقوق كلها[١].

وقد جاءت روايات بسند فيه ضعيف ومجهولون تشوه العلاقة بين عمرو بن العاص وعثمان رضي الله عنهما، وساهمت روايات ساقطة فى مسخ صورة عمرو بن العاص رضي الله عنه، وتحويل علاقته بعثمان رضي الله عنه إلى علاقة فاتكٍ خطَّط لقتل أميره، ثم عاد بانتهازية ليطالب بدمه. وهذه الرواية ضعيفة ومرفوضة عند أهل التاريخ وأهل الحديث. وقد جاء فى رواية بسند فيها ضعفاء ومجهولون أيضًا بأن عمرو بن العاص قال: يا عثمان: إنك قد ركبت الناس بمثل بنى أمية فقلت وقالوا وزُغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزمًا وامضِ قُدُمًا[٢]. وجاء فى نفس الرواية أن عبد الله بن عامر قال: أرى لك أن تجمرهم فى هذه البعوث حتى يُهم كل رجل منهم قمل فروة رأسه ودبر دابته، وتشغلهم عن الإرجاف بك.

إن عثمان رضي الله عنه منع الولاة من التنكيل بمثيرى الشغب (حبسهم أو قتلهم)، وقرر أن يعاملهم بالحسنى واللين[٣] وطلب من عماله أن يعودوا إلى أعمالهم، وفق ما أعلنه لهم من أسلوب مواجهة الفتنة التى كان كل بصير يرى أنها قادمة[٤].

۞ عثمان يرفض اقتراحين لمعاوية رضي الله عنهما :

ومن الجدير بالذكر أن معاوية بن أبى سفيان قبل أن يعود مرة أخرى

---

(١) عمرو بن العاص.. الأمير المجاهد/ للغضبان، (ص٤٤٧).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٤٠).

(٣) خلافة عثمان/ د.السلمي، (ص٧٧).

(٤) الخلفاء الراشدون/ للخالدي، (ص١٥١).

إلى الشام ذهب إلى أمير المؤمنين عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قِبَل لك بها.

قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء ولو كان فيه قطع خيط عنقي. قال له معاوية: إذن أبعث لك جيشًا من أهل الشام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقعة ليدافع عنك وعن أهل المدينة، قال عثمان: لا، حتى لا أُقتِّر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجندٍ تساكنهم، ولا أضيق على أهل الهجرة والنصرة. قال له معاوية: يا أمير المؤمنين والله لتُغتالنَّ أو لتُغزينَّ، ... قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل[1].

۞ عثمان يرسل العيون ليأتوه بخبر القوم:

ولما وصل المتآمرون إلى المدينة، أرسل عثمان إليهم رجلين كانا قد عُوقبا من الخليفة حتى يطمئن المتآمرون إليهما.. وأمرهما أن يأتياه بخبر القوم... فلحقا بالمتآمرين وأخذا في محاورة القوم حتى عَلِما منهم تفاصيل المؤامرة الحقيرة التي يدبرها هؤلاء المتآمرون لخلع عثمان أو لقتله.. فلقد أخبروهما أنهم يريدون أن يذهبوا إلى عثمان ليذكروا له أشياء قد زرعوها في قلوب الناس ثم يعودون إلى الناس ليخبروهم أن عثمان لم يخرج من تلك الأشياء ولم يَتُب منها وأنهم سيخرجون كأنهم حُجَّاج حتى يأتوا إليه ويحيطوا به ليخلعوه فإن أَبَى قتلوه.

فعاد الرجلان إلى عثمان ليُخبراه بما سمعاه.. فضحك عثمان، وقال: اللهم سلِّم هؤلاء، فإنك إن لم تُسلمهم شقوا.

---

(١) تاريخ الطبري، (٥/ ٣٥٣).

فأرسل إلى الكوفيين والبصريين ونادى: الصلاة جامعة، وهم عنده فى أصل المنبر، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون من تأكيد الشبهات عليه تمهيدًا للخروج عليه وخلعه أو قتله، ... وقام الرجلان اللذان حادثا السبئيين، فشهدا بما أخبروهما به، فقال المسلمون جميعًا فى داخل المسجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين، لأنهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتفريق كلمة المسلمين.

ورفض عثمان رضي الله عنه دعوة الصحابة لقتلهم؛ لأنهم مسلمون فى الظاهر، من رعيته، ولا يرضى أن يُقال: عثمان يقتل مسلمين مخالفين له، ولذلك رَدَّ عثمان بن عفان على تلك الدعوة قائلًا: لا نقتلهم، بل نعفو ونصفح، ونُبصرهم بجهدنا، ولا نقتل أحدًا من المسلمين، إلا إذا ارتكب حدًّا يوجب القتل، أو أظهر رِدة وكفرًا[1].

۞ عثمان رضي الله عنه يقيم الحُجة على المتمردين:

ثم دعا عثمان القوم السبئيين إلى عرض ما عندهم من شُبهات وإظهار ما يرونه من أخطاء وتجاوزات ومخالفات وقع هو فيها، وكانت جلسة مصارحة ومكاشفة فى المسجد على مرأى ومسمع من الصحابة والمسلمين، فتكلم السبئيون وعرضوا الأخطاء التى ارتكبها عثمان - على حَدِّ زعمهم - وقام عثمان رضي الله عنه بالبيان والإيضاح وقدَّم حُججه وأدلته فيما فعل،... والمسلمون المُنصفون يسمعون هذه المصارحة والمحاسبة والمكاشفة، وأورد عثمان ما أخذوه عليه، ثم بيَّن حقيقة الأمر ودافع عن

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٤، ٣٥٥).

حسن فعله، وأشهد معه الصحابة الجالسين فى المسجد[1].

(١) قال: قالوا: إني أتممت الصلاة فى السفر، وما أتمها قبلى رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر، ... لقد أتممت الصلاة لما سافرت من المدينة إلى مكة، ومكة بلد فيها أهلى فأنا مقيم بين أهلى ولست مسافرًا، أكذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

(٢) وقالوا: إنى حميتُ حِمى، وضيَّقت على المسلمين، وجعلت أرضًا واسعة خاصة لرعى إبلي، ولقد كان الحِمى قبلى لإبل الصدقة والجهاد، حيث جعل الحمى كُلٌّ من رسول الله وأبو بكر وعمر، وأنا زِدت فيه لما كَثُرت إبل الصدقة والجهاد، ثم لم نمنع ماشية فقراء المسلمين من الرعى فى ذلك الحمى، وما حميت لماشيتي،... ولما وليت الخلافة كنت من أكثر المسلمين إبلًا وغنمًا، وقد أنفقتها كلها، وما لى الآن ثاغية ولا راغية، ولم يبقَ لى إلا بعيران، خصصتهما لحجِّي، أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

(٣) وقالوا: إنى أبقيت نسخة واحدة من المصاحف، وحرقت ما سواها، وجمعت الناس على مصحفٍ واحد، إلا إن القرآن كلام الله، من عند الله، وهو واحد، ولم أفعل سوى أن جمعت المسلمين على القرآن، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا فى فعلى هذا تابع لما فعله أبو بكر، لما جمع القرآن، أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

(٤) وقالوا: إنى رددت الحَكَم بن أبى العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ نفاه إلى الطائف،... إن الحكم بن العاص مَكِّي، وليس

---

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٥٤، ١٥٥).

مدنيًّا، وقد سيَّره رسول الله ﷺ من مكة إلى الطائف، وأعاده الرسول ﷺ إلى مكة بعدما رضى عنه، ...فالرسول ﷺ سيَّره إلى الطائف، وهو الذى رَدَّه وأعاده، أليس كذلك؟ فقال الصحابة: اللهم نعم.

(٥) وقالوا: إنى استعملت الأحداث ووليت الشباب صغار السن، ولم أُوَلِّ إلا رجلًا فاضلًا محتملًا مرضيًّا، وهؤلاء الناس أهل عملهم فسلوهم عنهم. ولقد ولى الذين من قبلى مَن هم أحدث منهم وأصغر منهم سنًّا، ولقد ولى رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وهو أصغر ممن وليته، وقالوا لرسول الله ﷺ أشد مما قالوا لي، أليس كذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم، إن هؤلاء الناس يعيبون للناس ما لا يفسرونه ولا يوضحونه.

(٦) وقالوا: إنى أعطيت عبد الله بن سعد بن أبى السرح ما أفاء الله به، وإنما أعطيته خُمس الخُمس -وكان مئة ألف- لما فتح أفريقية، جزاء جهده، وقد قلت له: إن فتح الله عليك أفريقية فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلًا، وقد فعلها قبلى أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك قال لى الجنود المجاهدون: إنا نكره أن تعطيه خمس الخمس ولا يحق لهم الاعتراض والرفض، فأخذت خمس الخمس من ابن سعد ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئًا، أليس كذلك؟ قال الصحابة: اللهم نعم.

(٧) وقالوا: إنى أحب أهل بيتى وأعطيهم،... فأما حبى لأهل بيتى فإنه لم يحملنى على أن أميل معهم إلى جَور وظلم الآخرين، بل أحمل الحقوق عليهم وآخذ الحق منهم، وأما إعطاؤهم فإنى أعطيهم من مالى الخاص، وليس من أموال المسلمين، لأنى لا أستحل أموال المسلمين، ولا لأحدٍ من الناس. ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغيبة من صُلب

مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضي الله عنهما، وأنا يومئذ شحيح حريص، أفحين أتيت على أسنان أهل بيتي، وفنى عمري، وجعلت مالى الذى لى لأهلى وأقاربي، قال الملحدون ما قالوا؟ وإنى والله ما أخذت من مصرٍ من أمصار المسلمين مالًا ولا فضلًا، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يُحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها فى أهلها، ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فِلْسًا فما فوقه، وإننى لا آكل إلا من مالي، ولا أعطى أهلى إلا من مالي.

(٨) وقالوا: إنى أعطيت الأرض المفتوحة لرجال معينين، وإن هذه الأرضين المفتوحة قد اشترك فى فتحها المهاجرون والأنصار وغيرهم من المجاهدين، ولما قسمت هذه الأراضى على المجاهدين الفاتحين، منهم من أقام بها واستقر فيها، ومنهم من رجع إلى أهله فى المدينة أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكًا له، وقد باع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها فى أيديهم.

۞ وبذلك أورد عثمان رضي الله عنه أهم الاعتراضات التى أُثيرت عليه، وتولى توضيحها، وبيان وجه الحق فيها[1].

وقد سمع كلامه وتوضيحه زعماء أهل الفتنة الذين بجانب المنبر، كما سمعه الصحابة الكرام ومن معهم من المسلمين الصالحين، وتأثر المسلمون بكلام عثمان وبيانه وتوضيحه وصدَّقوه فيما قال، وازدادوا له

(١) العواصم من القواصم، (ص٦١-١١١)، تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٥، ٣٥٦)، الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٥٨)، الفتنة، أحمد عرموش، (ص١٠-١٤).

حبًّا، وأما السبئيون دعاة الفتنة والفرقة، فلم يتأثروا بذلك ولم يتراجعوا؛ لأنهم لم يكونوا باحثين عن حق، ولا راغبين فى خير، إنما كان هدفهم الفتنة، والكيد للإسلام والمسلمين. وقد أشار الصحابة والمسلمون على عثمان بقتل أولئك السبئيين (زعماء الفتنة) بسبب ما ظهر من كذبهم وتزويرهم، وحقدهم ... بل أصروا عليه فى قتلهم، ليتخلص المسلمون من شرهم، وتستقر بلاد المسلمين ويُقضَى على الفتنة التى يثيرها هؤلاء وأتباعهم، ولكن عثمان كان له رأى آخر وتحليل مغاير، فآثر أن يتركهم، ورأى عدم قتلهم محاولة منه لتأخير وقوع الفتنة، ولم يتخذ عثمان ضد السبئيين القادمين من مصر والكوفة والبصرة أى إجراء مع علمه بما يخططون ويريدون، وتركهم يغادرون المدينة ويعودون إلى بلادهم[1].

۞ عثمان رضي الله عنه يستجيب لبعض مطالبهم:

عندما يتعامل الحاكم مع أُناسٍ يعارضونه من أجل الإصلاح فإن الأمور تكون سهلة ميسورة.. وذلك بأن ينظر إلى مطالبهم فما كان فى استطاعته وفيه مصلحة للبلاد والعباد فإنه يستجيب لتلك المطالب ... ويهدأ المعارضون حينئذٍ بعد أن تحققت مطالبهم ... أما إن كان يتعامل مع حاقدين متآمرين فإنه مهما استجاب لمطالبهم فلن يُثنيهم عن مكرهم وخداعهم وتآمرهم.

۞ فها هو عثمان رضي الله عنه يستجيب لبعض مطالبهم فى خلع بعض الولاة، وتولية مَن طلبوا توليته.. ومع ذلك ظلوا على حقدهم وتآمرهم وتدبيرهم للمكائد من أجل خلع أمير المؤمنين عثمان أو قتله.

---

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٥٨، ١٥٩) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) / د. على الصلابي.

ضوابط التعامل مع الفتن عند عثمان رضي الله عنه

إن المتأمل في هدى عثمان رضي الله عنه في تعامله مع الفتنة التي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضوابط التي تعين المسلم في مواجهته للفتن.

ومن هذه الضوابط:

(١) التثبُّت:

فقد أرسل لجان تفتيش للأمصار واستمع لأهلها، واستطاع أن يخترق جماعة السبئيين ويقف على حقيقة أمرهم، ولم يستعجل في إصداره للأحكام عليهم.

(٢) لزوم العدل والإنصاف:

فقد اتضح هذا الضابط في كتابه للأمصار، وطلب ممن ادعى أنه شُتم أو ضُرب من الولاة فليُوافِ الموسم فليأخذ بحقه حيث كان منه أو من عماله[١].

(٣) الحلم والأناة:

ويتضح هذا الضابط في كتابه لأهل الكوفة عندما طلبوا عزل سعيد بن العاص وتعيين أبا موسى الأشعري ... وقد جاء في هذا الكتاب: «.. والله لأفرشنكم عِرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولاستصلحنَّكم بجهدي، فلا تدعوا شيئًا أحببتموه لا يُعصَى الله فيه إلا سألتموه، ولا شيئًا كرهتموه لا يُعصَى الله فيه إلا استُعفيتم منه»[٢].

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٤٩).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٤٣).

(٤) الحرص على ما يُجمِّع، ونبذ ما يُفرق بين المسلمين:

ولذلك جمع الناس على مصحفٍ واحد كما مَرَّ معنا، وعندما عرض عليه الأشتر النخعي عروضًا ثلاثة -يأتي تفصيلها بإذن الله- قال عثمان: «... وإن قتلتموني فلم أرتكب ما يوجب قتلي، والله لئن قتلتموني فإنكم لا تتحابون بعدي أبدًا، ولا تُصلون جميعًا بعدي أبدًا، ولا تقاتلون العدو جميعًا بعدي».[1]

(٥) لزوم الصمت والحذر من كثرة الكلام:

من خلال سيرة عثمان ﷺ تتضح صفة قلة كلامه إلا فيما ينفع من علم أو نُصح أو توجيه أو رَدِّ اتهامات باطلة، ... وقد كان ﷺ كثير الصمت قليل الكلام.

(٦) استشارة العلماء الربانيين:

فقد كان ﷺ يستشير علماء الصحابة كعليٍّ، وطلحة، والزبير، ومحمد ابن مسلمة، وابن عمر، وعبد الله بن سلام ﷺ جميعًا، ... فالعلماء هم صمام الأمان، والملجأ في الخطوب المُدلهمة والفتن المظلمة؛ لأنهم أبصر الناس بحالها، وأعرفهم بمآلها، فمن التجأ إليهم وجد الفهم السليم والنظر الصحيح، والموقف الشرعي الواضح[2].

(٧) الاسترشاد بأحاديث رسول الله ﷺ في الفتن:

إن منهج عثمان ﷺ أثناء الفتنة ومسلكه مع المتمردين الذين خرجوا عليه لم تفرضه عليه مجريات الأحداث ولا ضغط الواقع؛ بل كان منهجًا

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٨٤).

(٢) أحداث وأحاديث فتنة الهرج (ص٧٢٨).

نابعًا من مشكاة النبوة؛ حيث أمره رسول الله ﷺ بالصبر والاحتساب وعدم القتال حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولًا، ... وقد وفَّى ذو النورين رضي الله عنه بوعده وعهده لرسول الله ﷺ طوال أيام خلافته حتى خرَّ شهيدًا مُضرجًا بدمائه الطاهرة الزكية[1].

۞ وجاء أهل الفتنة من الأمصار:

وبعد عودة أهل الفتنة إلى بلادهم عادوا مرة أخرى بعد أن تراسلوا فيما بينهم، واتفقوا على أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة (مصر والكوفة والبصرة) فى موسم الحج، وذلك بأن يغادروا بلادهم مع الحُجَّاج، وكأنهم ما خرجوا إلا لأداء مناسك الحج.. حتى لا يشك أحدٌ فى قصدهم ومرادهم.

فإذا وصلوا إلى المدينة تركوا الحُجَّاج يذهبون إلى مكة؛ لأداء مناسك الحج وتعللوا لهم بأنهم سيلحقوا بهم بعد يومٍ أو يومين... فإذا خرج الحُجاج من المدينة استغلوا فراغ المدينة من أكثر أهلها (الذين ذهبوا إلى الحج). وقاموا هم بمحاصرة أمير المؤمنين عثمان تمهيدًا لخلعه أو قتله.

وفى شوال سنة خمسٍ وثلاثين كان أهل الفتنة على مشارف المدينة[2] فقد خرج المتمردون من مصر فى أربع فرق لكل فرقة أمير، ولهؤلاء الأمراء أمير ومعهم شيطانهم عبد الله بن سبأ .... وأمراء الفرق الأربعة، هم: عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشير التَّجيبي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن فلان السَّكوني، وأمير هؤلاء الأمراء هو الغافقى

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، (ص١١٦).

(٢) المصدر السابق، (ص١٥٩).

ابن حرب العكي، وكان عدد الفرق الأربعة ألف رجل. وخرج المتمردون من الكوفة ألف رجل، في أربع فرق، وأُمراء فِرَقهم هم: زيد بن صوحان العبدي، والأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبد الله بن الأصم، وأمير متمردي الكوفة هو عمرو بن الأصم. وخرج متمردوا البصرة ألف رجل، في أربع فرق، وأمراء فرقهم، هم: حكيم بن جبلة العبدي، وذريح بن عبَّاد، وبشر بن شريح القيسي، وابن المحرِّش ابن عبد الحنقي، وأمير متمردي البصرة هو حُرقوص بن زهير السعدي. وكان عبد الله بن سبأ يسير مع هؤلاء مزهوًّا مسرورًا بنجاح خطته اليهودية الشيطانية، وكان أهل الفتنة من مصر يريدون على بن أبى طالب خليفة، وكان أهل الفتنة من الكوفة يريدون الزبير بن العوام خليفة، وكان أهل الفتنة من البصرة يريدون طلحة ابن عبيد الله[1]. وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصحابة رضوان الله عليهم وهو ما ذهب إليه الآجرى حيث قال: وقد برَّأ الله عز وجل على بن أبى طالب وطلحة والزبير رضي الله عنهم من هذه الفرق، وإنما أظهروا ليُموِّهوا على الناس وليوقعوا بين الصحابة، وقد أعاذ الله الكريم الصحابة من ذلك[2].

وبلغ خبر قدومهم عثمان رضي الله عنه قبل وصولهم، وكان فى قرية خارج المدينة فلما سمعوا بوجوده فيها، اتجهوا إليه فاستقبلهم فيها.. ولم تُصرح لنا الروايات باسم هذه القرية، ... ويحدد المدائنى تاريخ قدومهم بليلة الأربعاء هلال ذى القعدة[3] وكان أول من وصل المصريون، فقالوا

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٧).

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل/ خالد الغيث، (ص١٤٨).

(٣) فتنة مقتل عثمان/ د. محمد الغبان (١/ ١٢٧).

لعثمان: ادعُ بالمصحف فدعا به، فقالوا: افتح السابعة - وكانوا يسمون سورة يونس بالسابعة-فقرأ حتى أتى هذه الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[١].

فقالوا له: قف. أرأيت ما حميت من الحِمى؟ الله أذن لك أم على الله تفتري؟ فقال: امضه نزلت فى كذا وكذا، فأما الحمى فإن عمر حماه قبلى لإبل الصدقة، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت فى الحِمى لما زاد من إبل الصدقة. امضه، قال: فجعلوا يأخذونه بالآية، فيقول: امضه نزلت فى كذا فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطًا، وأخذ عليهم ألا يَشُقُّوا عصًا، ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ثم رجعوا راضين[٢].

۞ عثمان يرسل على بن أبى طالب ليتفاوض مع أهل الفتنة :

سبحان الله... إن الإنسان ليستطيع أن يُرضى كل أحدٍ على وجه الأرض، إلا الحاقد والحاسد فإنه لا يُرضيه أى شيء سوى أن يقضى على خصمه أو يُسقط خصمه.

فبعد كل ما فعله عثمان رضي الله عنه مع هؤلاء الحاقدين المتآمرين ما زالت قلوبهم تغلى حقدًا عليه.. فما كان من عثمان إلا أن أرسل إليهم على بن أبى طالب، ورجلًا آخر (لم يُذكر اسمه فى الروايات)... وكان القوم قد نزلوا فى ذى المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا..

والتقى بهم على رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك.[٣] وفى رواية أنهم شادُّوه، وشادَّهم مرتين أو

(١) سورة يونس: الآية: (٥٩).

(٢) المصدر نفسه (١/ ١٢٨) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان).

(٣) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، (ص٣٢٨)، تاريخ خليفة، (ص١٦٩، ١٧٠).

ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله ﷺ ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله .. فقبلوا، فاصطلحوا على خمس: على أن المنفى يُقبل، والمحروم يُعطَى، ويُوفَّر الفيء، ويُعدَل فى القَسْم، ويُستعمل ذو الأمانة والقوة،....

وكتبوا ذلك فى كتاب، وأن يُرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة.

وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حده ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[1].

الكتاب المزعوم... والمؤامرة الدنيئة

فإنه بعد أن أقام عثمان على المتآمرين الحُجج الدامغة.. وبعد أن تم الصلح بينه وبينهم ظنَّ عثمان أن هؤلاء المتآمرين الذين عفا عنهم، سيعودون إلى بلادهم بعدما أخذ عليهم العهد والميثاق، ألا يرجعوا مرة أخرى وألا يشقوا عصا المسلمين.

۞ ولكن هؤلاء القوم ما خرجوا أبدًا ابتغاء مرضاة الله ولا طالبين للحق أبدًا، وإنما أخرجهم الحقد الأعمى الذى يغلى فى قلوبهم.

۞ فبعد هذا الصلح وعودتهم فى الطريق إلى ديارهم تبين لهم أن خطتهم قد فشلت وأنهم لم ينفذوا خطتهم الشيطانية.

۞ ولذلك خططوا خطة شيطانية أخرى ودبروا مكيدة يعجز إبليس عن أن يأتى بمثلها.

۞ فبعد أن سار أهل الفتنة إلى بلادهم.. ففريق منهم عاد إلى مصر.. وفريق عاد إلى الكوفة وفريق عاد إلى البصرة.

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).

ولكنهم كانوا قد اتفقوا وهم بالمدينة على أن يرسلوا ثلاثة من الرجال ليلحق كل رجلٍ منهم بفريقٍ منهم ويخبرهم بأنَّ عثمان قد أرسل كتابًا لعامله فى مصر (عبد الله بن سعد بن أبى السرح) يأمره فى ذلك الكتاب بقتل المتمردين من مصر وبصلبهم،.... وكانوا قد زوَّروا هذا الكتاب، ولم يكن عثمان قد أمر بقتلهم ولا أرسل أى كتاب.. فهو الذى نهى أصحابه عن قتلهم فكيف يأمر بقتلهم بعد أن تصالح معهم.

۞ أضف إلى ذلك: أنه كيف يرسل عثمان إلى عبد الله بن سعد بن أبى السرح يأمره بقتل المصريين المتآمرين القادمين عليه من المدينة؟.. وقد أرسل له عبد الله بن سعد بن أبى السرح يستأذنه فى القدوم إلى المدينة، فأذن له عثمان - يعني: أن الوالى ليس موجودًا فى مصر -.

۞ بل إن هؤلاء المجرمين كتبوا كُتبًا أخرى نسبوها لبعض الصحابة وأمهات المؤمنين يتهمونهم بأنهم يحرضون الناس على قتل عثمان.

۞ ومن أجل ذلك عادوا مرة أخرى فى وقتٍ واحدٍ على الرغم من اختلاف وجهتهم.. فهؤلاء اتجهوا إلى مصر.. وهؤلاء اتجهوا إلى الكوفة.. وهؤلاء اتجهوا إلى البصرة.. ولكنهم عادوا فى نفس الوقت ليحاصروا المدينة وليقتلوا عثمان رضي الله عنه.

۞ **وتعالوا بنا لنعرف تفاصيل هذا الحدث:**

فبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين تبيَّن لمُشعلى الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لذا خططوا تخطيطًا آخر يُذْكِي الفتنة ويُحييها ... يقتضى تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار وعثمان رضي الله عنه ، وبرز ذلك فيما يأتي:

فى أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم -يُظهر أنه هارب منهم- فكأنه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان ﷺ وعليه خاتمه إلى عامله، ففتحوا الكتاب فإذا فيه أمرٌ بصلبهم أو قتلهم، أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[(١)]. ونفى عثمان ﷺ أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذى لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمللت، ولا علمت،... وقد يُكتَب الكتاب على لسان الرجل ويُنقَش الخاتم، فلم يصدقوه[(٢)].

وهذا الكتاب الذى زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان، وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر سعد بن أبى السرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان، وذلك لعدة أمور:

(١) إن حامل الكتاب المزور قد تعرض لهؤلاء المصريين ثم فارقهم، وكرر ذلك مرارًا، وهو لم يفعل ذلك إلا ليُلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، وكأنه يقول لهم: معى شيء هام بشأنكم. وإلا فلو كان من عثمان لخافهم حامل الكتاب المزعوم، ولأبعد عنهم وأسرع إلى والى مصر ليضع بين يديه الأمر فينفذه.

(٢) كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩).

(٢) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).

المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة؛ فالعراقيون فى الشرق والمصريون فى الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا فى آنٍ واحد كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يُعقَل هذا إلا إذا كان الذين زوَّروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور فى (البُوَيب) أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث به عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به على بن أبى طالب رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا ... بل إن عليًّا يجزم: هذا والله أمرٌ أُبرم بالمدينة(١).

(٣) كيف يكتب عثمان إلى ابن أبى السرح بقتل هؤلاء وابن أبى السرح كان عقب خروج المتمردين من مصر متجهين إلى المدينة كتب إلى الخليفة يستأذنه بالقدوم عليه، وقد تغلب على مصر محمد بن أبى حذيفة، وفعلًا خرج ابن أبى السرح من مصر إلى العريش وفلسطين فالعقبة، فكيف يكتب له عثمان بقتلهم وعنده كتابه الذى يستأذنه به منه بالقدوم عليه؟

(٤) إن عثمان رضي الله عنه قد نهى عن قتل المتمردين عندما حاصروه وأبى على الصحابة أن يدافعوا عنه، ولم يأمر بقتال الخارجين دفاعًا عن نفسه، كما سيأتى تفصيله إن شاء الله، فكيف يكتب مثل هذا الكتاب المُزوَّر وقد خرجوا عنه من المدينة مُظهرين التوبة والإنابة.

(٥) تخلُّف حُكيم بن جبلة والأشتر النخعى -بعد خروج المتمردين- فى المدينة يشير إشارة واضحة إلى أنهما هما اللذان افتعلا الكتاب، إذ لم

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٥٩).

يكن لهما أى عمل بالمدينة ليتخلفا فيها، وما مكثا إلا لمثل هذا الغرض، فهما صاحبا المصلحة فى ذلك.[١] وربما كان ذلك بتوجيه من عبد الله بن سبأ ولم يكن لعثمان ﵁ فى ذلك أية مصلحة، وكذلك ليس لمروان بن الحكم أية مصلحة، ... والذين يتهمون مروان فى هذا إنما ينسبون إلى الخليفة الغفلة عن مهامه، وأن فى ديوان الخلافة من يُجرى الأمور ويقضى بها دون علمه...وبذلك يُبرئون ساحة أولئك المجرمين الناقمين الغادرين.

ثم لو أن مروان زوَّر الكتاب لكان أوصى حامل ذلك الكتاب أن يبتعد عن أولئك المنحرفين، ولا يتعرض لهم فى الطريق حتى يأخذوه وإلا لكان متآمرًا معهم على عثمان، وهذا مُحال.

(٦) إن هذا الكتاب المشئوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كُتبًا على لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علىّ وطلحة والزبير .... فهذه عائشة ﵂ تُتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفى وتقول: لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا[٢].

ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبرى وخليفة من استنكار كبار الصحابة -علىّ وعائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب فى أصح الروايات[٣].

إن الأيدى المجرمة التى زوَّرت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هى نفسها التى أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهى التى زوَّرت وروَّجت على عثمان تلك

(١) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر (ص٢٧٧).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة، (١/ ٣٣٤).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).

الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قَبِلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدًا. ولم يكن عثمان الشهيد هو المجنى عليه وحده فى هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًّا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المُشوَّه المُحرَّف والأجيال الإسلامية التى تلقَّت تاريخها مشوهًا هى كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، ... أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب فى هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء، قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره؟!.[1]

منع عثمان من الخروج إلى الصلاة

وبدأ حصار هؤلاء المجرمين يشتد حول بيت عثمان رضي الله عنه، وكان عثمان قبل أن يشتد الحصار عليه يستطيع أن يخرج ليصلى الصلوات الخمس فى المسجد فى جماعة.. ولكن بدأ الحصار يشتد شيئًا فشيئًا حتى منعه المتمردون المجرمون من الخروج من داره حتى إلى صلاة الفريضة فكان يصلى بالناس رجل من المحاصِرين من أئمة الفتنة، حتى إن عبيد الله ابن عدى بن الخيار تحرَّج من الصلاة خلفه، فاستشار عثمان فى ذلك، فأشار عليه بأن يصلى خلفه، وقال له: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسِن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[2].

(١) عثمان بن عفان.. الخليفة الشاكر الصابر، (ص٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري، كتاب الصلاة، رقم (١٩٢).

وفى بعض الروايات الضعيفة أن الذى كان يصلى بالناس هو أميرهم الغافقي[١]... ولا صحة لما روى الواقدى من أن عليًّا رضي الله عنه أمر أبا أيوب الأنصارى أن يصلى بالناس فصلى بهم أول الحصر، ثم صلى عليٌّ رضي الله عنه بهم العيد وما بعده[٢]... وإضافة إلى شدة ضعف إسناد هذه الرواية، فلو كان الذى يصلى بالناس هو عليٌّ، أو أبو أيوب رضي الله عنهما لما تحرَّج عبيد الله بن عدى بن الخيار من الصلاة خلفهما[٣].

وها هم يُخيرونه بين الخلع أو القتل

۞ وبعد أن اشتد الحصار بدأ هؤلاء المجرون يخيرون أمير المؤمنين عثمان بن عفان بين أن يخلع نفسه أو أن يُقتل.

فرفض عثمان أن يخلع نفسه، وقال: لا أخلع سربالًا سربلينه الله ... يشير بذلك إلى ما أوصاه به رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال له صلى الله عليه وسلم:

«يَا عُثْمَانَ، إِنَّ اللهَ مُقَمِّصَكَ قَمِيصًا فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعْهُ حَتَّى تَلْقَانِي»[٤].

يقول النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لعثمان ثلاث مرات.

وفى رواية: **« يَا عُثْمَانَ، إِنَّكَ مَقْتُولٌ مُسْتَشْهِدٌ فَاصْبِرْ صَبَّرَكَ اللهُ؛ وَلا تَخْلَعَنَّ قَمِيصًا قَمَّصَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ »** يعني: الخلافة.

---

(١) فتنة مقتل عثمان، (١/ ١٤٥)

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٤).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٤٥).

(٤) صحيح: رواه أحمد ، والترمذي، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٤٧).

وعن عائشة أن النبى ﷺ قال يومًا وهو يجلس فى بيت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

«ادْعُوا لِي بَعضَ أَصْحَابِي»، قُلْتُ: أَبُو بَكْرٍ؟ قَالَ: «لا». قُلْتُ: عُمَرُ؟ قَالَ: «لا». قُلْتُ: ابْنُ عَمِّكَ عَلِيٌّ؟ قَالَ: «لا». قَالَتْ: قُلْتُ: عُثْمَانُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ: «تَنَحِّي». فَجَعَلَ يُسَارُّهُ، وَلَوْنُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الدَّارِ وَحُصِرَ فِيهَا، قُلْنَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا تُقَاتِلُ؟ قَالَ: لَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، وَإِنِّي صَابِرٌ نَفْسِي عَلَيْهِ[1].

بينما كان قلة من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يرون خلاف ما ذهب إليه وأشار عليه بعضهم بأن يخلع نفسه ليعصم دمه، ومن هؤلاء المغيرة بن الأخنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لكنه رفض ذلك[2].

ابن عمر يطلب من عثمان ألا يتنازل عن الخلافة

دخل ابن عمر على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أثناء حصاره، فقال له عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: انظر إلى ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إذا خلعتها أمُخلَّدٌ أنت فى الدنيا؟ فقال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا،... قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو نارًا؟ قال: لا، قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصًا قمَّصكه الله فتكون سُنة كلما كَرِه قومٌ خليفتهم أو إمامهم قتلوه[3].

رضى الله عن عبد الله بن عمر، ... ما كان أبعد نظره، إنه لا يريد أن يَسُنَّ عثمان سنة سيئة للخلفاء، وحاشا لعثمان أن يفعل،... فلو تنازل عثمان

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى المشكاة (٦٠٧٠).

(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٤٧).

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٤٧٣)، إسناده صحيح.

لهؤلاء الخوارج السبئيين وخلع نفسه، لصار الخلفاء أُلعوبة ومَلهاة بأيدى الطامعين أو المغرضين، وبذلك تهتز صورة الخليفة، وتزول هيبته عند الناس، ... ولقد سَنَّ عثمان سُنة حسنة لمن بعده بمشورة ابن عمر وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث صبر واحتسب فلم يتنازل عن الخلافة ولم يسفك دماء المسلمين[١]".

عثمان يسمع المتمردين وهم يتواعدون على قتله

وبينما كان عثمان رضي الله عنه فى داره، والقوم أمام الدار محاصروها دخل ذات يوم مدخل الدار، فسمع توعُّد المحاصرين له بالقتل، فخرج من المدخل ودخل على مَن معه فى الدار ولونه ممتقع، فقال: إنهم ليتوعدوننى بالقتل آنفًا، فقالوا له: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، فقال: ولِمَ يقتلوننى وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا يحل دم امرئٍ مسلم إلا فى إحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس**»؟ فوالله ما زنيت فى جاهلية ولا فى إسلام قط، ولا تمنيت أن لى بدينى بدلًا منذ هدانى الله، ولا قتلت نفسًا، ففيم يقتلونني؟![٢] ثم أشرف على المحاصرين وحاول تهدئة ثورتهم عن خروجهم على إمامهم، مُضمِّنًا كلامه الرد على ما عابوه به، وكشف الحقائق التى لبَّسها القوم، عسى أن يفيق المغرور بهم ويعودوا إلى رشدهم، فطلب من المحاصرين أن يُخرجوا له رجلًا يكلمه، فأخرجوا له شابًّا يقال له: صعصعة بن صوحان،

---

(١) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٧٩).

(٢) المسند (١/ ٦٣)، وقال أحمد شاكر (٤٥٢): إسناده صحيح - وأصله فى الصحيحين دون القصة.

فطلب عثمان ﷺ أن يبين له ما نقموه عليه(١).

فأخذ صعصعة يتكلم ويستدل ببعض الآيات القرآنية بلا فهم فما كان من عثمان إلا أن أخذ يوضح له الفهم الصحيح لتلك الآيات.. وأنها له وليست عليه.. إلى أن أقام عليه الحُجة.

عثمان ﷺ يُطل على المحاصرين ويُذكرهم بفضائله

ويُطل عثمان يومًا من داره على المحاصرين يخطبهم ويُذكرهم بمواقفه ويقول: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على جبل أُحد ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فقال ﷺ: «**اثبت أُحد فما عليك إلا نبى وصديق وشهيدان**»(٢) قالوا: اللهم نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لى ورب الكعبة أنى شهيد.

ثم قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم فقال: «**من يجهز هؤلاء غفر الله له**» يعنى: جيش العسرة، فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالًا ولا خطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد».

ثم قال: «أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبى ﷺ: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر رومة (البئر) فله الجنة**» فحفرتُها؟ ألستُم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**» فجهزته؟ قال: فصدَّقوه بما قال(٣).

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٥٠).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٣٦٧٥) كتاب المناقب.

(٣) الخلفاء الراشدون (ص ٥٧ - ٦٠) بتصرف.

وعن أبى ثور الفهمى يقول: قَدِمت على عثمان، فبينا أنا عنده فخرجت فإذا بوفد أهل مصر قد رجعوا، فدخلت على عثمان فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم؟ فقلت: رأيت فى وجوههم الشر، وعليهم ابن عُديس البلوي، فصعد ابن عُديس منبر رسول الله ﷺ فصلى بهم الجمعة، وتَنَقَّص عثمان فى خطبته، فدخلت على عثمان فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس، ولولا ما ذكر ما ذكرت، ... إنى رابع أربعة فى الإسلام، ولقد أنكحنى رسول الله ﷺ ابنته، ثم توفيت فأنكحنى ابنته الأخرى، ولا زنيت ولا سرقت فى جاهلية ولا إسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمت، ولا مسست فرجى بيمينى منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله ﷺ ولا أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبة منذ أسلمت إلا أن لا أجدها فى تلك الجمعة، فأجمعها فى الجمعة الثانية[1].

كلمات تُبكى الدماء بدل الدموع

۞ ومع تلك الكلمات التى تُبكى الدماء بدل الدموع ما زال هؤلاء السبئيون المجرمون مُصرِّين على قتل هذا الخليفة المؤمن (عثمان).

ولما رأى عثمان رضي الله عنه إصرار المتمردين على قتله حذرهم من ذلك ومن مغبته فاطَّلع عليهم من كوة[2] وقال لهم: أيها الناس، لا تقتلونى واستعتبوني، فوالله لئن قتلتمونى لا تقاتلوا جميعًا أبدًا، ولا تجاهدوا عدوًّا أبدًا، لتختلفن حتى تصيروا هكذا، وشبَّك بين أصابعه.[3]

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٨٨)، خلافة عثمان بن عفان / للسلمي (ص٩١).

(٢) الكوة: الخرق فى الحائط.

(٣) الطبقات (٣/ ٧١)، تاريخ ابن خياط، (ص١٧١)، إسناده صحيح.

وفى رواية أنه قال: أيها الناس، لا تقتلوني، فإنى والٍ وأخ مسلم، فوالله إن أردتُ إلا الإصلاح ما استطعت، أصبت أو أخطأت، وإنكم إن تقتلونى لا تُصلّوا جميعًا أبدًا، ولا تغزوا جميعًا أبدًا، ولا يقسم فيئكم بينكم[(١)].

وقال أيضا: فوالله لئن قتلونى لا يحابُّون بعدى أبدًا، ولا يقاتلون بعدى أبدًا[(٢)].

وقد تحقق ما حذرهم منه؛ فبعد قتله وقع كل ما قاله ﷺ، وفى ذلك يقول الحسن البصري: فوالله إن صلى القوم جميعًا إن قلوبهم لمختلفة.[(٣)]

صور من دفاع الصحابة عن عثمان ﷺ.. ورفضه لذلك

۞ وفى ظل تلك الحالة؛ البئيسة التى تسبب فيها هؤلاء السبئيون المتطرفون.. أرسل أمير المؤمنين عثمان ﷺ إلى أصحاب الرسول ﷺ ليتشاور معهم فى تلك الأحداث المؤسفة فكانت مواقف الصحابة كالآتي:

۞ على بن أبى طالب ﷺ :

فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله ﷺ أن عليًا أرسل إلى عثمان فقال: إن معى خمسمائة دارع، فأذن لى فأمنعك من القوم، فإنك لم تُحدث شيئًا يُستحل به دمك، فقال: جُزيت خيرًا، ما أحب أن يُهراق دمٌ فى سببي[(٤)].

---

(١) الطبقات (٣/ ٦٧، ٦٨) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٥٦).

(٢) تاريخ ابن خياط (ص١٧١)- فتنة مقتل عثمان، (١/ ١٥٧) إسناده حسن.

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٥٧).

(٤) تاريخ دمشق، (ص٤٠٣).

۞ الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنهما :

وجاء الحسن بن على رضي الله عنهما ، وقال له: اخترط سيفي؟ قال لـه: لا أبـرأ[١] الله إذًا مِنْ دمك، ولكن ثم[٢] سيفك، وارجع إلى أبيك[٣].

۞ الزبير بن العوام رضي الله عنه :

عن أبى حبيبة[٤] قال: بعثنى الزبير إلى عثمان وهو مُحاصَر فدخلت عليه فى يومٍ صائف وهو على كرسي، وعنده الحسن بن علي، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فقلت: بعثنى إليك الزبير بن العوام وهو يُقرئك السلام ويقول لك: إنى على طاعتى لم أُبدِّل ولم أنكث، فإن شئت دخلت الدار معك، وكنت رجلًا من القوم، وإن شئت أقمت، فإن بنى عمرو بن عوف وعدونى أن يصبحوا على بابي، ثم يمضون على ما آمرهم به،.. فلما سمع - يعنى عثمان - الرسالة قال: الله أكبر، الحمد لله الذى عصم أخي، أقرئه السلام، ثم قل له: أحبّ إليَّ، وعسى الله أن يدفع بك عني، فلما قرأ الرسالة أبو هريرة قام فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناى من رسول الله ﷺ؟ قالوا: بلى، قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تكون بعدى فتن وأمور**»، فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟ قال: «**إلى الأمين وحزبه**»، وأشار إلى عثمان بن عفان، فقام الناس فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فأذن لنا فى الجهاد؟ فقال: (أعزم على من كانت لى عليه طاعة ألا يقاتل)[٥].

---

(١) هكذا فى الأصل، ولعلها (أبرأ إلى الله).

(٢) هكذا فى الأصل، والثم هو: إصلاح الشيء وإحكامه، لسان العرب (١٢/ ٧٩)، ويُحتمل أن تكون مُصحفة من شم - والشم هو: إعادة السيف إلى غمده.

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٢)، المصنف لابن أبى شيبة (١٥٢/ ٢٢٤).

(٤) هو أبو حبيبة مولى الزبير بن العوام، روى عن الزبير، وسمع أبا هريرة وعثمان محصور.

(٥) فضائل الصحابة (١/ ٥١١، ٥١٢) إسناده صحيح.

۞ عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

عزم الصحابة رضي الله عنهم على الدفاع عن عثمان، ودخل بعضهم الدار، ولكن عثمان رضي الله عنه عزم عليهم بشدة، وشدد عليهم فى الكَفِّ عن القتال دفاعًا عنه، مما حال بين رغبتهم الصادقة فى الدفاع عنه وبين تحقيقها.

وكان من ضمن أولئك عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فقد قال لعثمان رضي الله عنه: قاتلهم، فوالله لقد أحل الله لك قتالهم، فقال عثمان: لا والله، لا أقاتلهم أبدًا.

وفى رواية: يا أمير المؤمنين، إنَّا معك فى الدار عصابة مستبصرة ينصر الله بأقل منها فأذن لنا، فقال عثمان رضي الله عنه: أنشد الله رجلًا أهراق فيَّ دمه.. ثم أمَّره على الدار، وقال: من كانت لى عليه طاعة فليُطع عبد الله بن الزبير[1].

۞ أبو هريرة رضي الله عنه :

دخل الدار على عثمان يقول: يا أمير المؤمنين، طاب المضرب، فقال له: يا أبا هريرة أيسرك أن تقتل الناس جميعًا وإياي؟ قال: لا، قال: فإنك والله إن قتلت رجلًا واحدًا فكأنما قُتِل الناس جميعًا، فرجع ولم يقاتل.

وفى رواية: أن أبا هريرة كان متقلدًا سيفه حتى نهاه عثمان[2].

۞ كعب بن مالك، وزيد بن ثابت الأنصاريان رضي الله عنهما :

حَثَّ كعب بن مالك رضي الله عنه الأنصار على نُصرة عثمان رضي الله عنه وقال لهم: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله مرتين، فجاءت الأنصار عثمان ووقفوا ببابه، ودخل زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، إن شئت

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٠)، إسناده صحيح.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط (ص١٦٤).

كنا أنصار الله مرتين.[1] فرفض القتال وقال: لا حاجة لى فى ذلك، كُفُّوا[2].

۞ **عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :**

ولما رأى الصحابة أن الأمر استفحل، وأن السيل بلغ الزُّبَى[3] عزم بعضهم على الدفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدار مستعدًّا للقتال، ... فقد كان ابن عمر معه فى الدار، متقلدًا سيفه لابسًا درعه ليقاتل دفاعًا عن عثمان رضي الله عنه ، ولكن عثمان عزم عليه أن يخرج من الدار خشية أن يتقاتل مع القوم عند دخولهم عليه فيقتل، كما لبسه مرة أخرى[4].

۞ **المغيرة بن شعبة رضي الله عنه :**

فقد ورد أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه دخل عليه وهو محاصر، فقال: إنك إمام العامة، وقد نزل بك ما ترى، وإنى أعرض عليك خصالًا ثلاثة اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم، فإن معك عددًا وقوة، وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق بابًا سوى الباب الذى هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك بها، وإما أن تلحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية،... فقال عثمان: أما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة

---

(١) طبقات ابن سعد (٣/ ٧٠)، فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٢).

(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٢).

(٣) بلغ الماء الزُّبَى أو الربى، ويروى بلغ السيل الزبى أو الربى، والزبى: جمع زبية الأسد، وهى حفرة تُحفَر له فى مكان مرتفع ليصطاد، فإذا بلغ الماء فهو المجحف. الربى: جمع ربوة، وهذا المثل يضرب فى الشر الفظيع، (المستقصى فى أمثال العرب) للزمخشرى (٢/ ١٤).

(٤) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٣).

فإنهم لن يستحلوني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم**»، ولن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة الرسول[١].

۞ سليط بن سليط:

قال: نهانا عثمان عن قتالهم، ولو أذن لنا لضربناهم حتى نُخرجهم من أقطارها.[٢]

ويقول ابن سيرين: كان مع عثمان في الدار سبعمائة، لو يدعهم لضربوهم إن شاء الله حتى يُخرجوهم من أقطارها، منهم: ابن عمر، والحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير ... ويقول أيضًا: لقد قُتل عثمان يوم قُتل وإن الدار لغاصة، منهم ابن عمر وفيهم الحسن بن عليّ في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا[٣].

وبذلك يظهر زيف ما اتهم به الصحابة مهاجرين وأنصارًا من تخاذُل عن نصرة عثمان رضي الله عنه، وكل ما روى في ذلك فإنه لا يَسْلَم من علة إن لم تكن عللًا قادحة في الإسناد والمتن جميعًا.

۞ عرض بعض الصحابة على عثمان مساعدته في الخروج إلى مكة:

ولما رأى بعض الصحابة إصرار عثمان رضي الله عنه على رفض قتال المحاصرين، وأن المحاصرين مصرون على قتله، لم يجدوا حيلة لحمايته

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢١١).

(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٥).

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة عثمان، (ص٣٩٥).

سوى أن يعرضوا عليه مساعدته فى الخروج إلى مكة هربًا من المحاصرين، فقد روي أن عبد الله بن الزبير، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، عرضوا عليه ذلك، وكان عرضهم متفرقًا، فقد عرض كل واحد منهم عليه ذلك على حده، وعثمان رضي الله عنه يرفض كل هذه العروض(١).

۞ قال ابن تيمية رحمه الله: ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكفِّ الناس عن الدماء، وأصبر الناس عمَّن نال من عرضه، وعلى من سعى فى دمه فحاصروه وسعوا فى قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاء المسلمون ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكفِّ عن القتال ويأمر من يطيعه أن لا يقاتلهم... وقيل له: تذهب إلى مكة؟ فقال: لا أكون ممن ألحد فى الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول من خلف محمدًا فى أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قُتل من أعظم فضائله عند المسلمين(٢).

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٦).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٢٠٢، ٢٠٣).

صور من مواقف أمهات المؤمنين في هذه الفتنة

۞ وقد يسأل سائل ويقول: وماذا كان موقف أمهات المؤمنين فى تلك الفتنة.. وبخاصة أمنا عائشة التى كان أكابر الصحابة يرجعون إلى رأيها فى كثير من الأمور.

۞ وها هى صور من مواقف بعض أمهات المؤمنين فى هذه الفتنة:

(١) أم حبيبة بنت أبى سفيان رضي الله عنها :

كان موقف السيدة أم المؤمنين أم حبيبة من المواقف البالغة الخطر فى هذه الأحداث، وهو موقف كان من الخطورة بحيث كادت رضي الله عنها أن تُقتل فيه،... ذلك أنه لما حوصر عثمان رضي الله عنه ومُنع عنه الماء، سرَّح عثمان ابنًا لعمرو بن حزم الأنصارى - من جيران عثمان - إلى علىٍّ بأنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا شيئًا من الماء فافعلوا، وإلى طلحة وإلى الزبير وإلى عائشة وأزواج النبى ﷺ، فكان أولهم إنجادًا له علىٌّ وأم حبيبة.[١] وكانت أم حبيبة معنية بعثمان، كما قال ابن عساكر، وكان هذا طبيعيًّا منها؛ حيث النسب الأموى الواحد،... جاءت أم حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا بنى أمية إلى هذا الرجل، فأحببت أن ألقاه فأسأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتام وأرامل، قالوا: كاذبة، وأهووا لها وقطعوا حبل البغلة بالسيف فندَّت[٢] بأم حبيبة فتلقاها الناس وقد مالت راحلتها، فتعلقوا بها، وأخذوها وقد كادت أَن تُقتل، فذهبوا بها إلى بيتها[٣].

---

(١) دور المرأة السياسي/ أسماء محمد، (ص٣٤٠).

(٢) ند البعير ونحوه ندًّا، وندودًا: نفر وشرد.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠١)، نقلا عن دور المرأة السياسي، (ص٣٤٠).

ويبدو أنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمرت ابن الجراح مولاها أن يلزم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد حدثت أحداث الدار، وكان ابن الجراح حاضرًا[1].

(٢) صفية زوجة رسول الله ﷺ:

وما فعلته السيدة أم حبيبة فعلت مثله السيدة صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فلقد روى عن كنانة[2] قال: كنت أقود بصفية لتردَّ عن عثمان، فلقيها الأشتر[3]، فضرب وجه بغلتها حتى مالت، فقالت: ذرونى لا يفضحنى هذا، ثم وضعت خشبًا من منزلها إلى منزل عثمان تنقل عليه الطعام والماء[4].

(٣) عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ولما حدث ما حدث للسيدة أم حبيبة أعظمه الناس جدًّا، فخرجت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من المدينة وهى ممتلئة غيظًا على المتمردين، وجاءها مروان ابن الحكم، فقال: أم المؤمنين، لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل، فقالت: أتريد أن يُصنع بى كما صُنع بأم حبيبة، ثم لا أجد من يمنعني، لا والله لا أُعَيَّر[5] ولا أدرى إلام يسلم أمر هؤلاء[6]...ورأت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن خروجها ربما كان مُعينًا فى فَضِّ هذه الجموع، كما سيتضح من الرواية الآتية بعد، وتجهزت أمهات المؤمنين إلى الحج هربًا من الفتنة، على أن خروجهن لم يكن تَنَزُّهًا عن ملابسات الفتنة وحسب، ولم يكن هربًا محضًا، وإنما كان

---

(١) تاريخ المدينة (٢/ ٢٩٨).

(٢) كنانة بن عدى بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف العبشمي.

(٣) دور المرأة السياسي (ص٣٤٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٣٧).

(٥) أُعَيَّر: من العار، وقد يبدى هذا التعبير أن الحالة التى وضع فيها الغوغاء السيدة أم حبيبة كانت شديدة الإيلام.

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠١).

محاولة منهن لتخليص عثمان رضي الله عنه من أيدى هؤلاء المفتونين، الذين كان منهم محمد بن أبى بكر، أخو السيدة عائشة رضي الله عنها، الذى حاولت أن تستتبعه معها إلى الحج فأبى، ... ولقد دلَّل على هذه المحاولة منها أن استتباعها له ورفضه كانا لافتين للنظر حتى إن حنظلة الكاتب[١] قد هاله رفض محمد لأن يتبع أم المؤمنين، وقارن بين هذا الرفض وبين متابعته لأهل الأمصار، قائلًا: يا محمد، تدعوك أم المؤمنين فلا تتبعها، وتدعوك ذؤبان[٢] العرب إلى ما لا يحل فتتبعهم، فأبى، فقالت السيدة عائشة: أما والله لو استطعت أن يحرمهم الله ما يجولون لأفعلن[٣]... وهذا القول منها بعدما حاولته مع أخيها، دليل على أنها قد بدأت محاولتها لفض الثائرين عن عثمان، ولإثارة الرأى العام عليهم منذ بدأ تفكيرها فى الذهاب إلى مكة، وهذا هو ما أكد عليه الإمام ابن العربي، حيث قال: إنه يروى أن تغيبهم - تغيب أمهات المؤمنين مع عدد من الصحابة - كان قطعًا للشغب بين الناس رجاء أن يرجع الناس إلى أمهاتهم، وأمهات المؤمنين، فيرعوا حرمة نبيهم[٤]، ويستمعوا إلى كلمتهن التى طالما كانوا يقصدونها فى كل الآفاق[٥].

أى أن خروجهم كان نوعًا من التفريق لهذه الجموع؛ حيث كان معروفًا عند الناس التماس رأيهن وفتاواهن، وكن -رضوان الله عليهن- لا يتصورن أن يصل الأمر بهؤلاء الناس إلى قتل الخليفة رضي الله عنه[٦].

---

(١) حنظلة بن ربيع التميمي، كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ، فسُمى الكاتب.

(٢) ذؤبان: لصوص وصعاليك.

(٣) تاريخ الطبري، (٥/ ٤٠١).

(٤) العواصم من القواصم، (ص١٥٦).

(٥) دور المرأة السياسي، (ص٣٤٢).

(٦) المصدر نفسه، (ص٣٤٣) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان) د. على الصلابى.

صور من مواقف بعض الصحابيات فى هذه الفتنة

وكان هناك مواقف أخرى لبعض الصحابيات أكتفى بذكر موقفين منها:

(أ) **أسماء بنت عُميس رضي الله عنها :**

وقد حاولت أسماء بنت عُميس نفس المحاولة التى حاولتها أم المؤمنين عائشة، فبعثت إلى ابنيها محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر[١] فقالت: إن المصباح يأكل نفسه ويضيء للناس، فلا تأثما فى أمر تسوقانه إلى من لا يأثم فيكما، فإن هذا الأمر الذى تحاولون اليوم لغيركم غدًا، فاتقوا أن يكون عملكم اليوم حسرة عليكم، فلجَّا وخرجا مُغضَبين يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان،... وتقول: ما صنع بكما، ألا ألزمكما الله.

وقيل الحديث كان بين ليلى بنت أسماء وأخويها[٢].

وهى فى ذلك تشير إلى أنه لما جاء أهل الأمصار، وكَرُّوا راجعين إلى المدينة بعدما كانوا ناظروا عثمان رضي الله عنه فناظرهم، وأقام عليهم الحجة، فأظهروا أنهم راجعون إلى بلادهم، ثم ما لبثوا أن عادوا بدعوى أن عثمان رضي الله عنه بعث رسلًا فى قتل أُناسٍ كان منهم -حسب دعواهم- محمد بن أبى بكر[٣]، ولعل هذا هو ما يشير إليه محمد بن أبى بكر فى قوله: لا ننسى ما صنع بنا عثمان،... وقد نفى عثمان رضي الله عنه نسبة هذا الكتاب إليه وقال: إما أن تقيموا شاهدين عليَّ بذلك وإلا فيمينى أنى ما كتبت ولا أمرت، وقد يُكتب

---

(١) محمد بن جعفر بن أبى طالب، أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، وُلد بأرض الحبشة، شهد صِفِّين مع عليّ، وكان مع أخيه محمد بمصر لما قتل.

(٢) تاريخ الطبري، (٥/ ٢٠٢).

(٣) دور المرأة السياسي (ص٣٤٣).

على لسان الرجل ويُضرَب على خطه ويُنقش على خاتمه[١].

لقد كانت السيدة أسماء رضي الله عنها واعية بما يجرى من تدبير خفى لزعزعة أحوال المسلمين، وتنحية عثمان رضي الله عنه عن الخلافة، وهكذا فإن موقفها رضي الله عنها من ابنيها ووضوح الأمر عندها على هذا النحو الذى جعلها لا تتأثر فى مقام الأمومة، ولا تبدو إلا مُحقة للحق فى هذا الموقف الواضح، هذا الموقف لا يُستهان به ولا شك، وهو يُعَدُّ صورة جلية لعدالة هؤلاء الصحابة الكرام[٢].

(ب) الصعبة بنت الحضرمى رضي الله عنها :

ولما اشتد حصار عثمان رضي الله عنه طلبت الصعبة بنت الحضرمى من ابنها طلحة بن عُبيد الله أن يكلم عثمان كى يردعه عن إصراره على إسلامه نفسه دون مدافعة من الصحابة، واستنصار بأهل الأمصار، فقد خرجت الصعبة ابنت الحضرمى وقالت لابنها طلحة بن عبيد الله: إن عثمان اشتد حصره، فلو كلمته حتى تردعه ... والرواية يبدو منها إشفاق الصعبة على عثمان رضي الله عنه، كما يبدو منها كذلك عناية أم عبد الله بن رافع بالأمر، ومتابعتها لما يجرى من أحداث الفتنة، وهى التى روت عن الصعبة بنت الحضرمى الحادثة[٣].

هذا هو الموقف العام لنساء المسلمين، فقد كان موقفًا معتدلًا وقادرًا على النظر السليم فى المسألة، رغم الغيوم التى كانت ملتبسة بها، وهو على كل حال كان هذا موقف الصحابة جميعا رضى الله عنهم وأرضاهم[٤].

---

(١) العواصم من القواصم، (ص١٢٠).

(٢) دور المرأة السياسي، (ص٣٤٤).

(٣) دور المرأة السياسي، (ص٣٤٥).

(٤) دور المرأة السياسي، (ص٣٤٥، ٣٤٦).

ما الأسباب التى دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال؟

۞ ومما سبق يتضح لنا أن عثمان ﵁ منع الصحابة من الدفاع عنه ومن القتال لعدة أسباب نستطيع أن نُجملها فى خمسة أسباب وهي:

(١) العمل بوصية رسول الله ﷺ التى سارَّه بها، وبيَّنها عثمان ﵁ يوم الدار، وأنها عهدٌ عهد به إليه، وأنه صابر نفسه عليه[1].

(٢) ما جاء فى قوله: لن أكون أول من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بسفك الدماء؟... أى كره أن يكون أول من خلف رسول الله ﷺ فى أمته بسفك دماء المسلمين.

(٣) علمه بأن البُغاة لا يريدون غيره، فكَرِه أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه[2].

(٤) علمه بأن هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله ﷺ عند تبشيره إياه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنه سيُقتل مُصطبراً بالحق مُعطيه فى فتنة، والدلالات تدل على أن أوانها قد حان، وأكَّد ذلك تلك الرؤيا التى رآها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله ﷺ وقال له: «**أفطر عندنا القابلة**»، ففهم ﵁ أن موعد الاستشهاد قد قرب.

(٥) العمل بمشورة ابن سلام ﵁ له؛ إذ قال له: الكَفَّ الكَفَّ، فإنه أبلغ لك فى الحجة[3].

وتحقق إخبار النبى ﷺ بأن عثمان ﵁ سوف يُقتل، وذلك فيما رواه

---

(١) فضائل الصحابة (١/ ٦٠٥)، إسناده صحيح.

(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧)، المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.

(٣) الطبقات (٣/ ٧١) إسناده حسن.

عبد الله بن حوالة[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «من نجا من ثلاث فقد نجا - ثلاث مرات-: موتي، والدجال، وقتل خليفة مصطبرٍ بالحق مُعطيه»[٢].

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحج بالناس ويقرأ عليهم خطاب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

استدعى عثمان عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكلفه أن يحج بالناس هذا الموسم، فقال له ابن عباس: دعني أكن معك وبجانبك يا أمير المؤمنين في مواجهة هؤلاء، فوالله إن جهاد هؤلاء الخوارج أحبُّ إليَّ من الحج.

قال له: عزمت عليك أن تحج بالمسلمين، فلم يجد ابن عباس أمامه إلا أن يطيع أمير المؤمنين، وكتب عثمان كتابًا مع ابن عباس ليقرأه على المسلمين في الحج، بيَّن فيه قصته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه[٣]. وهذا نَصُّ خطاب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمسلمين في موسم الحج عام ٣٥ هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني أُذكركم بالله عَزَّ وَجَلَّ الذي أنعم عليكم وعلمكم الإسلام، وهداكم من الضلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البينات، وأوسع عليكم من الرزق ونصركم على العدو، وأسبغ عليكم نعمته، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول وقوله الحق: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾[٤].

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٨)، إسناده حسن.

(٢) مسند أحمد (٤/ ١٠٦)، ، وصححه الألباني في ظلال الجنة (١١٧٧).

(٣) الخلفاء الراشدون للخالدي (ص١٦٧، ١٦٨).

(٤) سورة إبراهيم: الآية: (٣٤).

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[1].

وقال وقوله الحق: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[2].

وقال وقوله الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾﴾[3].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[4].

وقال وقوله الحق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا

(١) سورة آل عمران: الآيات: (١٠٢-١٠٥).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٧).

(٣) سورة الحجرات: الآيات: (٦-٨).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (٧٧).

لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وقال وقوله الحق: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

وقال وقوله الحق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[3].

وقال وقوله الحق: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة التغابن: الآية: (١٦).

(٢) سورة النحل: الآيات: (٩١-٩٦).

(٣) سورة النساء: الآية: (٥٩).

(٤) سورة النور: الآية: (٥٥).

وقال وقوله الحق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

أما بعد، فإن الله عَزَّوَجَلَّ رضى لكم السمع والطاعة والجماعة، وحذركم المعصية والفُرقة والاختلاف، ونبأكم ما قد فعله الذين من قبلكم، وتقدم إليكم فيه ليكون له الحجة عليكم، إن عصيتموه فاقبلوا نصيحة الله عَزَّوَجَلَّ واحذروا عذابه، فإنكم لن تجدوا أمة هلكت إلا من بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأس يجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصلاة جميعًا، وسلط عليكم عدوكم، ويستحل بعضكم حرمة بعض، ومتى يُفعل ذلك لا يُقَم لله سبحانه دين، وتكونوا شيعًا، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله ﷺ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(٢). وإنى أوصيكم بما أوصاكم الله وأحذركم عذابه، فإن شعيبًا ﷺ قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(٣).

أما بعد، فإن أقوامًا مما كان يقول فى هذا الحديث، أظهروا للناس أنما يدعون إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والحق ولا يريدون الدنيا ولا منازعة فيها، فلما عُرض عليهم الحق إذ الناس فى ذلك شَتَّى؛ منهم آخذٌ للحق ونازع عنه حين

(١) سورة الفتح: الآية: (١٠).

(٢) سورة الأنعام: الآية: (١٥٩).

(٣) سورة هود: الآيتان: (٨٩، ٩٠).

يُعطاه، ومنهم تارك للحق ونازل عنه فى الأمر يريد أن يبتزه بغير الحق، طال عليهم عمري، وراث[1] عليهم أملهم الإمرة فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم أنهم قد رجعوا بالذى أعطيتهم، ولا أعلم أنى تركت من الذى عاهدتهم عليه شيئًا، كانوا زعموا أنهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموها على من علمتم تعداها فى أحد، أقيموها على من ظلمكم من قريب أو بعيد، قالوا: كتاب الله يُتلى، فقلت: فليتلُه مَن تلاه غير غالٍ فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب، وقالوا: المحروم يُرزَق، والمال يُوفَّى ليستن فيه السنة الحسنة، ولا يُعتَدَى فى الخمس ولا فى الصدقة، ويؤمَّر ذو القوة والأمانة، وتُرد مظالم الناس إلى أهلها، فرضيت بذلك واصطبرت له،... كتبت إليكم وأصحابى الذين زعموا فى الأمر استعجلوا القدر ومنعوا منى الصلاة، وحالوا بينى وبين المسجد، وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة. كتبت إليكم كتابى هذا، وهم يخيروننى إحدى ثلاث: إما يقيدوننى بكل رجل أصبته خطأ أو صوابًا، غير متروك منه شيء، وإما أعتزل الأمر فيؤمِّرون آخر غيري، وإما يرسلون إلى من أطاعهم من الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من الذى جعل الله سبحانه عليهم من السمع والطاعة، فقلت لهم: أما إقادتى من نفسى فقد كان مَن قبلى خلفاء تخطئ وتصيب فلم يُسْتقد[2] من أحدٍ منهم، وقد علمت أنما يريدون نفسي، وأما أن أتبرأ من الإمارة فإن يكلبوني[3] أحب إليَّ من أن أتبرأ من عمل الله عَزَّوَجَلَّ وخلافته... وأما قولكم: يرسلون إلى الأجناد وأهل المدينة فيتبرؤون من طاعتى فلست عليكم بوكيل ولم أكن استكرهتهم من

(١) راث: أبطأ.

(٢) استقاد الحاكم: سأله أن يقيد القاتل بالقتل.

(٣) كلَّبه: ضربه بالكُلاَّب – والكلاب: الحديدة التى على خُف الراكب.

قبل على السمع والطاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ وإصلاح ذات البين، ومن يكن منكم يبتغى الدنيا فليس بنائل منها إلا ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ له، ومن يكن إنما يريد وجه الله والدار الآخرة وصلاح الأمة وابتغاء مرضاة الله عَزَّوَجَلَّ والسنة الحسنة التى استن بها رسول الله ﷺ والخليفتان من بعده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فإنما يجزى بذلكم الله وليس بيدى جزاؤكم، ولو أعطيتكم الدنيا كلها لم يكن فى ذلك ثمن لدينكم، ولم يُغنِ عنكم شيئًا، فاتقوا الله واحتسبوا ما عنده، فمن يرض بالنّكث منكم فإنى لا أرضاه له، ولا يرضى الله سبحانه أن تنكثوا عهده، وأما الذى يخيروننى فإنما كله النزع والتأمير، فملكت نفسى ومن معي، ونظرت حكم الله وتغيير النعمة من الله سبحانه، وكرهت سنة السوء، وشقاق الأمة وسفك الدماء، فإنى أنشدكم بالله وبالإسلام ألا تأخذوا إلا الحق وتعطوه منى وترك البغى على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عَزَّوَجَلَّ ، فإنى أنشدكم الله سبحانه الذى جعل عليكم العهد والمؤازرة فى أمر الله، فإن الله سبحانه قال وقوله الحق: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[1] فإن هذه معذرة إلى الله ولعلكم تذكرون.

أما بعد، فإننى لا أُبرئ نفسى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وإن عاقبت أقوامًا فما أبتغى بذلك إلا الخير، وإنى أتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ من كل عمل عملته، وأستغفره إنه لا يغفر الذنوب إلا هو، إن رحمة ربى وسعت كل شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٤).

(٢) سورة يوسف: الآية: (٥٣).

إلا القوم الضالون، وإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وأنا أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لى ولكم، وأن يؤلف قلوب هذه الأمة على الخير، ويُكَرِّه إليها الفسق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون والمسلمون ... قال ابن عباس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التروية[1] بمكة بيوم.

لم يطلب عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الولاة نُصرته

يزعم سيف بن عمر فى روايته عند الطبرى أن عثمان لما حُصر كتب إلى عماله على الأمصار يستمدهم، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى على رأس جيش، وكذا فعل عبد الله بن سعد فى مصر، فأرسل معاوية بن حديج، وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو على رأس قواته[2].

وهذا الزعم لا يتفق مع منهج عثمان فى مواجهة الفتنة من إيثار العافية والكف، ولا يتفق مع تيقنه بالقتل، ولا يتفق مع ما لجأ إليه من صرف المدافعين عنه من كبار الصحابة وأبنائهم، بل عَبيده ومواليه الذين نهاهم أشد النهى عن القتال، بل جعل العتق نصيب مَن يَكُفّ يده منهم ولا يقاتل كما سوف نرى. ولكن الذى يمكن تصوره هو أنه كما بادر جماعة من الصحابة إلى الدفاع عن عثمان دون أن يطلب منهم ذلك ورغم محاولاته العديدة لصرفهم، فإنه قد بادرت جماعات كثيفة من أجناد المسلمين فى الأمصار للدفاع عن الخليفة المظلوم من تلقاء أنفسهم وتوجيه من أمرائهم، ولا يصح أن نظن أن رجلًا مثل معاوية فى قرابته من عثمان كان سيسعه - لو

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٢٥-٤٣١) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين عثمان).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٧٩، ٣٨٠).

أراد- أن يتقاعس عن السير إليه أو تسيير الجنود إليه، ولا يمكن أن نفترض أن رجالًا مثل أنصار عثمان بمصر - وعلى رأسهم معاوية بن حديج ومسلمة بن مخلد وغيرهما من أبطال المسلمين- كانوا سينتظرون قابعين حتى يُقتَل الخليفة ثم يتحركون للثأر له، ويُعرضون نحورهم للقتل فى سبيله، بل الذى يمكن تصوره وافتراضه أن جنودًا من الأمصار قد تحركت بالفعل نحو المدينة لنجدة الخليفة دون أن يطلب منها نجدته(١).

وها هى آخر خطبة خطبها عثمان رضي الله عنه

كان آخر لقاء عام لعثمان مع المسلمين بعد أسابيع من الحصار؛ حيث دعا الناس، فاجتمعوا له جميعًا،... المحارب الطارئ من السبئيين، والمسالم المقيم من أهل المدينة، وكان فى مقدمة القادمين: علىّ وطلحة والزبير، فلما جلسوا أمامه قال لهم: إن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة، ولم يُعطكم الدنيا لتركنوا إليها، وإن الدنيا تفنى والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى الله، واتقوا الله عز وجل، فإن تقواه جُنَّة ووقاية من بأسه وانتقامه، والزموا جماعتكم ولا تصيروا أحزابًا.

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢).

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين (ص٢٧٨، ٢٧٩).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

ثم قال للمسلمين: يا أهل المدينة: إنى أستودعكم الله، وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي، وإنى والله لا أدخل على أحدٍ بعد يومى هذا، حتى يقضى الله فيَّ قضاءه، ولأدعَنَّ هؤلاء الخوارج وراء بابي، ولا أعطيهم شيئًا يتخذونه عليكم دَخَلًا فى دين أو دنيا، حتى يكون الله هو الصانع فى ذلك ما أحب، ... وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن ومحمد وابن الزبير وأشباهًا لهم، فجلسوا على باب عثمان عن أمر آبائهم، وثاب إليهم ناس كثير، ولزم عثمان الدار[1] حتى أتاه أجله.

اللحظات الأخيرة فى حياة عثمان رضي الله عنه

وها هو عثمان رضي الله عنه حتى آخر لحظة فى حياته لا يريد أن تُهراق قطرة دمٍ واحدةٍ بسبب الدفاع عنه.

ففى الليلة التى قدَّر الله عز وجل أن يُقتل فيها.. قام عثمان رضي الله عنه يصلى قيام الليل ويبكي... نعم يصلى قيام الليل فهو الذى كان يصلى بالقرآن كله فى ركعة الوتر.

قام عثمان رضي الله عنه فصلى من الليل ما قدر الله له أن يصلى وقرأ قسطًا كبيرًا من القرآن ثم نام فجاءه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فى المنام وقال له صلى الله عليه وسلم: «**أَفْطِرْ عِنْدَنَا غَدًا يَا عُثْمَانُ**»[2].

وفى لفظٍ: «**إِنَّكَ سَتُفْطِرُ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ يَا عُثْمَانُ**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ عُثْمَانَ أَصْبَحَ فَحَدَّثَ، فَقَالَ: إِنِّى رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِى الْمَنَامِ اللَّيْلَةَ، فَقَالَ: «**يَا عُثْمَانُ، أَفْطِرْ عِنْدَنَا**» فَأَصْبَحَ عُثْمَانُ صَائِمًا فَقُتِلَ

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٩٩، ٤٠٠).

(٢) عند الطبرى فى «تاريخه» (٢/ ٦٧١)، وابن الأثير فى الكامل (٢/ ٥٤٥) عن أبى سعيد.

مِنْ يَوْمِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وفى رواية أحمد أنَّ عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: إِنِّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْبَارِحَةَ فِى الْمَنَامِ، وَرَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِنَّهُمْ قَالُوا لِي: «اصْبِرْ فَإِنَّكَ تُفْطِرُ عِنْدَنَا الْقَابِلَةَ - فَأَصْبَحَ عُثْمَانُ صَائِمًا - ثُمَّ دَعَا بِمُصْحَفٍ - مُصحَفُه الَّذي جَمعَهُ هُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فَنَشَرَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقُتِلَ -عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ»[1] .

المتمردون يتعجلون قتل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وبينما بدأت الأيام تمر سريعًا، وأوشك موسم الحج أن ينقضى سريعًا.. وقد علم المتآمرون أن أصحاب الرسول ﷺ يوشك أن يعودوا إلى المدينة؛ لإنقاذ أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من بين أيديهم... بل لقد وصلت إليهم الأخبار بأن أهل الموسم يريدون نُصرة عثمان. فلما بلغهم ذلك قالوا: لا يُخرجنا مما نحن فيه إلا أن نقتل هذا الرجل فينشغل بذلك الناس عنا.

تفاصيل استشهاد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

۞ فبعد أن رأى عثمان النبى ﷺ فى منامه وهو يقول له: «**يا عثمان أفطر عندنا...**» أصبح لا يشغله أى شىء من حُطام الدنيا الزائل.. بل تاقت نفسه لتلك اللحظة التى يلقى فيها حبيبه محمدًا ﷺ.

وحانت لحظة الصفر.. وبدأت مشاهد أعظم جريمة تقشعر منها قلوب المؤمنين الصادقين... إنه مشهد قلة من المجرمين المتآمرين يهجمون على صحابى جليل تستحى منه ملائكة الرحمن (جلَّ وعلا) وشهد له النبى ﷺ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٧٢)، وابن عساكر (٣٩/ ٤٠٠)، وصححه إسناده الشيخ أحمد شاكر.

بأنه من أهل الجنة ... وهو فى الوقت نفسه، رجل قد تجاوز الثمانين من عمره لا يقدر حتى أن يدافع عن نفسه.. بل رفض أن يدافع عنه أصحاب الرسول ﷺ تورُّعًا منه أن تُراق قطرة دمٍ فى سبيل الدفاع عنه.

لقد هاجم المتمردون الدار فتصدى لهم الحسن بن على وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشب القتال فناداهم عثمان: الله الله، أنتم فى حِلٍّ من نُصرتي، فأبوا، ودخل غلمان عثمان لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا؛ بل إنه أعلن أنه مَن كَفَّ يده منهم فهو حر.[1] وقال عثمان فى وضوح وإصرار وحسم - وهو الخليفة الذى تجب طاعته-: أعزم على كل من رأى أن عليه سمعًا وطاعة إلا كف يده وسلاحه[2]...ولا تبرير لذلك إلا بأن عثمان كان واثقًا من استشهاده بشهادة النبى ﷺ له بذلك، ولذلك أراد ألا تُراق بسببه الدماء، وتقوم بسببه فتنة بين المسلمين.[3] وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حج ثم تعجَّل فى نفرٍ حَجُّوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يُقتل، ودخل الدار يحمى عنه وقال: ما عُذرنا عند الله إن تركناك ونحن نستطيع ألا ندعهم حتى نموت؟ فأقدم المتمردون على حرق الباب والسقيفة، فثار أهل الدار -وعثمان يصلي- حتى منعوهم، وقاتل المغيرة ابن الأخنس والحسن بن على ومحمد بن طلحة وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم وأبو هريرة، فأبلوا أحسن البلاء وعثمان يرسل إليهم فى

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، (ص٢٨٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩٠).

(٢) العواصم من القواصم، (ص١٣٣).

(٣) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين، (ص٢٨٣).

الانصراف دون قتال، ثم ينتقل إلى صلاته، فاستفتح قوله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[1] وكان سريع القراءة، فما أزعجه ما سمع، ومضى في قراءته ما يُخطئ وما يتتعتع، حتى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يصلوا إليه ثم عاد فجلس وقرأ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

وأصيب يومئذ أربعة من شبان قريش وهم: الحسن بن علي، وعبد الله ابن الزبير، ومحمد بن حاطب، ومروان بنَ الحكم[3] وقُتل المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسلمي، وزياد الفهري، واستطاع عثمان أن يقنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الدار، وخُلي بينه وبين المحاصرين، فلم يبقَ في الدار إلا عثمان وآله، وليس بينه وبين المحاصرين مدافع ولا حامٍ من الناس[4].

۞ فقام عثمان رضي الله عنه بعد أن أمر الصحابة أن ينصرفوا وفتح باب داره - وكان صائمًا في ذلك اليوم - وشدَّ على نفسه السراويل؛ لأنه أيقن أنه مقتول فخشي من فرط حيائه أن تنكشف عورته بعد قتله.

۞ وأحضر المصحف وفتح كتاب الله (جلَّ وعلا) وجلس يقرأ القرآن، وهو ينتظر الموت في أي لحظة فأحب أن يكون آخر عهده بالدنيا أن يودعها وهو يقرأ القرآن الذي لطالما امتزج حبه بدمائه ... فهو القائل: والله لو

---

(١) سورة طه: الآيات: (١-٣).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٣٧).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٩)، تاريخ الطبري (٥/ ٤٠٤) رواية صحيحة.

(٤) الخلفاء الراشدون للخالدي، (ص١٨٤، ١٨٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٩٦).

طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام ربنا ... ها هو عثمان يترقب تلك اللحظة التى يهجم فيها المتمردون ليقتلوه وليُفطر عند حبيبه محمد ﷺ.

۞ وفى تلك اللحظة دخل عليه رجل - لم تُسمه الروايات - فلما رآه عثمان رضي الله عنه قال له: بينى وبينك كتاب الله فخرج الرجل وتركه ... وما إن خرج حتى جاء رجل اسمه الغافقى فضربه بحديدة كانت معه والتفت الغافقيُّ إلى المصحف فى حجر عثمان، فضرب الغافقيُّ المصحفَ برجله فاستدار المصحفُ دورةً كاملة، واستقر مرة أخرى فى حِجر عثمان لتخالطه دماءُ عثمان، كما خالطت آياتُ القرآن دماء عثمان!

ومع كل هذا لم يتحرك عثمان رضي الله عنه وظل يقرأ فى كتاب الله.. والدماء تسيل من جسده الشريف.

وما هى إلا لحظات حتى دخل رجل من بنى سدوس يقال له: التجيبى[1] فخنقه قبل أن يضربه بالسيف، فقال: والله ما رأيت شيئا ألين من خنقه، لقد خنقته حتى رأيت نفسه مثل الجان تردد فى جسده، ثم أهوى إليه بالسيف، فاتقاه عثمان رضي الله عنه بيده فقطعها، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كَفٍّ خَطَّت المُفصَّل[2]؛ وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وهو أول من كتب المصحف من إملاء رسول الله ﷺ، فقُتل رضي الله عنه والمصحف بين يديه، وعلى أثر قطع اليد انتضح الدم على المصحف الذى كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[3][4].

---

(١) وهو رجل من بنى سدوس يقال له: الموت الأسود، واسمه كنانة بن بشير.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٩٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٣٩٨) الخبر له طرق عديدة بمجموعها يرتقى إلى درجة الحسن لغيره.

وفى رواية: إن أول من ضربه رجل يُسمَّى رومان اليماني، ضربه بصولجان، ولما دخلوا عليه ليقتلوه أنشد قائلًا:

أرى الموت لا يُبقى عزيزًا ولم يدع لعادٍ ملاذًا فى البلاد ومُرتَقى

امرأة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تدافع عنه

۞ ولما أحاطوا به قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: إن تقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيى الليل بركعة يجمع فيها القرآن.[1] وقد دافعت نائلة عن زوجها عثمان وانكبَّت عليه واتقت السيف بيدها فتعمدها سودان بن حمران ونضح أصابعها فقطع أصابع يدها، وولَّت، فغمز أوراكها[2].

۞ ويقال: إن الذى قطع أصابعها هو التجيبى (لعنه الله) فقد هجم أحد السبئيين ويُدعى كلثوم التجيبى على امرأة عثمان (نائلة) ونهب الملاءة التى عليها، ثم غمز وركها، وقال لها: ويح أمك من عجيزة ما أتمك، فرآه غلام عثمان (صبيح) وسمعه وهو يتكلم فى حق نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسيف فقتله، وهجم أحد السبئيين على الغلام فقتله.

ولما رأى أحد غلمان عثمان الأمر، راعه قتل عثمان، وكان يُسمَّى (نجيح) فهجم نجيح على سودان بن حمران فقتله، ولما رأى قتيرة بن فلان السكونى نجيحًا قد قتل سودان، هجم على نجيح فقتله، وهجم غلام آخر لعثمان اسمه (صبيح) على قتيرة بن فلان فقتله، فصار فى البيت أربعة قتلى شهيدان، ومجرمان، أما الشهيدان: فعثمان وغلامه نجيح، وأما المجرمان

---

(١) الطبقات (٣/ ٧٦)، فتنة مقتل عثمان (١/ ١٩١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠٦، ٤٠٧).

فسودان وقتيرة السكونيان،... ولما تم قتل عثمان رضي الله عنه نادى مُنادِ القوم السبئيين قائلًا: إنه لم يحل لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله، ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما فى البيت، فعاث رعاع السبئيين فى البيت فسادًا، ونهبوا كل ما فى البيت، حتى نهبوا ما على النساء.

وبعدما أتم السبئيون نهب دار عثمان، تنادَوا وقالوا: أدركوا بيت المال، وإياكم أن يسبقكم أحدٌ إليه، وخذوا ما فيه، ... وسمع حراس بيت المال أصواتهم، ولم يكن فيه إلا غرارتان من طعام فقالوا: انجوا بأنفسكم، فإن القوم يريدون الدنيا، ... واقتحم السبئيون بيت المال وانتهبوا ما فيه[1].

حقق الخوارج السبئيون مرادهم، وقتلوا أمير المؤمنين، وتوقف كثير من أتباعهم من الرعاع والغوغاء بعد قتل عثمان ليفكروا وما كانوا يظنون أن الأمر سينتهى بهم إلى قتله ... لقد استغفلهم شياطينهم السبئيون، واستغلوهم فى الشغب على عثمان، أما أن يقتلوه فهذا ما استفظعوه واستشنعوه، وسُقط فى أيدى هؤلاء الغوغاء، وحصل لهم كما حصل لبنى إسرائيل لما عبدوا العجل، ندم بعضهم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2] وحزن الصالحون فى المدينة لمقتل خليفتهم، وصاروا يسترجعون ويبكون، لكن ماذا يفعلون وجيوش الخوارج السبئيين تحتل المدينة، وتعيث فيها

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠٧).

(٢) سورة الأعراف: الآيتان: (١٤٨، ١٤٩).

فسادًا، وتمنع أهلها من فعل أى شيء؟ وكان الحاكم الفعلى للمدينة هو أمير خوارج مصر (الغافقى بن حرب العكي)، وكان معهم شيطانهم المخطط (عبد الله بن سبأ) وهو فَرِحٌ مسرور لما وصل إليه من أهداف ومآرب يهودية شيطانية[1].

متى قُتل عثمان رضي الله عنه.. وكيف كانت جنازته ودفنه؟

۞ لقد قُتل عثمان رضي الله عنه فى شهر ذى الحجة فى يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة فى السنة الخامسة بعد الثلاثين من الهجرة.. وكان سِنُّه اثنتين وثمانين سنة.

قام نفر من الصحابة فى يوم قتله بغسله وكفَّنوه وحملوه على باب، ومنهم: حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العُزى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، وجبير ابن مطعم، والزبير بن العوام، وعلى بن أبى طالب، وجماعة من أصحابه ونسائه، منهن امرأتاه نائلة وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان، ... وصلى عليه جبير بن مطعم، وقيل: الزبير بن العوام، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: مروان بن الحكم، وقيل: المسور بن مخرمة[2]، والذى ترجح عندى أن الذى صلى عليه الزبير بن العوام لرواية الإمام أحمد فى مسنده؛ فقد بينت تلك الرواية أن الزبير بن العوام رضي الله عنه صلى على عثمان ودفنه وكان أوصى إليه.[3]

وقد دُفن رضي الله عنه ليلًا، وقد أكد ذلك ما رواه ابن سعد والذهبي؛ حيث

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٩٧، ١٩٨) - نقلًا من (سيرة أمير المؤمنين عثمان).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ١٩٩).

(٣) الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (١/ ٥٥٥)، رجال الإسناد ثقات إلا إنه منقطع.

ذكرا أنه دُفن بين المغرب والعشاء[١] رضوان الله عليه، ... وأما ما راه الطبرانى من طريق عبد الملك بن الماجشون، قال: سمعت مالكًا يقول: قُتل عثمان رضي الله عنه فأقام مطروحًا على كناسة بنى فلان ثلاثًا[٢]، فالرواية السابقة ضعيف سندها، وباطل متنها.

۞ كَيْفَ قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ؟

- والجواب على ذلك يكمن فى الآتى:

۞ التَّعليلُ الأوَّلُ:

أَنَّ عُثْمَانَ هُوَ الَّذِى عَزَمَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُغْمِدُوا سُيُوفَهُمْ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْقِتَالِ، وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَاءِ اللهِ تبارك وتعالى وَقَدَرِهِ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ:

الْأَوَّلُ: شَجَاعَةُ عُثْمَانَ.

وَالثَّانِي: رَحْمَتُهُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم؛ لِأَنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ أُولَئِكَ أَعْرَابٌ أَجْلَافٌ وَأَنَّهُم مُفْسِدُونَ، فَرَأَى أَنَّهُ لَوْ قَاتَلَهُمُ الصَّحَابَةُ لَكَانَتِ الْمَفْسَدَةُ أَعْظَمَ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَلَرُبَّمَا انْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى قَتْلِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَدْ يَتَعَدَّوْنَ إِلَى انْتِهَاكِ الْأَعْرَاضِ، وَانْتِهَابِ الْأَمْوَالِ، فَرَأَى أَنَّ الْمَصْلَحَةَ أَن يُقْتَلَ هُوَ وَلَا يُقْتَلَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَلَا تُهْتَكَ حُرْمَةُ مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

۞ التَّعْليلُ الثَّانِي:

أَنَّ عَدَدَ الصَّحَابَةِ كَانَ أَقَلَّ بِكَثِيرٍ مِنْ عَدَدِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ

---

(١) الطبقات (٣/ ٧٨)، تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء)، (ص٤٨١).

(٢) المعجم الكبيرى (١/ ٧٨)، استشهاد عثمان (ص ١٩٤).

رَسُولِ اللهِ ﷺ كَانُوا عَلَى أَرْبَعَةِ أَمَاكِنَ:

الْمَكَانُ الْأَوَّلُ: مَكَّةُ؛ لِأَنَّ الْمَوْسِمَ كَانَ مَوْسِمَ حَجٍّ، وَقَدْ خَرَجَ الْكَثِيرُونَ لِلْحَجِّ، وَلَمْ يَكُونُوا حَاضِرِينَ.

الثَّانِي: بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ تَمَصَّرُوا الْأَمْصَارَ، عَاشُوا فِي الْكُوفَةِ، وَالْبَصْرَةِ، وَمِصْرَ، وَالشَّامِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلَادِ.

الثَّالِثُ: فِي الْجِهَادِ.

الْمَكَانُ الرَّابِعُ: هُمُ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَكُن عَدَدُهُمْ مُكَافِئًا لِعَدَدِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ.

۞ التَّعْلِيلُ الثَّالِثُ:

أَنَّ الصَّحَابَةَ بَعَثُوا أَوْلَادَهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنْ عُثْمَانَ وَمَا كَانُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَى الْقَتْلِ، وَإِنَّمَا حِصَارٌ وَعِنَادٌ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَرْجِعُونَ، أَمَّا أَنَّهُمْ يَتَجَرَّءُونَ وَيَقْتُلُونَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ لَا يَرَى أَنَّ الْأَمْرَ يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ. وَأَرْجَحُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْأَوَّلُ وَهُوَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه هُوَ الَّذِي مَنَعَهُم مِنْ قِتَالِ أُولَئِكَ الْخَوَارِجِ[١].

إن الله يدافع عن الذين آمنوا

إن الله عز وجل تكفَّل لأوليائه المؤمنين بالدفاع عنهم في حياتهم، بل وبعد موتهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾[٢].

(١) حقبة من التاريخ / عثمان الخميس (ص ٩٣-٩٤).

(٢) سورة الحج: الآية: (٣٨).

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب...»[(١)].

وقد يسأل سائل ويقول: ولِمَ لم يدافع الله عنه عند قتله؟!

أقول: إن قَتْله هو أعظم دفاعٍ عنه .... فقد رزقه الله الشهادة بذلك مصداقًا لقول النبى ﷺ الذى بشَّره بها.

۞ وها هى صورة مشرقة من دفاع الله عن عثمان رضي الله عنه بعد موته.

هذا غير العذاب الذى سيلاقيه قاتلوه يوم القيامة عند ربهم.

عن أبى قلابة قال: «كنت فى رفقة بالشام، وسمعت صوت رجل يقول: «يا ويلاه النار» قال: فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، مُنكبًّا لوجهه فسألته عن حاله فقال: إنى كنتُ ممن دخل على عثمان الدار، فلما دنوت منه صرختْ زوجته فلطمتها، فقال أى عثمان: «مالك، قطع الله يديك، ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار». قال: فأخذتنى رعدة عظيمة، وخرجت هاربًا، فأصابنى ما ترى، ولم يبقَ من دعائه إلا النار ... قلت له: بُعدًا لك وسُحقًا[(٢)].

وقال يزيد بن حبيب: «إن عامة الذين ساروا إلى عثمان جُنُّوا...»[(٣)].

أي: أُصيبوا بالجنون.

روى شداد الأعمى عن بعض أشياخه من بنى راسب قال: كنت أطوف بالبيت فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت ويقول فى طوافه: اللهم اغفر لى وما أراك تفعل.

(١) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

(٢) الرياض النضرة فى مناقب العشرة للطبرى (٥٠٧).

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (١٤٥٥٣): رواه الطبرانى وإسناده حسن.

قال: فقلت له ألا تتقى الله أيها الرجل، فإن عفو الله أعظم من ذنبك ورحمة الله وسعت كل شىء، ولو جئت بملء الأرض ذنوبًا ثم تبت واستغفرت وأنبت وصدقت مع ربك قَبِل الله توبتك، وما كان الله ليعذبك وأنت تستغفر.. ألم تسمع لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١)، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ فى حديث شداد بن أوس: سيد الاستغفار أن تقول: «**اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»(٢).

فقال الرجل: إن لى شأنًا... آليت أنا وصاحب لى لئن قُتل عثمان بن عفان لنلطمن وجهه، فدخلنا عليه وإذا برأسه فى حجر زوجته ابنة الفرافصة، فقال لها صاحبى: اكشفى عن وجهه، قالت: ولِمَ. قال لألطم وجهه، قالت: أما تذكر ما قال فيه رسول الله ﷺ، قال فيه كذا وكذا، وأخذت تعدد مناقبه، قال: فاستحى صاحبى ورجع فقلت لها: اكشفى عن وجهه.

قال: فذهبت تدعو علىَّ وتسأل الله أن يكفيه شرى، قال: فلطمت وجهه بعد كشفى عن وجهه فقالت: ما لك: يبَّس الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك. قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدى، وأعمى

(١) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٦) كتاب الدعوات.

الله بصرى، وما أراه يغفر لى ذنبى [(١)].

۞ وقد روى حميد بن هلال أنه لما حُصر عثمان رضي الله عنه أتته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فجاء رجل واطلع عليها فى خِدرها وجعل يصفها للناس، فقالت: ما له يفعل هكذا ويقول هكذا قطع الله يده وأبدى عورته، فدخل عليه داخل فى داره وضربه بالسيف فاتقى بيمينه فقطعها الجانى. فانطلق هذا الرجل هاربًا بعد قطع يده آخذًا إزاره بفيه وقد بدت عورته [(٢)].

فالحذر ثم الحذر من أذية الصالحين والويل لمن أذاهم أو وقع فى أعراضهم فإن العقوبة قد تكون عاجلة وقد تكون آجلة، والحذر من تتبع عورات المسلمين أو الاطلاع على محارمهم، فإن ذلك عمل شنيع، ومنكر فظيع، لا يعمله إلا الخاسرون [(٣)].

۞ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «بينمَا عُثمَانَ يخطب إذ قام إليه رجل، يُقَالُ لَهُ: جَهْجَاهُ الغفَاريّ تنَاوَلَ عَصًا كَانَتْ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَكَسَرَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ، فَرُمِي عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ بِآكِلَةٍ»

وفى رواية: وصاح به الناس، ونزل عثمان حتى دخل داره، ورمى الله الغفارى فى ركبته، فلم يَحُل عليه الحَول حتى مات[(٤)].

وقال الحسن البصري: «ما علمتُ أحدًا أُشرك فى دم عثمان رضي الله عنه، ولا أعان عليه إلا قُتل»[(٥)].

---

(١) مجابو الدعوة.

(٢) مجابو الدعوة.

(٣) اتق دعوة المظلوم (١٠٤ - ١٠٦).

(٤) أخرجه البخارى فى «التاريخ الأوسط» (١/ ٧٩)، وابن أبى شيبة (٧/ ٤٨٨).

(٥) أخرجه ابن شبة فى «تاريخ المدينة» (٤/ ١٢٥٢).

براءة محمد بن أبى بكر الصدِّيق من دم عثمان رضي الله عنه

۞ وأما ما يتعلق بتهمة محمد بن أبى بكر بقتل عثمان بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة فى ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التى تبين أن القاتل هو رجل مصري[١].

وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب تُرجح براءة محمد بن أبى بكر من دم عثمان، منها:

(أ) أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل فيما بعد، وسيأتى تفصيله عند حديثنا عن على بن أبى طالب رضي الله عنه بإذن الله تعالى.

(ب) لعن عليٍّ رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم، يقتضى عدم تقريبهم وتوليتهم، .. وقد ولَّى محمد بن أبى بكر مصر، فلو كان منهم ما فعل ذلك.

(ج) ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حُيى قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، ... قالت: هل أندى محمد بن أبى بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخى لست بصاحبى فخرج، ولم يند من دمه بشيء[٢]...

ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبرى بإسنادٍ رجال ثقات عن الحسن البصرى -وكان ممن حضر يوم الدار - أن ابن أبى بكر أخذ

---

(١) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبري (ص٢٤٣).

بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذًا أو قعدت مني مقعدًا، ما كان أبوك ليقعده ... فخرج وتركه [(١)].

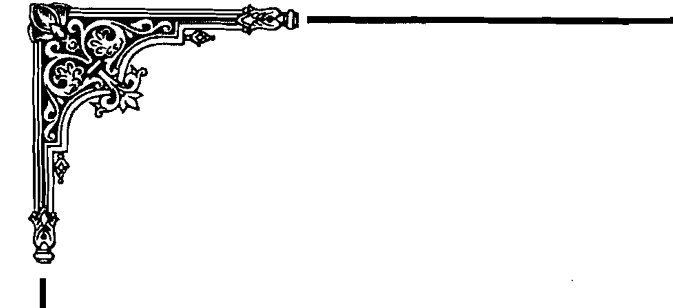
وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان، براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل [(٢)].

وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لما كلمه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استحى، ورجع، وتندَّم، وغطى وجهه، وحاجز دونه فلم تُفدِ مُحاجزته [(٣)].

(١) مرويات أبي مخنف، (ص٢٤٤).

(٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ٢٠٩).

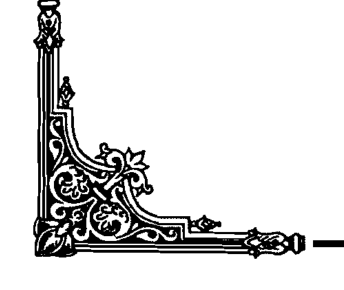
(٣) البداية والنهاية (٧/ ١٩٣).

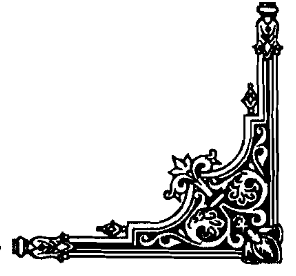




موقف الصحابة (رضي الله عنهم)

من مقتل عثمان رضي الله عنه







موقف الصحابة من مقتل عثمان رضي الله عنه

۞ وأحب أن أوضح فى هذا المقام أنه لم يشارك فى قتل عثمان رضي الله عنه أى أحد من الصحابة، وإنما الذى شارك فى قتله هم السبئيون والمنافقون كما أخبر بذلك المحققون من أهل السير والتراجم.

۞ نعم... لقد صحَّت الأخبار وأكدت حوادث التاريخ على براءة الصحابة من التحريض على عثمان أو المشاركة فى الفتنة ضده.

۞ فلقد شوَّهت بعض كتب التاريخ مواقف الصحابة من فتنة مقتل عثمان، وذلك بسبب الروايات الرافضية التى ذكرها كثير من المؤرخين، فالمتتبع لأحداث الفتنة فى تاريخ الإمام الطبري، وكتب التاريخ الأخرى من خلال روايات أبى مخنف، والواقدى وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين يشعر أن الصحابة هم الذين كانوا يحركون المؤامرة ويثيرون الفتنة،... فأبو مخنف لا يتورع فى اتهام عثمان بأنه الخليفة الذى كثرت سقطاته فاستحق ما استحقه، ويُظهر طلحة فى مروياته كواحد من الثائرين على عثمان والمؤلبين ضده. ولا تختلف روايات الواقدى عن روايات أبى مخنف؛... فعمرو بن العاص يقدم المدينة ويأخذ فى الطعن على عثمان، وقد كثرت الروايات التى تتهم الصحابة بالتآمر ضد عثمان رضي الله عنه، وأنهم هم الذين حركوا الفتنة وأثاروا الناس، وهذا كله كذب وزور[1].

وخلافًا للروايات الموضوعة والضعيفة، فقد حفظت لنا كتب المحدثين -بحمد الله- الروايات الصحيحة التى يظهر فيها الصحابة من

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤ - ١٨).

المؤازرين لعثمان والمنافحين عنه، المتبرئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يُستَبعد أى اشتراك لهم فى تحريك الفتنة أو إثارتها (١).

إن الصحابة جميعًا رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، ومن قال خلاف ذلك فكلامه باطل لا يستطيع أن يقيم عليه أى دليل ينهض إلى مرتبة الصحة، ... ولذلك أخرج خليفة فى تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحدٌ من المهاجرين والأنصار؟ قال: لا،... كانوا أعلاجًا (٢) من أهل مصر.

وقال الإمام النووي: ولم يشارك فى قتله أحد من الصحابة، وإنما قتله همجٌ ورعاع من غوغاء القبائل سفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا وقصدوه من مصر، فعجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه (٣).

ولذلك قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى **«البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٧)**: «وأمَّا ما ذكره بعض الناس مِنْ أَنَّ بعض الصَّحابة أسلمه ورضى بقتله؛ فهذا لا يصحُّ عن أحدٍ من الصَّحابة أنَّه رضى بقتل عثمان رضي الله عنه؛ بل كلهم كرهه ومقته، وسبَّ مَن فعله، ولكنَّ بعضهم كان يودُّ لو خلع نفسه من الأمر؛ كعمَّار بن ياسر، ومحمد بن أبى بكر، وعمرو بن الحمق، وغيرهم». اهـ.

وقد وصفهم الزبير رضي الله عنه بأنهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم نُزَّاع القبائل (٤). ووصفهم ابن سعد بأنهم حثالة الناس متفقون

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٨).

(٢) العلج: كل جافٍ شديد من الرجال.

(٣) شهيد الدار.. عثمان بن عفان/ أحمد الخروف، (ص١٤٨).

(٤) شرح النووى على صحيح مسلم (٥/ ١٤٨)، كتاب فضائل الصحابة.

على الشر [١]. ووصفهم ابن تيمية بأنهم خوارج مفسدون وضالون باغون معتدون [٢]. ووصفهم الذهبى بأنهم رؤوس شرٍّ وجفاء [٣]. ووصفهم ابن العماد الحنبلى فى الشذرات بأنهم أراذل من أوباش القبائل [٤].

ويشهد على هذا الوصف تصرُّف هؤلاء الرعاع منذ الحصار إلى قتل الخليفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ظلمًا وعدوانًا، فكيف يُمنَع الماء عنه والطعام وهو الذى طالما دفع من ماله الخاص ما يروى ظمأ المسلمين بالمجان [٥]، وهو الذى ساهم بأموال كثيرة عندما يلم بالناس مجاعة أو مكروه، وهو الدائم العطاء عندما يصيب الناس ضائقة أو شدة من الشدائد؟ [٦] حتى إن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يصف هذا الحال وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيها الناس، إن الذى تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة (الطعام)؛ فإن الروم وفارس لتأسر وتطعم وتسقى [٧].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨١)، طبقات ابن سعد (٣/ ٧١).

(٢) منهاج السنة (٣/ ١٨٩ - ٢٠٦).

(٣) دول الإسلام للذهبى (١/ ١٢).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٤٨٢)، شذرات الذهب (١/ ٤٠).

(٥) المصدر نفسه (١/ ٤٨٢)، البخاري، كتاب مناقب عثمان (٤/ ٢٠٢).

(٦) التمهيد والبيان (ص٢٤٢).

(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٠٠).

أقوال الصحابة فى البراءة من دم عثمان رضي الله عنه

۞ وها هى بعض أقوال الصحابة فى البراءة من دم عثمان رضي الله عنه:

(١) على بن أبى طالب رضي الله عنه:

روى الحاكم بإسناده عن قيس بن عبَّاد قال: سمعت عليًّا رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلى يوم قُتل عثمان، وأنكرت نفسى وجاءونى للبيعة، فقلت: والله إنى لأستحى من الله أن أبايع قومًا قتلوا رجلًا قال فيه رسول الله ﷺ: «**ألا أستحى ممن تستحى منه الملائكة**»، وإنى لأستحى من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يُدفَن بعد، فانصرفوا، فلما دُفن رجع الناس، فسألونى البيعة، فقلت: اللهم إنى مشفق مما أَقْدُم عليه، ... ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين، فكأنما صُدِعَ قلبي، وقلت: اللهم خذ منى لعثمان حتى ترضى[١].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد بن الحنفية قال: بلغ عليًّا أن عائشة تلعن قتلة عثمان فى المربد[٢] قال: فرفع يده حتى بلغ بهما وجهه، فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، ... لعنهم الله فى السهل والجبل، ... قال مرتين أو ثلاثًا[٣].

(٢) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

روى الإمام أحمد بإسناده عن ابن عباس أنه قال: لو اجتمع الناس على

(١) المستدرك (٣/ ٩٥) حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي..

(٢) موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.

(٣) فضائل الصحابة (١/ ٥٥٥)، رقم (٧٣٣) إسناده صحيح.

قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمى قوم لوط [١]. وقال رضي الله عنه فى مدح عثمان وذم من ينتقصه: رحم الله أبا عمرو، كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة، هجَّادا بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهَّاضًا عند كل مكرمة، سبَّاقا إلى كل محنة، حبيبًا أبيًّا وفيًّا، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعقب الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدين [٢].

(٣) أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها :

۞ عن مسروق، عن عائشة قالت حين قُتل عثمان: تركتموه كالثوب النقى من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يُذبح الكبش، فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه، قالت عائشة: لا والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت إليهم بسوداء فى بيضاء حتى جلست مجلسى هذا [٣]. وقد مَرَّ معنا كذب السبئيين، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوها كذبًا وزورًا للسيدة عائشة رضي الله عنها .

۞ وعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة: وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يُقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند نبى الله، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسنِدٌ ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول: «**اكتب عثمان**»، فما كان الله ليُنزل تلك المنزلة إلا كريمًا على الله ورسوله [٤].

(١) فضائل الصحابة (١/ ٥٦٣)، رقم (٧٤٦).

(٢) العقيدة فى أهل البيت (ص٢٣٤)، مروج الذهب للمسعودى (٣/ ٦٤).

(٣) فتنة مقتل عثمان (١/ ٣٩١)، تاريخ خليفة (ص١٧٦)، إسناده صحيح إلى عائشة.

(٤) تحقيق مواقف الصحابة(١/ ٣٧٨)، المسند (٦/ ٢٠٥-٢٦١)، البداية والنهاية (٧/ ٢١٩).

(٤) أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه :

عن أبى عثمان النهدى قال: قال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه: إن قتل عثمان رضي الله عنه لو كان هُدًى احتلبت به الأمة لبنًا، ولكنه كان ضلالًا فاحتلبت به دمًا[١].

(٥) الحسن بن على رضي الله عنهما :

عن طلق بن خشاف قال: انطلقنا إلى المدينة ومعنا قُرط بن خيثمة، فلقينا الحسن بن على فقال له قرط: فيم قُتل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قُتل مظلومًا [٢].

(٦) حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :

روى ابن عساكر عن جندب بن عبد الله – له صحبة – أنه لقى حذيفة فذكر له أمير المؤمنين عثمان، فقال: أما إنهم سيقتلونه! قال: قلت: فأين هو؟ قال: فى الجنة، قلت: فأين قاتلوه؟ قال: فى النار [٣].

(٧) عبد الله بن عمر رضي الله عنه :

فعن أبى حازم قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطاب فذكر عثمان، فذكر فضله ومناقبه وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم ذكر على بن أبى طالب فذكر فضله وسابقته وقرابته حتى تركه أنقى من الزجاجة، ثم قال: من أراد أن يذكر هذين فليذكرهما هكذا أو فليَدَعْ.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما أيضا: لا تَسبُّوا عثمان؛ فإنا كنا نَعُدُّه من خيارنا[٤].

---

(١) تاريخ المدينة (٤/ ١٤٥).

(٢) تاريخ المدينة (٤/ ١٤٥).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٨)، تاريخ دمشق (ص ٣٨٨).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٩) فضائل الصحابة، إسناده صحيح.

(٨) أنس بن مالك رضي الله عنه :

قيل لأنس بن مالك: إن حبَّ علي وعثمان لا يجتمعان في قلبٍ.

فقال أنس: كذبوا، لقد اجتمع حبهما في قلوبنا (١).

(٩) أبو هريرة رضي الله عنه :

وعن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قُتل عثمان وله ضفيرتان، وهو ممسكٌ بهما وهو يقول: قُتل والله عثمان على غير وجه الحق (٢).

(١٠) عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :

وأخرج أبو نعيم في (معرفة الصحابة) بسنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: عثمان بن عفان ذو النورين قُتل مظلومًا، أُوتى كِفلين من الأجر (٣).

(١١) أبو بكرة رضي الله عنه :

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لأن أخِرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أُشرك في قتل عثمان.

(١٢) عبد الله بن سلام رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه: لا تقتلوا عثمان، فإنكم إن فعلتم لم تُصَلُّوا جميعًا (٤) أبدًا.

وفي رواية: والله لا تهرقون محجمًا من دم -أي: من دم عثمان- إلا ازددتم به من الله بُعدًا (٥).

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٥)، التهذيب لابن حجر (٧/ ١٤١).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣١)، تاريخ دمشق (ص٤٩٣).

(٣) معرفة الصحابة (١/ ٢٤٥)، المعجم الكبير (١/ ٤٦).

(٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٣٤) فضائل الصحابة، إسناده صحيح.

(٥) الطبقات (٣/ ٨١).

على بن الحسين يتبرأ من قول الرافضة
فى أبى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم

وقد ثبت عن على بن الحسين البراءة من قول الرافضة فى أبى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم... فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمد بن على عن أبيه على بن الحسين أنه قال: جلس قوم من أهل العراق فذكروا أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدأوا فى عثمان فقال لهم: أخبرونى أأنتم من المهاجرين الأولين ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[1]؟ قالوا: لا، قال: فأنتم من الذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؟ قالوا: لا، فقال لهم: أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا من هؤلاء، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فقوموا عني، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم من أهله[2].

أثر مقتل عثمان رضي الله عنه فى حدوث فتن أخرى

لقد كانت فتنة قتل عثمان سببًا فى حدوث كثير من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التى تلتها، فتغيرت قلوب الناس وظهر

---

(١) سورة الحشر: الآية: (٨).

(٢) العقيدة فى أهل البيت (ص٢٣٦)، البداية والنهاية (٩/ ١١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٣١، ٣٢).

الكذب، وبدأ الخط البيانى للانحراف عن الإسلام فى عقيدته وشريعته [١].

وكان مقتل عثمان من أعظم الأسباب التى أوجبت الفتن بين الناس، وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم [٢]؛ فتفرقت القلوب، وعَظُمت الكروب، وظهرت الأشرار وذلَّ الأخيار، وسعى فى الفتنة من كان عاجزًا عنها، وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ، وأفضل من بقي، لكن القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة، فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدون من الخير، ودخل فى الفرقة والفتنة أقوام [٣].

وبدأ ضعف الفتوحات تدريجيًّا خلال السنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضرب بلاد الإسلام ومركز الخلافة، ثم توقفت عندما قُتل عثمان، واستمرت متوقفة بل تراجعت فى بعض الأماكن إلى بداية عهد معاوية؛ حيث استقرت أحوال المسلمين فانطلقت الفتوحات شرقًا وغربًا وشمالًا [٤].

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٧٩) فضائل الصحابة، إسناده صحيح.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٣).

(٤) أحداث وأحاديث فتنة الهرج (ص٥٩١).





مبايعة على بن أبى طالب رضي الله عنه



مبايعة على بن أبى طالب رضي الله عنه

۞ فبعد أن قُتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظُلمًا وزورًا وعُدوانًا، يوم الجمعة لثمانى عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة خمسٍ وثلاثين، قام كل من بقى بالمدينة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بمبايعة على بن أبى طالب رضي الله عنه بالخلافة... وذلك لأنه لم يكن هناك فى ذلك الوقت أحدٌ أفضل منه ولا أحق منه بالخلافة...

۞ وكان عليٌّ رضي الله عنه لا يريد الخلافة ولم يحرص عليها أبدًا.. ولذلك فإنه لم يقبلها إلا بعد إلحاحٍ شديدٍ من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

۞ **قال الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى فى شأن البيعة لعليٍّ:**

«لما قُتل عثمانُ رضي الله عنه سعى الناس إلى عليٍّ رضي الله عنه وقالوا: لابد للناس من إمام؟ فحضر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه والزبير بن العوَّام رضي الله عنه وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه والأعيان من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، فبايعوا عليًّا رضي الله عنه وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ثم تتابع الناسُ بعد ذلك».

۞ **وقال القاضى ابن العربى رحمه الله تعالى فى كتابه القيم «العواصم من القواصم»[1]:**

فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى فى قَدَرِه ما مضى، علم أن الحق لا يترك الناس سُدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه ... ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتُقًى ودينًا، فانعقدت له البيعة - أي: لعليٍّ رضي الله عنه .

---

(١) العواصم من القواصم (ص ١٤٦).

ولولا الإسراع بعقد البيعة لعليٍّ رضي الله عنه لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه. ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى عليٌّ رضي الله عنه أَنَّ ذلك فرضٌ عليه، فانقاد إليه. اهـ.

۞ وقد روى الكيفية التى تم بها اختيار عليٍّ رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[(١)]، فقد روى أبو بكر الخلَّال بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنت مع على رحمه الله وعثمان مُحصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة، قال: فقام على رحمه الله، قال محمد: فأخذت بوسطه تَخوُّفًا عليه فقال: خَلِّ لا أم لك، قال: فأتى على الدار، وقد قُتل الرجل رحمه الله (أي: عثمان)، فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قُتل، ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك، فقال لهم عليٌّ: لا تريدونى فإنى لكم وزيرًا خير منى لكم أميرًا، فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال: فإن أبيتم علىَّ فإن بيعتى لا تكون سرًّا، ولكن أخرج إلى المسجد،... فبايعه الناس[(٢)].

وفى رواية أخرى: قال: ففى المسجد فإنه ينبغى لبيعتى ألا تكون خفيًّا ولا تكون إلا عن رضا المسلمين، قال: فقال سالم بن أبى الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتى المسجد كراهية أن يُشغَب عليه، وأبَى هو إلا المسجد، فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوا وبايع الناس[(٣)].

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٢/ ٦٧٧).

(٢) كتاب السنة لأبى بكر الخلال، (ص٤٢٥).

(٣) الخلال فى السنة، (ص٤١٦) رجال الإسناد ثقات.

۞ ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد منها:

(١) نُصرة على بن أبى طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن على رضي الله عنه، بل كان أكثر الناس دفاعًا عن عثمان، رضي الله عنه،... جاء ذلك بأسانيد كثيرة، وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان فى القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعنى عليًّا عن عثمان[1].

(٢) زهد على رضي الله عنه فى الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله فى بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

(٣) إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة فى المدينة على بيعته، ويدخل فى هؤلاء أهل الحل والعقد، وهم الذين قصدوا عليًّا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحُّوا عليه حتى قبلها،... وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما فى بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

(٤) إن عليًّا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ، ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

(٥) أهمية الخلافة، ... ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا فى تولية علىٍّ، وكان يقول: لولا الخشية على دين الله لم أُجبهم[2].

(٦) إن الشبهة التى أدخلوها على بيعة علىٍّ، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم فى قتله، كانوا فى المدينة، وأنهم أول من

---

(١) بيعة على بن أبى طالب / مالك الخالدى، (ص ٢) نقلا عن تاريخ الذهبى عهد الخلفاء الراشدين، (ص ٤٦٠) إسناده قوى.

(٢) فتح البارى (١٣/ ٧٥) إسناده صحيح - بيعة على (ص١٠٥).

بدءوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مُكرَهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها سند صحيح،... والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان كالرابع قدرًا وعلمًا وتقًى ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه.

ولولا الإسراع بعقد البيعة لعليٍّ، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات فى جميع الأقطار الإسلامية، فكان من مصلحة المسلمين أن يقبل عليٌّ البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها،ولم يتخلف عن عليٍّ أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة، وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة؛ أما البيعة فلم يتخلف أحدٌ عنها، وأما المسير معه فتخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية[(١)]، كما أن عليًّا لم يُلزمهم بالخروج معه كما سيأتى التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل.

(٧) لابد من الحذر من مبالغات الإخباريين التى تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقى بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه[(٢)]، وتزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على عليٍّ فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة.

فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده[(٣)]، كما أن المعروف تمكُّن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان، رضي الله عنه، بالكف عن استخدام القوة ضدهم. والصحيح أن

(١) المدينة النبوية/ محمد شراب (٢/ ٣١١).

(٢) تاريخ الطبرى (٤/ ٤٣٢).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل / د.خالد الغيث، (ص ١٣٦-١٤٠) بتصرف.

بيعة عليٍّ كانت عن طواعية واختيار من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور فى مبايعة عليٍّ، وإنما كل من كان من الصحابة فى المدينة[1] هم الذين اختاروا أمير المؤمنين عليًّا.

(٨) بلغت الروايات الصحيحة والشواهد فى بيعة على إحدى عشرة رواية[2].

بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما

عن أبى بشير العابدى قال: كنت بالمدينة حين قُتل عثمان، رضي الله عنه، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليًّا، فقالوا: يا أبا الحسن هَلُمَّ نبايعك، فقال: لا حاجة لى فى أمركم، أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به..فاختاروا، فقالوا: والله ما نختار غيرك..إلخ الرواية.

وفيها تمام البيعة لعلى رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة، ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[3]، وهي دالة على مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعليٍّ رضي الله عنه.

۞ وأما قولهم أن طلحة والزبير قد بايعا مُكرهين.. فهذا لا يثبت أبدًا بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[4]، فقد روى الطبرى عن عوف بن أبى جميلة قال: أما أنا فأشهد أنى سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليًّا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت

(١) استشهاد عثمان (ص ٢٤٠).

(٢) بيعة على بن أبى طالب، (ص ١٢٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٤٩) إسناده الرواية حسن لغيره - حملة رسالة الإسلام الأولون، محب الدين الخطيب (ص ٥٧).

(٤) الانتصار للصحب والآل، (ص ٢٣٦).

أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، ... فبسط عليٌّ يده فبايعه[١].

وعن عبد خير الخيواني أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى هل كان هذان الرجلان - يعني طلحة والزبير - ممن بايع عليًّا؟ قال: نعم[٢].

إنعقاد الإجماع على خلافة عليٍّ رضي الله عنه

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليًّا رضي الله عنه كان متعينًا للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له، لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي صلى الله عليه وسلم نسبًا، وأشجعهم نفسًا وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديًا وسمتًا، فكان رضي الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام مَن بقي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع، فكان حينئذ إمامًا حقًّا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم[٣].

كان علي رضي الله عنه أحق الناس بالخلافة

۞ إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، هو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦) الانتصار للصحب والآل، (ص٢٣٦).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥١٧).

(٣) «سيرة أمير المؤمنين علي» د/ علي الصلابي.

الإيماء إلى أحقية خلافة على رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فى كثير من النصوص الشرعية منها:

(١) قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾[١]، ووجه الاستدلال بها على حقيقة خلافة على رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه أحد المُستخلفين فى الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

(٢) قوله ﷺ: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[٢] ووجه الدلالة فى هذا الحديث على أحقية خلافة على رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله ﷺ فى العدل وإقامة الحق.

(٣) قوله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء**»[٣].

وفى هذا الحديث إشارة إلى أحقية على رَضِوَاللَّهُعَنْهُ حيث إن خلافته كانت فى فترة الثلاثين من مدة خلافة النبوة التى حددها النبى ﷺ فى هذا الحديث... وبموجب هذا قال أهل العلم[٤]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة فى الخلافة صحيح، إليه أذهب فى الخلفاء[٥]، وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون إنه ليس بخليفة، قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين أفنكذبهم؟ وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة؟[٦].

---

(١) سورة النور: الآية: (٥٥).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٤١).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦).

(٥) السنة لعبد الله بن حنبل (ص ٢٣٥).

(٦) السنة لعبد الله بن حنبل (ص ٢٣٥)، عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٦٨٦).

وقال شارح الطحاوية:وتثبت الخلافة بعد عثمان لعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لما قُتل عثمان وبايع الناس عليًّا صار إمامًا حقًّا واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دَلَّ عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله ملكه من يشاء**»[(١)].

(٤)عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه عليّ: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يُصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرأى النبي ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: «**ويح**[(٢)]**عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**»، قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[(٣)]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: «**بؤسى**[(٤)]**ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**»[(٥)].

قال النووي بعد قوله ﷺ: «**بؤسى ابن سمية تقتلك الفئة الباغية**»[(٦)].

قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان مُحقًّا مصيبًا، والطائفة الأخرى بُغاة، لكنهم مجتهدون، فلا إثم عليهم لذلك..وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ من أوجه: منها: أن عمارًا يموت

---

(١) شارح الطحاوية، (ص ٥٤٥)، السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢- ٧٤٩).

(٢) ويح كلمة رحمة تُقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، والويح: ترحُّم - غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٨٦)، لطائف في غريب الحديث (٤/ ٨٥)، النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٥).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٤٧) كتاب الصلاة.

(٤) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

(٥) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٦) مسلم رقم (٢٢٣٥)، والخطيب (٧/ ٣٤٤) واللفظ له.

قتيلًا، وأنه يقتله مسلمون، وأنهم بُغاة، وأن الصحابة يقاتلون وأنهم يكونون فرقتين باغية وغيرها، وكل هذا وقع مثل فلق الصبح،... صلى الله وسلم على رسوله الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحىٌ يُوحَى[(١)].

(٥) عن أبى سعيد الخدرى رَضِوَاللَّهُعَنهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَمْرُق مارقة عند فُرقة من المسلمين يقتلها أوْلى الطائفتين بالحق**» وفيه أيضًا: أنه قال: «**تكون فى أمتى فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق**»، وجاء بلفظ: قال: «**تمرق مارقة فى فرقة من الناس فيلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق**». وجاء بلفظ: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»[(٢)]، فقوله ﷺ: «**على حين فُرقة**» - بضم الفاء - أي: فى وقت افتراق الناس أي: افتراق يقع بين المسلمين، وهو الافتراق الذى كان بين علىٍّ ومعاوية رَضِوَاللَّهُعَنهُمَا [(٣)]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا فى معسكر على رَضِوَاللَّهُعَنهُ فى حرب صِفِّين، فلما اتفق علىٌّ ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليًّا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسى رهان.

فكفر معاوية بقتال علىٍّ ثم كفر علىٌّ بتحكيم الحكمين، وكفَّروا طلحة والزبير، فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علىّ، وقد شهد النبى ﷺ أن الطائفة التى تقاتلهم أقرب إلى الحق وهذه شهادة من النبى ﷺ لعلىٍّ وأصحابه بالحق وهذا من معجزات النبى ﷺ لكونه أخبر بما يكون، فكان على ما قال...

وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة على رَضِوَاللَّهُعَنهُ وخطأ مَن خالفه[(٤)].

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٨/ ٤٠، ٤١).

(٢) هذه الأحاديث فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥، ٧٤٦).

(٣) شرح النووى على صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

(٤) منهاج القاصدين فى فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة، (ص ٧٥، ٧٦) نقلًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٣) نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين على).

الأوسمة التى وضعها النبى ﷺ على صدر عليّ رضي الله عنه

وها هى باقة عطرة من مناقبه رضي الله عنه والأوسمة التى وضعها الحبيب ﷺ على صدره.

۞ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»[1].

۞ وقال ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ بن أبي وقاص فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ**»[2].

۞ وعَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ السَّلُولِيِّ -وكان ممن شهد حجة الوداع- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، لا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**»[3].

۞ وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: «**اذْهَبْ فَوَارِهِ، ثُمَّ لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**» قَالَ: فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَاغْتَسِلْ، ثُمَّ لا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي**». قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، قَالَ: فَدَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرَ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٥٠).

(٣) حسن: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٤٠٩١).

النَّعَمِ وَسُودَهَا قَالَ: «**وَكَانَ عَلِيٌّ، إِذَا غَسَّلَ الْمَيِّتَ اغْتَسَلَ**»(١).

۞ وعَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»(٢).

۞ وَعَن ابْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلامُ، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «**عَلَى مَكَانِكُمَا**». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «**أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِين فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»(٣).

۞ وَعَن ابْنِ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّ رَجُلًا، جَاءَ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ: هَذَا فُلانٌ - لِأَمِيرِ الْمَدِينَةِ- يَدْعُو عَلِيًّا عِنْدَ الْمِنْبَرِ(٤)، قَالَ: فَيَقُولُ: مَاذَا؟ قَالَ: يَقُولُ لَهُ: أَبُو تُرَابٍ فَضَحِكَ، قَالَ: وَاللهِ مَا سَمَّاهُ إِلَّا النَّبِيُّ ﷺ وَمَا كَانَ لَهُ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُ، فَاسْتَطْعَمْتُ الْحَدِيثَ سَهْلًا، وَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ كَيْفَ ذَلِكَ قَالَ: دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ثُمَّ خَرَجَ فَاضْطَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ، قَالَتْ: فِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فَوَجَدَ رِدَاءَهُ قَدْ سَقَطَ**

---

(١) صحيح: رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٧٨) كتاب الإيمان.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٧٠٥) كتاب المناقب.

(٤) في رواية مسلم: استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليًّا قال: فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب ... فقال سهل: ما كان لعليٍّ اسم أحب إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها ...

عَنْ ظَهْرِهِ، وَخَلَصَ التُّرَابُ إِلَى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ» فَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ مَرَّتَيْنِ»(١).

۞ وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»(٢).

۞ وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ أَنَا وَرَجُلَانِ، مَعِي، فَنِلْنَا مِنْ عَلِيٍّ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَضْبَانَ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَتَعَوَّذْتُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ، فَقَالَ: «مَا لَكُمْ وَمَا لِي؟ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي»(٣).

۞ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ بِبَرَاءَةٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ: «لا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُدَّةٌ فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَاللهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَسَارَ بِهَا ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «الْحَقْهُ فَرُدَّ عَلَيَّ أَبَا بَكْرٍ وَبَلِّغْهَا أَنْتَ»، قَالَ: فَفَعَلَ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ بَكَى. قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدَثَ فِيَّ شَيْءٌ؟ قَالَ: «مَا حَدَثَ فِيكَ إِلَّا خَيْرٌ، وَلَكِنْ أُمِرْتُ أَنْ لا يُبَلِّغَهُ إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١) كتاب الصلاة، ومسلم (٢٤٠٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٧٠٦) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) صحيح: رواه أحمد، والحاكم، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (٥٩٢٤).

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣، رقم ٤)، قال الهيثمي (٣/ ٢٣٩): في الصحيح بعضه رواه أحمد ورجاله ثقات.

۞ وعَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذِي القَعْدَةِ، فَأَبَى أَهْلُ مَكَّةَ أَنْ يَدَعُوهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ حَتَّى قَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يُقِيمَ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَتَبُوا الكِتَابَ، كَتَبُوا: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَقَالُوا: لاَ نُقِرُّ بِهَا، فَلَوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا مَنَعْنَاكَ، لَكِنْ أَنْتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ اللهِ، وَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ**»، ثُمَّ قَالَ لِعَلِيٍّ: «**امْحُ رَسُولُ اللهِ**»، قَالَ: لاَ وَاللهِ لاَ أَمْحُوكَ أَبَدًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الكِتَابَ، فَكَتَبَ هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، لاَ يَدْخُلُ مَكَّةَ سِلاَحٌ إِلَّا فِي القِرَابِ، وَأَنْ لاَ يَخْرُجَ مِنْ أَهْلِهَا بِأَحَدٍ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يَتَّبِعَهُ، وَأَنْ لاَ يَمْنَعَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ أَرَادَ أَنْ يُقِيمَ بِهَا، فَلَمَّا دَخَلَهَا وَمَضَى الأَجَلُ، أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا، فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ تُنَادِي: يَا عَمِّ يَا عَمِّ، فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ، حَمَلَتْهَا، فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ، وَزَيْدٌ، وَجَعْفَرٌ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي، وَقَالَ جَعْفَرٌ: ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ أَخِي، فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا، وَقَالَ: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»، وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ**»، وَقَالَ لِجَعْفَرٍ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»، وَقَالَ لِزَيْدٍ: «**أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلاَنَا**».

وَقَالَ عَلِيٌّ: أَلاَ تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ؟ قَالَ: «**إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**»[1].

۞ وها هو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في يوم خيبر يشهد له النبي ﷺ بأنه يُحب الله ورسوله ﷺ ويحبه الله ورسوله ﷺ وبأن الله سيفتح على يديه.

۞ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٢٥١) كتاب المغازي، ومسلم (١٧٨٣) كتاب الجهاد والسير.

غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١).

۞ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، قَالَ فَتَسَاوَرْتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَى لَهَا، قَالَ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ» قَالَ فَسَارَ عَلِيٌّ شَيْئًا ثُمَّ وَقَفَ وَلَمْ يَلْتَفِتْ، فَصَرَخَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى مَاذَا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»(٢).

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٥) كتاب فضائل الصحابة.

ثلاثة أغلى من الدنيا وما فيها

۞ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لَأَنْ تَكُونَ لِي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ.

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِي مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي**» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «**ادْعُوا لِي عَلِيًّا**» فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ[1] ... وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[2] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «**اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»[3].

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي ... وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي
وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُمْسِي وَيُضْحِي ... يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وَزَوجِي ... مَنُوطٌ لَحْمُهَا بِدَمِي وَلَحْمِي
وَسِبْطَا أَحْمَدَ ابْنَايَ مِنْهَا ... فَأَيُّكُمُ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي

---

(١) تنبيه: عند النسائى فى الخصائص عقب حديث (٥٢) - وهو هذا الحديث - زيادة: فوالله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة. وإسنادها صحيح وفيها شدة تورع معاوية وتوقفه عند حديث رسول الله ﷺ.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (٦١).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة.



موقعة الجمل

اختلاف أصحاب الرسول ﷺ فى الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه

۞ لقد علمنا أن الناس قد بايعوا على بن أبى طالب رضي الله عنه مع بداية العام السادس والثلاثين من الهجرة.. وكان أول من بايع عليًّا: طلحة والزبير رضي الله عنهما .. ولكن بعد هذه البيعة بأيام بدأت الخلافات تظهر بسبب اختلاف وجهات النظر فى كيفية وموعد القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه .

۞ فلقد ذهب طلحة والزبير إلى عليٍّ رضي الله عنهم وطلبا منه أن يقيم الحد على قتلة عثمان رضي الله عنه فى أسرع وقت.. فاعتذر عليٌّ بكلامٍ يعكس مدى رجاحة عقله، وقال لهم: «إن قتلة عثمان لهم مددٌ وأعوان».

۞ فعلى بن أبى طالب لم يرفض إقامة الحد والقصاص من قتلة عثمان، وإنما كان ينتظر حتى يستتب له الأمر، وبخاصة وأن قوة هؤلاء المتمردين لا يُستهان بها، فقد كانت أعدادهم كبيرة، ولذلك رفض عثمان أن يقاتلهم؛ لأنهم كثرة وخاف أن تُسفَك الدماء فى المدينة فقال: «والله ما أحب أن ألقى الله وفى عنقى قطرة دمٍ لامرئٍ مسلم».

۞ ولم تكن هناك فى المدينة قوة تستطيع أن تجابه هؤلاء المجرمين الذين نشروا الفزع فى المدينة... حتى أنه جاء فى بعض الروايات - وإن كان فيها مقال - أنَّ المدينة ظلَّت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ما يقرب من أسبوع تحت وطأة الغافقى (قاتِل عثمان) الذى كان يتقدم ليصلى بالمسلمين عنوة فى مسجد الرسول ﷺ.. مما جعل على بن أبى طالب يتخلف عن صلاة الجماعة وأغلق على نفسه باب داره.

۞ فكان على رضي الله عنه يخشى أن تثور تلك الجيوش الكاسرة للمتمردين فتقضى على الأخضر واليابس إن أقام عليهم الحد... وكان هذا الاجتهاد من علىٍّ رضي الله عنه فى تأجيل إقامة الحد على قتلة عثمان من باب مراعاته للمصالح والمفاسد واختياره لأخف الضررين.

نائلة زوج عثمان رضي الله عنه ترسل قميص عثمان لمعاوية

۞ ومع أن على بن أبى طالب لم يعترض على إقامة الحد على قتلة عثمان، وإنما أراد اختيار الوقت المناسب حتى لا تحدث فتنة أكبر وتُسفَك الدماء فى المدينة... إلا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما رفضا هذا الاجتهاد.. وثارا وثار معهما عددٌ كبير من الصحابة.. وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه.

۞ فلقد كانت نائلة زوج عثمان رضي الله عنهما قد أرسلت ذلك القميص الذى قُتل فيه عثمان إلى معاوية ووضعت فى ذلك القميص أصابعها التى قُطعت وهى تدافع عن زوجها الذى تستحى منه ملائكة الرحمن.

ويُقال أن أم حبيبة بنت أبى سفيان هى التى أرسلت قميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام -فالله أعلم-.

وكان معاوية عاملًا لعثمان على بلاد الشام، كانت جيوشه فى الشام من أقوى الجيوش فى ذلك الوقت.

۞ فلما وصل القميص إلى معاوية ورآه تذكَّر ما حدث لعثمان فبكى بكاءً شديدًا.. ولم يتمالك نفسه فقد خرج بقميص عثمان إلى المسجد الدمشقي، وعلق قميص عثمان الذى قُتل فيه على المنبر وعلق فى القميص أصابع نائلة.

فلما رأى المسلمون فى بلاد الشام هذا المشهد الذى يخلع القلوب بكوا بكاءً شديدًا وطلبوا من معاوية أن يثأر لعثمان، وأن يطلب من عليٍّ ﵁ سرعة القصاص وإقامة الحد على قتلة عثمان.

۞ وهنا رفض معاوية أن يعطى البيعة لعليٍّ ﵄ حتى يقيم الحد على قتلة عثمان أو يُسلمهم إليه ليقيم عليهم الحد.

۞ ولا بد أن نعلم هنا أن معاوية لم يطلب الخلافة أبدًا، ولم ينكر فضل عليٍّ واستحقاقه للخلافة.. وإنما أخَّر البيعة لعليٍّ حتى يقيم الحد على قتلة عثمان أو يُسلمهم إليه.

۞ ومن هنا نعلم أن الخلاف الذى نشأ بين أمير المؤمنين (علىٍّ) من جهة، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى، ثم بعد ذلك بين علىٍّ ومعاوية لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقدحون فى خلافة أمير المؤمنين (علىّ) وإمامته وأحقيته بالخلافة والولاية على المسلمين، فقد كان هذا محل إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل علىٍّ واستحقاقه الخلافة، ولكن اجتهاده أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القَود من قتلة عثمان ﵁ على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[1].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحًا فى خلافة أمير المؤمنين علىّ ﵁ وإنما اختلافهم فى قضية الاقتصاص من قتلة عثمان، ولم يكن خلافهم فى أصل المسألة، وإنما كان فى الطريقة التى تُعالَج بها هذه القضية، إذ كان أمير المؤمنين (علىّ) موافقًا من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنِّحل (٤/ ١٦٠).

عثمان، وإنما كان رأيه أن يُرجئ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة(١).

إن معاوية رضي الله عنه كان من كُتَّاب الوحي، ومن أفاضل الصحابة، وأصدقهم لهجة، وأكثرهم حلمًا، فكيف يُعتقَد أن يقاتل الخليفة الشرعى ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلْكٍ زائل؟ وهو القائل: والله لا أُخيَّر بين أمرين، بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه (٢)، وقد ثبت عن رسول: ﷺ أنه قال فيه: «**اللهم اجعله هاديًا مهديًّا واهدِ به**»(٣)، وقال: «**اللهم علِّم معاوية الكتاب والحساب وقِهِ العذاب**»(٤). أما وجه الخطأ فى موقفه من مقتل عثمان رضي الله عنه، فيظهر فى رفضه أن يبايع لعليّ رضي الله عنه قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان،... ويُضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء، وحرصهم على قتله بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم، بل يدخل فى الطاعة، ويرفع دعواه إلى الحاكم، ويطلب الحق عنده (٥)، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحدٍ أن يقتصّ من أحدٍ ويأخذ حقه دون السلطان، أو مَن نصَّبه السلطان لهذا الأمر؛ لأن ذلك يُفضى إلى الفتنة وإشاعة الفوضى (٦).

---

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج (ص١٥٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٣/ ١٥١).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وابن عساكر، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٩٦٩).

(٤) رواه أحمد فى فضائل الصحابة (٢/ ٩١٣): وإسناده حسن.

(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥١).

(٦) «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٥٦).

ويمكن القول: إن معاوية رضي الله عنه كان مجتهدًا متأولًا يغلب على ظنه أن الحق معه، فقد قام خطيبًا فى أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولى عثمان -ابن عمه- وقد قُتل مظلومًا، وقرأ عليهم الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[١].

ثم قال: أنا أحب أن تعلمونى ذات أنفسكم فى قتل عثمان، فقام أهل الشام جميعهم وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، وبايعوه على ذلك، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يُفنى الله أرواحهم[٢]. وإذا قارنَّا بين طلحة والزبير رضي الله عنهما ومعاوية رضي الله عنه، لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية من أربعة أوجه كان أولها: مبايعتهما لعلى رضي الله عنه طائعين مع اعترافهما بفضله، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفًا بفضله[٣]. والثاني: منزلتهما فى الإسلام وعند المسلمين وسابقتهما .. ومعاوية لاشك دونهما فيها[٤]. الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ولم يتعمدا محاربة عليٍّ ومن معه فى وقعة الجمل[٥]، بينما أصر معاوية على حرب عليٍّ ومن معه فى صِفِّين[٦] والرابع: لم يتهما عليًّا بالهوادة فى أخذ القصاص من قتلة عثمان، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك[٧].

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٣).

(٢) «صفين » لابن مزاحم (ص ٣٢)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٢).

(٣) «البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، و«فتح الباري» (١٣/ ٩٢).

(٤) كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة.

(٥) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١١٣)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٧٥).

(٦) «تاريخ الطبري» (٥/ ٦١٢ - ٦١٣).

(٧) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٣٩)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٩) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة) / د. على الصلابي.

إنَّ سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة

❁ قال النووى رَحِمَهُ اللَّهُ:

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

قسم ظهر لهم بالاجتهاد: أن الحق فى هذا الطرف، وأن مُخالفه باغٍ، فوجب عليهم نُصرته، وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل فى قتال البغاة فى اعتقاده.

وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدتهم وقتال الباغى عليهم.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخر عن نُصرته فى قتال البُغاة عليه[1].

موقف أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لما سمعت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بموت عثمان فى طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحِجر فتستَّرت فيه، واجتمع الناس إليها.

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٥/ ١٤٩).

وجاء في رواية أن عائشة رضي الله عنها حين انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي -أمير مكة- فقال لها: ما رَدَّك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّني أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام[١]...وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان، ولعنها لمن قتله، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله في فضائله...فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية عن أمها، أنها سألت عائشة، عندما أرسلها عمّها فقال: إن أحد بنيك يُقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد أكثروا فيه، فقال: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدًا عند نبي الله، وإن رسول الله ﷺ مُسنِدٌ ظهره إليَّ، وإن جبريل عليه السلام ليوحي إليه القرآن وإنه ليقول: «**اكتب عثمان**»، فما كان الله ليُنزل تلك المنزلة إلا كريمًا على الله ورسوله[٢].

موقف طلحة والزبير رضي الله عنهما

طلب طلحة والزبير ومَن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين على رضي الله عنهما تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، فقال لهم أمير المؤمنين على رضي الله عنه: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثاب إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعًا لقدرة على شيء مما تريدون؟.

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٥).

(٢) «المسند» (٦/ ٢٥٠ - ٢٦٠)، و«تحقيق مواقف الصحابة» (١/ ٣٧٨).

قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأيًا ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، إن لهؤلاء القوم مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرّع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبدًا ... إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها، وتؤخذ الحقوق فاهدؤوا عنى وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا [١]... ولكن هذه السياسة الحكيمة، لم يتفهم بها بعضهم فالناس فى حال غضبهم، وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكًا واقعيًّا يمكنهم من التقدير الصحيح، فتنعكس فى تقديرهم الأوضاع ويظنون المستحيل ممكنًا، ولذلك قالوا: نقضى الذى علينا ولا نؤخره[٢]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان[٣]، وأُخبر عليٌّ بمقالتهم، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئًا فى مثل تلك الظروف فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غدًا مثلها ولا نستطيع أن نحتجّ فيهم بشيء[٤].

وكأن رواد الفتنة من السبئية تَبادَر إلى أذهانهم، أن الخليفة يريد أن يُجرّدهم من أعوانهم الذين يشدّون أزرهم ويقضون إلى جوارهم، فعصوا ذلك الأمر وحرّضوا الأعراب على البقاء فأطاعوهم وبقوا فى أماكنهم.

ففى اليوم الثالث بعد البيعة خرج عليٌّ وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهكم: فأبت السبئية

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).

(٣) «الدور السياسي» (ص ٣٧٨).

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).

وأطاعهم الأعراب، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير فى عدة من أصحاب النبى ﷺ فقال: دونكم ثأركم، فقالوا: عشوا عن ذلك [(١)]، فقال لهم عليٌّ: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، ثم أنشد يقول:

لَوْ أَنَّ قَوْمِى طَاوَعَتْنِى سَرَاتُهمْ   أَمَرْتهُمْ أَمْرًا يُدِيخ الأَعَادِيَا [(٢)]

حتى هذه اللحظة فإن عليًّا وطلحة والزبير والصحابة جميعًا رضي الله عنهم، كانوا يَبدون متفقين تمامًا على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة، دفعًا لضررهم على الدين كله، وكانوا متعاونين فى ذلك، وكان الأمر يبدو منطقيًّا تمامًا من علىٍّ رضي الله عنه واتفق معه الصحابة فى ذلك، ولكن كيف يصنعون بهؤلاء الغوغاء الذين تحكَّموا فى الأمور، وحركوا معهم العبيد والأعراب؟ وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاؤوا، لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم [(٣)].

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلىٍّ لمواجهة السبئية الموجودة حول عليٍّ، فقد قال طلحة لعليٍّ: دعنى آتِ البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا فى خيل، وقال الزبير: دعنى آتِ الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا فى خيل [(٤)]، ولكن عليًّا نراه يتريث ويقول لهما: حتى أنظر فى ذلك [(٥)].

ولعل عليًّا كان يخشى الفتنة وتحوُّل الأمر إلى حربٍ أهلية داخل المدينة لا تُحمَد عُقباها، ولذلك لم يُجب طلحة والزبير إلى

---

(١) عشوا: عشًا: ساء بصره، وهنا لم يروا.

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦١).

(٣) «فتح الباري» (١٢/ ٣٦٠).

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦١).

(٥) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦١).

مطلبهما[١]، وكان اقتراح الزبير وطلحة على عليٍّ دليلًا على اقتناعهما فى الوقت نفسه بما قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين فى داخل الصف يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حَدٍّ من الحدود وتقوية جانب عليٍّ حتى يتمكن من إقامتها، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر عليٌّ فى ذلك، لكن عليًّا كان يرى أن هذا الأمر الذى وقع لا يُدرَك إلا بإماتته، وإنها فتنة من النار كلما سُعِّرت ازدادت واستنارت [٢].

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان، ولم يستطيع عليٌّ أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغُل فى جيش عليٍّ، عندئذ قال طلحة والزبير لعليٍّ: ائذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر [٣] وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بُدًّا فآخر الدواء الكى [٤]، فقد كان عليٌّ يعرف أن خروجهما من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حَلٍّ؛ فلم يمنعهما من ذلك، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حَلٍّ أيضًا، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة [٥].

لقد ذهب الزبير وطلحة إلى مكة والتقوا بكمٍّ غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٠٨).

(٢) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦٧)، دور المرأة السياسى (ص ٣٨٠).

(٣) نكابر: نجاحد ونغالب على الأمر.

(٤) «تاريخ الطبري» (٥/ ٣٦٨)، و«دور المرأة السياسي» (ص ٣٨٠).

(٥) «دور المرأة السياسي» (ص ٣٨٠، ٣٨١).

موقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان أمير المؤمنين على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينتظر حتى يستتب له الأمر، ثم ينظر فى شأن قتلة عثمان، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حد القصاص عليهم اعتذر لهم بأنهم كثير، وأنهم قوة لا يُستهان بها، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور، فتؤخذ الحقوق؛ لأن الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح، ... وقد ألمح أمير المؤمنين على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اختيار أهون الشَّرين حين قال: هذا الذى ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم -قتلة عثمان- وهو خيرٌ من شرٍّ منه: القتال والفُرقة[1].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضى تأخير القصاص لا تركه فأخَّر القصاص من أجل هذا، وهذا فيه اقتداء بالنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حادثة الإفك، وذلك أنه تكلم فى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مجموعة من الناس وكان الذى تولى كِبرَهُ عبد الله بن أُبى ابن سلول، فصعد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: «**من يعذرنى فى رجل وَصل أذاه إلى أهلي؟** » يعنى عبد الله بن أبى ابن سلول، فقام سعد بن معاذ وقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله، فقام سعد بن عُبادة فردَّ على سعد بن معاذ، وقام أُسيد بن حضير فردَّ على سعد بن عبادة فصار النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخفضهم[2]، وقد عَلم أن الأمر عظيم، ذلك لأن قبل مجيء النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أبى ابن سلول ملكًا عليهم، فهو له عندهم منزلة عظيمة، وهو الذى رجع بثلث

---

(١) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٦٠).

(٢) «البخاري»، كتاب المغازى رقم (٤١٤١).

الجيش فى معركة أُحُد... والنبى ﷺ هنا ترك إقامة الحد على عبد الله بن أبى ابن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة؛ إذ رأى أن جَلْدَه أعظم مفسدة من تركه، ... وكذلك أمير المؤمنين على رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله، لأن عليًا رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلًا؛ لأن لهم قبائل تدافع عنهم، والأمن غير مستتب، وما زالت فتنة، ومن يقول: إنهم لن يقتلوا عليًا رضي الله عنه؟ وقد قتلوه بعد ذلك [١].

كان أمير المؤمنين على رضي الله عنه ينتظر بقتلة عثمان رضي الله عنه أن يستوثق الأمن وتجتمع الكلمة ويرفع الطلب من أولياء الدم، فيحضر الطالب للدم والمطلوب، وتقع الدعوة ويكون الجواب، وتقوم البيّنة ويجرى القضاء فى مجلس الحكم [٢]، ولا خلاف بين الأمة فى أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدّى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة [٣]، وأما ما أُثير عن وجود قتلة عثمان فى جيش أمير المؤمنين علىّ رضي الله عنه وكيف يرضى أن يكون هؤلاء فى جيشه؟، فقد أجاب الإمام الطحاوى عن هذه الشبهة بقوله: وكان فى عسكر علىٍّ رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تَقُم عليه حجة بما فعله، ومن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله [٤]... وعلى كل حال، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم، المتبرئ من فعلهم، وكان راغبًا فى الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم، لو وجد إلى ذلك سبيلًا ... وتجلّى هذا فى أمرين:

---

(١) «حقبة من التاريخ» (ص ١٠٢).

(٢) «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٦).

(٣) «أحكام القرآن» لابن العربى (٢/ ١٧١٨).

(٤) «شرح الطحاوية» (ص ٥٤٦).

(١) موقفه من قتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لقد أنكر عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتبرأ من دمه، وكان يقسم على ذلك فى خطبه وغيرها أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالأ ولا رضي.

وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع [1]، خلافًا لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضيًا بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [2]...وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة فى مقتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأما الذى ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليَّ بن أبى طالب، فإنه كذب وزور؛ فقد تواترت الأخبار بخلافه [3].

وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وافتراء عليه، فعليٌّ لم يشارك فى دم عثمان، ولا أمر ولا رضي، وقد روى عنه ذلك وهو الصادق البار [4]، وقد قال على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إنى أبرأ إليك من دم عثمان [5].

(٢) محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعاملهم بحذرٍ شعورًا منه بخطرهم، حتى أنه لم يُولِّ أحدًا منهم عند إرادة خروجه للشام، حيث دعا ولده محمد ابن الحنفية وسلَّمه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على الميسرة، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر ابن الجراح [6]، واستخلف على المدينة قثم بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [7]... وهذه بادرة منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين،

---

(١) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢).

(٢) «العقيدة فى أهل البيت بين الإفراط والتفريط» (ص ٨٢٢).

(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٣).

(٤) «منهاج السنة» (٤/ ٤٠٦).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٠٢)، وإسناده حسن.

(٦) «تاريخ الطبري»، و«تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٨).

(٧) «تاريخ الطبري» (٥/ ٤٧٠).

ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم، فقد كان له فى المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يُغنيه عن الاستعانة بهم، والتودد إليهم وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك، وهو كافٍ فى عذره؛ لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر فى جيشه، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشّدة أن يمتدّ حبل الفتنة فى الأمة [١].

موقف مُعتزلى الفتنة

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة رضي الله عنهم على قول رسول الله ﷺ: «**ستكونُ فِتَنٌ القاعدُ فيها خير من القائم، والقائمُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تَشَرّفَ لها تَسْتَشْرِفْهُ، فمن وَجَد منها ملجأً أو معاذًا فَلْيَعُذْ به**»[٢]. قال ابن حجر: ففى الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها، وأن شرها يكون بحسب التعلق بها [٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتنة، يكون المضطجعُ فيها خيرًا من الجالس، والجالسُ فيها خيرًا من القائم، والقائمُ خيرًا من الماشي، والماشى خيرًا من الساعي**»، قالوا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال:

«**من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه**»، قالوا: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيضرب بحدِّه على حرّة، ثم لِيَنْجُ ما استطاع النجاء**»[٤].

---

(١) «إفادة الأخبار» للتبانى (٢/ ٥٢) نقلًا عن: «تحقيق مواقف الصحابة» (٢/ ١٥٩).

(٢) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧٠٨١).

(٣) «الفتح» (١٣/ ٣١).

(٤) «مسلم»، كتاب الفتن وأشراط الساعة.

وقال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شَعَفَ الجبالِ ومواقِعَ القطر، يَفِرُّ بدينه من الفتن**»[١]، وغير ذلك من الأحاديث التى تدعو صراحة إلى النهى عن الدخول فى قتال الفتنة.

۞ وقد ذهب ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال فى الجمل وصِفِّين أقل عددًا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[٢].

۞ **وقال ابن تيمية**: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا، لا من هذا الجانب، ولا من هذا الجانب، .... واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبى ﷺ فى ترك القتال فى الفتنة، وبيَّنوا أن هذا قتال فتنة[٣].

وقد ذهب الإمام القرطبى إلى أن العلة فى توقف الصحابة عن المشاركة فى القتال مع الإمام عليٍّ، هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[٤].

۞ لما قيل لسعد بن أبى وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك، قال: لا أقاتل حتى يأتونى بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[٥].

---

(١) «البخاري»، كتاب الفتن رقم (٧٠٠٨).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٣٤).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٥٥).

(٤) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣١٩).

(٥) «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٩٩) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

خروج طلحة والزبير رضي الله عنهما إلى مكة

۞ وتعالوا بنا لنعود إلى المدينة مرة أخرى.

فإنه لما اعتذر عليٌّ لطلحة والزبير عن أن الوقت ليس مناسبًا لإقامة الحد على قتلة عثمان.. قرر طلحة والزبير الخروج من المدينة إلى مكة ليلتقيا بأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.. وظنَّ طلحة والزبير أن خروج عائشة رضي الله عنها معهما لحثِّ الناس على المطالبة بدم عثمان سيجعل الناس يمتثلون أمرها؛ لأنها أمِّ المؤمنين ولها حقٌّ عليهم جميعًا.

ولا يظن أحدٌ أن طلحةَ والزبير قد خرجا من المدينة إلى مكة؛ لأنهما قد نقضا البيعة لعليٍّ رضي الله عنه ... كلا وألف كلا ... بل إنهما ما خرجا من المدينة إلى مكة إلا لملاقاة عائشة رضي الله عنها .. وما خرجا إلا للإصلاح وللمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه.

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة – رضى الله عنهم جميعًا – وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريبًا، أى فى ربيع الآخر من عام٣٦هـ[1]، ثم بدأ التفاوض فى مكة مع عائشة، رضي الله عنها، للخروج، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئًا لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة وأنه لا تكفير لذنبهم هذا – حسب قولهم- إلا الخروج للمطالبة بدمه، علمًا بأن عثمان هو الذى نهى كل من أراد أن يدافع عنه فى حياته تضحية فى سبيل الله، ... فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلومًا والله

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٩).

لأطالبن بدمه[١]، وطلحة يقول: إنه كان منى فى عثمان شيء ليس توبتى إلا أن يُسفَك دمى فى طلب دمه[٢]، والزبير يقول: نُنهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يَبْطل، فإن فى إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبقَ إمام إلا قتله هذا الضرب[٣].

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلًا بأن يحرك الناس ويُخرجهم من راحتهم واستقرارهم، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة، فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى؛ فشيَّعه أولاده بالبكاء وسُمى يوم خروجهم من مكة نحو البصرة بـ(يوم النحيب)، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكيًا على الإسلام، أو باكيًا له من ذلك اليوم[٤].

لقد توافرت مجموعة من العوامل فى مكة جعلتهم يفكرون فى طريقة جادة لتحقيق مطلبهم،... ومن هذه العوامل: أن بنى أمية قد هربوا من المدينة واستقروا فى مكة، ومنها: أن عبد الله بن عامر – أمير البصرة فى عهد عثمان– كان فى مكة وهو يحث على الخروج ويعرض المعونة المادية، ومنها: أن يعلى بن أمية الذى خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل إلى مكة، وقد قُتل الخليفة ومعه من المال والسلاح والدواب شيء لا بأس به، فعرض كل ذلك للمساعدة فى قتل قتلة عثمان، فكان هذا كفيلًا لتشجيع

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٤).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧)، دراسات فى عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع: (ص٤١٧).

الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان، وما دامت العوامل قد توافرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان فمن أين يبدءون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التى يتوجهون إليها فقال بعضهم – وعلى رأسهم السيدة عائشة–:إن المدينة هى وجهتهم، وظهر رأى آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معًا ضد قتلة عثمان، وبعد نظر طويل استقرَّ رأيهم على البصرة، لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرون على مواجهتهم لقلتهم، ولأن الشام صار مضمونًا لوجود معاوية، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى فى هذه الخطة لأنها أقل البلدان قوة وسلطة، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم[1].

وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم، أو أثناء طريقهم، أو عند وصولهم إلى البصرة وهي: المطالبة بدم عثمان، والإصلاح، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[2]، وأن هذا المطلب هو لإقامة حدٍّ من حدود الله[3]، وأنه إذا لم يؤخذ على أيدى قتلة عثمان رضي الله عنه فسيكون كل إمام مُعرَّضًا للقتل من أمثال هؤلاء[4].

وأما الطريقة التى تصورها فهى الدخول إلى البصرة ثم الكوفة، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الخناق على قاتلى عثمان الموجودين فى جيش عليٍّ فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا[5].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٧٦)، دراسات فى عهد النبوة: (ص٤١٨).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٩).

(٣) دراسات فى عهد النبوة: (ص٤١٩).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٥) دراسات فى عهد النبوة: (ص٤١٩).

كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأى إسلامى عام فى مواجهة الطغمة السبئية التى قتلت عثمان، وأصبحت ذات شوكة لا يُستهان بها، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيون والغوغاء من أهل الأمصار ونُزّاع القبائل، ومَن ظاهرهم من الأعراب والعبيد، فلقد بات واضحًا عند الصحابة من الفريق الذى كان يرى رأى عائشة رضي الله عنها أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود فى جيش علىٍّ، وأنه لأجل ذلك فإن عليًّا رضي الله عنه يَصْعُب عليه مواجهتهم، خشية منه على أهل المدينة، ومن ثم فإنه ينبغى عليهم أن يحاولوا السعى لإفهام المسلمين، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود، لتتم إقامتها بأقل الخسائر فى دماء الأبرياء، وهو هدف لا نشك أن عليًّا كان يسعى إليه، ويحاوله، بل إن الروايات التى مرت معنا فى المحاورة بين الزبير وطلحة وعلىٍّ تدل على ذلك، ثم إن هذا السلوك منهم، وهذه النية فى تعريف الناس، وتوضيح الأمور لهم، دليل على وعى تام منهم بأساليب السبئية فى اللعب بأفكار العامة، وتوجيهها على النحو الذى ينخر فى الأمة حتى لا تستقر على حال، فكان لابد من مواجهتها فى ميدان الأفكار، لإبطال عملها، ولقد تبين هذا العمل واضحًا، وصريحًا فى الروايات الصحيحة[1]، التى تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج،.... فروى الطبرى أن عثمان ابن حنيف – وهو والى البصرة من قِبَل أمير المؤمنين على بن أبى طالب – أرسل إلى عائشة رضي الله عنها عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها، فقال: والله ما مثلى يسير بالأمر المكتوم، ولا يغطى لبنيه الخبر.

(١) دور المرأة السياسي: (ص٣٩٤).

إن الغوغاء من أهل الأمصار، ونُزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المُحْدَثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا تِرة ولا عذر؛ فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجنود، وأقاموا فى دار قوم كانوا كارهين لمقامهم، ضارين مضرين غير نافعين ولا متقين، ولا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت فى المسلمين أُعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغى لهم أن يأتوا فى إصلاح هذا...وقرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[1] فنهض فى الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره[2].

وروى ابن حبان أن عائشة رضي الله عنها كتبت إلى أبى موسى الأشعرى – والى علىٍّ على الكوفة-: فإنه قد كان من قتل عثمان ما قد علمت، وقد خرجت مُصلحة بين الناس، فَمُرْ مَن قِبَلك بالقرار فى منازلهم، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر المسلمين[3].

فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس، وفيه رَدٌّ على من طعن فى عائشة رضي الله عنها من الشيعة الرافض فى قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها

---

(١) سورة النساء: الآية: (١١٤).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٩).

(٣) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٢).

الله بالاستقرار فيه فى قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] فإن سفر الطاعة لا ينافى القرار فى البيت وعدم الخروج منه إجماعًا،... وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين - عائشة - فى خروجها للإصلاح للمسلمين وكان معها مَحرمها ابن أختها عبد الله بن الزبير[2].

هل أُكرهت أمنا عائشة على الخروج؟

زعم اليعقوبى أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج، وهذا غير صحيح، فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بثأر عثمان منذ اللحظة التى علمت فيها بمقتله رضي الله عنه وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة؛... ذلك أنه قد روى أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة أتاها عبد الله بن عامر الحضرمى فقال: ما رَدَّك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردَّنى أن عثمان قُتل مظلومًا، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا دم عثمان تعزُّوا الإسلام. فكان عبد الله أول من أجابها[3]، ولم يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة، وإنما خرجا منها بعدما مَرَّ على مقتل عثمان أربعة أشهر[4].

موقف أزواج النبى ﷺ من الخروج للمطالبة بدم عثمان رضي الله عنه

كان أزواج النبى ﷺ قد خرجن إلى الحج فى هذا العام فرارًا من الفتنة، فلما بلغ الناس بمكة أن عثمان قد قُتل أقمن بمكة، وكن قد خرجن منها

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٢) الانتصار للصحب والآل: (ص ٤٤٤) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٧٥).

(٤) دور المرأة السياسي: (ص ٣٨٣)، تاريخ الطبرى (٥/ ٤٦٩).

فرجعن إليها، .. وكن ينتظرن ما يصنع الناس ويتحسسن الأخبار، فلما بُويع عليٌّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار، فاجتمع بمكة منهم خلقٌ كثير من الصحابة وأمهات المؤمنين [١]، وكانت بقية أمهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة، فلما اتفق رأى عائشة ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [٢].

كان الخروج فى أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمهات المؤمنين، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة، غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنها وافقت عائشة على السير إلى البصرة، وإنما عزم [٣] عليها أخوها عبد الله كى لا تخرج، فلم يكن عدم خروجها ناتجًا عن اقتناع منها [٤].. لم قالت لعائشة: إن عبد الله حال بينى وبين الخروج، وأرسلت إلى عائشة بعذرها [٥].

وتكاد الروايات الشائعة تبدى أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأى عائشة ومن معها فى الخروج إلى البصرة، وأنها كانت ترى ما يراه عليٌّ [٦]، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هى أنها أرسلت إلى عليٍّ ابنها عمر بن أبى سلمة قائلة: والله لهو أعزُّ علىَّ من نفسي، يخرج معك فيشهد

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٤١).

(٣) عزم عليها: أقسم عليها.

(٤) دور المرأة السياسي: (ص ٣٨٦).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٧).

(٦) أنساب الأشراف (٤/ ٢٢٤).

مشاهدك. فخرج فلم يزل معه[١]... وهى رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعنى أنها كانت تخالف أمهات المؤمنين فى القول بالإصلاح بين المسلمين،.. فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو يخرجون على خلافته كما رأينا، وكما سوف تؤكد لنا الأحداث، كما أننا لم نجد فى الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين فى أهمية السعى للإصلاح[٢].

وكانت أمهات المؤمنين يعلمن أن هذا الخروج فى الإصلاح بين المسلمين مما يدخل فى معنى الفرض الكفائى، هذا وقد خرج أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة، وفى ذلك معنى من معانى المعاونة والتشجيع لها على أمرها[٣].

مرور أمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا على ماء الحوأب

ستعجب أيها الأخ الحبيب حينما تعلم أن النبى ﷺ قد أخبر أمهات المؤمنين بتلك الحادثة.

روى أحمد وابن أبى شيبة فى «مصنفه» بسندٍ صحيحٍ أن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما خرجت معهم إلى البصرة مرَّت على بعض مياه بنى عامر ليلًا، فنبحت عليها الكلاب؛ فقالت عائشة: أيُّ ماءٍ هذا؟ فقالوا: ماء الحَوْأَب، فوقفت، وقالت: ما أظننى إلَّا راجعة! ما أظننى إلَّا راجعة، فقال لها طلحة والزُّبير:

---

(١) أسد الغابة (٤/ ١٦٩)، الإصابة (٤/ ٤٨٧)، دور المرأة السياسى (ص ٣٨٧)، المستدرك مرويات أبى مخنف: (ص ٢٥٧).

(٢) دور المرأة السياسي: (ص ٣٨٧).

(٣) دور المرأة السياسي: (ص ٣٨٩).

مهلًا يا أُمَّاه رحمك الله، بل تقدمى إلى البصرة فيراك المسلمون، فيُصلح الله ذات بينهم[١].

هكذا كانت نية طلحة والزبير.. بل ونية أمنا عائشة رضي الله عنها أن يكونوا سببًا للإصلاح بين المسلمين.

وفى رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال يومًا لزوجاته أمَّهات المؤمنين: « **أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الأَدْبَبِ**[٢]، **تَخْرُجُ فَتَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، وَتَنْجُو بَعْدَمَا كَادَتْ**» أي: أن تهلك.

وبذلك سُمِّيت موقعة الجمل؛ لأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت راكبة على جمل قدَّمه لها يزيد بن أميَّة فى مكَّة، وكان قد اشتراه من اليمن.

وقُتل جملها فى هذه الواقعة، وكادت أن تُقتل.

وروى الحاكم والبيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ أن الزُّبير رضي الله عنه لما عزم على الرجوع إلى المدينة، بعدما قابله عليٌّ، وقال له كلامًا - سأفصله بعد- لما عرض له ابنه عبد الله بن الزُّبير، وقال: كيف ترجع إلى المدينة؟

فقال الزُّبير: ذكَّرنى عليٌّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ وإنِّى راجع؛ فقال له عبد الله: وهل جئتَ للقتال؟ إنما جئت لتصلح بين النَّاس وليصلح الله بك هذا الأمر[٣].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وابن أبى شيبة، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٣٧٤).

(٢) الجمل الأدبب: هو الذى يظهر على وجهه الشعر الكثيف. وهو نفس هيئة الجمل الذى كانت تركبه عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٤١٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٩١)، والبيهقى فى «دلائل النبوة» (٦/ ٤١٤، ٤١٥)، وقال ابن كثير فى «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤٢): «غريب».

ماذا صنع طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم في البصرة؟

وتعالوا بنا لنرى ماذا صنع طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فى البصرة.

فإنه عندما وصل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم إلى البصرة نزلوا جانب الخريبة[١]، ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قَتَلة عثمان،... كان كثير من المسلمين فى البصرة وغيرها، يودون ويرغبون فى القود[٢] من قتلة عثمان رضي الله عنه إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده، وأن الخروج فى هذا الأمر بدون أمره وطاعته معصية، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة، وأعضاء الشورى ومعهم أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ وأفقه النساء مطلقًا، ومطلبهم الشرعى لا غبار عليه ولا ينكره صحابى واحد، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم، وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدى التميمى يستنصره على الطلب بدم عثمان،... والأحنف من رؤساء تميم وكلمته مسموعة.

يقول الأحنف واصفًا هول الموقف:.. فأتانى أفظع أمر أتانى قط فقلت: إن خُذلانى هؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحوارى رسول الله ﷺ لشديد[٣] إلا أنه اختار الاعتزال، فاعتزل معه ستة آلاف ممن أطاعه من قومه، وعصاه فى هذا الأمر كثير منهم، ودخلوا فى طاعة طلحة والزبير وأم المؤمنين[٤].

(١) موقع جانب البصرة، انظر: خطط البصرة ومنطقها (١١٤ - ١٢٢) العلمي.

(٢) القود: القصاص.

(٣) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد: (ص ١٣٣).

(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٥٦) له شواهد تقويه.

ويذكر الزهرى أن عامة أهل البصرة تبعوهم[١]، وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جُدد لقضيتهم التى خرجوا من أجلها... وقد حاول ابن حنيف تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده حتى قال أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا[٢]. وحتى إن معاوية فيما بعد حاول الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها[٣].

مقتل حُكيم بن جبلة ومَن معه من المجرمين

۞ وفى تلك اللحظات حدثت بعض المناوشات التى لم تكن فى حُسبان طلحة والزبير وأُمنا عائشة رضي الله عنهم.

فلقد أقبل حُكَيم بن جبلة بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها فى أهل البصرة، فأنشب القتال وأشرع أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا ليُمسكوا.. فلم ينتهِ حكيم ومن معه، وظل يقاتلهم، وطلحة والزبير كافُّون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر[٤] خيله ويركبهم بها[٥]، وعلى الرغم من ذلك، فإنه عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشاب القتال، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيدًا عن المقاتلين، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم[٦]، حتى إذا كان الصباح جاء حُكيم بن جبلة

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦) بسند صحيح إلى الزهرى مرسلًا.

(٢) الطبقات (٦/ ٣٣٣).

(٣) فتح البارى (١٣/ ٢٦)، خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد (ص ١٣٧).

(٤) يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٤).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٤).

وهو يبربر، وفى يده الرمح، وفى طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ومن معها.

جعل حُكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله[١]، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمر[٢] منهم، فقالوا لحكيم: فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم، والله لا نَدَعُك حتى يقيدك الله[٣]، فرجعوا وتركوه، ومضى حُكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه وحصره من نُزاع القبائل كلها، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة، فاجتمعوا إليه، ووافقوا أصحاب عائشة، فاقتتلوا قتالًا شديدًا[٤]، وظل منادى عائشة رضي الله عنها يناديهم ويدعوهم إلى الكفِّ فيأبون[٥]، وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم. لكن حُكيمًا لم يُرَع[٦] للمنادى، وظل يُسَعِّر القتال.

عندئذٍ وبعد ما تبينت للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون، وأنهم لا يتورعون ولا ينتهون عن حرمة، وأن لهم هدفًا فى إنشاب القتال، قالا: الحمد لله الذى جمع لنا ثأرنا من أهل البصرة، اللهم لا تُبقِ منهم أحدًا، وأَقِد منهم اليوم، فاقتلهم، فجادُّوهم القتال، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان، ولا نبدأ أحدًا، فاقتتلوا أشد القتال[٧]، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد.

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٤٩٥).

(٢) اغتمر: اغتمس.

(٣) يقيدك الله: القَوَد: القصاص، وقتل القاتل بالقتيل.

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٩).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٩).

(٦) لم يرع: لم يبال.

(٧) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٩).

وكان منادى الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم[١]... وكان فريق من هؤلاء الجُهال والغوغاء - كما قالت عائشة - قد غادوها فى بيتها فى الغَلَس ليقتلوها، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّة بيتها، ومعهم الدليل، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا بيتها رضي الله عنها فدارت عليهم الرحى وأطاف بهم المسلمون فقتلوهم[٢]، واستطاع الزبير وطلحة ومن معهم أن يسيطروا على البصرة وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤنة غذائية، وقد مرت عليهم أسابيع،وهم ليسوا فى ضيافة أحد، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ومن ثَمَّ إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم، وأخلى سبيل عثمان بن حنيف واتجه إلى على[٣]، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم على البصرة وقتلوا عددًا كبيرًا ممن شارك فى الهجوم على المدينة،... قُدِّر بسبعين رجلًا من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حُكيم بن جبلة، والذى كان حريصًا على القتال وإشعال الحرب، وكان الزبير أمير القتال؛ فقد بويع على ذلك[٤].

عائشة ترسل إلى الأمصار لإيضاح ما حدث

۞ فنحن نعلم أن طلحة والزبير وكذلك أمنا عائشة رضي الله عنهم ما خرجوا إلا طلبًا للقصاص من قتلة عثمان، وللإصلاح بين الناس فلما حدثت بعض

(١) المصدر نفسه (٥/ ٥٠١).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٥٠٣).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٩٣)، خلافة على/ عبد الحميد: (ص ١٣٨).

(٤) أنساب الأشراف (٢/ ٩٣) بسند حسن، خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: (ص ١٣٩) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة).

المناوشات والقتال مع بعض المتمردين من أهل البصرة أرادت أمنا عائشة أن توضح للمسلمين سبب ذلك حتى لا يظن أحد أنهم ما ذهبوا إلا للقتال.

فأرسلت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إلى أهل المدينة وإلى أهل الشام والكوفة واليمامة لتخبرهم بما حدث وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنّا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ بإقامة حدوده فى الشريف والوضيع، والكثير والقليل حتى يكون الله عَزَّوَجَلَّ هو الذى يردُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم، وخالفنا شرارهم ونُزَّاعهم، فردُّونا بالسلاح، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتْهم بالحق وحثتهم عليه، فأعطاهم الله عَزَّوَجَلَّ سُنة المسلمين مرة بعد مرة، حتى إذا لم يبقَ حُجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين، فلم يفلت منهم إلا حُرْقُوص بن زهير والله مقيده. وإنّا نناشدكم الله – سبحانه – فى أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به، فنلقى الله عَزَّوَجَلَّ وتلقونه وقد أعذرنا وقضينا الذى علينا[1].

أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخرج إلى الكوفة

۞ كان أصحاب الرسول ﷺ الذين كانوا يعيشون بالمدينة لا يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب من المدينة؛ لأنهم كانوا يخافون من حدوث فتنة تقضى على الأخضر واليابس.

۞ ولذا فإنه لما هَمَّ عليٌّ بالنهوض إلى الشام ليزور أهلها وينظر ما هو رأى معاوية وما هو صانع[2]، فقد كان يرى أن المدينة لم تَعُد تمتلك المقومات التى تملكها بعض الأمصار فى تلك المرحلة فقال: إن الرجال

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠١).

(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦١).

والأموال بالعراق[١]، فلما علم أبو أيوب الأنصارى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله ﷺ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان،... وإن تشعَّب عليك قوم رميتهم بأعدائهم، وإن أُلجئت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت..، فأخذ الخليفة بما أشار به أبو أيوب وعزم على المقامة بالمدينة وبعث العمال على الأمصار[٢]. ولكن حدث كثير من المستجدات السياسية التى أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريبًا..من أهل الشام[٣].

وأثناء استعداده للخروج، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة[٤]، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته، وحدث تثاقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء فى جيش علىٍّ، وطريقة التعامل معهم، فكان كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة ما زالت مستمرة، فلابد من التروِّى حتى تنجلى الأمور أكثر، وهم يقولون: لا والله ما ندرى كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر.

وروى الطبرى أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج فى تعبئته التى كان تعبَّى بها إلى الشام وخرج معه مَن نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى سبعمائة رجل[٥].

والأدلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة أمير المؤمنين للخروج

---

(١) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦١).

(٢) الثقات لابن حبان (٢/ ٢٨٣)، الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦١).

(٣) استشهاد عثمان ووقعة الجمل: (ص ١٨٣).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٠٧).

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨١).

كثيرة، منها: خُطب الخليفة التى شكا فيها من هذا التثاقل[١]، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك، كما أن رجالًا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم[٢].

وقد عبر أبو حميد الساعدى الأنصارى - وهو بدرى - عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علىَّ أن لا أضحك حتى ألقاك[٣]. فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة فى تلك المرحلة يقود إلى الانزلاق فى الفتنة التى يخشون عواقبها، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله ﷺ[٤].

عبد الله بن سلام يحاول أن يُثنى عليًّا عن الخروج

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله ﷺ أن يُثنى عزم أمير المؤمنين علىٍّ عن الخروج، فأتاه وقد استعد للمسير، وأظهر له خوفه عليه ونهاه أن يَقْدُم على العراق قائلًا: أخشى أن يصيبك ذباب السيف.

كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله ﷺ، فلن يراه أبدًا،.... كان علىٌّ يعلم هذه الأشياء من رسول الله ﷺ فقال: وايم الله لقد أخبرنى به رسول الله ﷺ، ولكن مَن مع علىٍّ من البصريين والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلىٍّ: دعنا فلنقتله، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف فى طريقهم، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمرًا هينًا لا يرون به بأسًا.

---

(١) الطبقات (٣/ ٢٣٧)، الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦٣).

(٢) البداية والنهاية نقلًا عن الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦٤).

(٣) تاريخ الإسلام فى عهد الخلفاء الراشدين.

(٤) الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦٤).

وفى قولهم وتهجمهم هذا ما يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التى أمر رسول الله ﷺ الناس بعده بها، ولكن عليًّا رضي الله عنه نهاهم قائلًا: إن عبد الله بن سلام رجلٌ صالح[1].

الحسن بن على رضي الله عنهما يحاول أن يمنع والده من الخروج

۞ فلقد خرج أمير المؤمنين.. فلما بلغ الربذة عسكر فيها بمن معه من الرجال... ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المائتين.

وفى الربذة[2] قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باكٍ لا يخفى حزنه وتأثُّره على ما أصاب المسلمين من تفرُّق واختلاف، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتُقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال عليٌّ: إنك لا تزال تخنّ[3] خنين الجارية، وما الذى أمرتنى فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أُحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيُقتل ولستَ بها، ثم أمرتك يوم قُتل ألا تُبايَع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس فى بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدى غيرك، فعصيتنى فى ذلك كله... قال: أى بنى، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أُحيط بعثمان، فوالله لقد أُحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تُبايَع حتى تأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهنًا على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهورًا مُذ ولِّيت،

---

(١) مسند أبى يعلى (١/ ٣٨١) قال محققه: إسناده صحيح.

(٢) شرق المدينة المنورة، تبعد (٢٠٤) كيلو مترات.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢) خَنَّ: أخرج الصوت من خياشيمه.

منقوصًا لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك، فكيف لى بما قد لزمني، أو من تريدني؟ أتريدنى أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها، ويقال: دباب دباب[1] ليست ههنا حتى يحل عرقوباها ثم نُخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمنى من هذا الأمر ويعنيني، فمن ينظر فيه؟ فكُفَّ عنك أى بنى[2].

كان موقف أمير المؤمنين (علىّ) حازمًا فى هذه المشكلة وواضحًا ولم يستطع أحدٌ أن يُثنيه عن عزمه.

وأرسل علىٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الربذة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته، وكان الرسولان محمد بن أبى بكر الصديق، ومحمد ابن جعفر ولكنهما لم ينجحا فى مهمتهما، إذ إن أبا موسى الأشعرى والى الكوفة من قِبَل علىٍّ، ثبَّط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال فى الفتنة وأسمعهم ما سمعه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التحذير من الاشتراك فى الفتنة[3]، فأرسل علىٌّ بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، ففشل فى مهمته، لتأثير أبى موسى عليهم[4].

وما سبق ذِكره لا يعنى أنه لم يشارك أحد من الصحابة فى مسيرة الخليفة، بل شارك البعض، لكنهم كانوا قليلًا،... قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله غير علىّ وعمار وطلحة والزبير، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب[5]، وفى رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرًا أكثر من أربع نفر فكذبه؛... كان علىٌّ وعمار فى ناحية وطلحة

---

(١) دباب كقطام: دعاء الضبع للضبع.

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨٢).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٤)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ١٢) إسناده حسن.

(٤) خلافة على بن أبى طالب: (ص ١٤٤)، عبد الحميد - سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٨٦).

(٥) تاريخ خياط: (ص ١٦)، مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٧١٠).

والزبير فى ناحية[١]، وفى رواية: لم ينهض مع علىٍّ إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سابع[٢].

وبهذا يكون المقصود فى الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر.

وعلى كل حال فإن مَن شارك فى الفتنة من الأنصار قليل.

قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبى ﷺ أكثر من عشرة آلاف، فما يعدون من خف فيها عشرين رجلًا؛ فسُميت حرب علىٍّ وطلحة والزبير وصِفِّين فتنة، ... فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علىٍّ إلى البصرة كان قليلًا ولا يمكن الجزم بمشاركتهم فى حرب الجمل، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى[٣]... إن إحدى الروايات تقول: خرج معه مَن نشط من الكوفيين والبصريين متخففين فى سبعمائة رجل[٤]. والذى يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة، وأكثر انسجامًا مع سير الأحداث، ومع موقف أهل المدينة الذى كان يتراوح بين الميل للعزلة والتثاقل عن المشاركة فى الأحداث[٥].

أمير المؤمنين (علىّ) ما خرج إلا من أجل الإصلاح

۞ ولا بد أن نعلم يقينًا أن طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ما خرجوا إلا

---

(١) العثمانية للجاحظ: (ص ١٧٥)، الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦٥).

(٢) الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير، كنعان: (ص ٣٥٦).

(٣) الأنصار فى العصر الراشدى: (ص ١٦٥).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٤٨١).

(٥) الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من الخلاف: (ص ٣٨٨).

من أجل الإصلاح بين الناس... وكذلك ما خرج أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلّا من أجل الإصلاح بين الناس.

۞ وها هو أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصارى يسأل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أراد الخروج من الربذة فقال:

يا أمير المؤمنين، أى شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذى نريد وننوى فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه،.. قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذًا.... فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها، وقال: لأُرضينك بالفعل كما أرضيتنى بالقول[1].

۞ وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح، الكفّ عن هذا الأمر، فإن بايعونا فذلك، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدعٌ لا يلتئم،.. قال: فإن ابتُلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عَزَّوَجَلَّ نفعه ذلك وكان نجاءه[2].

۞ وها هو أبو سلامة الدَّألانى يسأل عليًّا ويقول: أترى لهؤلاء القوم حُجّة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله عَزَّوَجَلَّ بذلك؟ قال: نعم. قال: فترى لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم، إنّ الشيء إذا كان لا يُدرَك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعًا،... قال: فما حالنا وحالهم إن ابتُلينا غدًا؟

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٠).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢)، الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى: (ص ٤٠٦).

قال: إنى لأرجو ألاّ يُقتل أحدٌ نقَّى قلبه لله منّا ومنهم إلا أدخله الله الجنة[1].

۞ ومن هنا نعلم أن أمير المؤمنين لم يكن له هدف إلا الإصلاح وإطفاء نار الفتنة.. ولم يكن القتال واردًا فى تدابيره.

۞ وإن من أعظم الأدلة على أن عليًّا لم يكن يريد القتال وإنما خرج للإصلاح.. أنه ما خرج من المدينة إلا مع جيش لا يبلغ ألف رجل.. ثم انضمَّ إليه الناس بعد ذلك ليؤيدوه ولينصروه حتى اجتمع إليه بعد ذلك عدد كبير من الناس.

۞ بل لقد جاءه الأحنف بن قيس وقال له: يا أمير المؤمنين، إن شئتَ قاتلتُ معك، وإن شئتَ كففتُ عنك أربعة آلاف سيف؟ فأجاب عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بل اكفُف عنَّا أربعة آلاف سيف»[2].

فلو كان يريد القتال لأمر الأحنف بن قيس أن يقاتل معه وقد قَدِم إليه بستة آلاف مقاتل.

أمير المؤمنين عليٌّ يستنفر أهل الكوفة

تحرك عليٌّ بجيشه إلى ذى قار فعسكر بها بعد ثمانى ليالٍ من خروجه من المدينة، وهو فى تسعمائة رجل تقريبًا[3]، فبعث للكوفة فى هذه المرة عبد الله بن عباس فأبطأوا عليه، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن على، وعزل أبا موسى الأشعرى واستعمل قرظة بن كعب بدلًا منه[4]... وكان للقعقاع دور عظيم فى

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠)، تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٩).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٣٦).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩- ٥٢١).

(٤) فتح البارى (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١/ ١٠٩).

إقناع أهل الكوفة، فقد قام فيهم وقال: إنى لكم ناصح وعليكم شفيق، وأحب أن ترشدوا، ولأقولن لكم قولًا هو الحق،... والقول الذى هو القول إنه لابد من إمارة تنظم الناس وتنزع الظالم، وتعز المظلوم، وهذا علىٌّ يلى ما ولى، وقد أنصف فى الدعاء، وإنما يدعو إلى الإصلاح، فانفروا وكونوا فى هذا الأمر بمرأى ومسمع[1]. وكان للحسن بن على أثر واضح، فقد قام خطيبًا فى الناس وقال: أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولوا النُّهى[2] أمثل فى العاجلة وخير من العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتُلينا به وابتُليتم[3]. ولبَّى كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علىٍّ ما بين ستة إلى سبعة آلاف رجل، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثنى عشر ألف رجل تقريبًا[4]. وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين (علىٍّ) بذى قار قال لهم: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأعنتم حوزتكم، واغتنم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد، وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وباينَّاهم حتى يبدءونا بظلم، ولن ندع أمرًا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله[5].

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٢) أولوا النهى: أصحاب العقول.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٦).

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦، ٤٥٧) بسند صحيح إلى الزهرى مرسلًا - خلافة على بن أبى طالب: (ص ١٤٦)، والإسناد حسن لغيره، قاله عبد الحميد على.

(٥) تاريخ الطبرى (٥/ ٥١٩).

هكذا كانت قلوب الصحابة رضي الله عنهم

۞ لقد كان أصحاب الرسول ﷺ هم أصحاب القلوب الصافية التى لا تحمل حقدًا ولا حسدًا، حتى وإن اختلفوا فى ألف مسألة ما دام الخلاف ليس فى أصل الاعتقاد.

۞ وها أنا أذكر لحضراتكم مثالًا على ذلك... فإليكم هذه القصة التى حدثت بالكوفة

فقد روى البخارى عن أبى وائل قال: دخل أبو موسى الأشعري، وأبو مسعود وعقبة بن عمرو الأنصارى على عمّار حين بعثه علىٌّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمرًا أكره عندنا من إسراعك فى هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمرًا أكره عندى من إبطائكما فى هذا الأمر.. وفى رواية: فقال أبو مسعود – وكان موسرًا -: يا غلام هات حُلتين فأعط إحداهما أبا موسى، والأخرى عمَّارًا، وقال: روحا فيه إلى الجمعة[1]. فأنت ترى أبا مسعود وعمارًا وكلاهما يرى الآخر مخطئًا ومع ذلك فأبو مسعود يكسو عمارًا حُلة ليشهد بها الجمعة لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة فى تلك الثياب، وهذا تصرُّف يدل على غاية الود مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيبًا، ... فعمار يرى إبطاء أبى موسى وأبى مسعود عن تأييد علىٍّ عيبًا، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار فى تأييد أمير المؤمنين علىٍّ عيبًا، وكلاهما له حجته التى اقتنع بها؛ فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال فى الفتنة، تمسُّكًا بالأحاديث الواردة فى

(١) البخاري (٧١٥٠)، كتاب الفتن.

ذلك وما فى حمل السلاح على المسلم من الوعيد، وكان عمّار على رأى (علىٍّ) فى قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى﴾[١]، وحمل الوعيد الوارد فى القتال على من كان متعديًا على صاحبه،... وكلا الفريقين لم يكن حريصًا على قتل صاحبه، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع، ... ومضى الالتحام إن وقع، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال[٢].

---

(١) سورة الحجرات: الآية: (٩).

(٢) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدى (٢/ ٣٠٤).

محاولات الصلح

۞ ولكى يزداد اليقين فى قلبك أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه ما خرج إلّا من أجل الإصلاح وحَقن الدماء، فإنه قبل أن يتحرك بجيشه نحو البصرة، أقام فى (ذى قار) أيامًا... وكان هدفه من وراء ذلك القضاء على هذه الفتنة والفُرقة وتجنيب المسلمين شر القتال وإراقة الدماء... وكذلك كان الحال بالنسبة لطلحة والزبير رضي الله عنهما فقد بذلا ما فى وسعهما من أجل الإصلاح والقضاء على الفتنة، وتجنيب المسلمين شر القتال وإراقة الدماء.

محاولة عمران بن حصين رضي الله عنه

فقد أرسل فى الناس يُخذل الفريقين جميعًا، ثم أرسل إلى بنى عدى - وهم جمعٌ كبير انضموا للزبير - فجاء رسوله وقال لهم فى مسجدهم: أرسلنى إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصحكم ويحلف بالله الذى لا إله إلا هو لأن يكون عبدًا حبشيًّا مجدعًا يرعى أَعْنُزًا فى رأس جبل حتى يدركه الموت، أحب إليه من أن يرمى فى أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فدى لكم أبى وأمي. فقال القوم: دعنا منك، فإنَّا والله لا ندع ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لشيء أبدًا[1].

محاولة كعب بن سور رضي الله عنه

أحد كبار التابعين،... فقد بذل كل جهد، وكلف نفسه فوق طاقتها، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال، فقد استمر فى محاولة الصلح إلى أن

(١) الطبقات لابن سعد (٤/ ٨٧)، خلافة على، عبد الحميد: (ص ١٤٨).

وقع المحذور، وذهب ضحية جهوده؛ إذ قُتل وهو بين الصفين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكَفِّ السلاح[1].

محاولة القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنه

أرسل أمير المؤمنين (عليٌّ) القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير، وقال: القَ هذين الرجلين، فادعُهما إلى الألفة والجماعة، وعظِّم عليهما الاختلاف والفُرقة ... وذهب القعقاع إلى البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها وقال لها: ما أَقدمك يا أُماه إلى البصرة؟ قالت له: يا بنى من أجل الإصلاح بين الناس. فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا، ويكلمهما فى حضرتها وعلى مسمعٍ منها.

محاورة القعقاع لطلحة والزبير رضي الله عنهم:

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما، فقالا كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس. فقال لهما: أخبرانى ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عَرفناه لنُصلحنَّ معكم، ولئن أنكرناه لا نصلح،... قالا له: قتلة عثمان، رضي الله عنه، ولابد أن يُقتلوا، فإن تُركوا دون قصاص كان هذا تركًا للقرآن، وتعطيلًا لأحكامه، وإن اقْتُصَّ منهم كان هذا إحياء للقرآن.

قال القعقاع: لقد كان فى البصرة ستُّمائة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلًا واحدًا، وهو حرقوص بن زهير السعدي، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بنى سعد، ولما أردتم أخذه منهم وقَتْله منعكم قومه من ذلك، وغضب له ستة آلاف رجل اعتزلوكم، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد،

---

(١) الطبقات لابن سعد (٧/ ٩٢) من طريقين صحيحة الإسناد - وخلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد: (ص ١٤٩).

فإن تركتم حُرقوصًا ولم تقتلوه، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليًّا به، وإن قاتلتم بنى سعد من أجل حرقوص، وغلبوكم وهزموكم وأُديلوا عليكم، فقد وقعتم فى المحذور، وقوَّيتموهم، وأصابكم ما تكرهون[1]، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتم ربيعة ومُضر، من هذه البلاد، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم، نُصرة لبنى سعد، وهذا ما حصل مع علىٍّ، ووجود قتلة عثمان فى جيشه.

۞ الحل عند القعقاع: التأنى والتسكين ثم القصاص:

تأثرت أمُّ المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع وحُجته المقبولة؛ فقالت له: فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال: أقول: «هذا أمر دواؤه التسكين، ولابد من التأنى فى الاقتصاص من قتلة عثمان، فإذا انتهت الخلافات، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان، وإن أنتم بايعتم عليًّا[2] واتفقتم معه، كان هذا علامة خير، وتباشير رحمة، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان، وإن أنتم أبيتم ذلك، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر، وذهابًا لهذا الملك، فآثروا العافية تُرزَقوها، وكونوا مفاتيح خير

---

(١) قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

إنَّ النَّبيَّ ﷺ شرع لأمَّته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره مِن المعروف ما يحبُّه الله ورسولُه، فإذا كان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكر منه من المنكر فهو أمرٌ بمنكر وسعى فى معصية الله ورسوله ﷺ.

ولقد كان النبى ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها؛ بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام، وعزم النبيُّ ﷺ على هدم البيت الحرام، وردِّه على قواعد إبراهيم، لم يفعل مع قدرته على فعل ذلك؛ لأن قريشًا كانت حديثة عهد بكفر، وقريبة عهد بإسلام» (٣/ ٦، ٧ بتصرف من إعلام الموقعين).

(٢) الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علىٍّ فى التعامل مع قتلة عثمان.

كما كنتم أولًا، ولا تُعرِّضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا الله وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه، وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلَّ متاعها، ونزل بها ما نزل، فإنّ ما نزل بها أمرٌ عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا قتل النفر الرجل، ولا قتل القبيلة القبيلة» .... اقتنعوا بكلام القعقاع المُقنع الصادق المخلص، ووافقوا على دعوته إلى الصلح، وقالوا له: قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع، فإن قَدِم عليٌّ، وهو على مثل رأيك، صلح هذا الأمر إن شاء الله ... عاد القعقاع إلى عليٍّ في «ذي قار» وقد نجح في مهمته، وأخبر عليًّا بما جرى معه، فأُعجب عليٌّ بذلك، وأوشك القوم على الصلح، كَرِهَه مَن كرهه، ورضيه مَن رضيه[1].

۞ بشائر الاتفاق بين الفريقين:

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل، أرسل عليٌّ رضي الله عنه رسولين إلى عائشة والزبير ومن معهما يستوثق مما جاء به القعقاع بن عمرو، فجاءا عليًّا، بأنه على ما فارقنا عليه القعقاع فأقدم، فارتحل عليٌّ حتى نزل بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مُضَر إلى مُضَر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكُّون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وكان أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير: ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا - يقصد إلى البصرة - ألا ولا يرتحلن غدًا أحدٌ أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس[2].

(١) البداية والنهاية (٧/ ٧٣٩)، تاريخ الطبري (٥/ ٥٢١).

(٢) تاريخ الطبري (٥/ ٥٢٥).

وهكذا أشعل السبئيون نار الحرب

۞ ولما علم السبئيون بخبر التصالح ما بين عليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم غَلَتْ مراجل الحقد والحسد فى قلوبهم مرة أخرى.. فأخذوا يدبرون المكائد من أجل إشعال نار الحرب بينهم... فتلك الفئة السبئية الخبيثة هى التى دبرت لقتل عثمان رضي الله عنه.. وهى بنفسها التى أشعلت نار الفتنة وأوقدت نار الحرب (فى موقعة الجمل) بين عليٍّ وطلحة والزبير رضي الله عنهم.. ولكن كيف تم ذلك؟ هذا ما سنعرفه الآن:

كان فى عسكر على رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان مَن لم يُعرَف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومَن فى قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره[1]، وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص[2]. فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا، خرج علىٌّ وخرج طلحة والزبير، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه فلم يجدوا أمرًا، هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ فى الانقشاع، فافترقوا على ذلك، ورجع علىٌّ إلى عسكره، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علىٌّ إلى رؤساء أصحابه، ماعدا أولئك الذين حاصروا عثمان رضي الله عنه ... فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكُّون فى الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلاّ الصلح. وبات الذين أثاروا الفتنة بشرٍّ ليلة باتوها قط؛ إذ أشرفوا على الهلاك

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٦).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٥٢٧)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٢٠).

وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما (عليّ) فلم نعرف أمره حتى كان اليوم؛ وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا فى الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء، ورأيُ الناس فينا – والله – واحد، وإن يصطلحوا مع عليٍّ فعلى دمائنا[1].

۞ هكذا بات قَتَلة عثمان فى همٍّ وغمٍّ شديد.. فى الوقت الذى بات فيه عليٌّ وطلحة والزبير وأتباعهم فى قمة السعادة والسرور.

۞ بات السبئيون فى ذلك الهم؛ لأن عليًّا سيلتقى فى الصباح الباكر مع طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليتم الصلح بينهم.. فقال ابن سبأ:

والله إن عليًّا هو أعلم النَّاس بكتاب الله؛ بل هو أَعْلَمُ بكتاب الله ممن يطلبون بقتل قتلة عثمان!!!

وغدًا سيجمع عليكم الناس ولا يريد القوم جميعًا إلا أنتم – يعني: لا يريد الناس إلا قتلة عثمان – فإن كان الأمر هكذا – يقول السبئية أصحاب الفتنة: ألحقنا عليًّا بعثمان... يعنى قتلناه!

فقال ابن سبأ الخبيث رأس الفتنة: لو قتلناه قُتلنا جميعًا، ولكن اندسُّوا فى الصفوف بين النَّاس! ... وقسَّم الخبيث جيشه إلى فريقين، وأجمعوا أمرهم على أن يتسلل كلُّ فريقٍ فى سواد الليل إلى معسكر كلِّ فريق من الفريقين: فرقة تنطلق لمعسكر طلحة والزُّبير، وفرقة تنطلق إلى معسكر عليٍّ، وينشبون القتل بالسُّيوف والرِّماح فى كل معسكر من المعسكرين فى سواد الليل.

عند ذلك أجمع السبئيون رأيهم على أن لا يتم هذا الاتفاق... وفى السَّحَر والقوم نائمون هاجم مجموعة من السبئيين جيش طلحة والزبير وقتلوا بعض

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٢٦).

أفراد الجيش وفرُّوا ... فظنَّ جيش طلحة أنَّ عليًّا غدر بهم فناوشوا جيش عليٍّ في الصباح فظنَّ جيش عليٍّ أن جيش طلحة والزُّبير قد غدروا فاستمرت المناوشات بين الفريقين حتى كانت الظَّهيرة فاشتعلت المعركة.

وقد حاول الكبار من الجيشين وقف القتال ولكن لم يفلحوا فكان طلحة يقول: يا أيها الناس أتنصتون؟ فأصبحوا لا يُنصتونه، فقال: أُفٍّ أُفٍّ فراش نار وذبان طمع[1].

وعليٌّ يمنعهم ولا يردون عليه ... وأرسلت عائشة كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة فرشقه السبئيون بالنِّبال حتى أردوه قتيلًا، وذلك أن الحرب والعياذ بالله إذا اشتعلت لا يستطيع أحدٌ أن يوقفها.

۞ هكذا وقعت موقعة الجمل ودارت رحاها دون قصدٍ أو تدبير من عليٍّ أو طلحة أو الزبير أو عائشة رضي الله عنهم.

۞ وقد حاولوا إيقافها لكن لم يستطيعوا.

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً ... تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ[2]

دور السبئين في زيادة القتل واشتعال المعركة

زاد السبئيّون في الجيشين من جهودهم في إنشاب القتال، ومهاجمة الفريق الآخر، وإغراء كل فريق بخصمه، وتهييجه على قتاله، ونشبت

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١٨٢).

(٢) أبيات لامرئ القيس. ذكرها البخاري في كتاب الفتنة - باب الفتنة التي تموج كموج البحر باب (١٧).

المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة، وهى معركة الجمل، وسُميت بذلك لأنَّ أم المؤمنين عائشة، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كانت فى المعركة فى الجولة الثانية وسط جيش البصرة، تركب الجمل الذى قدَّمه لها يعلى بن أمية فى مكة، حيث اشتراه من اليمن، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة، ثم ركبته أثناء المعركة،... وكانت المعركة يوم الجمعة فى السادس عشر من جمادى الثانية، سنة ستٍّ وثلاثين، فى منطقة «الزابوقة» قرب البصرة ...

حزن علىٌّ لما جرى، ونادى مناديه: كُفُّوا عن القتال أيها الناس: ولم يسمع نداءه أحد، فالكل كان مشغولًا بقتال خصمه[١].

نادى علىٌّ فى جيشه، كما نادى طلحة والزبير فى جيشهما: لا تقتلوا مُدبرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تلحقوا خارجًا من المعركة تاركًا لها[٢].

استشهاد طلحة والزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا

وقد كان الزبير، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصَّى ابنه عبد الله بقضاء دَينه فقال: إنه لا يُقتَل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإنى لا أرانى إلا سأُقتل مظلومًا، وإن أكبر همى دَيني[٣]... وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير، وعرض عليه أن يقتل عليًّا، وذلك بأن يندس مع جيشه، ثم يفتك به، فأنكر عليه بشدة، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمنٌ بمؤمنٍ، أو أن الإيمان قيَّد الفتك[٤].... فالزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ليس له غرض فى قتل علىٍّ أو أى شخص آخر بريء من دم عثمان، وقد دعا أمير

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤١).

(٢) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٤١).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٧٩)، الطبقات(٣/ ١٠٨) صحيح الإسناد.

(٤) مسند أحمد (٣/ ١٩) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

المؤمنين (عليٌّ) الزبير، فكلمه بألطف العبارة، وأجمل الحديث.

فقال له عليٌّ: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم؟**» فقال: أذكر .... ثم مضى الزبير منصرفًا[1].

وانصرف الزبير يَوْمَ الجَمَلِ، عَنْ عَلِيٍّ فَلَقِيَهُ ابْنُهُ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ جُبْنًا جُبْنًا! قَالَ قَدْ عَلِمَ الناس أنى لست بجبان ولكن ذكَّرنى (علىٌّ) شيئًا سمعته مِنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ فحلفت أن لا أقاتله ثم قال:

تَـرْكُ الأُمُـورِ الَّتِـى أَخْـشَى عَوَاقِبَهَـا فِـى اللهِ أَحْسَنُ فِـى الدُّنْيَا وَفِـى الدِّينِ

وَقِيْلَ إِنَّهُ أَنْشَدَ:

وَلَقَـدْ عَلِمْـتُ لَـوِ أَنَّ عِلْمِـيَ نَـافِعِى أَنَّ الحَيَـاةَ مِـنَ المَمَـاتِ قَرِيْـبُ

فلم ينشب أن قتله ابن جُرْمُوْزٍ.

۞ عن جون بن قتادة قال: كنتُ مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يُسلِّمون عليه بالإمرة، إلى أن قال: فطعنه ابن جرموز ثانيًا، فأثبته، فوقع، ودُفن بوادى السباع، وجلس (علىٌّ) رضي الله عنه يبكى عليه هو وأصحابه[2].

وها هو قاتل الزبير (ابن جرموز) - عليه من الله ما يستحقه - يستأذن على (عليٍّ) فقال: من هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن. فقال: ائذنوا له. ليدخل قاتل الزبير النار. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل نبى حوارى وإن حواريّ الزبير**»[3].

---

(١) صحيح: رواه الحاكم (٣/ ٣٦٦) فى المستدرك، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) السير للإمام الذهبى (١/ ٦٠-٦١).

(٣) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٥٥)، وأصله فى الصحيحين.

وفى رواية: جيء برأس الزبير إلى عليٍّ، فقال عليٌّ: تبوأ يا أعرابيُّ مقعدك من النار، حدثنى رسول الله ﷺ أن قاتل الزبير فى النار[1].

۞ وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثانى لجيش البصرة، فقد أُصيب فى بداية المعركة، إذ جاءه سهم غرب لا يُعرَف مَن رماه، فأصابه إصابة مباشرة، ونزف دمه بغزارة فقالوا له: يا أبا محمد، إنك لجريح، فاذهب وادخل البيوت لتُعالَج فيها، فقال طلحة لغلامه: احملني، وابحث لى عن مكانٍ مناسب، فأدخل البصرة، ووُضع فى دارٍ فيها ليُعالَج، ولكن جرحه ما زال ينزف حتى توفى فى البيت، ثم دُفن فى البصرة، رضي الله عنه[2].

وبسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل، وكانت الغلبة فيها لجيش علىٍّ، وكان علىٌّ رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى فى الجانبين، فيتألم ويحزن، وأقبل علىٌّ على ابنه الحسن، وضمّه إلى صدره، وصار يبكى ويقول له: يا بُنى، ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عامًا. فقال الحسن: يا أبتِ، لقد كنت نهيتك عن هذا.. فقال علىٌّ: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرجَى بعد هذا؟[3].

خروج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الجمل

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية، ومعها كعب الذى دفعت إليه مصحفًا

(١) قال الأرناؤوط: الفضل بن أبى الحكم، روى عنه غير واحد، وقال أبو حاتم: شيخ بصري، وذكره ابن حبان فى الثقات. وباقى رجال الإسناد ثقات.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٥٢١).

يدعو الناس إلى وقف الحرب، ... تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس؛ فتحجز بينهم وتطفئ هذه الفتنة التي بدأت تشتعل[1]، وحمل كعب بن سور المصحف، وتقدم أمام جيش البصرة، ونادى جيش عليٍّ قائلًا: يا قوم، أنا كعب بن سور، قاضي البصرة، أدعوكم إلى كتاب الله، والعمل بما فيه، والصلح على أساسه.

وخشي السبئيون في مقدمة جيش عليٍّ أن تنجح محاولة كعب فرشقوه بنبالهم رشقة رجلٍ واحد .. فمات والمصحف في يده[2]، وأصابت سهام السبئيين ونبالهم جَمَل عائشة وهودجها، فصارت تنادي، وتقول: يا بَني، الله، الله، اذكروا الله ويوم الحساب، وكُفوا عن القتال .... والسبئيون لا يستجيبون لها، وهم مستمرون في ضرب جيش البصرة، وكان عليٌّ من الخلف يأمر بالكَفِّ عن القتال، وعدم الهجوم على البصريين، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له، ويأبون إلا إقدامًا وهجومًا وقتالًا، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها، ومقتل كعب بن سور أمامها، قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم.

وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان وتلعنهم، وضَجَّ أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان وأشياعهم، ولعنهم، وسمع عليٌّ الدعاء عاليًا في جيش البصرة فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان، والناس يدعون معها.

قال عليٌّ: ادعوا معي على قتلة عثمان وأشياعهم والعنوهم.

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٤٥٦)، بسند صحيح إلى الزهري.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

وضجّ جيش عليٍّ بلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم[١]، وقال عليٌّ: اللهم العن قتلة عثمان فى السهل والجبل[٢]. اشتدت الحرب واشتعلت وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح، وبعد تقصُّف الرماح، استلُّوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت[٣]، ودنا الناس بعضهم من بعض[٤].

محاولة قتل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

ووجّه السبئيون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها، وقاتلوا أمام الجمل، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قُتل، حيث كانت المعركة أمام الجمل فى غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رُمى فيه من النبل[٥]، وقُتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزد وبنى ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير[٦]، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرج فهى لا تريد القتال ولكنه وقع رغمًا عنها، وأصبحت فى وسط المعمعة، وصارت تنادى بالكَفِّ، فلا مجيب، وكان كل من أخذ بخطام الجمل قُتل، فجاء محمد بن طلحة (السَّجَّاد) وأخذ بخطامه وقال

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٦٨) بسند صحيح، سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٣٦) بسند صحيح.

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٥٨) رجاله رجال الصحيح.

(٤) الطبقات (٥/ ٩٢) بسند صحيح.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٣)، تاريخ خليفة: (ص ١٩٠) بسند حسن.

(٦) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٤).

لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين؟ فقالت: كن كخيرى ابنى آدم - أى كُفَّ يدك - فأغمد سيفه بعد أن سَلَّه فُقتل رَحِمَهُ اللَّهُ[1]، كما قُتل عبد الرحمن بن عتَّاب بن أُسيد، الذى حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قُتل معه؛ وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعًا، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني ومالكًا[2] ... لحنقه عليه لما كان له من دورٍ بارز فى تحريض الناس على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولكن الأشتر لم يكن معروفًا بمالك، ولم يكُ قد حان أجله ولو قال: الأشتر لابتدرته سيوف كثيرة[3].

وأما عبد الله بن الزبير، فقد قاتل قتالًا منقطع النظير، ورمى بنفسه بين السيوف، فقد استُخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة، كان أشدها وآخرها ضربة الأشتر؛ إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرضَ أن يضربه وهو جالس على فرسه بل وقف فى الركابين فضربه على رأسه ظانًّا أنه قتله[4]،... واستحرَّ القتل أيضًا فى بنى عدى وبنى ضبة والأزد، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين، وقد عبَّر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثربى الضبى برجزه.

نحن بنى ضبة أصحاب الجمل ... ننازل الموت إذا الموت نزل

الموت عندنا أحلى من العسل ... ننعى ابن عفان بأطراف الأسل[5]

---

(١) نسب قريش: (ص ٢٨١)، التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١١٠) بسند صحيح.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٢٨)، مرويات أبى مخنف (ص٢٦٨) إسناده صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد: (ص ١٥٩).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٢٨) بسند صححه ابن حجر فى الفتح (١٣/ ٥٧، ٥٨).

(٥) تاريخ خليفة: (ص ١٩٠) بسند حسن، خلافة على / عبد الحميد: (ص ١٥٩).

أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ينقذ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

أدرك أمير المؤمنين على رضي الله عنه بما أُوتى من حنكة وقوة ومهارة عسكرية فذة – أن فى بقاء الجمل استمرارًا للحرب، وهلاكًا للناس، وأن أصحاب الجمل لن ينهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين فى الميدان، كما أن فى بقائها خطرًا على حياتها .... فالهودج الذى هى فيه أصبح كالقنفذ من السهام[١]، فأمر علىٌّ نفرًا من جنده منهم محمد بن أبى بكر «أخو أم المؤمنين» وعبد الله بن بديل أن يُعرقبا الجمل ويُخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة –، أى يضربا قوائم الجمل بالسيف – فعقروا الجمل[٢]، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علىٍّ، فأمر به علىٌّ، فأُدخل فى منزل عبد الله بن بديل[٣]، وصدق حدس على رضي الله عنه العسكري،... فما إن زال السبب أو الدافع الذى دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف، وأُخرجت أم المؤمنين من الميدان، حتى وَلّوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل، أو ينهزم جيش علىٍّ،... وعندما بدأت الهزيمة نادى علىٌّ أو مناديه فى جيشه أن لا يتبعوا مُدبرًا ولا يجهزوا على جريح، ولا يغنموا إلا ما حُمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء، ونهاهم أن يدخلوا الدور، ليس هذا فحسب، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيئًا من متاع عند أحدٍ من أصحابه، فله أن يسترده، فجاء رجل إلى جماعة من جيش على

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذرى (٢/ ٤٣) بسند متصل.

(٢) أعلام الحديث للخطابى (٣/ ١٦١١).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

وهم يطبخون لحمًا فى قدر له فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقًا عليهم[١].

أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يصلى على قتلى الفريقين

❁ ولكى تعرف كيف كانت قلوب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم.. فلقد قام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه وصلى على قتلى الفريقين.

صلى على قتلى فريق طلحة والزُّبير، وعلى قتلى فريق عليٍّ رضي الله عنهم جميعًا. صلى على أهل البصرة والكوفة، وصلى على مَن كان من أهل قريش من مدنيِّين ومكيِّين، ودفن أطرافهم جميعًا فى قبرٍ كبيرٍ واحدٍ عظيمٍ.

أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه يرد عائشة رضي الله عنها إلى مأمنها

جهز أمير المؤمنين (علىٌّ) عائشة بكل شيء ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع، وأخرج معها مَن نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد «ابن الحنفية»، فبلغها، فلما كان اليوم الذى ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس، وودعوها وودعتهم وقالت: يا بنى، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدين أحدٌ منكم على أحدٍ بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بينى وبين علىٍّ فى القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندى على معتبتى من الأخيار.

وقال علىٌّ: يا أيها الناس، صدقت والله وبرَّت، ما كان بينى وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ستٍّ وثلاثين، وشيعها علىٌّ

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٨٦، ٢٨٧) بسند جيد، الفتح (١٣/ ٥٧).

أميالًا وسرح بنيه معها[1] يومًا... وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين على ﵁ نراه قد اتبع ما أوصاه به نبى الأمة ﷺ عندما قال له: «**إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر**. قال: أنا يا رسول الله؟ قال: **نعم**.قال: أنا؟ قال: **نعم**. قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: **لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها**»[2]...وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء فى نفسها من علىٍّ ﵁ لموقفه منها فى حديث الإفك حين رماها المنافقون بالفاحشة فاستشاره النبى ﷺ فى فراقها. فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك[3].

مبايعة أهل البصرة

كان أمير المؤمنين على ﵁ حريصًا على وحدة الصف، واحترام رعايا الدولة، ومعاملتهم المعاملة الكريمة، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ فى مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علىٍّ... وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى فى مساء يوم الجمل فى موضعٍ خاص، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة ابن عبيد الله، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره وسأله عن أحواله وأحوال إخوته، ثم قال له: إنَّا لم نقبض أرضكم هذه ونحن نريد أن نأخذها، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس، ودفع له غلتها وقال: يا ابن أخى وأتنا فى الحاجة إذا كانت لك ... وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه، فلما رأى الأُسارى ذلك دخلوا على علىٍّ ﵁ يبايعونه، فبايعهم وبايع الآخرين

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٥٨١).

(٢) مسند أحمد (٦/ ٣٩٣) إسناده حسن.

(٣) البخارى رقم (٤٧٨٦).

على راياتهم قبيلة قبيلة[١].

كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفنى عليه رَحِمٌ ماسة، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا عليًّا فقال عليٌّ: هو آمن فليتوجه حيث شاء، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه[٢].

كما أن مروان رضي الله عنه أثنى على فعال أمير المؤمنين عليٍّ فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من أبيك، ما كان إلا أن ولَّينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يُتبع مُدبر، ولا يُذفَّف على جريح[٣].

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين عليٍّ، وولى عليهم ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وولى على خراجها زياد بن أبيه، ... وأراد عليٌّ رضي الله عنه أن يمكث فيها مدة أطول، لولا أن مالكًا (الأشتر) أعجله عن ذلك؛ وذلك أن الأشتر كان يطمع فى أن يلى ولاية، فلما علم بأن ابن عباس ولى إمارة البصرة غضب وسار فى قومه، فخشى عليٌّ رضي الله عنه منه شرًّا وفتنة، فاستعجل ببقية جيشه، وأدركه، وعاتبه على سيره وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئًا[٤].

أسفٌ وندمٌ

لا شكَّ أن كل من شارك من أصحاب النبى ﷺ فى معركة الجمل ندم ندمًا شديدًا.. وذلك لأنهم ما أرادوا إلا الإصلاح فتحول الأمر دون إرادتهم

(١) الطبقات (٣/ ٢٢٤) بسند حسن، المستدرك (٣/ ٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٣٧) بسند حسن.

(٣) كتاب أهل البغى من الحاوى الكبير للماوردي: (ص ١١١)، فتح البارى (١٣/ ٦٢).

(٤) فتح البارى (١٣/ ٥٧)، خلافة على/ عبد الحميد: (ص ١٧٤).

إلى معركة بتدبير من السبئيين الخبثاء الذين أشعلوا نار الحرب.

۞ قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ..وهكذا عامة السابقين، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال، فندم طلحة والزّبير وعلىٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد فى القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[١].

۞ فأمير المؤمنين علىٌّ ورد عنه عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال، أنه قال: لوددت أنى مت قبل هذا بعشرين سنة[٢].

۞ وعن سليمان بن صرد، عن الحسن بن علىّ أنه سمع عليًّا يقول – حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم-: يا حسن أكل هذا فينا؟ ليتنى مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة[٣].

۞ وأما عائشة: فقد ورد عنها أنها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أن لو كان لى عشرون ولدًا من رسول الله ﷺ وكلهم مثل عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، وأنى ثكلتهم، ولم يكن ما كان من يوم الجمل[٤].

۞ وكانت إذا قرأت قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾[٥] تبكى حتى تبل خمارها[٦].

۞ قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل، ولم تخرج لقتال، وإنما خرجت

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال / لمحيي الدين الخطيب، (ص ٢٢٢).

(٢) الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٨٠).

(٣) أحداث وأحاديث فتنة الهرج. (ص ٢١٧).

(٤) التمهيد للباقلانى، (ص ٢٣٢)، عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى كان من نبلاء الرجال وهو من أشراف بنى مخزوم، توفى قبل معاوية.

(٥) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧)، الطبقات (٨/ ٨١).

بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبين لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال.. فندم طلحة والزبير وعليٌّ وغيرهم، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم[1].

۞ **قال الذهبي:** ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كلية على مسيرها إلى البصرة، وحضورها يوم الجمل، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ[2].

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض: (ص ٢٢٢، ٢٢٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٧٧).

من فضائل أمنا عائشة رضي الله عنها

۞ وقبل أن أذكر بعض فضائل أمنا عائشة رضي الله عنها فتعالوا بنا لنقف وقفة يسيرة مع المكارم التى أحاطت بها من كل جانب.

۞ فزوجها هو سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ الذى أرسله الله رحمة للعالمين.

۞ وأبوها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذى لم تطلع الشمس على بشرٍ بعد الأنبياء والمرسلين أفضل منه... إنه ثانى اثنين... إنه أحب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ.

۞ وأمها هى الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر تلكم الصحابية الجليلة التى قدمت الكثير والكثير لخدمة هذا الدين العظيم.

۞ وأختها لأبيها أسماء بنت أبى بكر - ذات النطاقين رضي الله عنها .

۞ وزوج أختها هو حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته وأحد العشرة المبشرين بالجنة وأول من سلَّ سيفًا فى سبيل الله... إنه الزبير بن العوام رضي الله عنه .

۞ وجدُّها لأبيها - أبو قحافة - الذى أسلم ونال شرف صحبة النبى ﷺ.

۞ وجدتها لأبيها - أم الخير - سلمى بنت صخر التى أسلمت ونالت شرف الصحبة.

۞ وأما عماتها الثلاث - من الصحابيات - وهن: أم عامر وقُريبة وأم فروة - بنات أبى قحافة -.

۞ وأما شقيقها - عبد الرحمن - فهو من الشجعان والرُّماة المذكورين.

۞ فتلك هى الشجرة المباركة التى خرجت عائشة من جذورها وعاشت بين أغصانها فكانت زهرة نادرة فى دنيا الناس(١).

۞ إنها عائشة أم المؤمنين الصدِّيقة بنت الصدِّيق أبى بكر عبد الله بن عثمان، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس، تزوجها النبيﷺ وهى بنت ستٍّ ودخل بها وهى بنت تسع سنين، وكان دخوله بها فى شوال فى السنة الأولى، وقيل فى السنة الثانية من الهجرة، وهى المُبرأة من فوق سبع سماوات، وكانت أحب أزواج النبى ﷺ إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق، فكان الأكابر من الصحابة، رضى الله عنهم أجمعين، إذا أشكل عليهم الأمر فى الدين استفتوها، وقد توفى عنها النبىﷺ وهى فى الثامنة عشرة من عمرها، وكانت وفاتها رضي الله عنها فى سنة ثمانٍ وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه، ودُفنت فى البقيع رضى الله عنها وأرضاها... وتأملوا معى بعض فضائلها ومناقبها(٢).

(١) إنها أحب أزواج النبى ﷺ إليه:

۞ فلقد صرح النبى ﷺ بمحبته لها أكثر من غيرها.

عن أبى عثمان أن رسول الله ﷺ بَعَثَ عمرو بن العاص على جيش ذات السلاسل(٣)، قال: فأتيته فقلت: أيُّ النَّاس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»،

(١) صحابيات حول الرسول / للمصنف (ص: ٨٤-٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٣٥ - ٢٠١) طبقات ابن سعد (٨/ ٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ٩٥).

(٣) مأخوذ من السلسل وهو العذب الصافى من الماء- والنهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٩).

قلت: فمن الرجال؟ قال: «**أبوها**». قلت: ثم من؟ قال: « **عمر** » فعدَّ رجالًا فسكتُّ مخافةَ أن يجعلنى فى آخرهم(١).

❁ **قال الحافظ الذهبى رَحِمَهُ اللَّهُ:**

وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيبًا، وقد قال: «**لو كنت متخذًا خليلًا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخوة الإسلام** »، فأحب أفضل رجل فى أمته، وأفضل امرأة فى أمته، فمن أبغض حبيبى رسول الله ﷺ فهو حَرىٌّ أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله... وحُبه عليه الصلاة والسلام لعائشة كان أمرًا مستفيضًا(٢).

(٢) جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يرسل سلامه إليها مع النبى ﷺ:

فقد روى البخارى بإسناده إلى عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ يومًا: «**يا عائشة هذا جبريل يُقرئك السلام**»، فقالت: وعليه السلام ورحمه الله وبركاته، ترى ما لا أرى – تريد رسول الله ﷺ –(٣).

(٣) النبى ﷺ يخبرها بأنها من أهل الجنة:

فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت: يا رسول الله، مَن أزواجك فى الجنة؟ قال: **أما إنك منهن**؟ قالت: فخُيل إلىَّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكرًا غيري(٤)... وروى البخارى بإسناده إلى القاسم بن محمد أن

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٣٨٤)، والبخارى باب غزو ذات السلاسل برقم (٤١٠٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٣) البخاري (٣٧٦٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) المستدرك (٤/ ١٣) صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي.

عائشة اشتكت فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله ﷺ، وعلى أبى بكر[١]. وفى هذا فضيلة عظيمة لعائشة، رضي الله عنها، حيث قطع لها بدخول الجنة إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف[٢].

(٤) المَلَك يأتى بصورتها إلى النبى ﷺ قبل أن يتزوجها:

فقد روى الشيخان من حديث عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتك فى المنام ثلاث ليالٍ جاءنى بك المَلَك فى سرقة من حرير** (أى: قطعة من حرير) **فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك، فإذا أنت هى فأقول: إن يكُ هذا من الله يُمضه**»[٣].

(٥) فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

۞ عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[٤].

۞ **قال النووى** رحمه الله:

قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد، وثريد ما لا لحم فيه أفضل من مرقه، والمراد بالفضيلة نفعه والتشبُّع منه وسهولة مساغه، والالتذاذ به وتيسُّر تناوله، وتمكُّن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة وغير ذلك، فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة،... وفضل عائشة على النساء زائد

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٧١).

(٢) فتح الباري، (٧/ ١٠٨)، العقيدة فى أهل البيت: (ص ٩٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٨٩٥)، ومسلم (٢٤٣٨).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٧٧٠).

كزيادة فضل الثريد على غيره من الأطعمة. وليس فى هذا تصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة[١].

(٦) النبى ﷺ يبدأ بتخييرها عند نزول آية التخيير:

۞ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بى، فقال: **«إنى ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك»** قالت: وقد علم أن أبواى لم يكونا يأمرانى بفراقه ... قالت: ثم قال: إن الله –جل ثناؤه– قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٢] قالت: فقلت: ففى هذا أستأمر أبواى؟ فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت[٣].

(٧) نزول الوحى على النبى ﷺ وهو فى لحافها:

۞ فقد كان النبى ﷺ يخبر أن الوحى لم ينزل عليه وهو فى لحاف امرأة من أزواجه إلا عائشة رضي الله عنها :

فقد روى البخارى بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة... قالت عائشة: فاجتمع صواحبى إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإنَّا نريد الخير كما تريده عائشة، فمُرى رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا

---

(١) شرح صحيح مسلم (١٥/ ٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) سورة الأحزاب: الآيتان: (٢٨، ٢٩).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٤٧٨٩) كتاب التفسير.

إليه حيث كان أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبى ﷺ قالت: فأعرض عنى، فلما عاد إلىَّ ذكرت له ذلك فأعرض عنى، فلما كان فى الثالثة ذكرت له فقال: «**يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فإنه والله ما نزل علىَّ الوحى فى لحاف امرأة منكن غيرها**»(١).

قال الذهبي: وهذا الجواب منه دَالٌّ على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهى وراء حبه لها، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها(٢).

(٨) الله عَزَّوَجَلَّ يُنزل براءتها من فوق سبع سماوات:

۞ فقد شهد الله عَزَّوَجَلَّ ببراءتها فى حادثة الإفك، وسطَّر براءتها فى كتابه العزيز (القرآن) لتُتلى على ألسنة الموحدين إلى قيام الساعة...

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برَّأها مما رماها به أهل الإفك، وأنزل فى عذرها وبراءتها وحيًا يُتلى فى محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة، وشهد لها بأنها من الطيبات، ووعدها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ما قيل فيها من الإفك كان خيرًا لها، ولم يكن ذلك الذى قيل فيها شرًّا لها ولا خافضًا من شأنها، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها وأعظم شأنها، وصار لها ذكرًا بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء...فيا لها من منقبة ما أجلَّها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها حيث قالت: لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بوحى يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا يبرئنى الله بها(٣). فهذه صدِّيقة الأمة وأم المؤمنين وحِبّ

(١) صحيح:رواه البخارى (٣٧٧٥)، كتاب فضائل الصحابة.

(٢)سير أعلام النبلاء (٢/ ١٤٣).

(٣) صحيح:رواه البخارى (٤١٤١).

رسول الله ﷺ، وهى تعلم أنها بريئة منه مظلومة، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله ﷺ[١].

۞ وقال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله فأنزل براءتها فى عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان.

وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها[٢]...وأما ما نزل بسببها من الآيات وهى للأمة عامة فآية التيمم وكانت رحمة وتسهيلًا لسائر الأمة.

فقد روى البخارى بإسناده إلى عائشة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناسًا من أصحابه فى طلبها فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء، فلما أتوا النبى ﷺ شكوا ذلك إليه، فنزلت آية التيمم فقال أُسيد بن حضير: جزاك الله خيرًا، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خيرًا[٣].

(٩) كان النبى ﷺ يحرص على أن يُمرَّض فى بيتها:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه يقول: «**أين أنا غدًا، أين أنا غدًا؟**» يريد يوم عائشة،... فأذن له أزواجه بأن يكون حيث شاء، فكان فى بيت عائشة حتى مات عندها... قالت عائشة: فمات فى اليوم الذى كان يدور علىَّ فيه فى بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحرى وسَحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبى بكر ومعه مسواك يستن به، فنظر إليه رسول الله، فقلت له: أعطنى هذا

---

(١) جلاء الإفهام: (ص ١٢٤، ١٢٥).

(٢) البداية والنهاية (٨/ ٩٥)، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٦٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٦).

السواك يا عبد الرحمن، فأعطانيه فقصمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول الله ﷺ فاستنَّ به، وهو مُستند إلى صدري[(١)].

❁ وفى رواية قالت عائشة: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى بَيْتِي وَفِى يَوْمِى وَلَيْلَتِي، وَبَيْنَ سَحْرِى وَنَحْرِي، وَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِى بَكْرٍ وَمَعَهُ سِوَاكٌ رَطْبٌ، فَنظَرَ إِلَيْهِ، حتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ يُرِيدُهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَمَضَغْتُهُ، ونَفَضْتُهُ وَطَيَّبْتُهُ، ثُمَّ دَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ كَأَحْسَنِ مَا رَأَيْتُهُ مُسْتَنًّا قَطُّ، ثُمَّ ذَهَبَ يَرْفَعُهُ إِلَيَّ، فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذْتُ أَدْعُو اللهَ عَزَّوَجَلَّ بِدُعَاءٍ، كَانَ يَدْعُو لَهُ بِهِ جِبْرِيلُ، وَكَانَ هُوَ يَدْعُو بِهِ إِذَا مَرِضَ، فَلَمْ يَدْعُ بِهِ فِى مَرَضِهِ ذَلِكَ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ: «**الرَّفِيقُ الأَعْلَى، الرَّفِيقُ الأَعْلَى**»، يَعْنِى وَفَاضَتْ نَفْسُهُ،... فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى جَمَعَ بَيْنَ رِيقِى وَرِيقِهِ فِى آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا[(٢)].

(١٠) النبى ﷺ لم يتزوج بكرا غير عائشة:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِى أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟ قَالَ: «**فِى الَّذِى لَمْ يُرْتَعْ مِنْهَا**» تَعْنِى أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا[(٣)].

(١١) علم عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

عَنْ أَبِى مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٤٨)، وصححه الحاكم (٤/ ٧)، ووافقه الذهبى- والسحر: الرئة. والنحر: أعلى الصدر، استنَّ: استاك.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٥٠٧٧).

قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا[١].

(١٢) أنها زوجة النبى ﷺ فى الدنيا والآخرة:

عَنْ ابْنِ أَبِى مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ جِبْرِيلَ، جَاءَ بِصُورَتِهَا فِى خِرْقَةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**هَذِهِ زَوْجَتُكَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**»[٢].

۞ وفى رواية الحاكم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ فَاطِمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: فتكَلَّمْتُ أَنَا، فقَالُ: «**أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِى زَوْجَتِى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى وَاللهِ، قَالَ: «**فَأَنْتِ زَوْجَتِى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[٣].

(١) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٨٣)، وصححه الألبانى فى المشكاة (٦١٨٥).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٣٨٨٠)، وصححه الألبانى فى المشكاة (٦١٨٢).

(٣) صحيح: رواه ابن حبان (٧٠٩٥)، والحاكم (٦٧٢٩)، وصححه الألبانى فى الصَّحِيحَة (٢٢٥٥، ٣٠١١).

سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده

يا لها من مناقب اجتمعت لهذا الصحابى الجليل.

إنه حوارىُّ رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى، وأول من سلّ سيفه فى سبيل الله... أبو عبد الله رضي الله عنه أسلم وهو حَدَث، له ست عشرة سنة.

وقد ورد أن الزبير كان رجلًا طويلًا، إذا ركب خطَّت رجلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين[1].

ولقد كان الزبير منذ صغره فارسًا مغوارًا لا يخشى الردى- الموت- أينما كان... ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ قط.

وكان يحب النبى ﷺ حبًّا مَلَك عليه قلبه وجوارحه فكان يخشى عليه من نسيم الهواء، بل من أدنى من ذلك.

دفاعه عن النبى ﷺ

وفى يوم من الأيام سرت إشاعة بين الناس أن الرسول ﷺ قُتل فما كان من الزبير إلا أن أخذ سيفه وخرج على الناس كالإعصار المدمِّر يريد أن يتثبت من الخبر فلقيه الحبيب ﷺ فقال: **«ما لك يا زبير؟»** قال: أُخبرت أنك أُخذت- قُتلت- فصلى عليه ودعا له ولسيفه.

وفى رواية: فقال النبى ﷺ: **«ما لك؟»** قال: أُخبرت أنك أُخذت، قال: **«فكنت صانعًا ماذا؟»** قال: كنتُ أضربُ به من أخذك. فدعا له ولسيفه[2].

---

(١) السير للإمام الذهبى (١/ ٤١، ٤٢).

(٢) قال: الأرناؤوط: رجاله ثقات: رواه الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٦٠، ٣٦١)، وانظر الاستيعاب (٣/ ٣١١). وأسد الغابة (٢/ ٢٥٠)، والإصابة (٤/ ٨).

كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء

لقد كان يحب الشهادة فى سبيل الله، ويبحث عنها فى مظانها حتى إنه من حبه للشهادة كان يسمى أولاده بأسماء الشهداء.

قال الزبير بن العوام: إن طلحة بن عبيد الله التيمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أنه لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أُسمى بنىّ بأسماء الشهداء لعلهم أن يُستشهدوا، فسمى (عبد الله) بعبد الله بن جحش، (والمنذر) بالمنذر بن عمرو، (وعروة) بعروة ابن مسعود، (وحمزة) بحمزة ابن عبد المطلب، (وجعفرًا) بجعفر بن أبى طالب، (ومصعبًا) بمصعب بن عُمير، (وعُبيدة) بعبيدة بن الحارث، (وخالدًا) بخالد بن سعيد، (وعمرًا) بعمرو بن سعيد بن العاص[1].

صبره على الإيذاء فى سبيل الله

وعلى الرغم من شرفه ونسبه فى قومه إلا أنه أخذ حظه من الظلم والتعذيب والاضطهاد.

وكان الذى يتولى تعذيبه (عمه).

قال يتيم عروة: هاجر الزبير وهو ابن ثمان عشرة سنة، وكان عمه يعلّقه ويُدخِّن عليه، وهو يقول: «لا أرجع إلى الكفر أبدًا»[2].

ولقد هاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين- الأولى والثانية- ثم عاد ليشهد مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها.

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٧٤).

(٢) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥١): رجاله ثقات إلا أنه مرسل. وأخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٠).

ومن تأمل وصف الصحابة رضي الله عنهم لجسد الزبير لعلم كيف كان يقاتل الزبير رضي الله عنه.

عن عروة قال: كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه إن كنت لأُدخل أصابعي فيها، ضُرب ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك[1].

وعن عليّ بن زيد قال: أخبرني من رأى الزبير وإن في صدره مثل العيون، من الطعن والرمي[2].

الهجرة إلى الحبشة

ولما اشتد إيذاء قريش لأصحاب الحبيب ﷺ أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار (النجاشي) ذلكم الملك العادل.

فكانوا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ.

وظلوا على تلك الحالة من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في المُلك فحزن المسلمون لذلك حُزنًا شديدًا وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم.

وهنا أراد الصحابة رضي الله عنهم أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل- على الجانب الآخر من النيل-.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: مَنْ رجلٌ يخرج حتى يَحضر وقيعةَ القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت:

---

(١) السير للإمام الذهبي (١/ ٥٢) - وأخرجه البخاري (٣٩٧٤) كتاب المغازي.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤١).

فقال الزبير بن العوام: أنا؛ قالوا: فأنت، وكان من أحدث القوم سنًّا. قالت: فنفخوا له قِربةً فجعلها فى صَدْره، ثم سَبَح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التى بها مُلتقى القوم، ثم انطلق حتى حَضَرهم. قالت: فدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشى بالظهور على عدوه، والتمكين له فى بلاده، قالت: فوالله إنَّا لعَلَى ذلك مُتوقعون لما هو كائن، إذ طلع الزبير وهو يسعى، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشِرُوا، فقد ظفر النجاشى، وأَهْلَكَ الله عدوه، ومكّن له فى بلاده[1].

جهاده فى سبيل الله

لقد بذل (الزبير) الكثير والكثير فى سبيل الله فلقد جعل نفسه وماله وقفًا لله عَزَّوَجَلَّ فأكرمه الله ورفعه فى الدنيا والآخرة.

فها هو الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت عليه عمامة صفراء معتجرًا بها يوم بدر... فعن عُروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدرٍ عمامة صفراء فنزل جبريل على سيماء الزبير[2]- أى على هيئته-.

فيا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها.

وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جدِّى ابنُ عمَّةِ أحمدٍ ووزيرُه ... عند البلاء وفارسُ الشقراءِ

وغداة بدرٍ كان أولَ فارسٍ ... شهدَ الوغى فى اللأمة الصفراءِ

نزلت بسيماهُ الملائكُ نُصرةً ... بالحوض يوم تألُّب الأعداءِ

---

(١) السيرة لابن هشام (١/ ٢٧٩).

(٢) ذكره الهيثمى فى المجمع (٦/ ٨٤)، ونسبه إلى الطبرانى وقال: هو مرسل صحيح الإسناد.

وهو ممن هاجر إلى الحبشة فيما نقله موسى بن عقبة، وابن إسحاق ولم يطول الإقامة بها[١].

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعد بن العاص وهو مُدجج لا يُرى إلا عيناه وكان يكنى أبا ذات كرشٍ، فحملت عليه بالعترة فطعنته فى عينه فمات. قال الزبير: لقد وضعت رجلى عليه، فكان الجهد أن نزعتها- يعنى الحربة- فلقد انثنى طرفها[٢].

وقتل الزبير يوم بدر عمَّهُ نوفل بن خويلد بن أسد، وكذا عبيدة بن سعيد ابن العاص.

وفى يوم أُحد

ورأى النبىُّ يوم «أُحُد» رجلًا يقتل المسلمين قتلًا عنيفًا، فقال: «قم إليه يا زبير» فرقى إليه الزبير، حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه، فأقبلا ينحدران حتى وقعا إلى الأرض، فوقع الزبيرُ على صدره وقتله[٣].

كان من الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لى رسول الله ﷺ أبويه مرتين فى أُحدٍ وفى قريظة[٤].

وعن هشام عن أبيه، قالت عائشة: يا ابن أُختى! كان أبواك- يعنى الزبير

(١) السير للإمام الذهبى (١/ ٤٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخارى (٣٩٩٨) كتاب المغازى.

(٣) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٥٨).

(٤) أُسد الغابة (٢/ ٢٥٠).

وأبا بكر- من ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ﴾ (١) .

لما انصرف المشركون من أُحدٍ، وأصاب النبى ﷺ وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء فى آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوةً، فانتدب أبو بكر والزبير فى سبعين، فخرجوا فى آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ﴾ الآية (٢) . لم يلقوا عدوًّا(٣).

وفى يوم الخندق

روى البخارى، ومسلم عن جابر: قال رسول الله ﷺ يوم الخندق: «**من يأتينا بخبر بنى قريظة؟**» فقال الزبير: أنا، فذهب على فرسٍ، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبى ﷺ: «**لكُلِّ نبىٍّ حوارىّ، وحوارىَّ الزبير**»(٤).

قال على بن أبى طالب: أشجع الناس الزبير،... ولا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.

وقال الثورى: نجدة الصحابة: حمزة وعلىّ والزبير.

وعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب جُعلتُ أنا وعمر بن أبى

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٧٢).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٧٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٠٧٧) كتاب المغازى، وأخرج مسلم الجزء الأول (٢٤١٨) كتاب الفضائل.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٧١٩) كتاب فضائل الصحابة، ومسلم (٢٤١٥) كتاب الفضائل.

سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا فلما رجعت قلت: يا أبت رأيتك تختلف، قال: أَوَ هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[١].

وعن ابن أبي الزناد قال: ضرب الزبيرُ يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره، فقطعه إلى القُربوس[٢]، فقالوا: ما أجود سيفك! فغضب الزبير، يريد أن العمل ليده لا للسيف[٣].

وفي يوم حنين

«ويوم (حُنين) طاعن الزبير المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم، وكان قائد المشركين يراقب سير القتال، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارسًا واضعًا رمحه على عاتقه، عاصبًا رأسه بملاءة حمراء، فقال: هذا الزبير بن العوام، وأحلفُ باللات ليخالطنكم فاثبتوا له. فلما انتهى الزبير إلى مواضع المشركين وأبصرهم، قصدهم، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها»[٤].

لله دَرُّ أشجع الناس الذي قال فيه عليّ بن أبي طالب: «**يغضبُ كالنمر، ويثبُ وُثوبَ الأسد**»[٥].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧٢٠) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤١٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) القربوس: مقدم السرج ومؤخره.

(٣) السير للإمام الذهبي (١/ ٥١).

(٤) قادة فتح الشام ومصر (ص٢٠٥) للواء الركن محمود شيت خطاب- ط. دار الفكر.

(٥) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٦٢).

وفى يوم اليرموك

عن عروة أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إنى إن شددتُ كذبتم فقالوا: لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم، فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مُقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: كنت أُدخل أصابعى فى تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ، وهو ابن عشر سنين فحمله على فرس ووكَّل به رجلًا[(١)].

قال الذهبى فى السِّير معلقًا: «هذه الوقعة هى يوم اليمامة إن شاء الله؛ فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين»[(٢)].

وذكر ابن كثير أن الموقعة هى «اليرموك». ولا مانع من وقوع ذلك فى الموقعتين.

ويا لروعة إقدام الزبير حين يُحجم الأبطالُ من صحابة رسول الله ﷺ، ولا يصبرون معه[(٣)].

قال ابن كثير: «وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبيرُ بن العوام، وهو أفضل مَن هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ، فقالوا: ألا تحملُ فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى، فحمل وحملوا، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدَم هو، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر،

(١) أخرجه البخارى (٣٩٧٥) كتاب المغازي.

(٢) السير للإمام الذهبى (١/ ٦٣).

(٣) علو الهمة/ د. سيد حسين (٣/ ٣٢٠).

وعاد إلى أصحابه. ثم جاءوا إليه مرةً ثانية ففعل كما فعل فى الأولى، وجُرح يومئذ جُرحين بين كتفيه. وفى رواية: جُرحٌ»[١].

ويقول ابن كثير مرة أخرى: «خرج مع الناس إلى الشام مجاهدًا، فشهد اليرموك، فتشرَّفوا بحضوره، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العلياء، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين، من أولهم إلى آخرهم»[٢].

وفى فتح مصر (شجاعة نادرة)

«ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوَّات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمدُّه- يطلب المدد من الرجال- فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفًا، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير، والمقداد بن الأسود، وعُبادة بن الصامت، ومسلمة بن مُخلد، وقال آخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع. وكتب إليه: (إنى أمددتك بأربعة آلافٍ، على كل ألفٍ منهم رجل مقام ألفٍ). وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال»[٣].

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصرًا حصن (بابليون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقيل للزبير: «**إن بها الطاعون**». فقال: «**إنما جئنا للطعن والطاعون**»[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٠).

(٣) فتوح مصر والمغرب (ص٦١)، ومعجم البلدان (٦/ ٣٧٦)، وقادة فتح الشام ومصر (ص٢٠٨، ٢٢٦).

(٤) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٧)، والبلاذرى (ص ٢١٥).

«وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: «إنى أهبُ نفسى لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين». فوضع سُلمًا وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعًا، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبّر ومعه السيف، فتحامل الناس على السُّلم حتى نهاهم عمرو؛ خوفًا من أن ينكسر، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين، فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس»(١).

ولله دَرُّ حسان حين يقول:

أقام على عهد النبى وهديه ... حواريُّه والقولُ بالفعلِ يُعدلُ
أقام على منهاجه وطريقهِ ... يُوالى ولّى الحق والحقُّ أعدلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذى ... يصولُ إذا ما كان يومٌ محجَّلُ
إذا كَشَفَتْ عن ساقها الحربُ حشها ... بأبيض سبَّاق إلى الموت يُرقل(٢)
وإنَّ امرأ كانت صفيةُ أمَّهُ ... ومن أسدٍ فى بيتها لمُؤثَّل
له من رسول الله قُربى قريبةٌ ... ومن نصرة الإسلام مجدٌ مُؤثل
فكم كُربةٍ ذبَّ الزبيرُ بسيفه ... عن المصطفى والله يعطى فيجزل
ثناؤُك خيرٌ من فعال معاشرٍ ... وفعلك يابن الهاشمية أفضلُ(٣)

---

(١) قادة فتح الشام ومصر (ص ٢٠٩، ٢٢٧).

(٢) يقال: أرقل القوم إلى الحرب إرقالًا: أسرعوا والإرقال: ضرب من الخبب وهى سرعة سير الإبل.

(٣) ديوان حسان (١٩٩-٢٠٠) طبعة دار صادر البيروتية.

غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه

عن أسماء بنت أبى بكر الصدِّيق رضي الله عنها قالت: تزوَّجنى الزبير رضي الله عنه وما له فى الأرض مالٌ ولا مملوك ولا شىء غير فرسه. قالت: فكنتُ أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسُوسُه، وأدقُّ النوى للناضحة، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن، ولم أكن أُحسن أَخبزُ، فكان يخبز لى جاراتٌ من الأنصار، وكنَّ نسوةَ صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعَهُ رسول الله ﷺ على رأسى، وهى على ثُلُثى فرسخ. قالت: فجئتُ يومًا والنوى على رأسى، فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفرٌ من أصحابه فدعا لى، ثم قال «أخ أخ»؛ ليحملنى خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزبير وغيرتَه. قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسولُ الله ﷺ أنى قد استحييتُ فمضى، فجئتُ الزبير فقلتُ: لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركبَ معه، فاستحييتُ وعرفتُ غيرتك، فقال: والله لحملُك النوى كان أشدَّ علىَّ من ركوبك معه!! قالت: حتى أرسل إلىَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم، فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى[1].

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة طويلة مليئة بالعطاء والتضحية والفداء كان الموعد فى يوم الجمل فلقد شهد الزبير يوم الجمل مع طلحة وعائشة رضي الله عنهم جميعًا- غير أنه عندما ذكَّره (علىّ) بما قاله النبى ﷺ انصرف عنهم.

---

(١) حياة الصحابة للكاندهلوى (٢/ ٦٩١).

فعن أبى حرب بن الأسود الديلى، قال: شهدت الزبير خرج يُريد عليًّا، فقال له علىٌّ: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقاتله وأنت له ظالم؟»، فقال: أذكر. ثم مضى الزبير منصرفًا[١].

وانصرف الزبير يوم الجمل عن علىّ، فلقيه ابنه عبد الله، فقال: جُبنًا، جُبنًا! قال: قد علم الناس أنى لست بجبان، ولكن ذكَّرنى (علىٌّ) شيئًا سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت ألَّا أقاتله، ثم قال:

تركُ الأمُورِ التى أخشى عواقبها ... فى الله أحسنُ فى الدنيا وفى الدِّين

وقيل: إنه أنشد:

ولقد علمتُ لو أن علمى نافعى ... أنَّ الحياة من الممات قريبُ

فلم ينشب أن قتله ابن جُرموز.

عن جون بن قتادة قال: كنت مع الزبير يوم الجمل، وكانوا يسلمون عليه بالإمرة، إلى أن قال: فطعنه ابن جرموز ثانيًا، فأثبته، فوقع، ودُفن بوادى السباع، وجلس (علىّ) رضي الله عنه يبكى عليه هو وأصحابه[٢].

قاتِل الزبير فى النار

لقد أخبر الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ أن قاتل الزبير من أهل النار.

وأخبر الحبيب ﷺ أن الزبير سيموت شهيدًا.

فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء. فتحرك. فقال

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

(٢) السير للإمام الذهبى (١/ ٦٠،٦١).

رسول الله ﷺ: «اسكُن. حراءُ! فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ» وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىٌّ وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم[١].

قال الإمام النووى رحمه الله: وفى هذا الحديث معجزات لرسول الله ﷺ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء، وماتوا كلهم غير النبى ﷺ وأبى بكر شهداء، فإن عمر وعثمان وعليًّا وطلحة والزبير رضي الله عنهم قُتلوا ظلمًا شهداء، فقتل الثلاثة مشهور، وقُتل الزبير بوادى السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركًا للقتال، فأصابه سهم فقتله. وقد ثبت أن من قُتل مظلومًا فهو شهيد[٢].

وها هو قاتل الزبير (ابن جرموز)- عليه من الله ما يستحقه- يستأذن على (علىّ) فقال: من هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن. فقال: ائذنوا له. ليدخل قاتل الزبير النار. إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل نبى حوارى وإن حوارِيَّ الزبير»[٣].

وفى رواية: جىء برأس الزبير إلى علىّ، فقال علىّ: تبوأ يا أعرابىُّ مقعدك من النار، حدثنى رسول الله ﷺ أن قاتل الزبير فى النار[٤].

قال الشعبى رحمه الله: أدركت خمسمائة أو أكثر من الصحابة يقولون: علىٌّ، وعثمان، وطلحة، والزبير فى الجنة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) مسلم مع شرح النووى (١٥/ ٢٧١-٢٧٢).

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٣٦٧)، وصححه ووافقه الذهبى.

(٤) قال الأرناؤوط: الفضل بن أبى الحكم روى عنه غير واحد، وقال أبو حاتم: شيخ بصرى، وذكره ابن حبان فى الثقات. وباقى رجال الإسناد ثقات.

قال الإمام الذهبى: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة، ومن البدريين، ومن أهل بيعة الرضوان، ومن السابقين الأولين الذين أخبر تعالى أنه رضى عنهم ورضوا عنه، ولأن الأربعة قُتلوا، ورُزقوا الشهادة، فنحن مُحبون لهم، باغضون للأربعة الذين قَتَلُوا الأربعة[1].

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل، وكانت تحت الزبير بن العوام، وكان أهل المدينة يقولون: من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة بنت زيد، كانت عند عبد الله بن أبى بكر فقُتل عنها، ثم كانت عند عمر بن الخطاب فقُتل عنها، ثم كانت عند الزبير فقُتل عنها، فقالت:

غدر ابن جرموز بفارس بُهمةٍ ... يوم اللقاء وكان غير مُعرِّدِ

يا عمرو لو نبَّهته لوجدته ... لا طائشًا رعِشَ البنان ولا اليد

ثكلتك أُمك هل ظفرت بمثله ... فيمن مضى فيما تروحُ وتغتدى؟

كم غمرةً قد خاضها لم يثنه ... عنها طرادُك يابن فقع الفدفد

والله ربك إن قتلت لمُسلمًا ... حلت عليك عُقوبةُ المتعمدِ[2]

حرصه على أداء دَيْنه عند الموت

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصينى بدَينه، ويقول: إن عجزت عن شىء منه فاستعن عليه بمولاى. قال: فوالله ما دريت ما أراد، حتى قلت: يا أبتِ مَن مولاك؟ قال: الله. قال: ما وقعت فى كُربة من دَيْنه إلا قلت: يا مولى الزبيرِ اقضِ عنه، فيقضيه. وإنما دينه الذى

(١) السير للإمام الذهبى (١/ ٦٢).

(٢) الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣).

كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه فيقول الزبير: لا، ولكنه سلف فإنى أخشى عليه الضيعة. قال: فحسب ما عليه من الدَّين فوجدته ألفى ألف ومائتى ألف. فقُتل ولم يدع دينارًا ولا درهمًا إلا أرضين، فبعتهما (يعنى: وقضيت دينه) فقال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دَيْن فليأتنا فلنقضه.

فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم.

وكان للزبير أربع نسوة، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[1].

وكيف لا يحرص الزبير ﷺ على أداء الدَّين وهو الذى كان يُغدق الأموال على الفقراء واليتامى والمساكين.

فعن نهيك قال: كان للزبير ألف مملوك يؤدون الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم. يقول: يتصدق بها، وفى رواية أخرى فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله ليس معه منه شيء.

وعن جويرية قالت: باع الزبير دارًا له بستمائة ألف. قال: فقيل له: يا أبا عبد الله، غُبنت. قال: كلا والله لتعلمن أنى لم أُغبن هى فى سبيل الله[2].

وهكذا رحل الشهيد المبارك عن دنيانا ليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه ﷺ فى جنة الرحمن إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

۞ فرضى الله عن الزبير وعن سائر الصحابة أجمعين.

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣١٢٩) كتاب فرض الخمس.

(٢) صفة الصفوة (١/ ١٤١).

سيرة طلحة بن عُبيد الله رضي الله عنه واستشهاده

مرحبًا مرحبًا بمن قدم حياته فداءً للحبيب ﷺ فى غزوة أحد، مرحبًا بالشهيد الحى الذى يضع أقدامه فى الدنيا وهو يعلم أنه من أهل جنة.

مرحبا بمن شهد له النبى ﷺ أنه ممن قضى نحبه.

مرحبًا بالصحابى الجليل: طلحة بن عبيد الله القرشى التيمى، أبو محمد، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبى بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى[1].

لقد كان طلحة رضي الله عنه صاحب النفس الطيبة التى تبحث عن الخير أينما كان، فكان يرى الجاهلية التى يعيشها الناس من حوله فتشمئز نفسه ويتمزق قلبه حزنًا وكمدًا على تلك الحالة التى كان يتمنى هو وغيره - من أصحاب المروءة والنفوس النقية الصافية التى فطرت على النقاء - أن تتغير وأن تتبدل تلك الجاهلية إلى حياة نظيفة طاهرة يعيش الناس فيها فى ظل الحب والوئام والعدل والإخاء.

إنه عملاق من عمالقة الإسلام، وفارس من أشجع الفرسان، ورجل من أولئك الرجال الذين كان لهم أطيب الأثر وأعظمه فى الفتوحات الإسلامية الأولى، والده: عبيد الله، كان من أشراف مكة، وأولى الحظوة فيها وأمه: الصعبة بنت عبد الله، جدها لأمها وهب بن عبد الله، صاحب العطاء والكرم.

(١) الإصابة للحافظ ابن حجر (٣/ ٤٣٠).

وبين أبيه وأمه نمت طفولته وترعرع شبابه وتعلم على أيديهما الكثير من شئون الحياة والتخلق بالأخلاق الكريمة، والصفات الحميدة، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال تزوج حمنة بنت جحش، أخت زينب زوج النبى ﷺ.

نشأ طلحة رضي الله عنه فى مكة، فعرف سهولها ووديانها، وتنقل بين جبالها وقممها، وتعلم الرماية بالسهم، والإصابة بالرمح ولما شبَّ عن الطوق ضاقت به جنباتُ مكة، فأختار طريق التجارة، ومن هنا عرفته أسواق بصرى والشام عرفته تاجرًا صدوقًا وخبرته بائعًا سمحًا.

وسارت حياة طلحة رضي الله عنه بين ظعن وإقامة، وحل وترحال وتوالت الأيام، وكرت الليالى، وهى لا تخرجه عن مزاولة التجارة.

هذا العمل الشاق الذى رضيه لنفسه واختاره لحياته.

وسرعان ما تحققت تلك الأمنية الغالية، فلقد بزغ نور الإسلام فأضاء الكون كله فى لحظة واحدة.. يوم أن نزل جبريل عليه السلام على الحبيب ﷺ ومعه النور الذى أضاء الله به القلوب المظلمة وهدى به النفوس التائهة فى دروب الحياة المتشابكة إلى أنوار التوحيد والإيمان.

إسلامه وابتلاؤه وهجرته

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: حضرت سوق بُصرى، فإذا راهب فى صومعته يقول: سَلُوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد منْ أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذى يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نَخْل، وحرّة[1]

(١) حرة: هى الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النخرات.

وسباخ[١]، فإياك أن تُسبَق إليه. قال طلحة: فوقع ما قال فى قلبي، فخرجت سريعًا حتى قدمتُ مكة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمد بن عبد الله الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبى قحافة ... قال طلحة ﵁: فخرجت حتى دخلت على أبى بكر، وقلت: أتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم، فانطلق إليه، فادخل عليه، فاتّبعه، فإنه يدعو إلى الحق وإلي الخير ... وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب، فخرج أبو بكر بطلحة، فدخل به على رسول الله ﷺ فأسلم طلحة، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب، فَسُرَّ رسول الله ﷺ فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدوية، فشدّها فى حبل واحد، ولم يمنعهما بنو تيم، وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمّى أبو بكر وطلحة القرينين[٢]... هذا وقد أوذى طلحة فى الله ولقى أذى كبيرًا من المشركين، ومن عشيرته الأقربين، وبقى طلحة ﵁ صابرًا على الأذى والعذاب حتى أذن الله ﷿ بالهجرة.

ولما ارتحل رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة لقيه طلحة قادمًا من الشام فى عير، فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر ثياب الشام، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من تجارته، ثم خرج بعد ذلك بآل أبى بكر؛ فهو الذى قدم بهم المدينة، فطلحة من المهاجرين الأوّلين ﵃[٣].... ولما قدم المدينة آخى رسول الله بينه وبين أبى أيوب الأنصاري[٤]، وقيل كعب بن مالك

---

(١) سباخ: جمع سبخة، وهى أرض ذات نزّ وملح.

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٥٨)، فرسان من عصر النبوة: (ص ٢٢٥).

(٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٨).

الأنصاري، حين آخى بين المهاجرين والأنصار[١].

في غزوة بدر

كان طلحة بن عبيد الله، رضي الله عنه، قد كُلف بتحسس عير قريش، وذلك لما تحيّن رسول الله ﷺ وصول عير من الشام لقريش، فقد بعث ﷺ طلحة وسعيد بن زيد، رضي الله عنهما، يأتيانه بالأخبار، فخرجا وبلغا الحوراء، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير، فتساحلت، فعادا إلى المدينة بالأخبار، وكان رسول الله ﷺ قد خرج بالمسلمين فى غزوة بدر فأسرعا لينضما إلى الجيش، إلا أنهما لم يُدركا المعركة،... وضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجورهما، سهمًا كالمقاتلين، وأجرًا كالمجاهدين[٢].

وفى يوم أُحد أوجب طلحة رضي الله عنه

وفى غزوة أحد كان طلحة كعادته يبحث عن الشهادة التى بشره بها النبى ﷺ لعل الله أن يكرمه بها فى ذلك اليوم.

وبينما كان الجيش الإسلامى الصغير يسجل مرة أخرى نصرًا ساحقًا على مكة لم يكن أقل روعة من النصر الذى اكتسبه يوم بدر، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة قلبت الوضع تمامًا، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين، وكادت أن تكون سببًا فى مقتل النبى ﷺ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم، والهيبة التى كانوا يتمتعون بها بعد بدر.

لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو، غلبت

(١) فرسان من عصر النبوة: (ص ٢٢٥)، الاستيعاب لابن عبد البر.

(٢) الحاكم فى المستدرك (٣/ ٣٦٩)، الاستيعاب (٤١٨٨).

عليهم أثارة من حب الدنيا، فقال بعضهم لبعض الغنيمة، الغنيمة ظهر أصحابكم، فما تنتظرون؟!

أما قائدهم عبدالله بن جبير، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟!

ولكن الأغلبية الساحقة لم تُلق لهذا التذكير بالًا، وقالت: والله لنأتينَّ الناس فلنصيبن من الغنيمة[1]. ثم غادر أربعون رجلًا من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل، والتحقوا بسواد الجيش، ليشاركوه فى جمع الغنائم، وهكذا خلت ظهور المسلمين ولم يبق فيها إلا ابن جبير وتسعة من أصحابة التزموا مواقفهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يُبادوا.

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامى، فلم يلبث أن أباد عبدالله بن جبير وأصحابه، ثم انقض على المسلمين من خلفهم وصاح فرسانه صيحة عرف منها المشركون المنهزمون بالتطور الجديد، فانقلبوا على المسلمين وأسرعت امرأة منهم، وهى عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتفَّ حوله المشركون ولاثوا به، وتَنادَى بعضهم بعضًا، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال وأحيط المسلمون من الأمام والخلف ووقعوا بين شِقى الرحى.

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أواصر التطويق، تطحن بين شقى رحى المشركين، كان العراك محتدمًا حول رسول الله ﷺ فلما نادى المسلمين: «**هلم إلىَّ، أنا رسول الله**»، سمع صوته المشركون وعرفوه،

---

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٣٠٣٩) كتاب الجهاد والسير.

فكروا إليه وهاجموه ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف، ظهرت فيه نوادر الحب والتفانى والبسالة والبطولة.

عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه؛ قال: «**من يردهم عنا وله الجنة؟**» أو: «**هو رفيقى فى الجنة؟**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا فلم يزل كذلك حتى قُتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه - أى: القرشيين -: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[1].

وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط[2].

وبعد سقوط ابن السكن بقى رسول الله عليه وسلم فى القرشيين فقط.

ففى الصحيحين عن أبى عثمان قال: لم يبق مع النبى ﷺ فى بعض تلك الأيام التى يقاتل فيهن غير طلحة بن عبيد الله وسعد (بن أبى وقاص)[3].

فأما سعد بن أبى وقاص، فقد نثل له رسول الله ﷺ كنانته وقال «**ارم فداك أبى وأمى**»[4]. ويدل على مدى كفاءته أن النبى ﷺ لم يجمع أبويه لأحدٍ غير سعد[5].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٨٩) كتاب الجهاد والسير.

(٢) وبعد لحظة فاءت إلى رسول الله ﷺ فئة من المسلمين فأجهضوا الكفار عن عمارة، وأدنوه من رسول الله ﷺ، فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ [ابن هشام٢/ ٨١].

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٧٢٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٤١٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: أخرجه البخارى (٤٠٥٥) كتاب المغازي.

(٥) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٠٨٥) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤١١) كتاب فضائل الصحابة.

وعن جابر قال: لما كان يوم أحد وولَّى الناس كان رسول الله ﷺ فى ناحية فى اثْنَىْ عشر رجلًا، منهم طلحة، فأدركه المشركون، فقال النبى ﷺ «**مَن للقوم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت**». فقال رجل: أنا، قال: «**أنت**». فقاتل حتى قُتل، ثم التفت، فإذا المشركون فقال: «**من لهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: «**كما أنت؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا، قال: «**أنت**». فقاتل حتى قُتل، فلم يزل كذلك حتى بقى مع نبى الله «**طلحة**». فقال: «**مَن للقوم؟**» قال طلحة: أنا، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر، حتى قطعت أصابعه. فقال: حَسٌّ[١]. فقال رسول الله ﷺ: «**لو قُلْتَ: بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، ثم رد الله المشركين**»[٢].

وعند الطبرانى: «**لو قلت: بسم الله لطارت بك الملائكة والناس ينظرون إليك**».

وعند النسائى والبيهقى فى الدلائل: «**حتى تلج بك فى جو السماء**».

وعند أحمد: فقال له النبى ﷺ: «**لو قلت بسم الله لرأيت يُبنى لك بها بيت فى الجنة وأنت حى فى الدنيا**»[٣].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى يوم أُحُد[٤].

وجرح فى تلك الغزوة تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين وشلت أصبعه

(١) ورد فى «النهاية»: «حس»: صوت يقوله الإنسان إذا توجع من شىء كالجمرة والضربة ونحوهما.

(٢) رواه الحاكم مختصرًا (٣/ ٣٦٩) معرفة الصحابة، وله طرق، قال الألبانى فى الصحيحة رقم (٢١٧١): فالحديث حسن بمجموع هذه الطرق.

(٣) رواه أحمد فى فضائل الصحابة (١٢٩٤)، وإسناده صحيح.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٠٦٣) كتاب المغازي.

أى السبابة والتى تليها[١].

وقال النبى ﷺ فيه يومئذ: **«من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»**[٢].

وروى أبو داود الطيالسى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة[٣].

وقال فيه أبو بكر أيضا:

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وبوأت المها العينا[٤]

عن عائشة وأم إسحاق بنتى طلحة قالتا: جرح أبونا يوم أحد أربعًا وعشرين جراحة، وقع منها فى رأسه شَجَّةٌ مرَّبعة، وقطع نساه - يعنى العرق - وشُلَّت أصبعه وكان سائر الجراح فى جسده، وغلبه الغَشىُ - الإغماء - ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته، مشجوجٌ فى وجهه، قد علاه الغشى، وطلحة محتمله - أى يحمل النبى ﷺ - يرجع به القهقرى، كلما أدركه أحد من المشركين، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشِّعب[٥].

حتى قال عنه ﷺ: **«أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع»**[٦].

---

(١) قال الحافظ فى الفتح (٧/ ٣٦١): «وقع بيان ذلك عند الحاكم فى الإكليل من طريق موسى بن طلحة».

(٢) رواه الترمذى والحاكم عن جابر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٣) فتح البارى (٧/ ٣٦١).

(٤) مختصر تاريخ دمشق (٧/ ٨٢).

(٥) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٢).

(٦) أخرجه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن الزبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٠) بلفظ «**أوجب طلحة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع**» الصحيحة (٩٤٥).

شهيد يمشى على الأرض:

عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان على جبل حراء، فتحرك. فقال رسول الله: «**اسكن حراء فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد**».

وعليه النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وطلحة والزبير وسعد ابن أبى وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[١] فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيدًا وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى ﷺ ظل يبحث عن شهادته فى مظانها، فشهد المشاهد كلها مع النبى ﷺ عدا غزوة بدر[٢]، فقد كان فى مهمة كلفه بها رسول الله ﷺ كما مرّ معنا، وقال عنه النبى ﷺ «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله**»[٣].

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

عن موسى وعيسى ابنى طلحة عن أبيهما أن أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم قالوا لأعرابى جاء[٤] يسأله عمن قضى نحبه: مَن هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه، قال: فسأله الأعرابى فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم إنى اطلعت من باب المسجد - يعنى طلحة - وعلىَّ ثياب خضر فلما، رآنى رسول الله ﷺ قال: «**أين السائل عمن قضى نحبه؟**» قال الأعرابى: أنا يا رسول الله. قال: «**هذا ممن قضى نحبه**»[٥].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧).

(٢) أصحاب الرسول (١/ ٢٦٠).

(٣) صحيح: رواه الترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩٦٢).

(٤) فى رواية الترمذى.. قالوا لأعرابى جاهل: سله عمن قضى نحبه من هو؟.

(٥) النحب النذر، وقيل: الموت. وقيل: العهد. وقيل غير ذلك. قال شعيب الأرناؤوط: والحديث رواه أبو يعلى (٢/ ٢٦ - ٢٧)، والترمذى (٣٧٤٢) بإسناد حسن.

وعن طلحة ﵁ قال: عقرت يوم أحد فى جميع جسدى حتى فى ذكرى[(١)].

وطلحة يوم الشِّعب واسى محمدًا ... لدى ساعة ضاقت عليه وسدت
وقاه بكفيه الرماحَ فقُطِّعت ... أصابعه تحت الرماح فشلت

أدبه مع النبى ﷺ

أدب طلحة الخير: طلحة بن عبيد الله ﵁.

يظهر ذلك جليًّا أثناء انسحاب رسول الله ﷺ من أُحد، قال ابن إسحاق: نهض رسول الله ﷺ إلى الصخرة من الجبل ليعلوها وكان قد بدن[(٢)] وظاهَر بين درعين، فلما ذهب لينهض لم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله حتى استوى عليها.

لقد أصاب العرج إحدى رجلى طلحة ﵁ أثناء دفاعه عن النبى ﷺ، ولما حمل طلحة النبى ﷺ تكلَّف استقامة المشى أدبًا مع رسول الله ﷺ، لئلا يشق على النبى ﷺ، فاستوت رجله العرجاء لهذا التكلف، فشُفى من العرج[(٣)].

دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم

عن مالك بن أبى عامر قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرأيتك هذا اليمانى هو أعلم بحديث رسول الله منكم، يعنى أبا هريرة، نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، قال: أما أنْ قد سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع، فلا شك، وسأخبرك: إنَّا كنا أهل بيوت وكنا إنما نأتى رسول الله غدوة وعشية وكان مسكينًا لا مال له، أبو هريرة، إنما هو على باب رسول الله، فلا شك

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٩).
(٢) أى ضعف وأسنَّ.
(٣) صلاح الأمة/ د. سيد حسين (٥/ ٦٤٠، ٦٤١).

أنه قد سمع ما لم نسمع، وهل تجد أحدًا فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟[١].

فيا ليتنا نعى هذا الدرس جيدًا ونحسن الظن بكل علمائنا فهم الذين يقفون على كل ثغر من ثغور الإسلام يدافعون عن هذا الدين ويبلغون رسالة الحبيب ﷺ إلى الدنيا بأسرها. ولذا فإن هؤلاء العلماء بمثابة الجهاز المناعى للأمة ضد كل غاشم يريد أن ينال من هذا الدين.

ولا تستطيع الأمة بحال من الأحوال أن تحيا بغير هذا الجهاز المناعى، وإلا أتتها الأمراض من كل مكان، ودب فيها الضعف... فاعلموا لأهل العلم قدرهم ومنزلتهم.

إنفاقه فى سبيل الله تعالى

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة، فما رأيت أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه[٢].

وعن موسى، عن أبيه «طلحة» أنه أتاه مال من حضرموت سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ فقالت له زوجته: ما لك؟ قال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال فى بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك فإذا أصبحت، فادع بجفانٍ وقصاعٍ فقسِّمه. فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق، وهى أم كلثوم بنت الصديق، فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، فبعث إلى علىٍّ منها بجفنة، فقالت له زوجته: أبا محمد! أما كان لنا فى هذا المال من

(١) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات: أخرجه الترمذى، وحسنه هو والحافظ فى الفتح.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٥٧)، والطبرانى فى الكبير (١٩٤).

نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقى. قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم[١].

وعن سُعدى بنت عوف المرية قالت: دخلتُ على طلحة يومًا وهو خائر[٢]، فقلت: ما لك؟ لعل رابك من أهلك شىء؟ قال: لا والله، ونِعْم خليلُه المسلم أنت، ولكن مالٌ عندى فقد غمَّنى. فقلت: ما يَغُمُّك؟ عليك بقومك، قال: يا غلام! ادع لى قومى. فقسَّمه فيهم، فسألتُ الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمائة ألف[٣].

وعن الحسن البصرى أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضًا له بسبعمائة ألفٍ. فبات أرقًا من مخافة ذلك المال، حتى أصبح ففرَّقه[٤].

وعن علىّ بن زيد قال: جاء أعرابى إلى طلحة يسأله، فتقرب إليه برحم فقال: إن هذه لرحم ما سألنى بها أحدٌ قبلك، إن لى أرضًا قد أعطانى بها عثمان ثلاثمائة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان، ودفعت إليك الثمن. فقال: الثمن، فأعطاه[٥].

إنه طلحة الخير، وطلحة الفياض، وطلحة الجود.

موقفه يوم الجمل... والشهادة فى سبيل الله

عن علقمة بن وقاص الليثى قال: لما خرج طلحة والزبيرُ وعائشة للطلب

(١) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٠ - ٣١).

(٢) خائر النفس: غير نشيط.

(٣) ذكره الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٤٨)، وقال: رواه الطبرانى ورجاله ثقات.

(٤) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٣٢).

(٥) سير أعلام النبلاء (١/ ٣١).

بدم عثمان، عرَّجوا عن منصرفهم بذات عِرق، فاستصغروا عُروة بن الزبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن فردُّوهما، قال: ورأيت طلحةَ، وأحبُّ المجالس إليه أخلاها، وهو ضارب بلحيته على زوره، فقلت: يا أبا محمد! إنى أراك وأحبُّ المجالس إليك أخلاها، إن كنت تكره هذا الأمر، فدعه، فقال: يا علقمة! لا تلمنى، كنا أمس يدًا واحدة على مَنْ سوانا، فأصبحنا اليوم جبلين من حديد، يزحف أحدنا إلى صاحبه، ولكنه كان منى شىء فى أمر عثمان، مما لا أرى كفَّارته إلا سَفْكَ دمى، وطلب دمه[١].

قال الإمام الذهبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قلت:** الذى كان منه فى حق عثمان تمغفلٌ وتأليبٌ، فعله باجتهاد، ثم تغير عندما شاهد مصرع عثمان، فندم على ترك نُصرته رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا وكان طلحةُ أول من بايع عليًّا، أرهقه قتلةُ عثمان، وأحضروه حتى بايع[٢].

ولكن طلحة والزبير رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا اعتزلا تلك الحرب فلم يقاتلا، وذلك عندما رَأيا (عمارًا) يقاتل فى صف (علىّ) فتذكّروا قول النبى ﷺ لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٣]. وكان طلحة والزبير رَضِوَٱللَّهُعَنْهُمَا فى جيش معاوية رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ الذى يقاتل عمارًا رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ فخشيا من الخوض فى هذا القتال. ومما زاد حماسهما لاعتزال تلك الحرب- قول علىّ بن أبى طالب للزبير-: يا زبير، أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقاتله وأنت له ظالم؟**» قال الزبير: أذكر. ثم مضى الزبير منصرفًا[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٢)، وفيه «فى طلب دمه» بدل «وطلب دمه» وسكت الحاكم عنه. ولكن الذهبى قال فى مختصره: سنده جيد. وهو كما قال.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩١٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٦٦)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

فانسحب طلحة والزبير وقُتلا أثناء اعتزالهما لتلك الحرب، فأما الزبير فقد تعقّبه رجل اسمه «عمرو بن جرموز» فقتله غدرًا.

وأما طلحة فيقال: إنه جاءه سهم غرب- أى لا يُدرى من الذى رماه-.

وقيل: إن الذى رماه هو مروان بن الحكم.

فعن قيس قال: رأيت مروان بن الحكم حين رمى طلحة يومئذ بسهم، فوقع فى ركبته، فما زال ينسحُّ حتى مات(١).

وعن أبى سبرة قال: نظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل فقال: لا أطلب بثأرى بعد اليوم فرماه بسهم فقتله(٢).

قال الإمام الذهبى رَحِمَهُ اللهُ قلت: قاتل طلحة فى الوزر بمنزلة قاتل (علىّ)... وعن (علىّ) قال: «بشّروا قاتل طلحة بالنار»(٣).

وعن طلحة بن مطرف: أن عليًّا انتهى إلى طلحة وقد مات، فنزل عن دابته وأجلسه، ومسح الغبار عن وجهه ولحيته، وهو يترحم عليه، وقال: «ليتنى مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة»(٤).

وعن قيس بن عبادة، قال: سمعت عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم الجمل يقول لابنه الحسن: «يا حسن، وددتُّ أنى كنتُ مِتُّ منذ عشرين سنة»(٥).

وعن أبى حبيبة- مولًى لطلحة- قال: دخلت على (علىّ) مع عمران بن

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٧٠)، وابن سعد (٣/ ١/ ١٥٩) مطولًا، وأورده الحافظ فى الإصابة (٥/ ٢٣٥)، وقال: سنده صحيح.

(٢) أورده الحافظ فى الإصابة (٥/ ٢٣٥)، وقال: إسناده صحيح.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣٦، ٣٧).

(٤) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥٠): رواه الطبرانى وإسناده صحيح.

(٥) قال الهيثمى فى المجمع (٩/ ١٥٠) رواه الطبرانى وإسناده جيد.

طلحة بعد وقعة الجمل فرحَّب به وأدناه ثم قال: «إنى لأرجو أن يجعلنى الله وأباك ممن قال فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾»(١)(٢).

حفظ الله له بعد موته

إن الله يحفظ العبد المؤمن بعد موته كما كان يحفظه وهو حى.

وها هو طلحة رضي الله عنه بعد موته بأكثر من ثلاثين سنة يفتحون قبره وينقلونه إلى مكانٍ آخر، وإذا به لم يتغير منه إلا شُعيرات فى إحدى شِقّى لحيته.

فعن المثنى بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشةَ بنت طلحة فقال: رأيت طلحةَ فى المنام، فقال: قل لعائشة تحولنى من هذا المكان! فإنَّ النَّزَّ - الرطوبة أو الماء - قد آذانى. فركبت فى حشمها، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شُعيرات فى إحدى شِقَّى لحيته، أو قال رأسه: وكان بينهما بضع وثلاثون سنة.

وحكى المسعوديُّ أن عائشة بنته هى التى رأت المنام(٣).

❁ فرضى الله عن طلحة وعن سائر الصحابة أجمعين.

---

(١) سورة الحجر: الآية: (٤٧).

(٢) أخرجه ابن سعد(٣/ ١/ ١٦٠) والطبرانى فى تفسيره (١٤/ ٣٦)-وتفسير ابن كثير (٤/ ١٦٤).

(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى (١/ ٤٠).





موقعة صِفِّين



موقعة صِفِّين

۞ إنَّ الصحابة ﵃ بَشرٌ وليسوا أنبياءً .... فيقع من الصحابة ما يقع من بقية الناس من اجتهادات وأخطاء وخصومات بل.. ومعارك.. وقد أجمع أهل السنة قاطبة على أنَّ الصحابة أبرُّ الناس وأصلحهم وأقربهم إلى هدى النبى ﷺ ووجوب الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ﵃ والسكوت عما حصل بينهم من خلافات، وعدم البحث والتنقيب عن خلافاتهم، أو نشرها بين العامة، لما لها من أثرٍ سيئ فى إثارة الفتنة وإيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بهم.

ومسلك الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة، هو الإمساك عما حصل بينهم ﵃[١].

ومن الفتن التى وقعت بين الصَّحابة ﵃ غير حرب الجمل ما أشار إليه النبى ﷺ بقوله: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[٢].

فالفئتان هما طائفة علىٍّ ومَن معه، وطائفة معاوية ومَن معه، على ما ذكر الحافظ ابن حجر فى «الفتح»[٣].

أخرج البزَّار بسند جيِّد عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ؛ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَقَدْ خَرَجَ أَهْلُ دِينِكُمْ يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ وُجُوهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ؟ قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: انْظُرُوا الْفِرْقَةَ الَّتِى تَدْعُو إِلَى أَمْرِ عَلِيٍّ؛ فَالْزَمُوهَا؛

---

(١) نهاية العالم (ص ٤٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٦٠٩) كتاب المناقب، ومسلم (١٥٧) كتاب الفتن.

(٣) «فتح البارى» (١٣/ ٨٥).

فَإِنَّهَا عَلَى الْحَقِّ»[(١)].

وقد وقعت الحرب بين الطائفتين فى الموقعة المشهور بـ(صِفِّين)[(٢)] فى ذى الحجة سنة سِتٍّ وثلاثين من الهجرة، وكان بين الفريقين أكثر من سبعين زحفًا، قُتِل فيها نحو سبعين ألفًا من الفريقين[(٣)].

وما حصل من قتال بين علىٍّ ومُعاوية لم يكن يريده واحدٌ منهما، بل كان فى الجيشين من أهل الأهواء متغلِّبون يحرِّضون على القتال، الأمر الذى أدَّى إلى نُشوب تلك المعارك الطاحنة، وخروج الأمر من يد علىٍّ ومُعاوية رضي الله عنهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليًّا ولا معاوية، وكان على ومعاوية رضي الله عنهما أطلَبُ لكفِّ الدماء من أكثر المقتتلين، لكن غُلبا فيما وقع. والفتنة إذا ثارت عجز الحكماء عن إطفاء نارها.

وكان فى العسكرين مثل الأشتر النخعى، وهاشم بن عتبة المرقال، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وأبى الأعور السُّلَمى، ونحوهم من المُحرِّضين على القتال... قومٌ ينتصرون لعثمان غاية الانتصار، وقوم ينفرون عنه، وقوم ينتصرون لعلىٍّ، وقوم ينفرون عنه، ثم قتال أصحاب

---

(١) «فتح البارى» (١٣/ ٨٥).

(٢) (صفين): موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربى، بقرب الرقة، آخر تخوم العراق، وأول أرض الشام.

انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٤١٤)، وتعليق الشيخ محب الدين الخطيب على «العواصم» (ص١٦٢).

(٣) انظر: «فتح البارى» (١٣/ ٨٦)، و«معجم البلدان» (٣/ ٤١٤-٤١٥).

معاوية معه لم يكن لخصوص معاوية، بل كان لأسبابٍ أخرى.

وقتال الفتنة مثل قتال الجاهلية، لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم، كما قال الزهرى: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر: أنزلوهم منزلة الجاهلية»[1].

۞ فنحن هنا لا ننفى وقوع الخطأ من أى صحابى وذلك لأن الصحابة بشرٌ وليسوا معصومين.. فالمعصوم هو النبى ﷺ.. ولكننا نعتقد أن الصحابى لا يفعل الخطأ عن تعمُّدٍ وقصدٍ.

۞ قال الإمام القرطبى رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ خَطَأٌ مَقْطُوعٌ بِهِ، إِذْ كَانُوا كُلُّهُمُ اجْتَهَدُوا فِيمَا فَعَلُوهُ وَأَرَادُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ... وَهُمْ كُلُّهُمْ لَنَا أَئِمَّةٌ، وَقَدْ تَعَبَّدْنَا بِالْكَفِّ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَلَّا نَذْكُرَهُمْ إِلَّا بِأَحْسَنَ الذِّكْرِ، لِحُرْمَةِ الصُّحْبَةِ وَلِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ سَبِّهِمْ، وَأَنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُمْ، وَأَخْبَرَ بِالرِّضَا عَنْهُمْ. إلى أن قال:... فَقَالَ ﷺ:

«طَلْحَةَ شَهِيدٌ يَمْشِى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»[2]، هذه شَهادةٌ مِنَ الصَّادِقِ المصدُوقِ الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ.

فَلَوْ كَانَ مَا خَرَجَ إِلَيْهِ مِنَ الْحَرْبِ عِصْيَانًا لَمْ يَكُنْ بِالْقَتْلِ فِيهِ شَهِيدًا.

قال القرطبي: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا قَدْ صَحَّ وَانْتَشَرَ مِنْ أَخْبَارِ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِأَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فى النار. وقوله: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «بَشِّرْ

---

(١) «منهاج السنة» لابن تيمية (٢/ ٢٢٤) نقلًا عن أشراط الساعة.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن عساكر، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٩١٥).

قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ»[1] -وهو الزُّبير بن العوَّام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حوارى النبيِّ ﷺ-.
وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ غَيْرُ عَاصِيَيْنِ وَلَا آثِمَيْنِ -أي: إنَّهما معذوران باجتهادهما- ولو كان غير ذلك لَمْ يَقُلِ النَّبِيُّ ﷺ فِى طَلْحَةَ: «شَهِيدٌ». وَلَمْ يُخْبِرْ النبى ﷺ أَنَّ قَاتِلَ الزُّبَيْرِ فِى النَّارِ.

ومن ثَمَّ؛ فَلَا يجوزُ أَلْبَتَّةَ لِأَحَدٍ أَنْ يَلْعَنَهُمْ أَوْ أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ، أَوْ أَنْ يُفَسِّقَهُمْ، أَوْ أَنْ يُبْطِلَ فَضَائلهمْ وَجِهَادَهُمْ، وَعَظِيمَ غِنَائِهِمْ فِى الدِّينِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

بين يدى المعركة

۞ لقد ذكرت قبل ذلك أن أصحاب الرسول ﷺ كانوا جميعًا متفقين على إقامة الحد على الذين قتلوا عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.. ولكن الخلاف وقع بينهم فى الوقت الذى يُقام فيه الحد.

ففى الوقت الذى رأى فيه عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تأجيل إقامة الحد على الذين قتلوا عثمان.. وذلك لأن الدولة تمر بمرحلة عصيبة؛ ولأن الثوار ما زالوا يحاصرون المدينة.. فخشى عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من حدوث فتنة كبيرة تقضى على الأخضر واليابس.

كان هناك فريقٌ آخر (طلحة والزبير وعائشة ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ) يرون ضرورة تعجيل إقامة الحد على الذين قتلوا عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

حتى وصل الأمر إلى أن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رفض أن يعطى البيعة لعلى بن أبى طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلا إذا أقام الحد على الذين قتلوا عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أو سلَّم إليه قتلة عثمان ليقتلهم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى الكبير، والحاكم فى المستدرك، وصححه الألبانى فى الصحيحة (١٨٧٧).

ومن هنا حدث الخلاف بين أصحاب الرسول ﷺ... ونحن على يقين من أنهم جميعًا ما أرادوا بذلك أى شيء من حُطام الدنيا، وإنما كان ذلك عن اجتهادٍ منهم.. فمنهم من أصاب وله أجران، ومنهم من أخطأ وله أجرٌ واحدٌ.... ونعتقد أيضًا أن الحق كان مع (عليٍّ) رضى الله عنه وعن معاوية .

أم حبيبة ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية

لما قُتل عثمان رضي الله عنه أرسلت أم المؤمنين، أم حبيبة بنت أبى سفيان إلى أهل عثمان؛ أرسِلوا إلىَّ بثياب عثمان التى قُتل فيها، فبعثوا إليها بقميصه مُضرّجًا بالدم، وبخصلة الشعر التى نُتفت من لحيته، .... ثم دَعَتْ النعمان ابن بشير، فبعثته إلى معاوية، فمضى بذلك وبكتابها[1].

وجاء فى رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التى أصيبت حين دافعت عنه بيدها[2]، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية[3]، فورد النعمان على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، وعلق الأصابع فى كم القميص يُرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله، وحث بعضهم بعضًا على الأخذ بثأره، وجاء شرحبيل بن السمط الكندى وقال لمعاوية، كان عثمان خليفتنا، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا[4].

وآلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفُرش حتى

(١) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين: (ص ٥٣٩).
(٢) البداية والنهاية (٧/ ٥٣٩).
(٣) تاريخ الدعوة الإسلامية/ محمد جميل: (ص ٣٩٨).
(٤) الأنساب (٤/ ٤١٨)، تاريخ الدعوة الإسلامية: (ص ٣٩٨).

يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء أو تفنى أرواحهم[١]، وكان ذلك ما يريده معاوية، فقد كانت الصورة التى نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة؛... مقتل الخليفة، سيوفًا مُصلتة من الغوغاء على رقاب الناس، بيت المال منتهكًا مسلوبًا، وأصابع نائلة مقطوعة، فهاجت النفوس والعواطف، واهتزت المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها العيون، ولا غرابة بعد هذا إطلاقًا أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة،... وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين، ولا يتماوج العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة؟![٢].

ما الذى جعل معاوية يمتنع عن بيعة عليٍّ رضي الله عنهما؟!

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله فى القتلة السبب الرئيس فى رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبى سفيان بيعة على بن أبى طالب، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مُقدَّم على البيعة، وليس لأطماع معاوية فى ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق، إذ كان يدرك إدراكًا تامًّا أن هذا الأمر فى بقية الستة من أهل الشورى، وأن عليًّا أفضل منه وأولى بالأمر منه[٣]، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة.

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتص عليٌّ رضي الله عنه من

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٠).
(٢) معاوية بن أبى سفيان للغضبان: (ص ١٧٨ - ١٨٣).
(٣) خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد على: (ص ١١٢).

قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة[١]، وقالوا: لا نبايع من يؤوى القتلة[٢]، وتخوَّفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا فى جيش علىٍّ، فرأوا أن البيعة لعلىٍّ لا تجب عليهم، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين، قالوا: لأن عثمان قُتل مظلومًا باتفاق المسلمين، وقتلته فى عسكر علىٍّ، وهم غالبون لهم شوكة، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرى أن عليه مسئولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه، فهو ولى دمه وابن عمه،... والله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾[٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قُتل مظلومًا على يد سفهاء منافقين لم يُقدروا الدم الحرام،... إذ سفكوه فى الشهر الحرام فى البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعَلَتْ الأصوات - وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام أحدهم - واسمه مرة بن كعب - فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت،... وذكر الفتن فقربها، فمرَّ رجل متقنع فى ثوب، فقال: «**هذا يومئذ على الهدى**»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**»[٤].

وهناك حديث آخر له تأثيره فى طلب معاوية القود من قتلة عثمان وكان مُنشطًا ودافعًا قويًّا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو:

عن النعمان بن بشير عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: أرسل رسول الله ﷺ،

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٢٩).

(٢) العواصم من القواصم: (ص ١٦٢).

(٣) سورة الإسراء: الآية: (٣٣).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى المشكاة (٦٠٦٧).

فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه، فقال: «**يا عثمان إن الله عسى أن يُلبسك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني**» ثلاثًا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته، قال: فأخبرته معاوية بن أبى سفيان فلم يرضَ بالذى أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلىَّ به، فكتبت إليه به كتابًا[١].

معاوية يرسل رسولاً إلى علي رضي الله عنهما

۞ بعث عليٌّ رضي الله عنه كُتبًا كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها.

وتكرر ذلك مرارًا إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان فى صَفَر، ثم بعث معاوية طُومارًا[٢] مع رجل، فدخل به على عليٍّ فقال له عليٌّ: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القَوَد[٣]، كلهم مَوْتُور[٤] تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو على منبر دمشق، فقال عليٌّ: اللهم إنيّ أبرأ إليك من دم عثمان.... نجا والله قَتَلَةُ عثمان إلا أن يشاء الله:

لماذا قال عليٌّ تلك الكلمة؟... ذلك لأن كلمة المسلمين ستكون بذلك قد افترقت.. وبسبب تلك الفُرقة سيضيع دم عثمان وسوف يضيع الحق.. ومن أجل ذلك كان عليٌّ رضي الله عنه يتمنى أن يبايعه معاوية لتجتمع القوتان (جيش الشام وجيش العراق) على إقامة الحد على قتلة عثمان.. ولكن افترقت الكلمة ولذا قال عليٌّ: «نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله».

---

(١) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٩٤٧).

(٢) الطومار: الصحيفة.

(٣) القود: القاتل بالقتيل.

(٤) الموتور: صاحب الثأر.

ثم خرج رسول معاوية من بين يدى عليٍّ فهمَّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله، فما أفلت إلا بعد جهد[١].

۞ ويقال أن عليًّا أرسل وفدًا إلى معاوية رضي الله عنهما ... وفيهم بشير بن أبى مسعود الأنصاري، المدني، وهو تابعيٌّ ثقة، روى عن أبيه الصَّحابى الجليل أبى مسعود البدرى رضي الله عنه.

فقال بشير لمعاوية: أدعوك إلى تقوى ربك، وإجابة ابن عمك عليٍّ، إلى ما يدعوك إليه من الحقِّ؛ فإنه أسلم فى دينك، وخير لك فى عاقبة أمرك؛... فقال معاوية رضي الله عنه: ويبطل دم عثمان؟! لا والرَّحمن لا أفعل ذلك أبدًا؟[٢]

فكتب معاوية إلى عليٍّ رضي الله عنهما يقول له: إن كنتَ صادقًا فأمكنَّا من قَتَلته نقتلهم به، ونحن أسرع إليك إجابة وأطوعهم طاعة، وإلَّا فليس لك ولأصحابك عندنا إلا السَّيف، فوالله الذى لا إله غيره، لنطلبنَّ قتلة عثمان فى البرِّ والبحر والجبال والرِّمال حتى نقتلهم أو تلحق أرواحنا بالله، والسلام![٣]

وذكر يحيى بن سليمان الجعفي[٤] فى كتاب «صِفِّين» بسند جيد كما قال الحافظ فى «الفتح» عن أبى مسلم الخولانى أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليًّا فى الخلافة - أو أنت مثله؟! فقال معاوية: لا أنازعه فى الخلافة، وإنى

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠).

(٢) «تاريخ الطبري» (٣/ ٧٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٦٧)، و«الثقات» لابن حبان (٢/ ٢٨٧).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٨٦)، و«البداية والنهاية» (٨/ ١٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (١/ ٤٦٥)، وقد روى من غير وجه عن أبى مسلم كما قال ابن كثير.

أعلم أنه أفضل منِّى وأحقُّ بالأمر منِّي، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا، وأنا ابن عمه ووليه وأطلب بدمه؟!

فَأْتُوا عليًّا فقولوا له: يدفع لنا قتلة عثمان... فكلَّموه، فقال عليٌّ: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليَّ! فامتنع معاوية رضى الله عنهم جميعًا.

۞ ويورد ابن كثير روايتين في هذا الموضوع:

الرواية الأولى: عن أَبِى الدَّرْدَاءِ وَأَبِى أُمَامَةَ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا دَخَلَا على معاوية، فقالا له: يا معاوية، علام تقاتل هذا الرجل؟ -أي: عليًّا رضي الله عنه- فو الله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا، وَأَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ!

فَقَالَ مُعَاوِيَةَ: أُقَاتِلُهُ عَلَى دَمِ عُثْمَانَ وَأَنَّهُ آوَى قَتَلَتَهُ، فَاذْهَبَا إِلَيْهِ فَقُولَا لَهُ: فَلْيُقِدْنَا مِنْ قَتَلَةِ عثمان، ثم أنا أول من يبايعه مَنْ أَهْلِ الشَّامِ[١].

أما الرواية الثانية: فتذكُر أن عليًّا رضي الله عنه بعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، وأعطاه كتابًا بذلك؛ فاستشار معاويةُ عمرو بن العاص، ورؤوس أهل الشَّام، فكان منهم جميعًا أن أبوا أن يبايعوا عليًّا حتى يقتل قتلة عثمان أو يسلمهم إليهم رضوان الله عليهم جميعًا[٢].

يقول الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[٣]: «ثم قام معاوية في أهل الشَّام، وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله، فدعا إلى الطَّلب بدم عثمان».

---

(١) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠).

(٢) ذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٤).

(٣) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٤٦٥).

أمير المؤمنين عليٌّ يتجهز لغزو الشام.. والحسن يعترض

بعد وصول رد معاوية لأمير المؤمنين عليٍّ، عزم الخليفة على قتال أهل الشام،... كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم، وإلى أبى موسى بالكوفة، وبعث إلى عثمان بن حُنيف بذلك، وخطب الناس فحثّهم على ذلك، وعزم على التجهُّز، وخرج من المدينة، واستخلف عليها قُثم بن العباس، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه وخرج من أمره ولم يبايعه مع الناس،... وجاء إليه ابنه الحسن بن عليٍّ فقال: يا أبتِ دَعْ هذا فإنّ فيه سفك دماء المسلمين، ووقوع الاختلاف بينهم، فلم يقبل منه ذلك، بل صمم على القتال، ورتّب الجيش، فدفع اللواء إلى محمد ابن الحنفية، وجعل ابن العباس على الميمنة، وعمر بن أبى سلمة على الميسرة.

وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخى أبى عبيدة، واستخلف على المدينة قُثم ابن العباس، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصدًا الشام، حتى جاءه ما شغله عن ذلك[1]، وقد تم تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

أمير المؤمنين على رضي الله عنه يرسل جرير بن عبد الله إلى معاوية رضي الله عنهما

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين (عليٍّ) إلى فتنة السبئية الثانية أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل، خمسة أشهر وواحد وعشرون يومًا، وبين دخوله الكوفة شهر، وبين ذلك وخروجه إلى صِفِّين ستة أشهر[2].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٠، ٢٤١).

(٢) مروج الذهب (٢/ ٣٦٠).

وروى شهران أو ثلاثة[1] وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ستٍّ وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكره لذلك، فنزل فى الرحبة وصلى بالجامع الأعظم ركعتين ثم خطب الناس فحثهم على الخير، ونهاهم عن الشر، ومدح أهل الكوفة فى خطبته هذه، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على (همذان) من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبلان إليه، ... ففعلا ذلك، فلما أراد علىٌّ أن يبعث إلى معاوية ﵁ يدعوه إلى بيعته، قال جرير بن عبد الله البجلى: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بينى وبينه وُدًّا، فآخذ لك البيعة منه.

فقال الأشتر: لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإنى أخشى أن يكون هواه معه. فقال علىٌّ: دعه. فبعثه وكتب معه كتابًا إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان فى وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، ... فلمّا انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورءوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم،... فرجع جرير إلى علىٍّ فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر: ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريرًا؟ فلو كنت بعثتنى لما فتح معاوية بابًا إلا أغلقته... فقال له جرير: لو كنت ثَمَّ لقتلوك بدم عثمان، فقال الأشتر: والله لو بعثتنى لم يعننى

(١) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٠٢).

جواب معاوية، ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعنى فيك أمير المؤمنين لحبسك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمَّة.... فقام جرير مُغْضبًا فأقام بقرقيساء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، ... فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[1].

وهكذا كان الأشتر سببًا فى إبعاد الصحابى جرير بن عبد الله الذى كان واليًا على قرقيسياء وعلى غيرها ورأسًا فى قبيلته بجيلة، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين عليٍّ... وهذا الصحابى جرير بن عبد الله البجلى قال: ما رآنى رسول الله ﷺ إلا تبسَّم فى وجهي، وقال ﷺ: «**يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذى يمن، على وجهه مسحةُ مَلَك**»[2].

أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه يسير إلى الشام

أخذ على بن أبى طالب رضي الله عنه يستعد لغزو الشام.. فأخذ يستنفر الناس، وجهز جيشًا ضخمًا اختلفت الروايات فى عدده ولكن الراجح أنه سار فى خمسين ألفًا إلى الشام.

وكان المكان الذى تجمع فيه الجند هو النخيلة[3]، وهو على بُعد ميلين من الكوفة... فتوافدت عليه الجنود من أكثر أنحاء العراق واستعمل أمير المؤمنين عليٌّ أبا مسعود الأنصاري، وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثى طليعة فى ثمانية آلاف مقاتل، وبعث شريح بن هانئ فى أربعة آلاف، ثم خرج عليٌّ رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) فانضم إليه مَن فيها

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٥).

(٣) مكان قرب الكوفة من جهة الشام - معجم البلدان (٥/ ٢٧٨).

من المقاتلة وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي، ووجه منها طليعة فى ثلاثة آلاف إلى الموصل[١]، وسلك رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيس على شط الفرات الشرقى حتى بلغ قرب قرقيسياء[٢]، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصِفِّين، فتقدم علىٌّ إلى الرقة[٣]، وعبر منها الفرات غربًا ونزل على صِفِّين[٤].

خروج معاوية رضي الله عنه إلى صِفِّين

۞ كان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه، والقتال[٥]، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه، بتجهيز الجيش وعقد الألوية، وقام فى الجيش خطيبًا يحرضهم، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم، وَفَلُّوا حدَّهم، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلىٍّ قد وَتِرهم وقتلهم، وقد تفانت صناديد أهل الكوفة يوم الجمل، وإنما سار فى شرذمة قليلة، ومنهم من قد قتل خليفتكم، فالله الله فى حقكم أن تضيعوه وفى دمكم أن تبطلوه[٦].

۞ ولقد كان معاوية لا يفتر لحظة واحدة فى البحث عن قتلة عثمان ومطاردتهم.. حتى استطاع أن يتربص بجماعة ممن حاصر عثمان من المصريين وقتلهم... ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعى[٧]، ثم كانت له أيد

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٣) بسند حسن إلى عوانة منقطعًا.

(٢) قرقيسياء:بلد يقع على نهر الخابور عند مصبِّه فى الفرات – معجم البلدان (٤/ ٣٢٨).

(٣) الرقة: مدينة مشهورة – فى سوريا اليوم – على نهر الفرات الشرقي، معجم البلدان (٣/ ١٥٣).

(٤) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠٤).

(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٥٢) بسند منقطع، خلافة على: (ص ١٩٢).

(٦) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٠١) بسند منقطع.

(٧) المحن لأبى العرب التميمي: (ص ١٢٤)، خلافة على/ عبد الحميد: (ص ١٩١).

فى مصر وشيعة فى أهل «خربتا» تطالب بدم عثمان رَضِوَلِللهُعَنهُ، وقد استطاعت هذه الفرقة إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبى حذيفة فى عدة مواجهات عام ٣٦هـ، كما استطاع أيضًا أن يوقع برءوس مُدبرى ومُخططى غزو المدينة من المصريين، مثل عبد الرحمن بن عديسى، وكنانة بن بشر، ومحمد بن حذيفة فحبسهم فى فلسطين، وذلك فى الفترة التى سبقت خروجه إلى صِفِّين، ثم قتلهم فى شهر ذى الحجة عام ٣٦هـ[1].

۞ ووصلت الأخبار إلى معاوية أن جيش (عليٍّ) قد تحرك قادمًا إلى الشام.. فما كان منه إلا أن جمع مُستشاريه من أعيان أهل الشام، وخطب فيهم وقال: إن عليًّا نَهَد إليكم فى أهل العراق، فقال ذو الكلاع الحميري: عليك الرأى وعلينا الفعال.. أى: أننا سنفعل كل ما تأمر به فنحن فى انتظار أمرك.

۞ فما كان من معاوية إلا أن جمع جيشًا ضخمًا ... اختلفت الروايات فى تقديره.. لكن أقربها للصواب أنهم ستون ألف مقاتل.

وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص على خيول أهل الشام كلها، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم، وذو الكلاع الحميرى على ميمنة الجيش، وحبيب بن مسلمة على ميسرة الجيش، وأبو الأعور السلمى على المقدمة. هؤلاء هم القادة الكبار وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وُزِّعوا حسب القبائل،... وكان هذا الترتيب عند مسيرهم إلى صفين، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة آخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب فى اختلاف أسماء

---

(١) خلافة على/ عبد الحميد: (ص ١٩١).

القادة فى بعض المصادر[1].

وبعث معاوية أبا الأعور السلمى مقدمة للجيش، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقى من دمشق، ولما بلغ صِفِّين أسفل الفرات، عسكر فى سهلٍ فسيح، إلى جانب شريعة فى الفرات، ليس فى ذلك المكان شريعة غيرها، وجعلها فى حيزه[2].

بداية القتال على الماء

۞ عسكر معاوية فى صِفِّين ووقف بالجيش فى مكان يستطيع من خلاله أن يمنع الماء عن جيش (عليٍّ).

۞ ووصل جيش عليٍّ إلى صِفِّين فلم يجد مكانًا فسيحًا يستوعب الجيش فعسكر فى مكان وعرٍ أغلب أرضه صخور كبيرة... فلما أراد الجيش أن يشرب فوجئ أن معاوية قد نزل فى مكان ومنع الماء عنهم.. فذهب الأشعث بن قيس إلى معاوية وقال له: الله الله يا معاوية فى أمة محمد ﷺ! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق، فمن للبعوث والذرارى؟ إن الله يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[3] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خَلُّوا بيننا وبين الماء. فقال لأبى الأعور: خلِّ بين إخواننا وبين الماء[4].

۞ وجاء فى رواية أخرى: أن جيش عليٍّ لما وجد أن معاوية قد استحوذ

---

(١) امتداد العرب فى صدر الإسلام / صالح العلى: (ص ٧٣)، خلافة على: (ص ١٩٤).

(٢) صفين / نصر بن مزاحم: (ص ١٦٠، ١٦١).

(٣) سورة الحجرات: الآية: (٩).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)، مرويات أبى مخنف: (ص ٢٩٦).

على الماء، هرع بعضهم إلى عليٍّ ﵁ يشكون إليه هذا الأمر.. فما كان من عليٍّ إلا أن أرسل إلى الأشعث بن قيس... فخرج فى ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعت واستولى على الماء(١).

۞ وكان هذا القتال على الماء فى أول مواجهة بين الجيشين فى بداية شهر ذى الحجة فاتحة شرٍ على الجيشين المسلِمَين.. فلقد استمر القتال بينهما متواصلًا طوال هذا الشهر الكريم.

۞ وكان القتال على شكل كتائب صغيرة، فكان علىٌّ ﵁ يُخرج من جيشه كتيبة صغيرة يُؤمِّر عليها أميرًا، فتقتتلان مرة واحدة فى اليوم، فى الغداة أو العشي، وفى بعض الأحيان تقتتلان مرتين فى اليوم، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب فى جيش علىٍّ، الأشتر، وحجر بن عدى، وشبث ابن ربعي، وخالد بن المعتمر، ومعقل بن يسار الرياحي،... ومن جيش معاوية أغلب من يخرج، حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وأبو الأعور السلمي، وشرحبيل بن السمط، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال، وأملًا فى وقوع صلح بين الطرفَين، تُصان به الأرواح والدماء(٢).

محاولات الصلح بينهما

وما أن دخل شهر الله المحرم حتى كانت هناك محاولات طيبة للصلح والموادعة من أجل حفظ دماء المسلمين.

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٤) بسند حسن.

(٢) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد (ص ١٩٧، ١٩٨)، البداية والنهاية (٧/ ٢٦٦)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٤).

فكانت هناك مراسلات فى هذا الشهر الكريم من أجل الصلح، وإن كانت المعلومات عن تلك المراسلات قد وردت من طرقٍ ضعيفة إلا أن ضعفها لا ينفى وجودها أبدًا.

وكان أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه هو الذى بدأ بتلك المراسلات من أجل أن يحفظ دماء المسلمين.

فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وشبث بن ربعى التميمى إلى معاوية رضي الله عنه، يدعوه كما دعاه من قبل إلى الدخول فى الجماعة والمبايعة، فردَّ معاوية عليه بردِّه السابق المعروف، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولًا، ثم يدخل فى البيعة، وقد تبين لنا موقف علىٍّ من هذه القضية[١]، كما أن قُراء الفريقين، قد عسكروا فى ناحية من صِفِّين، وهم عدد كبير، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه[٢]، وقد حاول اثنان من الصحابة، وهما أبو الدرداء، وأبو أمامة رضي الله عنهما، الصلح بين الفريقين، فلم تنجح مهمتهما أيضًا لنفس الأسباب السابقة، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما[٣]، وكذلك حضر مسروق بن الأجدع -أحد كبار التابعين- فوعظ، وخوَّف ولم يقاتل[٤].

نشوب القتال مرة أخرى

۞ فلما فشلت محاولات الصلح التى بُذلت فى ذلك الوقت عادت

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦١٣)، خلافة على بن أبى طالب: (ص ١٩٩).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٦١٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٧) بدون إسناد.

الحرب وعاد القتال مرة أخرى على ما كان عليه من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية خوفًا من وقوع الالتحام الكلي... وظلوا على ذلك لمدة أسبوع.. وكان عدد الالتحامات والوقعات الحربية التى دارت بين الفريقين حتى هذه اللحظة أكثر من سبعين وقعة.. ويقال: أنها كانت أكثر من تسعين وقعة.

المفاجأة المُحزنة

۞ وفى لحظة حاسمة ومُحزنة فى آنٍ واحدٍ أعلن عليٌّ رضي الله عنه أن غدًا الأربعاء سيكون الالتحام الكلى لجميع قوات الجيش،... وعلم معاوية بذلك فأخبر عمرو بن العاص، فقام بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج إليها من الرجال، وثار الناس فى تلك الليلة يُحدُّون أسلحتهم ويُصلحونها.. وقام عمرو بن العاص يحرض الناس على القتال والاستبسال فى القتال.

وباتت القيادات فى الجيشين فى مشاورات وتنظيم للألوية والقيادات وإعداد الخطط للقتال فى اليوم التالى (الأربعاء).

القتال فى اليوم الأول

۞ أشرقت شمس يوم الأربعاء على تلك المأساة التى تُدمى القلب وتُدمع العين... فها هى الفتنة قد اشتعلت وسيلتحم الجيشان المسلمان بكامل قواتهما ليتقاتلا قتالًا لم يخطر على بال أحدهم أن يحدث بينهما فى يومٍ من الأيام.

۞ نظَّم كل جيشٍ صفوفه وأعدَّ سلاحه وعتاده... وتم توزيع قوات كل جيش حسب التوزيع المتبع فى المعارك الكبرى: قلب وميمنة وميسرة، فكان

جيش عليٍّ رضي الله عنه على النحو التالي: على بن أبى طالب على القلب، وعبد الله ابن عباس على الميسرة، وعمار بن ياسر على الرجالة، ومحمد ابن الحنفية، حامل الراية، وهشام بن عتبة (المرقال) حامل اللواء، والأشعث بن قيس على الميمنة... وأما جيش الشام، فمعاوية فى كتيبة الشهباء أصحاب البيض والدروع على تَلٍّ مرتفع، وهو أمير الجيش، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها، وذو الكلاع الحميرى على الميمنة على أهل اليمن، وحبيب بن مسلمة الفهرى على الميسرة على مُضَر، والمخارق بن الصباح الكلاعى حامل اللواء[1]، وتقابلت الجيوش الإسلامية، ومن كثرتها قد سدَّت الأفق.

۞ وجاءت ساعة الصفر، والتحم الجيشان فى قتالٍ عنيفٍ لا يستطيع قلمى أن يصف حِدَّته وشناعته.. واستمر القتال من الصباح إلى غروب الشمس، فكان لا يتوقف إلا لأداء الصلاة فكان كل جيش يصلى فى معسكره.. وعلى الأرض التى تفصل بينهما جثث القتلى التى ملأت الأرض.. وكانت الحرب سجالًا بينهما فلم ينتصر أحدهم على الآخر، ولم يهرب جندى واحد من الميدان.

۞ وقام رجل من جيش عليٍّ فسأل عليًّا رضي الله عنه حين انصرافه من الصلاة، فقال: ما تقول فى قتلانا وقتلاهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: مَن قُتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة[2]...وفى المساء خرج عليٌّ رضي الله عنه إلى ساحة القتال فنظر إلى أهل الشام، فدعا ربه قائلًا: اللهم اغفر لى ولهم[3].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: (ص ١٩٣) بسند حسن إلى شاهد عيان.

(٢) سنن سعيد بن منصور (٢/ ٣٤٤، ٣٤٥) بسند ضعيف.

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٧) بسند ضعيف.

القتال فى اليوم الثاني

۞ وفى اليوم التالى (يوم الخميس) قام عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد صلاة الفجر وجهَّز جيشه واستعد للهجوم مبكرًا ثم قام قبل الهجوم بتغيير بعض قيادات الجيش، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعى على الميمنة بدلًا من الأشعث ابن قيس الكندى الذى تحول إلى الميسرة(١).

۞ وبدأ الجيشان يزحف بعضهما تجاه بعض واشتبك الجيشان فى قتالٍ أعنف من اليوم الذى قبله.. وبدأ جيش عليٍّ (أهل العراق) فى التفوق والتقدم على جيش معاوية (أهل الشام) واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية، وعليها حبيب بن مسلمة، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء)، وأظهر شجاعة وحماسًا منقطع النظير، وصاحَب هذا التقدم الجزئي، تقدم عام لجيش العراق، حتى إن معاوية قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أبت لى عفتى وأبى بلائي ... وأخذى الحمد بالثمن الربيحِ

وإكراهى على المكروه نفسي ... وضربى هامة البطل المشيحِ

وقولى كلما جشأت وجاشت: ... مكانك تحمدى أو تستريحي(٢)

واستحث كتيبته الشهباء، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل، فأخذ مكانه فى قيادة الميمنة الأشتر، وتماسك أهل الشام وبايع بعضهم على الموت، وكَرُّوا مرة أخرى بشدة وعزيمة ... وقُتل عدد من أبرزهم ذو الكلاع،

---

(١) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٣٠).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٦٣٦).

وحوشب وعُبيد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم وانقلب الأمر لجيش الشام، وأظهر تقدُّمًا، وبدأ جيش العراق فى التراجع، واستحرَّ القتل فى أهل العراق وكثرت الجراحات، ولما رأى علىٌّ جيشه فى تراجع، أخذ يناديهم ويحمسهم، وقاتل قتالًا شديدًا واتجه إلى القلب حيث ربيعة، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت وكانوا أهل قتال[1].

عمار بن ياسر رضي الله عنه يستنهض الهمم

۞ وكان عمار بن ياسر يقاتل مع على بن أبى طالب.. فلما رأى عمار رضي الله عنه تقهقُر أصحابه وتقدُّم خصومه أخذ يستنهض همم المقاتلين ويقول لهم: إنكم على الحق ولا يغرنكم ضربات الشاميين الشديدة.. وكان عمار فى ذلك الوقت فى الرابعة والتسعين من عمره، ومع ذلك فقد كان يقاتل بحماسٍ عجيب، ويستنهض الهمم ولكن دون غلوٍّ أو تجاوزٍ فى الحد.

فقد سمع رجلًا بجواره يقول: كَفَر أهل الشام. فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد، ونبينا واحد، وقبلتنا واحدة[2].

۞ ثم أخذ يصرخ بين المقاتلين ويقول: مَن سرَّه أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين صابرًا محتسبًا.

۞ ثم أخذ يتقدم وفى يده الحربة وأخذ يستنهض همة حامل الراية هاشم ابن عتبة بن أبى وقاص وهو يقول:

---

(١) الإصابة (١/ ٤٥٤)، أنساب الأشراف (٢/ ٥٦) بسند حسن إلى قتادة مرسلًا.

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٢٩٠) الإسناد حسن لغيره.

أَزِفت الجنة وزُينت الحور العين، ... مَن سَرَّه أن تكتنفه الحور العين، فليتقدم بين الصفين محتسبًا.

۞ويا له من منظرٍ مؤثر لصحابى قد تجاوز الرابعة والتسعين من عمره وهو مع ذلك يستنهض همم الشباب ويُقوى من أزرهم... فكان سببًا فى رفع معنويات الجيش، وكان عاملًا من عوامل حماس جيش العراق، مما زادهم بذلًا وتضحيةً وضراوةً فى القتال حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم.

۞وتقدم هشام بن عتبة بن أبى وقاص وهو يرتجز بقوله:

أعور يبغى أهله مَحَلًا قد عالج الحياة حتى ملاً

لابد أن يَفلّ أو يُفلَّا[1]

وعمار يقول: تقدم يا هشام، الجنة تحت ظلال السيوف، والموت فى أطراف الأسل[2]، وقد فُتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

اليوم ألقى الأحبَّة محمّدًا وحزبه[3]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: «**إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن**»[4]، ثم تقدم واستحث معه حامل الراية هشام بن عتبة بن أبى وقاص الزهرى فلم يرجعا وقُتلا[5]، ... رحمهما الله ورضى الله عنهما.

---

(١)تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢).

(٢)الأسل: الرماح.

(٣)تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٢).

(٤)مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٢، ٣٠٣) بسند منقطع.

(٥)تاريخ الطبرى (٥/ ٦٥٣).

ليلة الهرير يوم الجمعة

۞ وفى تلك الليلة اشتد القتال لدرجة لا تخطر على قلب بشر. حتى ذُكر أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف[1]،... وقال الشافعي: وحُفظ عن عليٍّ أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير[2].

۞ نعم.. لقد كانت العرب فى تلك الليلة فى قمة القوة والعنف والشراسة، وكان أهل العراق يندفعون بقوةٍ وحماسٍ شديد حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم.. وقاتل أمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى تلك الليلة قتالًا شديدًا وبايع على الموت.

يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاث ليال حتى تكسرت الرماح ونفدت السهام ثم صرنا إلى المسايفة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل حتى صرنا نعانق بعضنا بعضًا، ولما صارت السيوف كالمناجل تضارَبنا بعمد الحديد، فلا تسمع إلا غمغمة وهمهمة القوم، ثم ترامينا بالحجارة وتحاثينا بالتراب وتعاضينا بالأسنان وتكادمنا بالأفواه إلى أن أصبحوا فى يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا تُرى من غبار المعركة وسقطت الألوية والرايات، وأنهك الجيش التعب وكَلَّت الأيدى وجفَّت الحُلوق[3].

ويقول ابن كثير فى وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يثخنا ثم يجلسان يستريحان، وكل واحد منهما ليهمر

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٣/ ٢٥٢) قال الألباني: رواه البيهقى بصيغة التمريض - إرواء الغليل (٣/ ٤٢).

(٢) تلخيص الحبير (٢/ ٧٨)، خلافة على بن أبى طالب: (ص ٢٢٧).

(٣) شذرات الذهب (١/ ٤٥)، وقعة صفين: (ص ٣٦٩).

على الآخر، ويهمر عليه، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون ... ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك، وصلى الناس الصبح إيماءً وهم فى القتال حتى تضاحى النهار وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام[١].

مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه

۞ لقد رأينا كيف كان عمار رضي الله عنه يقاتل بل ويستنهض همم الشباب إلى القتال، وهو الذى بلغ من العمر أربعًا وتسعين عامًا.

۞ وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم سواء الذين كانوا فى جيش عليٍّ أو جيش معاوية رضي الله عنهما يراقبون عمار بن ياسر ويتبعونه حيث سار.. وذلك لأنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار: «**تقتلك الفئة الباغية**»[٢].

فكانت تلك علامة على أن الجيش الذى يقاتل فيه عمار هو الجيش الذى معه الحق.

۞ جاء فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**» قَالَ: عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ[٣].

وكان عمار بن ياسر قليل الكلام، طويل السكوت، وكان عامة قوله: عائذٌ بالرحمن من فتنة، عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة.

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩١٦).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٤٧) كتاب الصلاة.

۞ وعن عمار بن ياسر أنه قال: وهو يسير إلى (صِفِّين) إلى جنب الفرات: اللهم لو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أرمى بنفسى من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضَى لك عنى أن أُلقى نفسى فى الماء فأُغرق نفسى فعلت، وإنى لا أقاتل إلا أريد وجهك وأنا أرجو ألَّا تخيِّبنى وأنا أريد وجهك... يا لها من كلمات تُصدع الأفئدة وتُفتت الجبال.

۞ وعن أبى البخترى قال: قال عمار يوم صفين: ائتونى بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن**» ثم تقدم فقُتل[1].

وعن الزهرى: عن أبيه، عمَّن حدثه: أنه سمع عمارًا بصِفِّين يقول: أزفت الجنان، وزُوِّجت الحور العين. اليوم نلقى حبيبنا محمدًا ﷺ[2].

وقُتل عمار رضي الله عنه ونزفت دماؤه الشريفة التى كثيرًا ما امتزجت بحب الله وحب رسوله ﷺ، وكثيرًا ما احترقت شوقًا لنصرة دين الله (جل وعلا).

قتله رجل اسمه - أبو الغادية- ويقال: قتله رجل آخر. فالله أعلم[3].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩)، وابن سعد (٣/ ١/ ١٨٤)، والحاكم (٣/ ٣٨٩).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى(١/ ٤٢٥).

(٣) قال ابن كثير:

ومعلوم أنَّ عمَّارًا كان فى جيش عليٍّ يوم صفين، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام، وكان الذى تولى قتله يقال له: أبو الغادية، رجل من أفناد الناس، وقيل: إنه صحابي -البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠).

* وقال ابن حجر: والظن بالصحابة فى تلك الحروب أنهم كانوا متأولين، وللمجتهد المخطئ أجر، وإذا ثبت هذا فى حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى - الإصابة (٧/ ٢٦٠).

* وقد وفق الألبانى رحمه الله فى تعليقه على قول ابن حجر:

هذا حق، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل

وكان لمقتل عمّار أثر فى معسكر معاوية،... فهذا أبو عبد الرحمن السلمى دخل فى معسكر أهل الشام، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو، وأبا الأعور السلمي، عند شريعة الماء يسقون... وكانت هى شريعة الماء الوحيدة التى يستقى منها الفريقان، وكان حديثهم عن مقتل عَمّار بن ياسر، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**».فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال. فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال تدحض[(١)] فى بولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به[(٢)]،... فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار فى الهشيم،... وجاء فى رواية صحيحة أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قُتل عمار وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «**تقتله الفئة الباغية**». فقام عمرو بن العاص فزعًا يرجع حتى دخل على معاوية فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قُتل عمار. قال معاوية: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «**تقتلك الفئة الباغية**».فقال له معاوية: دحضت فى بولك، أَوَ نحن قتلناه؟! إنما قتله عليٌّ وأصحابه، وجاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا[(٣)].

وفى رواية صحيحة أيضًا: جاء رجلان عند معاوية يختصمان فى رأس

= لعمار مأجور لأنه قتله مجتهدًا، ورسول الله ﷺ يقول: «**قاتل عمار فى النار**»! فالصواب أن يُقال: إن القاعدة صحيحة إلا ما دَلَّ الدليل القاطع على خلافها، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بها - السلسلة الصحيحة (٥/ ١٩).

(١) الدحض: الزلق، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة فى الأمور.

(٢) مسند أحمد (٢/ ٢٠٦) إسناده حسن.

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ٢٤٠) بسند صحيح.

عمّار، يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليَطِب به أحدكم نفسًا لصاحبه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقتله الفئة الباغية**».قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبى شكانى إلى رسول الله ﷺ فقال: «**أطع أباك ما دام حيًا ولا تعصه**». فأنا معكم ولست أقاتل(١).

أما (عمار) فقد حمله الإمام (علىٌّ) فوق صدره إلى حيث صلى عليه والمسلمون معه... ثم دفنه فى ثيابه...

أجل - فى ثيابه المُضَمَّخة بدمه الزكىِّ الطهور... فما فى كل حرير الدنيا وديباجها ما يصلح أن يكون كفنًا لشهيد جليل من طراز عمار.

ووقف المسلمون على قبره يعجبون..!! منذ ساعات كان (عمار) يُغرد بينهم فوق أرض المعركة... تملأ نفسه غبطة الغريب المضنى يُزَفُّ إلى وطنه، وهو يصيح: [اليوم ألقى الأحبة، محمدًا وصحبه]..!!(٢).

إنما المؤمنون إخوة

۞ فعلى الرغم من تلك الفتنة التى حدثت بين أصحاب الرسول ﷺ فى موقعتى الجمل وصِفِّين، والتى أشعلها السبئيون الخبثاء.. فقد كان أصحاب الرسول ﷺ يتعاملون مع بعضهم البعض بكل أدبٍ ورحمة وإنصاف.. وهى لغة لا تعرفها الحروب أبدًا.

لقد حدثت أشياء فى معركة صفين لا يصدقها عقل،... ففى الوقت الذى كان يتقاتل فيه الجيشان قتالًا شديدًا فإنهم كانوا إذا توقف القتال وذهبوا إلى

---

(١) مسند أحمد (١١/ ١٣٨، ١٣٩).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص ٢٧٩).

الماء، فقد كان أحدهم يغرف الماء لأخيه الذى كان يقاتله منذ ساعة..

بل كانوا إذا توقف القتال يتزاورون فيدخل هؤلاء فى معسكر هؤلاء، وهؤلاء فى معسكر هؤلاء، وكانوا يتحدثون مع بعضهم البعض... وكانوا إذا حان وقت الصلاة توقفوا لأداء الصلاة.. بل إنه يوم قُتل عمار بن ياسر صلَّى عليه الطرفان.

ويذكر شاهد عيان اشترك فى صفين فيقول: تنازلنا بصفين، فاقتتلنا أيامًا فكثر القتلى بيننا حتى عُقرت الخيل، فبعث علىٌّ إلى عمرو بن العاص أن القتلى قد كثروا فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم، فأجابهم،... فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا – وشبَّك بين أصابعه – وكان الرجل من أصحاب علىٍّ يشد فيُقتل فى عسكر معاوية، فيُستخرج منه، وقد مَرَّ أصحاب علىٍّ بقتيل لهم أمام عمرو، فلما رآه بكى وقال: لقد كان مجتهدًا أخشن فى أمر الله[1]،... وكانوا يسارعون إلى التناهى عن المنكر حتى فى مثل هذه المواقع.

سبيلنا الكفُّ والاستغفار للصحابة

قال الإمام الذهبى معلقًا على الفتنة التى حدثت بين (علىٍّ) و(معاوية) رضي الله عنهما: «... فسبيلنا الكفُّ والاستغفار للصحابة، ولا نحب ما شجر بينهم، ونعوذ بالله منه، ونتولى أمير المؤمنين عليًّا»[2].

وَنَقَلَ ابْنُ حَزْمٍ، وَابْنُ تَيْمِيَةَ عَنِ الْجُمْهُورِ الِامْتِنَاعَ عَنِ الْكَلَامِ فِى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

---

(١) أنساب الأشراف (٦/ ٥٦) بسند حسن إلى عتبة، خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد: (ص ٢٤١).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (٣/ ٣٩).

۞ قَالَ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ عَلِيًّا بَدَأَهُمُ الْقِتَالَ؟
قِيلَ لَهُ: وَهُمْ أَوَّلًا امْتَنَعُوا عَنْ طَاعَتِه، وَمُبَايَعتِه، وَجَعَلُوه ظَالِمًا مُشَارِكًا فِي دَمِ عُثْمَانَ، وَقَبلوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ الزُّورِ[1].

۞ قُلْتُ: أُشِيعَ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ بِقَتْلِ عُثْمَانَ.
وَرَاجَتْ هَذِهِ الْإِشَاعَةُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ لِأَرْبَعةِ أُمُورٍ:
(١) عَدَمُ قَتْلِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ.
(٢) مَعْرَكَةُ الْجَمَلِ.
(٣) تَرْكُ الْمَدِينَةِ وَالسَّكَنُ بِالْكُوفَةِ،... وَالكُوفَةُ هِيَ مَعْقِلُ قَتَلَةِ عُثْمَانَ.
(٤) أَنَّ فِي جَيْشِ عَلِيٍّ مَنْ هُوَ مُتَّهَمٌ بِقَتْلِ عُثْمَانَ.
لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ وَقَعَ الشَّكُّ عِنْد أَهْلِ الشَّام (عِنْدَ الْجَهَلَةِ مِنْهُمْ) أَنَّ لعَلِيٍّ يَدًا فِي قَتْلِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَلَيْسَ لِعَلِيٍّ يَدٌ بلْ كَانَ يَلْعَنُ قَتَلَةَ عُثْمَانَ.
فإِنْ قِيلَ: هَذَا وَحْدَهُ لَمْ يُبِحْ لَهُ قِتَالَهُمْ. قِيلَ: إِنَّهُ مَا كَانَ يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكَوْنِهِ عَاجِزًا عَنْ قَتْلِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ، بَلْ لَوْ كَانَ قَادِرًا عَلَى قَتْلِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ وَتَرَكَهُ إِمَّا مُتَأَوِّلًا أَوْ مُذْنِبًا، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوجِبًا لِتَفْرِيقِ الْجَمَاعَةِ وَالِامْتِنَاعِ عَنْ بَيْعَتِه، بَلْ كَانَتْ مُبَايَعَتُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَصْلَحَ فِي الدِّينِ وَأَنْفَعَ لِلْمُسْلِمينَ[2].

الدعوة إلى التحكيم

إن الحالة التى وصل إليها الجيشان بعد ليلة الهرير من القتال، لا

(١) «مِنْهَاج السُّنَّة» (٤/ ٤١٠).
(٢) «حقبة من التاريخ» (ص/ ١٠٦).

يستطيع قلمٌ مهما أُوتى من الفصاحة والبلاغة أن يصف ما وصل إليه الجيشان من القتل والإصابات والتعب والإنهاك حتى إن حالهم لم يَعُد يحتمل مزيدًا من القتال.

حتى قال الأشعث بن قيس زعيم كِنْدَة فى أصحابه ليلة الهرير: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان فى يومكم هذا الماضي، وما قد فنى فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيت مثل هذا قط، ألا فليُبلِّغ الشاهد الغائب، إن نحن تواقفنا غدًا إنه لفناء العرب، وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعًا من الحرب، ولكنى رجل مُسِنٌّ، وأخاف على النساء والذرارى غدًا، إذا نحن فنينا، اللهم إنك تعلم أنى قد نظرت لقومى ولأهل دينى فلم آلُ[1] -أي: لم أُقَصِّر-.

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة، لئن نحن التقينا غدًا لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنُّهى، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا[2]، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن العاص ولا للمخادعة والاحتيال، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين، ولن يُضر معاوية أو عَمرًا شيء أن تأتى أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقَّى من قوى الأمة المتصارعة، إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة، وتركوا لنا ركامًا من الروايات المضللة بشأنها، تُحيل الحق باطلًا، وتجعل الفضل - كالمناداة لتحكيم القرآن

---

(١) وقعة صفين: (ص ٤٧٩).

(٢) المصدر نفسه: (ص ٨٨١- ٨٨٤).

لصون الدماء المسلمة – جريمة ومؤامرة [١] وحيلة، ونسبوا لأمير المؤمنين عليٍّ أقوالًا مكذوبة تعارض ما فى الصحيح، على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها، ولا يعملون بما فيها، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهنًا ومكيدة [٢].

ووسّعوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى لم تعد تجد كتابًا من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعة التى لفقها أعداء الصحابة الكرام.

إن رواية أبى مخنف تفترض أن عليًّا رفض تحكيم القرآن لما اقترحه أهل الشام، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عُرفوا بالخوارج فيما بعد [٣]، وهذه الرواية تحمل سبًّا من عليٍّ لمعاوية وصحبه يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليّ؟! ويكفى للرواية سقوطًا أن فيها أبا مخنف الرافضى المحترق، فهى رواية لا تصمد للبحث النزيه، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب ابن أبى ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال على بن أبى طالب فقال: كنا بصفين، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى عليٍّ المصحف؛ فادعُه إلى كتاب الله، فإنه لا يأبى عليك، فجاء به رجل فقال:

(١) الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين: (ص ٣١٦).

(٢) الكامل (٢/ ٣٨٦).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٢، ٦٦٣).

بيننا وبينكم كتاب الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١)، فقال عليٌّ: نعم، أنا أولى بذلك، فقام القُراء - الذين صاروا بعد ذلك خوارج - بأسيافهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشى إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصارى رَضِوَاللَّهُعَنْهُ فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله ﷺ، يوم الحديبية، ولو نرى قتالًا لقاتلنا، وذلك فى الصلح الذى بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، ثم حدثهم عن معارضة عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ للصلح يوم الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله ﷺ،... فقال عليٌّ: أيها الناس إن هذا فتح، فقبل القضية ورجع، ورجع الناس(٢). وأظهر سهل بن حنيف رَضِوَاللَّهُعَنْهُ اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم(٣)، وبيَّن لهم أنه لا خيار عن الحوار والصلح لأن ما سواه فتنة لا تُعرف عواقبها.

فقد قال: ما وضعنا بسيوفنا على عواتقنا لأمرٍ يُفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر، ما نسد منها خُصمًا إلا تفجر علينا خُصم ما ندرى كيف نأتى له(٤)... وفى هذه الروايات الصحيحة رَدٌّ على دعاة الفتنة، ومبغضى الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا فى صِفِّين؛ ليُظهروهم بمظهر المتحمس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء فى النفوس ويعملوا ما فى

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٣).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٣٣٦)، مسند أحمد مع الفتح الربانى (٨/ ٤٨٣).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤١٨٩).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤١٨٩).

وسعهم على استمرار الفتنة[١].

إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية .. وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية فى طاعة علىٍّ والبيعة له، تطوُّر فرضته أحداث حرب صفين، إذ إن الحرب التى أودت بحياة الكثير من المسلمين، أبرزت اتجاهًا جماعيًّا رأى أن وقف القتال وحقن الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة وصيانة قوتها أمام عدوها، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها فى اتخاذ القرارات[٢].

إن أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه قَبِل وقف القتال فى صِفِّين، ورضى التحكيم وعدَّ ذلك فتحًا ورجع إلى الكوفة[٣]، وعلق على التحكيم آمالًا فى إزالة الخلاف، وجمع الكلمة، ووحدة الصف، وتقوية الدولة، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

ما هى العوامل التى أسهمت فى وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم؟

هناك عوامل أسهمت فى وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم منها:

(أ) أنه كان آخر محاولة من المحاولات التى بُذلت لإيقاف الصدام وحقن الدماء سواء تلك المحاولات الجماعية أو المحاولات الفردية التى بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح،... أما الرسائل التى تُبودلت بين الطرفين لتفنيد وجهات نظر كل منهما، فلم تُجدِ هى الأخرى شيئًا، وكان آخر تلك المحاولات ما قام به معاوية فى أيام اشتداد القتال حيث كتب إلى

(١) الإنصاف فيما وقع فى تاريخ العصر الراشدى من الخلاف: (ص ٥٣٠).

(٢) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين: (ص ٣٨).

(٣) دراسة فى تاريخ الخلفاء: (ص ٣٨).

عليٍّ رضي الله عنه يطالبه بوقف القتال فقال: فإنى أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا، فإنَّا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقى منا ما ينبغى أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقى[١].

(ب) تساقُط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلبًا يرنو إليه الجميع.

(جـ) المَلل الذى أصاب الناس من طول القتال، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذى نادى بالهدنة والصلح، وكانت أغلبية جيش عليٍّ فى اتجاه الموادعة، وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب، ولا نرى البقاء إلا عن الموادعة[٢]. وهذا ينقض ذلك الرأى المتهافت الذى رُوِّج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص، بل رُفع المصحف فى الجمل ورُشق حامله كعب بن سور قاضى البصرة بسهمٍ وقُتل.

(د) الاستجابة لصوت الوحى الداعى للإصلاح.. قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٣] ويؤيد هذا ما قاله على بن أبى طالب حينما عُرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله، قال: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب الله[٤].

كم كان عدد القتلى فى معركة صِفِّين؟

۞ لقد اختلف أهل العلم وتضاربت أقوالهم فى عدد القتلى.

---

(١) الأخبار الطوال للدينورى: (ص ١٨٧)، دارسات فى عهد النبوة: (ص ٤٣٢).

(٢) صفين: (ص ٤٨٢ - ٤٨٥)، دراسات فى عهد النبوة: (ص ٤٣٣).

(٣) سورة النساء: الآية: (٥٩).

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (٨/ ٣٣٦) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة).

فذكر ابن أبى خيثمة أن القتلى فى صفين بلغ عددهم سبعين ألفًا، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفًا، ومن أهل الشام خمسة وأربعون ألف مقاتل[١]، كما ذكر ابن القيم أن عدد القتلى فى صِفِّين بلغ سبعين ألفًا أو أكثر[٢]، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة، بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقى والصدام الجماعى استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال حوالى ثلاثين ساعة[٣]، ومهما كان القتال عنيفًا، فلن يفوق شدة القادسية التى كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة[٤]، وبالتالى يصعب عقلًا أن نقبل تلك الروايات التى ذكرت الأرقام الكبيرة.... والله أعلم.

أمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتفقد القتلى ويترحم عليهم

۞ لقد كان أمير المؤمنين عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد نهاية كل جولة بينه وبين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقوم ويتفقد القتلى ويدعو لهم ويترحم عليهم، سواء كانوا من جنوده أو من جنود معاوية ... فكان يقول وهو ينظر إليهم ويبكي: غفر الله لكم غفر الله لكم.. للفريقين جميعًا.

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين عليٍّ ومعاوية، خرج عليٌّ فمشى فى قتلاه فقال: هؤلاء فى الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء فى الجنة، ويصير الأمر إلىَّ وإلى معاوية[٥]، وكان يقول عنهم: هم

(١) الأنباء للقضاعى (ص ٥٩) نقلًا عن خلافة على (ص ٢٤٦).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٧) بدون سند- تحقيق محمد دخيل الله.

(٣) الدولة الأموية، (ص ٣٦٠- ٣٦٢).

(٤) تاريخ الطبرى (٤/ ٣٨٨).

(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٣) بسند حسن.

المؤمنون[١]،... وقوله رضي الله عنه فى أهل صِفِّين لا يكاد يختلف عن قوله فى أهل الجمل[٢].

۞ وفى يوم من الأيام كان عليٌّ يركب على بغلة النبى ﷺ الشهباء ويطوف بين القتلى[٣]، وأثناء تفقُّده القتلى ومعه الأشتر، مر برجل مقتول – وهو أحد القضاة والعُبَّاد المشهورين بالشام – فقال الأشتر – وفى رواية أخرى عدى بن حاتم-: يا أمير المؤمنين أحابس[٤] معهم؟ عهدى والله به مؤمن،... فقال عليٌّ: فهو اليوم مؤمن.... لعل هذا الرجل المقتول هو القاضى الذى أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتني، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم معهما نصفين. قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، فقال عمر: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[٥]، فانطلق فوالله لا تعمل لى عملًا أبدًا،... قال الراوي: فبلغنى أنه قُتل مع معاوية بصِفِّين[٦].

مرور أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه بالمقابر بعد رجوعه من صِفِّين

لما انصرف عليٌّ أمير المؤمنين رضي الله عنه من صِفِّين مرّ بمقابر، فقال:

---

(١) تاريخ دمشق (١/ ٣٢٩، ٣٣١)، خلافة على، (ص٢٥١).

(٢) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد، (ص٢٥١)، تنزيه خال المؤمنين (ص ١٦٩).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة.

(٤) حابس بن سعد الطائي، مخضرم، قُتل بصفين.

(٥) سورة الإسراء: الآية: (١٢).

(٦) مصنف ابن أبى شيبة (١١/ ٧٤) بسند منقطع.

«السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، أنتم لنا سلفٌ فارط، ونحن لكم تبعٌ، وبكم عمّا قليل لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم، الحمد الله الذى جعل الأرض كِفاتًا، أحياءً وأمواتًا، الحمد لله الذى خلقكم وعليها يحشركم، ومنها يبعثكم، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب، وقنع بالكفاء»(١) .

حسن معاملة الأسرى

يتعين على المسلمين فى بعض الظروف أن يحتفظوا بالأسرى، وأقرب الظروف إلى الذهن أن يكون العدو قد أسر من المسلمين رجالًا يلزم أن نبادلهم بأمثالهم. ولكن لا شك أن طريقة رسول الله ﷺ فى التعامل مع الأسرى كانت فى قمة الرحمة والإحسان.

لقد كانت القاعدة العامة التى حث عليها الرسول ﷺ فى أول غزوة غَنِم فيها المسلمون أسرى هى: «**استوصُوا بهم** - أى بالأسرى - **خيرًا**»(٢) .

إن الفطرة السليمة تأبى التعذيب للنفوس البشرية، بل إنها لا ترضى بتعذيب الحيوان أو الطير، وقد ربَّى الرسول ﷺ صحابته الكرام رضي الله عنهم على الرحمة... فقد روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**من لا يَرحم الناس لا يُرحم**»(٣) ، فكان الصحابة رضوان الله عليهم نماذج عملية فى

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ (٣/ ١٤٨)، فرائد الكلام للخلفاء الكرام، (ص ٣٢٧).

(٢) راه الطبرانى فى الكبير (٩٧٧)، وفى الصغير، وقال الهيثمى: إسناده حسن من حديث أبى عزيز ابن عمير. مجمع الزوائد (٦/ ١١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٤١) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٣١٩) كتاب الفضائل.

الرحمة ببنى البشر جميعًا مسلمين وغير مسلمين. هذا هو المنطلق الذى كان يتحرك منه رسول الله ﷺ والمسلمون سواء فى قضية الأسرى أو فى غيرها من القضايا.

بل إن شريعة الإسلام تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث تمنع تعذيب الأسير للإدلاء بمعلومات عن العدو، وقد قيل للإمام مالك: أيُعذَّبُ الأسيرُ إن رُجى أن يدل على عورة العدو؟ قال: ما سمعت بذلك[١].

۞ كل هذه الرحمة مع الأسير الكافر فكيف إذا كان الأسير هو أخٌ لك فى الله.. أي: أنه مسلم موحد ولكنه يتقاتل معك بسبب فتنة تسببت فى تلك الحرب.

لا شك أن إكرامه والإحسان إليه أولى، ولكن الأسير فى المعركة يُعتبر فئة وقوة لفرقته[٢]، ولذلك كان علىٌّ رضي الله عنه يأمر بحبسه، فإن بايع أخلى سبيله وإن أبى أخذ سلاحه ودابته أو يهبهما لمن أسره ويحلفه ألا يقاتل.

وفى رواية يعطيه أربعة دراهم[٣]، وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح، وهو إضعاف جانب البُغاة ...وقد أُتى بأسير يوم صفين، فقال الأسير: لا تقتلنى صبرًا. فقال على رضي الله عنه: لا أقتلك صبرًا، إنى أخاف الله رب العالمين، فخلَّى سبيله ثم قال: أفيك خيرٌ تبايع[٤]؟

ويقول محب الدين الخطيب معلقًا على هذه الحرب: ومع ذلك، فإن

---

(١) محمد بن يوسف المواق/ التاج والإكليل (٣/ ٣٥٣).

(٢) كتاب قتال أهل البغى من الحاوى الكبير، (ص ١٣٣، ١٣٤).

(٣) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد، (ص ٢٤٣).

(٤) الأم للشافعى (٤/ ٢٢٤)، (٨/ ٢٥٦).

هذه الحرب المثالية هى الحرب الإنسانية الأولى فى التاريخ التى جرى فيها المتحاربان معًا على مبادئ الفضائل التى يتمنى حكماء الغرب لو يعمل بها فى حروبهم، ولو فى القرن الحادى والعشرين، وإن كثيرًا من قواعد الحرب فى الإسلام لم تكن لتُعلَم وتُدوَّن لولا وقوع هذه الحرب، ولله فى كل أمر حكمة[1].

حرص قتلة عثمان رضي الله عنه على استمرار المعركة

۞ لقد كان قرار وقف القتال بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما ضربة قاصمة فى ظهر هؤلاء المجرمين الذين كانوا سببًا فى كل ما حدث فى موقعة الجمل وصِفِّين فقد كانوا حريصين كل الحرص على أن تستمر المعركة وأن يستمر القتال بين الطرفين حتى يفنى الرجال من جيش عليٍّ وجيش معاوية رضي الله عنهما.. فيكون ذلك أمانًا لهم من القصاص والعقاب على قتلهم عثمان رضي الله عنه ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف، وعليٌّ رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقن الدماء، فسعوا إلى ثنى أمير المؤمنين عن عزمه، لكن القتال توقف، فسُقط فى أيديهم، فلم يجدوا بُدًّا من الخروج على عليٍّ رضي الله عنه، فاخترعوا مقولة (الحكم لله) وتحصنوا بعيدًا عن الطرفين، .... والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء فى هذه المرحلة، كما فعلوا فى معركة الجمل، رغم أنهم كانوا موجودين فى جيش عليٍّ،... وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التى دامت أشهرًا عديدة، وعن الدور الذى يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به فى معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين، لأن اصطلاح عليٍّ مع معاوية هو أيضًا اصطلاح

(١) العواصم من القواصم، (ص ١٦٨، ١٦٩) من تعليق الخطيب فى الحاشية.

على دمائهم، فلا يُعقَل أن يجتهدوا فى الفتنة فى وقعة الجمل، ويتركوا ذلك فى صفين[١].

أمير المؤمنين (عليٌّ) ينهى عن شتم معاوية ولعن أهل الشام

۞ تلك هى الأخلاق التى تربَّى عليها أصحاب الرسول ﷺ.. فلقد كان النبى ﷺ يربِّى أصحابه على طهارة اللسان من السبِّ والشتم والقذف والغيبة والنميمة والكذب والبُهتان وكل آفات اللسان ... بل كان يربيهم على العفو والتسامح والتعامل مع كل الناس بأخلاقٍ حسنة.. وكان يعطيهم الأُسوة والقدوة فى كل ذلك واقعًا عمليًّا منظورًا.

روى أن عليًّا رضي الله عنه لما بلغه أن اثنين من أصحابه يُظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام أرسل إليهما أن كُفَّا عما يبلغنى عنكما، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟. قال: بلى وربِّ الكعبة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يَعرف الحقَّ مَن جَهِله ويرعوى عن الغيّ مَن لَجَّ به[٢]....وأما ما قيل من أن عليًّا كان يلعن فى قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية إذا قنت لعن عليًّا وابن عباس والحسن والحسين، فهو غير صحيح، لأنّ الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر حرصًا من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذى نهى عن سباب المسلم ولعنه[٣].

(١) أحداث وأحاديث فتنة الهرج، (ص ١٤٧).

(٢) الأخبار الطوال، (ص ١٦٥) نقلًا عن تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٣٢).

(٣) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٢٣٢).

فقد روى عن رسول الله ﷺ قوله: «**من لعن مؤمنًا فهو كقتله**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطَّعّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيِّ**»[(٢)]، وقوله ﷺ: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[(٣)].كما أن الرواية التى جاء فيها لعن أمير المؤمنين فى قنوته لمعاوية وأصحابه ولعن معاوية لأمير المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين لا تثبت من ناحية السند حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضى المحترق الذى لا يوثق فى رواياته، كما أن فى أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهى عن سب الصحابة... فقد أنكر عليٌ على من سب معاوية ومن معه فقال: إنى أكره لكم أن تكونوا سبَّابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب فى القول، وأبلغ فى العذر، وقلتم مكان سبِّكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم[(٤)]. فهذا السب والتكفير لم يكن من هدى عليٍّ باعتراف أصح كتاب فى نظر الشيعة[(٥)].

موقف عجيب بين معاوية رضي الله عنه وملك الروم

ففى الوقت الذى انشغل فيه معاوية بقتال عليٍّ رضي الله عنهما استغلَّ ملك الروم ذلك وطمع فى ضم بعض الأراضى التى كانت تحت هيمنة معاوية... فما كان من معاوية إلا أن أرسل إليه رسالة لقَّنه فيها درسًا لا ينساه أبدًا.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب (٧/ ٨٤).

(٢) رواه أحمد، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٨١).

(٣) مسلم (٤/ ٢٠٠٦) رقم (٢٥٩٨).

(٤) نهج البلاغة، (ص ٣٢٣).

(٥) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وطمع فى معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله، وقهر جندهم ودحرهم،... فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليٍّ تدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنتهِ وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمى عليك، ولأُخرجنك مع جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، ... فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفَّ، وبعث يطلب الهدنة[1]، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

من شهد تلك المعارك من الصحابة ومَن لم يشهدها

الصَّحَابَةُ الَّذِينَ شَهِدُوا تِلْكَ المَعَارِكَ إِمَّا: «الْجَمَلَ»، أَوْ «صِفِّينَ» هُمْ: عَلِيٌّ، الزُّبَيْرُ، طَلْحَةُ، عَائِشَةُ، ابْنُ الزُّبَيْرِ، الْحَسَنُ، الْحُسَيْنُ، عَمَّارٌ، ابْنُ عبَّاسٍ، مُعَاوِيَةُ، عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ، الْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرٍو، جَرِيرُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ، خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَبُو قَتَادَةَ، أَبُو الْهَيْثَمِ بْن التَّيِّهَانِ، سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ جعْفَرٍ، عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، الْأَشْعَثُ ابْنُ قَيْسٍ، جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ، فُضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ.

وَالَّذِينَ امْتَنَعُوا وَلَمْ يُشَارِكُوا هُمْ: سَعْدُ بْنُ أَبِى وَقَّاصٍ، سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، مُحمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، أَبُو هُرَيْرَةَ، زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَبُو بَكْرَةَ الثَّقَفِيُّ، الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ، أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ، الْوَلِيدُ بْنُ

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٢٢).

عُقْبَةَ، سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَامِرٍ، عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، أُهْبَانُ بْنُ صَيْفِيٍّ، سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ[1]، بَلْ جُلُّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ.

---

(١) حقبة من التاريخ (ص ١٠٦، ١٠٧).



قضية التحكيم

قضية التحكيم

۞ وانتهت معركة صفِّين بالتحكيم.... أي: توقفوا عن القتال بأن رُفعت المصاحف على الرماح، ورضى عليٌّ ﵁ بالتحكيم ورجع إلى الكوفة ورجع معاوية إلى الشام، على أن يكون التحكيم فى رمضان.

وأرسل عليٌّ أبا موسى الأشعري، وأرسل معاوية عمرو بن العاص.

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يُحكِّم كل واحد منهما رجلًا من جهته ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين،... فوكَّل معاوية عمرو بن العاص ووكل عليٌّ أبا موسى الأشعري، رضى الله عنهم جميعًا، وكُتبت بين الفريقين وثيقة فى ذلك، وكان مقر اجتماع الحَكَمين فى دومة الجندل فى شهر رمضان سنة ٣٧هـ، وقد رأى قسمٌ من جيش عليٍّ ﵁ أن عمله هذا ذنبٌ يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى، وخرجوا عليه فسُمُّوا الخوارج، فأرسل عليٌّ ﵁ إليهم ابن عباس ﵄، فناظرهم وجادلهم ثم ناظرهم عليٌّ ﵁ بنفسه فرجعت طائفة منهم وأبَتْ طائفة أخرى، فجَرتْ بينهم وبين عليٍّ ﵁ حروب أَضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة،... وسيأتى تفصيل ذلك فى محله بإذن الله تعالى.

تُعَدُّ قضية التحكيم من أخطر الموضوعات فى تاريخ الخلافة الراشدة، وقد تاه فيها كثير من الكُتاب، وتخبَّط فيها آخرون وسطروها فى كتبهم ومؤلفاتهم، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التى شوهت الصحابة الكرام وخصوصًا أبا موسى الأشعرى الذى وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعًا فى القول، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة،

ولذلك خدعه عمرو بن العاص فى قضيّة التحكيم،... ووصفوا عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه كان صاحب مكرٍ وخداع،... فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إلصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا فى خلافٍ كبير أدّى إلى قتل كثير من المسلمين، ... وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التى وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية، وقد تلقَّاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زُعم فيها من خداع ومكر أثر فى اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها. وليعلم أن كلامنا هذا يَنصبُّ على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه[1] .

رواية باطلة مكذوبة على الصحابة فى قصة التحكيم

۞ وهناك رواية باطلة مكذوبة على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سأذكرها من أجل أن تحذروها... وذلك من باب قول القائل:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقِّيه ... ومن لا يعرف الخير من الشرِّ يقع فيه

۞ **يقول الإمام ابن العربى فى كتابه «العواصم من القواصم»**[2]:

«وهنا قال الناس فى التَّحكيم كلامًا لا يرضاه الله، إذا تدبرتموه بعين المروءة دون الديانة رأيتم أنَّها سخافة،.. حمل على تسطيرها فى الكتب فى الأكثر عدم الدِّين، وفى الأقل جهلٌ متين، والَّذِى صحَّ من ذلك ما روى

(١) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبري: (ص ٣٧٨)، تنزيه خال المؤمنين معاوية: (ص ٣٨).

(٢) العواصم من القواصم (١٧٥-١٧٩) بتصرف.

الأئمَّة، كخليفة بن خيَّاط والدَّارقطني: أنه لما خرج الطَّائفة العراقية مائة ألف، والشَّامية فى سبعين أو تسعين ألفًا ونزلوا على الفرات بصِفِّين، اقتتلوا فى أول يوم وهو الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، والجمعة، وليلة السَّبت، ورُفعت المصاحف من أهل الشام، ودعوا إلى الصلح، وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها إلى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة عليٍّ أبو موسى الأشعرى، ومن جهة معاوية عمرو بن العاص.

وكان أبو موسى رجلًا تقيًّا فقيهًا عالمًا حسبما بيَّناه فى كتاب (سراج المريدين)، وأرسله النبى ﷺ إلى اليمن مع معاذ بن جبل، وقدَّمه عمرو وأثنى عليه بالفهم... وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأى مخدوعًا فى القول، وأن ابن العاص كان ذا دهاءٍ وأربٍ حتى ضُربت الأمثال بدهائه تأكيدًا لما أرادت من الفساد،... وتبع فى ذلك بعض الجُهال بعضًا وصنفوا فيه حكايات.. وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى، وإنما بنوا على أن عَمرًا لما غدر بأبى موسى فى قصة التحكيم صار له الذكر فى الدهاء والمكر.

وقالوا: إنهما لما اجتمعا بأَذْرُح من دومة الجندل وتفاوضا، اتفقا على أن يخلعا الرجلين. فقال عمرو لأبى موسى: اسبق بالقول. فتقدم فقال: إنى نظرت فخلعت عليًّا عن الأمر، وينظر المسلمون لأنفسهم، كما خلعت سيفى هذا من عنقى - أو من عاتقى - وأخرجه من عنقه فوضعه فى الأرض... وقام عمرو فوضع سيفه فى الأرض وقال: إنى نظرت فأَثبتُّ معاوية فى الأمر كما أَثبتُّ سيفى هذا فى عاتقي. وتقلَّده. فأنكر أبو موسى.

فقال عمرو: كذلك اتفقنا. وتفرق الجَمع على ذلك من الاختلاف.

وهذه رواية الإمام الطبريِّ(١) عن أبى مخنف لوط بن يحيى قال: حَدَّثَنِى أَبُو جناب الكلبى أن عَمرًا وأبا مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا التقيا بدومة الجندل -المكان الذى تمَّ فيه الصُّلح-، أخذ عَمْرو يُقدم أبا مُوسَى فِى الكلام، يقول: إنك صاحب رسول الله ﷺ وأنت أسنُّ مني، فتكلم وأتكلم.

فكان عَمْرو قَدْ عوَّد أبا مُوسَى أن يقدمه فِى كل شَيْء، قصد بذلك أن يقدمه ليبدأ بخلع عليٍّ.

قَالَ: فنظرا فِى أمرهما وما اجتمعا عَلَيْهِ، فأراده عَمْرو عَلَى مُعَاوِيَة فأبى -يعني: طلب عمرو من أبى موسى أن يُثبت معاوية خليفة فأبى- وأراده عمرو عَلَى ابنه عبد الله بن عمرو فأبى، وأراد أَبُو موسى عَمرًا على عبد الله بن عُمر فأبى -أي: فأبى عمرو بن العاص- ، فقال له عمرو: أخبرنى مَا رأيك؟ قَالَ: رأيى أن نخلع هَذَيْنِ الرجلين! (هذه أول أكذوبة: نخلع هذين الرَّجلين من ماذا؟ من الخلافة، وهل معاوية خليفة) ونجعل الأمر شورى بين الْمُسْلِمِينَ، فيختار الْمُسْلِمُونَ لأنفسهم من أحبوا ... فَقَالَ لَهُ عَمْرو: فإن الرأى مَا رأيت!

فأقبلا إِلَى النَّاسِ وهم مجتمعون، فَقَالَ عمرو: يَا أَبَا مُوسَى، أعلمهم بأن رأينا قَدِ اجتمع واتفق،... فتكلم أَبُو مُوسَى فَقَالَ: إن رأيى ورأى عَمْرو قَدِ اتفق عَلَى أمر نرجو أن يُصلح الله عَزَّوَجَلَّ بِهِ أمر هَذِهِ الأمة.

فَقَالَ عَمْرو: صَدَقَ وَبَرَّ، يَا أَبَا مُوسَى، تقدم فتكلَّم ... فتقدم أَبُو مُوسَى ليتكلم، فَقَالَ ابنُ عَبَّاس لِأَبى موسى: ويحك! وَاللهِ إنى لأظنه قَدْ خدعك

(١) أخرجه الطبرى فى «تاريخه» (٣/ ١١٢ ط. العلمية).

إن كنتما قَدِ اتفقتما عَلَى أمر، فقدِّمه فليتكلم بِذَلِكَ الأمر قبلك يا أبا موسى، ثُمَّ تكلم أنت بعده، فإنَّ عَمرًا رجلٌ غادر!! - هذا كلام ابن عباس على حدِّ الرِّواية المكذوبة الموضوعة؛ كما سأبيِّن الآن- يقول فيها: وَلا آمن أن يكون قَدْ أعطاك الرضا فِيمَا بينك وبينه، فإذا قمت فِى الناس خالفك- وكان أبو موسى مغفلًا- كذا فى الرواية- فقال له: إنَّا قَدِ اتفقنا.

فتقدم أَبُو مُوسَى فَحَمِدَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وأثنى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّا قَدْ نظرنا فِي أمر هَذِهِ الأمة فلم نرَ أصلح لأمرها، وَلا أَلَمَّ لشعثها من أمرٍ قَدْ أجمع رأيي ورأى عَمْرو عَلَيْهِ، وَهُوَ أن نخلع عَلِيًّا ومعاوية، وتستقبل هَذِهِ الأمة هَذَا الأمر فيولوا مِنْهُمْ من أحبوا عَلَيْهِم، وإنى قَدْ خلعت عَلِيًّا ومعاوية، فاستقبلوا أمركم، وولوا عَلَيْكُمْ من رأيتموه لهذا الأمر أهلًا.

ثُمَّ تنحَّى أبو موسى وأقبل عَمْرو بن الْعَاصِ فقام مقامه، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: إنَّ هَذَا قَدْ قَالَ مَا سمعتم وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأُثبت صاحبى مُعَاوِيَة، فإنه وَلِيُّ عثمان بن عفان والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه.

فَقَالَ أَبُو موسى: ما لك لا وفقك الله، غدرت وفجرت! إنما مثلك كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ... فَقَالَ عَمْرو: إنما مثلك كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا ... وحمل شريح بن هانئ عَلَى عَمْرو فضربه بالسوط، وحمل عَلَى شريح ابنٌ لعمرو فضربه بالسوط، وقام الناس فحجزوا بينهم.

وَكَانَ شريح بعد ذَلِكَ يقول: مَا ندمت عَلَى شَيْء ندامتى عَلَى ضرب عَمْرو بالسوط أَلا أكون ضربته بالسيف آتيًا بِهِ الدهر مَا أتى ... والتمس أهل الشام أبا مُوسَى، فركب راحلته ولحق بمكة.

قَالَ ابن عَبَّاس: قبَّح الله رأى أبى مُوسَى! حذَّرته وأمرته بالرأى فما عقل.

فكان أَبُو مُوسَى يقول: حذرنى ابن عَبَّاس غدرة الفاسق، ولكنى اطمأننت إِلَيْهِ، وظننت أنه لن يؤثر شَيْئًا عَلَى نصيحة الأمة!!

ثُمَّ انصرف عَمْرو وأهل الشام إِلَى مُعَاوِيَةَ، وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ بالخلافة، ورجع ابن عَبَّاس وشريح ابن هانئ إِلَى عليٍّ، وَكَانَ عليٌّ إذا صلى الغداة يقنت فيقول: اللَّهُمَّ العن مُعَاوِيَة وعَمرًا وأبا الأعور السُّلمى وحبيبًا وعبد الرَّحْمَن بن خَالِدٍ والضحاك بن قيس والوليد.

فبلغ ذَلِكَ مُعَاوِيَة، فكان إذا قنت لعن عَلِيًّا وابن عباس والأشتر والحسن والحسين ولدا عليٍّ. اهـ[1].

هذه الرواية العمدة، وأظنُّ من طالع أيَّ كتاب فى الفتنة سواءً أكان سفرًا كبيرًا أو كتابًا صغيرًا إلَّا وقد وقف على هذ الرِّواية بكاملها، والرِّواية مكذوبة باطلة، لا تصحُّ سندًا ولا متنًا،... فأبو مخنف لوط بن يحيى وهو أوَّل رجال السَّند فى هذه الرواية: يقول أهل الجرح والتَّعديل فى هذه الشَّخصية ما يلي:

قال أبو حاتم: متروك.

وقال الدَّارقطنيُّ: ضعيف.

وقال ابن معين - إمام الجرح والتَّعديل: ليس بثقة.

وقال ابن عدي: شيعيٌّ محترق، صاحب أخبارهم.

وقال الآجريُّ: سألتُ أبا حاتم عن لوط بن يحيى، فنفض يديه وقال:

---

(١) راجع: «تاريخ الرسل للطبري» (٥/ ٧٠، ٧١).

وهل يَسأل أحدٌ عن هذا؟!

وقال الذهبيُّ: إخباري تالف لا يوثق به.

هذا هو الرَّاوي الأول من رواة سند هذه الرواية المكذوبة الباطلة.

❁ **الرَّاوي الثاني:** هو أبو جناب الكلبي، قال فيه ابن سعد: كان ضعيفًا.

وقال البخاريُّ وأبو حاتم: كان يحيى بن القطَّان يُضعِّفه.

وقال عثمان الدارميُّ: ضعيف.

وقال النسائيُّ: ضعيف.

هذا هو السَّند؛ فالرواية لا تصح سندًا، ولا تصحُّ أيضًا متنًا[1].

❁ وأما بالنسبة لمتن الرواية فإننا قد ذكرنا قبل ذلك أن الخلاف بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما لم يكن بسبب الخلافة، وإنما كان بسبب دم عثمان رضي الله عنه ... فلم يطلب معاوية البيعة على الخلافة.. بل ولم يبايعه أهل الشام.. وإنما كما ذكرت كان الخلاف بسبب القصاص من قتلة عثمان.

فكان معاوية يُصِرُّ ألَّا يعطى البيعة لعليٍّ إلَّا إذا أقام الحدَّ على قتلة عثمان، أو أن يُسلِّم قتلةَ عثمانَ لمعاوية؛ ليقيم هو بنفسه الحدَّ عليهم.

❁ **يقول ابن حزم في هذا الصدد:** «إنَّ عليًّا قاتَل معاوية لامتناعه من تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام، وهو الإمام الواجب طاعته، ولم ينكر معاوية قط فضل عليٍّ واستحقاقه الخلافة، لكن اجتهاده -أي: معاوية- أدَّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص

---

(١) الفتنة بين الصحابة (ص ٢٥٣-٢٥٩) بتصرف.

لسنِّه وقوته على الطلب بذلك ... وأصاب فى هذا وإنما أخطأ فى تقديمه ذلك على البيعة فقط»[١].

وها هى القصة الصحيحة

وذلك فيما أخرجه البخارى فى تاريخه مختصرًا بسندٍ رجاله ثقات.

عن الحصين بن المنذر أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغنى عن عمرو بعض ما أكره فأته فاسأله عن الأمر الذى اجتمع عمرو وأبو موسى فيه كيف صنعتما فيه؟

قال: قد قال الناس وقالوا، ولا والله ما كان ما قالوا، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى فى هذا الأمر؟ قال: أرى أنه من النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ قال: فقلت: أين تجعلنى من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغنى عنكما فطال ما استغنى أمر الله عنكما[٢].

۞ وقد روى أبو موسى عن تورُّع عَمرو ومحاسبته لنفسه، وتذكُّره سيرة أبى بكر وعمر، وخوفه من الإحداث بعدهما،.... قال أبو موسى: قال لى عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما، لقد غُبنا وأخطآ أو نقص رأيهما، ووالله ما كانا مغبونين ولا مُخطئين ولا ناقصى الرأي، ووالله ما جاءنا الوهن والضعف إلا من قِبَلنا[٣].

---

(١) «الفصل فى الملل» (٤/ ١٦٠).

(٢) التاريخ الكبير (٥/ ٣٩٨).

(٣) العواصم من القواصم، (ص ١٧٨-١٨٠).

وها هو نَصُّ وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) هذا ما تقاضى عليه على بن أبى طالب، ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

(٢) قضية (علىٍّ) على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

(٣) إنَّا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته.. نُحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(٤) وإن عليًّا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعرى) ناظرًا وحاكمًا، ورضى معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

(٥) على أن عليًّا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدوا به إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطورًا، وما لم يجدا فى الكتاب رَدَّاه إلى سُنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

(٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علىٍّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما فى كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(٧) وهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يَعْدُوَا الحق..رضى به راضٍ أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما فى كتاب الله.

(٨) فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن

يختاروا مكانه رجلًا من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

(٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود فى هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلًا يرضون عدله.

(١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

(١١) وقد وجبت القضية على ما سميناه فى هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعدَّيا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

(١٢) والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل،... والسلاح موضوعة، والسُّبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد فى الأمر.

(١٣) وللحكمين أن ينزلا منزلًا متوسطًا عدلًا بين أهل العراق والشام.

(١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحبَّا عن تراضٍ منهما.

(١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجَّلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخَّراها.

(١٦) فإن هما لم يحكما بما فى كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول فى الحرب.

(١٧) وعلى الأمة عهد الله وميثاقه فى هذا الأمر، وهم جميعًا يدٌ واحدة على من أراد فى هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا.

وشهد على ما فى هذا الكتاب الحسن والحسين، ابنا عليٍّ، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر بن أبى طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر

ابن الحارث، وسعيد بن القيس الهمداني، وعددٌ كبير من الصحابة والتابعين.

كُتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبعٍ وثلاثين[١].

۞ وبعد كتابة هذه الوثيقة توقف القتال وتفرق الناس جميعًا وذهبوا جميعًا إلى ديارهم.. فقد عاد عليٌّ بجيشه إلى الكوفة وعاد معاوية بجيشه إلى الشام، وذلك بعدما دفن كل فريق منهم قتلاهم فى موقعة صِفِّين.

ولكن بكل أسف سرعان ما اشتعلت فتنة جديدة فى جيش عليٍّ رضي الله عنه وهو فى طريق عودته إلى بلاد الكوفة.. ألا وهى فتنة الخوارج... والتى سأتناولها بعد قليل بشيء من الاختصار.

حقيقة قرار التحكيم

ليس من شك فى أن أمر الخلاف الذى رأى الحكمان ردَّه إلى الأمة وإلى أهل الشورى ليس إلا أمر الخلاف بين عليٍّ ومعاوية حول قتلة عثمان، ولم يكن معاوية مُدَّعيًا للخلافة، ولا مُنكرًا حق عليٍّ فيها كما تقرر سابقًا، وإنما كان ممتنعًا عن بيعته، وعن تنفيذ أوامره فى الشام حيث كان متغلبًا عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون، مستفيدًا من طاعة الناس له بعد أن بقى واليًا فيها زهاء عشرين سنة[٢]، ... وقد قال ابن دحية الكلبى فى كتابه «أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين»: قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعرى -الباقلاني- فى مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه (على بن أبى طالب) وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى

---

(١) انظر: الوثائق السياسية، (ص ٥٣٧،٥٣٨)، الأخبار الطوال للدينوري، (ص ١٩٦-١٩٩)، أنساب الأشراف (١/ ٣٨٢)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦٥-٦٦٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٢) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ١٣٤).

يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه، أو أحد منهما على ما شرطا فى الموافقة بينهما، أو إلى أن يبينا ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة،.... ونَصُّ كتاب على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشترط على الحكمين أن يحكما بما فى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ من فاتحته إلى خاتمته لا يجاوزان ذلك ولا يحيدان عنه، ولا يميلان إلى هوى ولا ادّهان، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما.. والكتاب والسنة يثبتان إمامته، ويُعظمانه ويثنيان عليه، ويشهدان بصدقه وعدالته، وإمامته وسابقته فى الدين، وعظيم جهاده فى جهاد المشركين وقرابته من سيد المرسلين، وما خص به من القدم فى العلم والمعرفة بالحكم، ووفور الحلم، وأنه حقيقٌ بالإمامة، وأهلٌ لحمل أعباء الخلافة[1].

مكان انعقاد المؤتمر

كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين -كما جاء فى الوثيقة- فى رمضان فى عام ٣٧هـ، إذا لم تحدث عوائق،... فى موضع وسط بين العراق والشام وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل[2]، وفى روايات موثقة، وأذرح[3] وفى روايات أخرى دونها فى الإتقان، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثرًا فى اختلاف الروايات، إذ يقول خليفة ابن خياط[4]: ويقال بأذرح وهى من دومة الجندل قريب، وقد تم الاجتماع فى الموعد المحدد بدون عوائق[5].

---

(١) أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين، (ص ١٧٧).

(٢) دومة الجندل: غرب مدينة الجوف فى شمال الجزيرة العربية.

(٣) أذرح: اسم بلد فى أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحى البلقاء.

(٤) تاريخ خليفة، (ص ١٩١،١٩٢).

(٥) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد، (ص ٢٦٧).

إن المكان الذى اجتمع فيه الحكمان هو دومة الجندل، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموى من أن التحكيم حدث فى أذرح،... واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها وبالأشعار، وبخاصة بشعر ذى الرمة[١] فى مدح بلال بن أبى بردة[٢] وهو قوله:

أبوك تلافى الدين والناس بعدما تشاءوا وبيت الدين منقلع الكسر

فشد إصار الدين أيام أذرح ورد حروبًا قد لقحن إلى عقر[٣]

۞ هل حضر سعد بن أبى وقاص اجتماع الحكمين؟

اجتمع الحكمان فى موعدهما المحدد، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين، وفد عن أهل العراق، والآخر يمثل أهل الشام، وطلب الحكمان من عدد من أعيان قريش وفُضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته وأفضل هؤلاء، سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه، فإنه لم يحضر التحكيم ولا أراد ذلك ولا همَّ به[٤].

فعن عامر بن سعد أن أخاه عمر انطلق إلى سعد فى غنمٍ له خارجًا من المدينة فلما أتاه قال: يا أبتِ، أرضيت أن تكون أعرابيًّا فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة؟ فضرب سعدٌ صدر عمر وقال: اسكت فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يحب العبد التقى النقى الخفي**»[٥].

(١) ذو الرمة، غيلان بن عقبة توفى ١١٧هـ - سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٧).
(٢) بلال بن أبى بردة عامر بن أبى موسى الأشعري- تهذيب تاريخ دمشق (٣/ ٣٢١).
(٣) ديوان ذى الرمة، (ص ٣٦١،٣٦٢) نقلًا عن خلافة علي، (ص ٢٧٢).
(٤) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، (ص ٢٧٢).
(٥) المسند (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/ ٢٦)، خلافة على بن أبى طالب، للسلمي، (ص ١٠٧).

سيرة أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه

ونبدأ قصته المباركة من أرض اليمن، حيث كان يعيش بين أهلها الذين وصفهم الحبيب ﷺ برقّة القلوب، فقال ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة وألين قلوبًا الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانيةٌ...**» (١).

وفى رواية: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبًا وأرقُّ أفئدة، الفقه يمانٍ والحكمة يمانية» (٢).

وكان رضي الله عنه على الرغم من حداثة سِنه إلا أنه يُنكر على قومه عبادتهم لتلك الأصنام التى لا تنفع ولا تضر.

وكان يتمنى من أعماق قلبه أن تحدث معجزة لإنقاذ البشرية كلها من أوحال الشرك والوثنية إلى أنوار التوحيد والطاعة.. وسرعان ما تحققت أمنيته الغالية وكانت المعجزة السامية ببعثة الحبيب ﷺ.

وما إن سمع أبو موسى رضي الله عنه ببعثة الحبيب ﷺ حتى حمل متاعه وأطلق لقدميه العنان، وهى تسابق الريح من أجل أن يظفر برؤية الحبيب ﷺ ويؤمن برسالته التى جاء بها ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن الرحيم الغفور.

وما إن وصل إلى مكة المكرمة ورأى النبى ﷺ حتى أسلم لله جل وعلا.

وفى الليلة التالية التقى عبد الله بن قيس ومعه عمه أبو عامر برسول الله

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٣٨٨) كتاب المغازي، ومسلم (٥٢) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (٣٣٠١) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٥٢) كتاب الإيمان.

ﷺ ثانيةً، وأقبل النبى ﷺ على أبى عامر، وكلَّمه بنحو ما كلَّم به عبد الله، وتلا عليه آيات من القرآن، فآمن سريعًا، وشهد شهادة الحق. وسُرَّ -عليه الصلاة والسلام- بإسلام هذين الشابين اليمانيين، وامتدحهما على سبقهما لقومهما بالإسلام، ثم حدثهما عن دعوته، وكيف ابتدأت، وعن أصحابه، وما أصابهم فى سبيل الدعوة، وعن موقف قريش من هذه الدعوة، وحكى لهما قصة أصحابه الذين هاجروا فرارًا بدينهم إلى الحبشة، وكيف أن قريشًا امتد إيذاؤها لهم إلى هناك، لكن الله -تعالى- أبطل مكرها، وحمى أصحابه، وأخبرهما -عليه الصلاة والسلام- أن دينه لا بد أن يظهر وتعتنقه العرب والعجم، ويمكِّن الله له فى الأرض.

وانبسطت أسارير الشابين فرحًا وسرورًا بما سمعا، وقالا للنبى ﷺ:

مُرْنا بأمرك يا رسول الله، إن شئت بقينا عندك، وتحملنا كما تحمل إخواننا، وإن شئت رجعنا إلى قومنا فدعوناهم إلى دينك، وإن شئت لحقنا بإخواننا فى الحبشة فكنا معهم، فأثنى عليهما النبى ﷺ خيرًا، ثم أمرهما بالرجوع إلى قومهما، والدعوة إلى الله -تعالى- حتى إذا ظهر أمره هاجرا إليه. قال الشابان: سمعًا وطاعة يا رسول الله. ثم مكثا فى مكة عدة ليال، أقرأهما فيها النبى ﷺ عددًا من سور القرآن، وعلمهما الصلاة وأداءَها، ثم انطلقا راجعين إلى اليمن، وقد فازا بأعظم ما فى الوجود: فازا بالإيمان واليقين والإسلام لله رب العالمين [١].

عاد أبو موسى إلى بلاده -اليمن- داعية إلى الله (جل وعلا) ليأخذ بأيدى الناس من حوله إلى جنة الرحمن (جل وعلا).

---

(١) «أبو موسى الأشعرى» بقلم محمد على دولة (ص ١٥).

وبعد فترة قضاها أبو موسى رضي الله عنه في اليمن يعلِّم الناس كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ.. تاقت نفسه لملازمة رسول الله ﷺ فحمل متاعه مرة أخرى وسافر إلى الحبيب ﷺ إثر فراغه من فتح خيبر ووافق قدومه قدوم «جعفر ابن أبى طالب» رضي الله عنه وهو عائد من الحبشة هو وأصحابه فأسهم النبى ﷺ لهم جميعًا، وكان فرحًا بقدومهم أشد الفرح.

فعن أبى موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج رسول الله ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لى أنا أصغرهما أبو بُردة والآخر أبو رُهْمٍ -إما قال: فى بضع، وإما قال: فى ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلًا- من قومى فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلى النجاشى بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبى طالب وأصحابه عنده. فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا. وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتى قَدِمْنَا جميعًا، فوافقنا النبى ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا أو قال أعطانا منها وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئًا إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قسم لهم معهم قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا- يعنى لأهل السفينة- نحن سبقناكم بالهجرة- فذكر الحديث- وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «**ليس بأحقَّ بى منكم وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان**»(١).

وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقدم عليكم غدًا قومٌ هم أرقُّ قلوبًا للإسلام منكم**» فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٢٣١) كتاب المغازي، ومسلم (٢٥٠٣) كتاب فضائل الصحابة.

فلما أن قدموا تصافحوا، فكانوا أول من أحدث المصافحة[١].

وعن عياض الأشعرى، قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[٢] قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى، وأومأ إليه**»[٣].

ولازموا الحبيب ﷺ الذى أحبَّهم من كل قلبه لما رأى عليهم من كريم الفعال ورقة القلوب وصدق الأقوال وانشغالهم ليلًا ونهارًا بعبادة الكبير المتعال، فكان يقول عنهم ﷺ: «**إنى لأعرفُ أصواتَ رُفقة الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم، بالقرآن بالليل. وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[٤].

بل كان الحبيب ﷺ يثنى عليهم بين أصحابه ثناءً عظيمًا، فيقول: «**إنَّ الأشعريين، إذا أرملوا فى الغزو، أو قلَّ طعامُ عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحدٍ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحدٍ، بالسَّوية. فهم منى وأنا منهم**»[٥].

أوسمة الشرف التى وضعها الحبيب ﷺ على صدره

وعاد أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة أخرى ينهل من هذا النبع الصافى ويتعلم القرآن والسُّنة بين يدى الحبيب ﷺ.

وكان أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قرأ القرآن بصوته تشعر وكأن الدنيا كلها

---

(١) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥، ٢٢٣) وابن سعد (٤/ ١٠٦).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٥٧).

(٣) أخرجه ابن سعد (٤/ ١٠٧) وصححه الحاكم (٢/ ٣١٣) ووافقه الذهبى.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٦) كتاب فضائل الصحابة.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٧) كتاب فضائل الصحابة.

تتمايل طربًا بصوته العذب الرخيم؛ حتى إن النبى ﷺ قال له ذات مرة: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»(١).

وقال أبو عثمان النهدى: ما سمعت مزمارًا ولا طُنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبى موسى الأشعرى؛ إن كان ليصلى بنا فنودُّ أنه قرأ البقرة، من حُسن صوته(٢).

قال أبو سلمة: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبى موسى وهو جالس فى المجلس: يا أبا موسى ذكِّرنا ربنا فيقرأ عنده أبو موسى وهو جالس فى المجلس ويتلاحن(٣).

بل يشهد له النبى ﷺ بأنه مؤمنٌ منيب.

فعن ابن بُريدة عن أبيه، قال: خرجتُ ليلة من المسجد، فإذا النبى ﷺ عند باب المسجد قائم، وإذا رجلٌ يصلى، فقال لى: «يا بريدة، أتراه يُرائى»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب، لقد أُعطى مزمارًا من مزامير آل داود». فأتيته، فإذا هو أبو موسى؛ فأخبرته(٤).

وها هن أزواج النبى ﷺ يستمعن لصوته رضي الله عنه.

فعن أنس: أنَّ أبا موسى كان حُلو الصوت، فقام ليلة يصلى، فسمع أزواج النبى ﷺ، فقُمن يستمعن. فلما أصبح، قيل له: إن النساء سمعنك.

---

(١) رواه الترمذى عن أبى موسى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٣١).

(٢) رواه ابن عساكر (٥٢٧) –نقلًا من السير للذهبى (٢/ ٣٩٢).

(٣) أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٢٢٦٤) وله شاهد عند ابن سعد (٤/ ١/ ٨١) قال الأرناؤوط: ورجاله ثقات.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٧٩٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

قال: لو علمتُ لحبَّرتُكن تحبيرًا، ولشوَّقتُكن تشويقًا[١].

وأبو موسى الأشعرى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ معدودٌ فيمن قرأ على النبى ﷺ،... ولقد استعمله النبى ﷺ ومُعاذًا على زبيد وعدن فأرسلهما إلى بلاد اليمن.

وكان أبو موسى يحب القرآن حبًّا مَلَك عليه لُبَّه وفؤاده وجوارحه حتى إنه كان يقرأه فى كل وقتٍ وحين.

عن أبى موسى أن النبى ﷺ لما بعثه ومعاذًا إلى اليمن، قال لهما: «**يَسِّرا ولا تعسِّرا وتطاوعا ولا تنفروا**»، فقال له أبو موسى: إن لنا بأرضنا شرابًا، يُصنعُ من العسل يقال له: البتعُ، ومن الشعير يقال له: المِزْرُ، قال: «كلُّ مسكر حرام»، فقال لى معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه فى صلاتى، وعلى راحلتى، وقائمًا وقاعدًا، أتفوَّقُه تَفوُّقًا، يعنى شيئًا بعد شىء، قال: فقال معاذ: لكنى أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى، قال: وكأن معاذًا فُضِّل عليه[٢].

وعن أبى موسى الأشعرى، قال: كنا مع النبى ﷺ فى سفر، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة، فإذا صعد الرجل قال: لا إله إلا الله، والله أكبر - أحسبه قال: بأعلى صوته- ورسول الله ﷺ على بغلته يعترضها فى الجبل، فقال: «**أيها الناسُ، إنكم لا تنادون أصمَّ ولا غائبًا**». ثم قال: «**يا عبد الله بن قيس -أو يا أبا موسى- ألا أدُلُّك على كلمة من كُنُوز الجنة**»؟ قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[٣].

---

(١) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح: وهو فى الطبقات (٤/ ١٠٨) واقتبسه ابن عساكر (٤٨١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٣٤٤) (٤٣٤٥) كتاب المغازى، ومسلم (١٧٣٣) الأشربة.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٢٠٥) كتاب المغازى، ومسلم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء.

وكان أبو موسى رضي الله عنه ممن زيّنهم الله بزينة الحياء.

فعن أبى مِجلز: أنَّ أبا موسى قال: إنى لأغتسلُ فى البيت المظلم، فأحنى ظهرى حياءً من ربى [(١)]... بل لقد كان رضي الله عنه إذا نام لبس ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشف عورته.

وظل ملازمًا للحبيب ﷺ حتى كان ليظفر بالخير الكثير لقُربه من النبى ﷺ.

عن أبى موسى، قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ بالجعرانة، فأتى أعرابى فقال: ألا تُنجزُ لى ما وعدتنى؟ قال: «**أبشر**». قال: قد أكثرت من البشرى، فأقبل رسول الله علىَّ وعلى بلال، فقال: «**إنَّ هذا قد ردَّ البشرى فاقبلا أنتما**»: فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومَجَّ فيه -ردَّ الماء فيه- ثم قال: «**اشربا منه، وأفرغا على رءوسكما ونُحُوركما**» ففعلا! فنادت أُمُّ سلمة من وراء الستر: أن فَضِّلا لأُمكما. فأفضلا لها منه [(٢)].

وظل أبو موسى موضع ثقة الرسول ﷺ وحُبه طوال فترة حياته إلى أن توفى رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ.

وحزن أبو موسى رضي الله عنه على فقد الحبيب حزنًا عظيمًا وعاش فترة خلافة أبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ.

وكانوا جميعًا يعرفون له قدره ومنزلته العالية التى يستحقها بشهادة الحبيب ﷺ له.

---

(١) ابن سعد (٤/ ١١٣، ١١٤) نقلًا من السير للذهبى (٢/ ٤٠١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخارى (٤٣٢٨) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

مكانة أبى موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما :

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة فى عهد عمر، وكان قائدًا للجيوش فى فتح قم وقاثان(١)، وموقعة تستر(٢)، كما كان من مؤسسى المدرسة البصرية فى عهد الفاروق وكان يُعَدُّ من أعلم الصحابة، وقد قَدِم البصرة، وعلَّم بها(٣)، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان بينهما مراسلات.

وكان أبو موسى رضي الله عنه، قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء، وعزة النفس وعفتها، والزهد فى الدنيا والثبات على الإسلام،... ويُعَدُّ أبو موسى رضي الله عنه، من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم، فقد ذكره الذهبى فى تذكرة الحُفاظ فى الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم: كان عالمًا عاملًا صالحًا تاليًا لكتاب الله، إليه المنتهى فى حسن الصوت بالقرآن، روى علمًا طيبًا مباركًا، أَقرأ أهل البصرة وأفقههم، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبى ﷺ.

كما أنه تَلقَّى من كبار الصحابة كعمر وعلى وأُبىّ بن كعب وعبد الله بن مسعود، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيرًا، وكان عمر يتعهده بالوصايا والكتب فى أثناء ولايته الطويلة على البصرة، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر فى كل ما يعرض له من القضايا، حتى عَدَّه الشعبى واحدًا من أربعة قضاة، هم أشهر قضاة الأمة، فقال: قضاة الأمة: عمر، وعلىّ، وزيد بن ثابت، وأبو موسى(٤)، وكان أبو موسى عندما يأتى المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما، وربما أمضى جزءًا كبيرًا

(١) البداية والنهاية (٧/ ١١٤).

(٢) المصدر نفسه (٧/ ٨٨).

(٣) تفسير التابعين (١/ ٤٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

معه... فعن أبى بكر بن أبى موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك، قال: هذه الساعة؟ قال: إنه فقه. فجلس عمر فتحدثا طويلًا، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين، قال: إنَّا فى صلاة[١]... وكما كان أبو موسى حريصًا على طلب العلم والتعليم كان حريصًا على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيههم، وكان يحض الناس على التعلُّم والتعليم فى خُطبه،... فعن أبى المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: مَن علَّمه الله علمًا فليُعلمه، ولا يقولن ما ليس له به علم، فيكون من المتكلفين، ويمرق من الدين[٢].

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي، وخصص جزءًا كبيرًا من وقته لمجالسه العلمية، ولم يكتفِ بذلك، بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها فى تعليم الناس وتفقيههم، فإذا ما سلّم من الصلاة استقبل، رضي الله عنه، الناس، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريم.

قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلًا رجلًا يُقرئهم[٣]، ...واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته، وحسن قراءته، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعونه يقرأ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القرآن[٤] وقد وفقه الله لتعليم المسلمين،... وبَذَل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد فى

(١) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم المجاهد/ محمد طهماز، (ص ١٢١).

(٢) الطبقات (٤/ ١٠٧).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٢٩٨).

(٤) أبو موسى الأشعرى الصحابى العالم، (ص ١٢٥، ١٢٦)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

تعليم القرآن ونشره بين الناس فى كل البلاد التى نزل فيها، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه، وازدحم حوله طلاب العلم فى مسجد البصرة، فقسمهم إلى مجموعات وحلق، فكان يطوف عليهم يسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم[١]، فكان القرآن الكريم شُغله الشاغل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صرف له معظم أوقاته فى حِلّه وفى سفره.

فعن أنس بن مالك قال: بعثنى الأشعرى إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيِّس[٢]، ولا تُسمعها إياه[٣].

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يُعلِّم ويفقِّه،... فعن حطّاب بن عبد الله الرقاشى قال: كنا مع أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى جيش على ساحل دجلة، إذ حضرت الصلاة، فنادى مناديه للظهر، فقام الناس للوضوء، فتوضأ ثم صلى بهم، ثم جلسوا حِلَقًا، فلما حضرت العصر نادى منادى العصر، فهبَّ الناس للوضوء أيضًا فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.

وأثمرت جهوده العلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حُفَّاظ القرآن الكريم وعلمائه، زاد عددهم فى البصرة وحدها على ثلاثمائة، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حُفاظ القرآن لكى يكرمهم ويزيد عطاءهم، فكتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قِبَلى ممن حمل القرآن ثلاثمائة وبضعة رجال[٤] .... واهتم أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بتعليم

(١) المصدر نفسه، (ص ١٢٧)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٢) الطبقات (٤/ ١٠٨) رجاله ثقات – كّيس: عاقل فطن.

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩٠).

(٤) أبو موسى الأشعري، (ص ١٢٩).

السنة وروايتها، فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين.

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: حدّث عنه بريدة بن الحصيب، وأبو إمامة الباهلى، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وطارق بن شهاب، وسعيد بن المسيب، والأسود بن يزيد، وأبو وائل شقيق بن سلمة، وأبو عثمان النهدى وخلق سواهم[١].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شديد التمسك بسنة النبى ﷺ، دَلَّ على ذلك مسيرته فى الحياة وما أوصى به أولاده عند موته، ومع حرصه الشديد على السنة لم يُكثر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد كانوا يتهيبون من الرواية عن النبى ﷺ... وكان من المقربين لأبى موسى فى البصرة أنس بن مالك ويُعتبر من خواصه،... فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبى موسى فى مسير، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفرى الأديم بلسانه فريًا، فتعالَ فلنذكر ربنا ساعة، ثم قال: ما ثبر الناس – ما بطَّأ بهم-؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات، قال: لا، لكن عُجِّلت الدنيا وغُيِّبت الآخرة، أما والله لو عاينوها ما عدّلوا ولا بدّلوا[٢]..... ولثقة أبى موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر،... قال أنس: بعثنى أبو موسى الأشعرى من البصرة إلى عمر فسألنى عن أحوال الناس، وبعد موقعة تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم فقَدِم على عمر بصاحبها الهرمزان[٣].

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨١).

(٢) أنس بن مالك الخادم الأمين/ عبد الحميد طهماز (ص ١٣٥).

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ٦٦).

ولاية أبى موسى فى عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم

يُعتبر أبو موسى – بحق – أشهر ولاة البصرة أيام عمر بن الخطاب، فقد فُتحت فى أيامه المواقع العديدة فى فارس، فكان يجاهد بنفسه، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة، ... ففى أيامه تمكن البصريون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمة، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد، ... وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له فى كثير من الحروب والفتوحات، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شئونها، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبى موسى وعمر بن الخطاب فى مختلف القضايا، منها توجيهه لأبى موسى فى كيفية استقباله للناس فى مجالس الإمارة، ومنها نصيحته لأبى موسى بالورع ومحاولة إسعاد الرعية،... وهى قيمة قال فيها عمر: «أما بعد، فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك، فيكون مَثَلُك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت تبغى السِّمَن وإنما حتفُها فى سِمَنِها»[1]. وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبى موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله فى كتابة القيم عن الوثائق السياسية[2]... وتُعتبر فترة ولاية أبى موسى على البصرة من أفضل الفترات حتى لقد عبَّر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد، وهو

---

(١) مناقب عمر لابن الجوزى، (ص ١٣٠).

(٢) الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة.

الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: ما قَدِمها راكبُ خيرٍ لأهلها من أبي موسى[١]، إذ إن أبا موسى رَحِمَهُ اللَّهُ كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها، حيث علَّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة[٢]،... وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس – والتي فُتحت في زمنه – تخضع للبصرة، وتُدار من قِبَل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قِبَله، ويرتبطون به ارتباطًا مباشرًا، وهكذا اعتُبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر. واعتُبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته، وبيَّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم[٣]، وقد أوصى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في وصيته للخليفة من بعده ألا يقرَّ لي عامل أكثر من سنة، وأقر الأشعري أربع سنين[٤].

وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجًا ومثالًا يفيد كل قاضٍ، بل وكل إداري، في كل زمان ومكان[٥].

۞ **وقال عنه ابن القيم:** وهذا كتاب جليل تلقَّاه العلماء بالقبول، وبنوا عليه أصول الحكم، والشهادة، والمفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمُّله والتفقه فيه[٦]، كما تولى الولاية في عهد عثمان واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضًا،... ولما قُتل عثمان كان واليًا على الكوفة،... ولما تولى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخلافة، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة، إذ كان واليًا عليها لعثمان

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٨٩).

(٢) الولاية على البلدان (١/ ١٢٠).

(٣) المصدر نفسه (١/ ١٢٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٩١).

(٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد، (ص ٢٦٢).

(٦) أعلام الموقعين (١/ ١٨٦).

ابن عفان رضي الله عنه، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذى قار، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هى فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عُزل عن ولاية الكوفة[١].

إن حياة أبى موسى رضي الله عنه منذ إسلامه قضاها فى نشر الإسلام وتعليم الناس العلم، وخاصة القرآن الذى اشتهر بقراءته، والجهاد فى سبيل الله والحرص عليه، والفصل فى الخصومات، ونشر العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة، ولا شك أن هذه المهامّ صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة من العلم والفهم والفطنة والحذق والورع والزهد، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيبٍ وافر، فاعتمد عليه رسول الله ﷺ ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم[٢]، فهل يتصور أن يثق رسول الله ﷺ، ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التى ترويها قصة التحكيم؟![٣].

إن اختيار أبى موسى رضي الله عنه حكمًا عن أهل العراق من قِبَل علىٍّ رضي الله عنه وأصحابه ينسجم تمامًا مع الأحداث، فالمرحلة التالية هى مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين،... وأبو موسى الأشعرى كان من دعاة الصلح والسلام، كما كان فى الوقت نفسه محبوبًا، مُؤتَمنًا من قِبَل قبائل العراق،

(١) فتح البارى (١٣/ ٥٣)، التاريخ الصغير (١١/ ١٠٩).
(٢) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد، (ص ٢٦٢).
(٣) تحقيق مواقف الصحابة فى الفتنة (٢/ ٢٢٧).

وقد ذكرت المصادر المتقدمة أن عليًّا هو الذى اختار أبا موسى الأشعري.

إن هذه العجالة عن شخصية أبى موسى لها علاقة ببحثنا عن قضية التحكيم .... وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة فى عصره، وقد تعرضت للتشويه، وغالبًا إذا تحدث أحدٌ عن صِفِّين والتحكيم تعرضت شخصية أبى موسى وعمرو بن العاص للتشويه، والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة، فكان لزامًا علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية[1]، وهذا المقصد من أهداف الكتابة فى هذا البحث.

وحان وقت الرحيل

عن موسى الطلحى قال: اجتهد الأشعرى قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: لو أمسكتَ ورفقتَ بنفسك؟ قال: إنَّ الخيل إذا أُرسلت فقاربت رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها.. والذى بقى من أجلى أقلَّ من ذلك[2].

وبعد حياة طويلة مليئة بالبَذلِ والعطاء والتضحية والجهاد نام أبو موسى رضي الله عنه على فراش الموت، وهو يتذكر نشيده الخالد الذى لقى به النبى ﷺ حين قدم عليه مع إخوانه، وهم يقولون جميعًا على قلب رجلٍ واحدٍ:

غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه

وفاضت روحه إلى بارئها (جل جلاله).

(١) نقلًا عن حقيقة الخلاف بين الصحابة/ د. على الصلابى.

(٢) ابن عساكر (٥٣٤) نقلًا من السير للذهبى (٢/ ٣٩٣).

حفظ الله لذريته

عن أبى بُردة -ابن أبى موسى- قال: دخلت على معاوية حين أصابته قرحته، فقال: هَلُمَّ يا ابن أخى، فنظرتُ، فإذا هو قد سُبِرَتْ -يعنى: قرحته- فقلت: ليس عليك بأس. إذ دخل ابنه يزيد، فقال له معاوية: إن وَليتَ، فاستوص بهذا؛ فإنَّ أباه كان أخًا لى، أو خليلًا، غير أنى قد رأيت فى القتال ما لم ير[(١)].

وهكذا يحفظ اللهُ العبد المؤمن فى أبنائه، بل وفى أحفاده- إذا كان عمله صالحًا ولوجه الله خالصًا-.

فرضى الله عن أبى موسى وعن سائر الصحابة أجمعين.

(١) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٤/ ١١٢).

سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي،... يُكنَّى أبا محمد وأبا عبد الله، ويتفق ابن إسحاق[١] والزبير بن بكار[٢] أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمانٍ للهجرة.

وذكر ابن حجر أنه أسلم سنة ثمانٍ قبل الفتح، وقيل: بين الحديبية وخيبر[٣].

قصة إسلامه

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعتُ رجالًا من قريش، كانوا يرون رأيي، ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلَّمُوا والله أني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علوًّا منكرًا، وإني قد رأيت أمرًا، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا لرأي، قلت: فأجمعوا لنا ما نُهديه له، وكان أحب ما يُهدى من أرضنا الأدم[٤]. فجمعنا له أدمًا كثيرًا، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٩/ ٥٣) أرسلها ابن اسحاق.

(٢) الإصابة (٣/ ٢) خلافة علي/ عبد الحميد، (ص ٢٦٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ٥٦).

(٤) الأدم: الجلد.

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه فى شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابى: هذا عمرو بن أمية الضمرى، لو قد دخلتُ على النجاشى وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أنى قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحبًا بصديقى، أهديت إلىّ من بلادك شيئًا؟ قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت إليك أدمًا كثيرًا، قال: ثم قرَّبته إليه، فأعجبه واشتهاه، ثم قلت له: أيها الملك، إنى قد رأيت رجلًا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا، قال: فغضب، ثم مدّ يده فضرب بها أنفه ضربةً ظننتُ أنه قد كسره، فلو انشقت لى الأرض لدخلت فيها فرقًا منه- خوفًا منه- ثم قلت له: أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه، قال: أتسألنى أن أعطيك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر[1] الذى كان يأتى موسى لتقتله؟! قال: قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه، فإنه والله لعلى الحق، وليظهرنَّ على من خالفه، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، قال: قلت: أفتُبايعنى له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه، وكتمتُ أصحابى إسلامى.

ثم خرجت عامدًا إلى رسول الله ﷺ لأسلم فلقيتُ خالد بن الوليد،

---

(١) الناموس الأكبر: المقصود به جبريل عليه السلام كما يسمونه أهل الكتاب، وكما جاء قبل ذلك من قول ورقة بن نوفل للنبى ﷺ.

وذلك قُبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المَنْسِم[١]، وإن الرجل لنبىّ، أذهبُ والله فأُسلم، فحتى متى؟ قال: قلت: والله ما جئتُ إلا لأُسلم، فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوتُ، فقلت: يا رسول الله، إنى أبايعك على أن يُغفر لى ما تقدم من ذنبى، ولا أذكر ما تأخر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرو بايع، فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله، وإن الهجرة تجبُّ ما كان قبلها**»، قال: فبايعته ثم انصرفت[٢].

وفى رواية قال: فوالله إنى لأشدُّ الناس حياءً من رسول الله ﷺ، فما ملأت عينى منه ولا راجعته[٣].

النبى ﷺ يعرف قدر الرجال

ولقد كان الحبيب ﷺ يعرف طاقات أصحابه رضي الله عنهم ويوظفها توظيفًا لا مثيل له.

فأحسَّ النبى ﷺ أن (عمرو بن العاص) رضي الله عنه يتمتع بقدرة عالية من الذكاء والدهاء ورجاحة العقل، فأمَّره على جيش المسلمين فى غزوة (ذات السلاسل).

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح. وأصل المنسم خف البعير، ومن رواه الميسم فهو الحديدة التى توسم بها الإبل وغيرها، والمنسم بالنون هو الصواب.

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ١٩٨، ١٩٩)، والبيهقى فى السنن (٩/ ١٢٣)، والحاكم فى المستدرك (٣/ ٤٥٤)، وحسَّن إسناده الألبانى فى (الإرواء) (٥/ ١٢٢، ١٢٣).

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ٢٠٤) وله شاهد فى صحيح مسلم (١٢١) الإيمان- باب كون الإسلام يهدم ما قبله.

موقف في تلك الغزوة يدل على فقهه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، أن عمرًا كان على سرية، فأصابهم بردٌ شديد لم يروا مثله، فخرج لصلاة الصبح، فقال: احتلمت البارحة، ولكني والله ما رأيت بردًا مثل هذا. فغسل مغابنه، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم. فلما قدم على رسول الله ﷺ سأل رسول الله ﷺ أصحابه: «**كيف وجدتم عمرًا وصحابته؟**» فأثنوا عليه خيرًا، وقالوا: يا رسول الله، صلى بنا وهو جُنب. فأرسل إلى عمرو، فسأله، فأخبره بذلك وبالذي لقي من البرد، وقال: إنَّ الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1] ولو اغتسلتُ متُّ. فضحك رسول الله ﷺ[2].

وفي رواية: قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: «**يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جُنُب؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[3]، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا»[4].

وعن قيس، قال: بعث رسول الله ﷺ عمرًا في غزوة ذات السلاسل،

---

(١) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٢) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، والمغابن: الأرفاغ، وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب جمع مغبن من غبن الثوب: إذا ثناه وعطفه، وأخرجه أبو داود (٣٣٥) في الطهارة: باب إذا خاف الجنب البرد تيمم.

(٣) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٤) رواه الحاكم (١/ ١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي وحسّنه المنذري.

فأصابهم بردٌ، فقال لهم عمرو: لا يوقدنَّ أحدٌ نارًا. فلما قَدِمَ شكوهُ، قال: يا نبى الله! كان فيهم قلة، فخشيتُ أن يرى العدو قلتهم، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين. فأعجب ذلك رسول الله ﷺ[1].

وظل عمرو رضي الله عنه ملازمًا للحبيب ﷺ لم يستطع أن يملأ عينيه منه توقيرًا له وتعظيمًا.

ولقد أحبَّه النبى ﷺ حُبًّا جمًّا مَلَك عليه لُبَّه وفؤاده حتى وضع باقة عطرة من المناقب على صدر عمرو رضي الله عنه.

فضائله ومناقبه

(أ) شهادة رسول الله ﷺ له بالإيمان:

قال رسول الله ﷺ: «**أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص**»[2]، وفى حديث آخر قال رسول الله ﷺ: «**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**»[3]،...وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبى ﷺ فتفرقوا، فرأيت سالمًا احتبى سيفًا فجلس فى المسجد، فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذى فعل، فخرج رسول الله ﷺ فرآنى وسالمًا، وأتى الناس فقال: «**أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان؟**»[4].

(ب) تقديم رسول الله ﷺ له على غيره، وشهادته له بأنه من صالحى قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله: ما عدل بى رسول الله ﷺ

---

(١) ابن عساكر (١٣/ ٢٥٤) نقلًا من السير للذهبى (٣/ ٦٦).

(٢) رواه أحمد، والترمذى، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٩٧١).

(٣) رواه أحمد، وابن سعد، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥).

(٤) مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن.

وبخالد أحدًا منذ أسلمنا فى حرب[١]. وشهد له رسول الله ﷺ بأنه من صالحى قريش،... فعن أبى مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن عمرو بن العاص من صالحى قريش**»[٢]. وهنا درس نبوى فى معرفة النبى ﷺ لمعادن الرجال والاستفادة منها.

(ج) دعاء رسول الله ﷺ له:

عن زهير بن قيس البلوى عن عمه علقمة بن رمثة البلوى قال: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين، ثم نعس رسول الله ﷺ ثم استيقظ فقال: «**رحم الله عَمرًا**». فتذاكرنا من اسمه عَمرًا ثم نعس ثانية فاستيقظ فقال: «**رحم الله عمرًا**» ثم نعس ثالثة فاستيقظ، فقال: «**يرحم الله عمرًا**». قلنا: مَن عمرو يا رسول الله؟ قال: «**عمرو بن العاص**» قلنا: وما باله؟ قال: «**ذكرته أنى كنت إذا ندبت الناس للصدقة، جاء من الصدقة فأجزل، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله، وصدق عمرو، إن لعمرو عند الله لخيرًا كثيرًا**». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا، قال فيه رسول الله ما قال، فلم أفارقه[٣].

(د) أعماله فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله ﷺ قد أرسل عَمرًا إلى دعوة ابنى الجلندى «جيفر، وعبَّاد» إلى الإسلام ودعاهما إلى الإسلام وصدَّقا بالنبى ﷺ وخلَّيا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم، وكانا له عونًا على من

---

(١) سنن البيهقى - باب إسلام عمرو بن العاص (٤/ ٤٣).

(٢) رواه الترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩٥).

(٣) المعجم الكبير (١٨/ ٥) المستدرك (٣/ ٤٥٥) صححه الحاكم وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.

خالفه[١]،... وبعد وفاة رسول الله ﷺ وجَّه الصدِّيق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين، وكان الصدِّيق خيَّره بين البقاء فى عمله الذى أسنده إليه رسول الله ﷺ وبين أن يختار له ما هو خير له فى الدنيا والآخرة، إلا أن الذى هو فيه أحب إليه، فكتب إليه عمرو بن العاص: إنى سهم من سهام الإسلام وأنت بعد الله الرامى بها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارمِ به[٢]، فلما قَدِم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة وأن يعسكر حتى ينذب معه الناس.. ثم أرسله بجيش إلى الشام[٣].

وفى معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة، فكان لمشاركته أثر كبير فى انتصار المسلمين،... وبعد وفاة الصدِّيق استمر عمرو فى الشام وكانت له مشاركة فعالة فى حركة الفتح الإسلامى بالشام، فقد قام بمشاركة شرحبيل ابن حسنة فى فتح بيسان، وطبرية، وأجنادين[٤]، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة، واللد، ويُبنى، وعمواس، وبيت جبرين، ويافا، ورفح، وبيت المقدس،... ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها، بل شمل أيضًا بعض مشاهير بلاد مصر، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو ابن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها، كما شملت حركة الفتح أيضًا: الفرما، والفسطاط، وحصن بابليون، وعين شمس، والفيوم، والأشمونين، وأخميم، والبشرود، وتنيس، ودمياط، وتونة، ودقهلة،

(١) الطبقات (١/ ٢٦٢) جوامع السيرة لابن حزم، (ص ٢٤، ٢٩).

(٢) إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء، (ص ٥٥).

(٣) فتوح الشام للأزدي، (ص ٤٨-٥١).

(٤) تاريخ الطبرى (٣/ ٦٠٥)، الكامل لابن الأثير (٣/ ٤٩٨).

والإسكندرية، وبلادًا إفريقية أخرى مثل؛ برقة وزويلة وطرابلس[١]، وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغى لأبى عبد الله أن يمشى على الأرض إلا أميرًا[٢].

وكان فى عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة ومن أهل مشورته، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهًا إلى الشام وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذُلٍّ، ومن لم يستطع نصره فليهرب،... فسار وسار معه ابناه عبد الله ومحمد، وخرج بعده حسان بن ثابت وتتابع على ذلك ما شاء الله[٣].

وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه وبأن الناس بايعوا على بن أبى طالب، قال عمرو بن العاص: رحم الله عثمان رضي الله عنه وغفر له، فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا بابًا إذا كُسر الباب.

فقال عمرو: وذاك الذى نريد ولا يصلح الباب إلا أشاف[٤]، تخرج الحق من حافرة البأس ويكون الناس فى العدل سواء، ثم تَمثَّل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فيا لهف نفسى على مالك ... وهل يصرف مالك حفظ القدر

أنزع من الحَرِّ[٥] أودى بهم ... فأعذرهم أم بقومى سكر

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠)، القيادة العسكرية فى عهد الرسول، (ص ٦٣٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ٧٠).

(٣) تاريخ الطبرى نقلًا عن عمرو بن العاص للغضبان، (ص ٤٦٤).

(٤) أشاف: جمع أشفى وهو المثقب.

(٥) الحر: جمع حرة وهى الظلمة الشديدة.

ثم ارتحل راجلًا يبكى ويقول: يا عثماناه؛ أنعى الحياء والدين، حتى قَدِم دمشق.

هذه هى الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان،... أما الصورة التى تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا فهى الرواية المتروكة الضعيفة، رواية الواقدى عن موسى بن يعقوب[١].

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ، غادَر المدينة حين عجز عن نُصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرًّا حين قُتل، فقد كان يدخل فى الشورى فى عهد عثمان من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما يتعاونان معًا على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد[٢]،.... لقد كان مقتل عثمان كافيًا لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين، وكان لابد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله وقتلوا الخليفة على أعين الناس، وأى غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟. وإن كان هناك من يشك فى هذا الموضوع فمداره على الروايات المكذوبة التى تصور عَمرًا همَّه السلطة والحكم[٣].

❁ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى[٤]:

«إن أحدًا من السَّلف لم يتهم عمرو بن العاص ومعاوية رضي الله عنهما بنفاقٍ أو خداع؛... فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قَدِم مهاجرًا إلى النبيِّ ﷺ بعد

(١) تاريخ الطبرى نقلًا عن عمرو بن العاص، (ص ٤٦٤).
(٢) عمرو بن العاص للغضبان، (ص ٤٨٩،٤٩٠).
(٣) عمرو بن العاص للغضبان(ص٤٩٢) -نقلًا عن حقيقة الخلاف بين الصحابة/ د.على الصلابى
(٤) «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ٦٦٠).

الحديبية، ... هاجروا إليه من بلادهم طوعًا لا كرهًا، والمهاجرون لم يكن فيهم منافق، وإنَّما كان النِّفاق فى بعض أهل المدينة!

إذ لما دخل فى الإسلام أشرافُهم وجمهورُهم احتاج الباقون أن يُظهروا الإسلام نفاقًا؛ لعزِّ الإسلام وظهوره فى قومهم، وأمَّا أهل مكَّة فكان أشرافهم وجمهورهم كُفَّارًا، فلم يكن يُظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهرًا وباطنًا؛ فإنَّه كان مَن يُظهر الإسلام يُؤذَى ويُهجَر، وإنَّما المنافق يُظهر الإسلام لمصلحةِ دنياه،... ولو كان عمرو بن العاص ومعاوية وأمثالهما ممن يُتخوف منهما النِّفاق لم يُولُّوا على المسلمين؛ ... فعمرو بن العاص أمَّره النبيُّ ﷺ فى سرية ذات السَّلاسل - يعني: اختار النبيُّ ﷺ عمرو بن العاص أميرًا فى سرية ذات السَّلاسل - واستعمل أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه على نجران؛ فقد اتفق المسلمون على أن إسلام معاوية خيرٌ من إسلام أبيه - أي: أبو سفيان - فكيف يكون هؤلاء منافقين، والنبيُّ ﷺ يأتمنهم على أحوال المسلمين فى العلم والعمل»؟!!.

صفحة من إخلاصه رضي الله عنه

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: بعث إلىّ رسول الله ﷺ فقال: «**خُذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتنى**» فأتيته وهو يتوضأ، فصعَّد فىَّ البصر، وصوَّبه، فقال: «**إنى أُريدُ أن أبعثك على جيشٍ، فيُسلمك الله ويُغنمك، وأرغبُ لك رغبةً صالحةً من المال**» قلت: يا رسول الله! ما أسلمتُ من أجل المال، ولكنى أسلمت رغبةً فى الإسلام، ولأن أكون مع رسول الله ﷺ. قال: «**يا عمرو، نعمَّا بالمالِ الصالحِ للرجل الصالح**»[1].

(١) صحيح: رواه الحاكم، وأحمد، وصححه الألبانى فى غاية المرام (٤٥٤).

عبادته (رضي الله عنه)

عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص؛ أن عمرًا كان يسرد الصوم، وقلَّما كان يُصيب من العشاء أول الليل. وسمعتُه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**إن فصلًا بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلةُ السَّحرِ**»[١].

زهده وأخلاقه

روى موسى بن عُلَى، عن أبيه، سمع عمرًا يقول: لا أملُّ ثوبى ما وسعنى، ولا أملُّ زوجتى ما أحسنت عشرتى، ولا أملُّ دابتى ما حلمتنى، إنَّ الملال من سيئ الأخلاق[٢].

ولما تُوفى رسول الله ﷺ كان عمرو رضي الله عنه على عُمان فأتاه كتاب أبى بكرٍ بوفاة رسول الله ﷺ[٣].

وتأثر عمرو رضي الله عنه بوفاة النبى ﷺ تأثرًا كبيرًا.

ولما آلت الخلافة إلى أبى بكر الصديق رضي الله عنه أبلَى عمرو بن العاص فى حروب الردة أعظم البلاء.

وحان وقت الرحيل

وبعد حياة مليئة بالكفاح والبذل والتضحية نام عمرو بن العاص رضي الله عنه على فراش الموت ليلقى ربه عز وجل وليلحق بالحبيب ﷺ وأصحابه.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٩٦) كتاب الصيام.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى (٣/ ٥٧).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى (٣/ ٦٩).

عن عوانة بن الحكم، قال: قال عمرو بن العاص: عجبًا لمنْ نزل به الموت وعقلُه معه، كيف لا يصفُه؟ فلما نزل به الموت، ذكَّره ابنه بقوله، وقال: صِفهُ. قال: يا بُنىَّ! الموتُ أجلُّ من أن يُوصف، ولكنى سأصف لك؛ أجدنى كأن جبال رضوى على عُنقى، وكأنَّ فى جوفى الشوك، وأجدنى كأنَّ نفسى يخرجُ من إبرة[١].

وعن عبد الله بن عمرو؛ أن أباه قال حين احتُضر: اللهم إنك أمرت بأمورٍ، ونهيت عن أمور، تركنا كثيرًا مما أمرت، ورتعنا فى كثير مما نهيت، اللهم لا إله إلا أنت. ثم أخذ بإبهامه، فلم يزل يهللُ - يقول: لا إله إلا الله- حتى فاض رضي الله عنه[٢].

وعن أبى نوفل بن أبى عقرب قال: جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعًا شديدًا، فقال ابنه عبد الله: ما هذا الجزع، وقد كان رسول الله يدنيك ويستعملك! قال: أى بُنى! قد كان ذلك، وسأخبرك، إى والله ما أدرى أُحبًّا كان أم تألُّفًا، ولكن أشهد على رجلين أنه فارق الدنيا وهو يحبهما، ابن سمية (عمار) وابن أم عبد (عبد الله بن مسعود). فلما جدَّ به، وضع يديه موضع الأغلال من ذقنه، وقال: اللهم أمرتنا فتركنا، ونهيتنا فركبنا، ولا يسعنا إلا مغفرتك. فكانت تلك هجيراه حتى مات[٣].

وعن عبد الله بن عمرو، أن أباه أوصاه: إذا متُّ، فاغسلنى غسلةً بالماء، ثم جففنى فى ثوب، ثم اغسلنى الثانية بماء قراح، ثم جففنى، ثم اغسلنى

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٤/ ٢٦٠).

(٢) ابن عساكر (١٣/ ٢٦٨) نقلًا من السير للذهبى (٣/ ٧٥).

(٣) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح: وهو فى المسند (٤/ ١٩٩، ٢٠٠)، وابن عساكر (١٣/ ٢٦٩).

الثالثة بماء فيه كافور، ثم جففنى وألبسنى الثياب وزرَّ علىَّ، فإنى مُخاصم. ثم إذا أنت حملتنى على السرير، فامش بى مشيًا بين المشيتين، وكن خلف الجنازة، فإنَّ مقدَّمها للملائكة، وخلفها لبنى آدم، فإذا أنت وضعتنى فى القبر، فسُنَّ[1] علىَّ التراب سنًّا.

ثم قال: «اللهم إنك أمرتنا فأضعنا، ونهيتنا فركبنا، فلا برىء فأعتذر، ولا عزيز فأنتصر، ولكن لا إله إلا أنت، وما زال يقولها حتى مات»[2].

وهكذا رحل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن الدنيا وترك خلفه خيرًا كثيرًا... فما من مسلمٍ يعيش على أرض مصر إلا وكان إسلامه فى ميزان حسناته يوم القيامة... ويا لها من كرامة لا توازيها الدنيا بمتاعها الزائل.

فرضى الله عن (عمرو) وعن سائر الصحابة أجمعين

(١) سُنَّ علىَّ: أى صُب علىَّ.

(٢) قال الأرناؤوط: إسناد قوى: الطبقات لابن سعد (٤/ ٢٦٠)، وابن عساكر (١٣/ ٢٦٩).

سيرة معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما

وها أنا أذكر لحضراتكم نبذة مختصرة عن حياة معاوية رضي الله عنه من أجل أن نعرف قدره ومكانته بعدما نُسبت إليه فى بعض الكتب أشياء هو بريء منها ولا يصح أبدًا أن تُنسَب لهذا الصحابى الجليل.

ومن هنا نبدأ

ها نحن نتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع واحد من هذا الجيل الفريد الذى لن يتكرر أبدًا مهما طال بنا الزمان.. إنه خال المؤمنين وكاتب وحى رسول الله صلى الله عليه وسلم... الذى شاء الله عز وجل أن ينقطع أجله ولا ينقطع أجره، فلقد خاض فيه كثير من الناس وهم لا يعرفون قدره ومنزلته فجعل الله ذلك كله فى ميزان حسناته، ف رضي الله عنه وأرضاه.

وبطل قصتنا هذه عَلَمٌ من أعلام الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فله تاريخ حافل بالبطولات والأمجاد... ولا شك أن سير هؤلاء الأبطال تصقل النفوس وتشرح الصدور؛ لأننا نعيش فى زمان الغربة الحقيقية الثانية التى أخبر عنها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإننا إذا ذكرنا هؤلاء الصحب الكرام فإن القلوب تشتاق إلى أن ترجع إلى عهد الحبيب صلى الله عليه وسلم لنعيش يومًا من أيامه مع أصحابه رضي الله عنهم.

فتعالوا بنا لنقترب أكثر من بطلنا الحبيب ولنعرف شيئًا من سيرته العطرة. معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب أمير المؤمنين ملك الإسلام أبو عبد الرحمن

القرشى الأموى المكى[١].

وأمه هى هند بنت عتبة بن ربيعة.

كان طويلًا أبيض جميلًا.

كانت أمه تشعر أنه سيكون سيدًا.

عن أبان بن عثمان: كان معاوية وهو غلام يمشى مع أمه هند فعثر فقالت: قم لا رفعك الله، وأعرابى ينظر، فقال: لم تقولين له؟ فوالله إنى لأظنه سيسود قومه، قالت: لا رفعه إن لم يسد إلا قومه[٢].

متى أسلم؟

قال الإمام الذهبى: قيل: إنه أسلم قبل أبيه وقت عُمرة القضاء وبقى يخاف من اللحاق بالنبى ﷺ من أبيه ولكن ما ظهر إسلامه إلا يوم الفتح.

حدَّث عن النبى ﷺ وكتب له مراتٍ يسيرة، وحدَّث أيضًا عن أخته أم المؤمنين أم حبيبة وعن أبى بكر وعمر[٣].

قال معاوية: لما كان عام الحديبية، وصدُّوا رسول الله ﷺ عن البيت، وكتبوا بينهم القضية، وقع الإسلام فى قلبى، فذكرتُ لأمى، فقالت: إيَّاك أن تخالف أباك، فأخفيت إسلامى، فوالله لقد رحل رسولُ الله ﷺ من الحديبية وإنى مُصّدقٌ به، ودخل مكة عام عُمرة القضيَّة وأنا مسلم. وعلم أبو سفيان بإسلامى، فقال لى يومًا: لكن أخوك خيرٌ منك وهو على دينى، فقلتُ: لم

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١١٩، ١٢٠).

(٢) ابن عساكر (١٦/ ٣٣٩/ أ) نقلًا من السير (٣/ ١٢١).

(٣) السير (٣/ ١٢٠).

آلُ نفسي خيرًا، وأظهرت إسلامي يوم الفتح، فرحَّبُ بي النبي ﷺ، وكتبت له[١].

في رحاب الحبيب ﷺ

وبعد ما أعلن معاوية رضي الله عنه إسلامه ظل ملازمًا للحبيب لينهل من النبع الصافي بعد ما عاش زمانًا طويلًا بعيدًا عن هذا النور فأحبَّ النبي ﷺ من أعماق قلبه بل وأحبه النبي ﷺ حتى قام مرة ودعا له تلك الدعوة المباركة فقال له ﷺ: «**اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهده واهدِ به**»[٢].

ويا لها من منقبة لا توازيها الدنيا بكل ما فيها. بل قال ﷺ: «**اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقِه العذاب**»[٣].

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: «كان معاوية يكتب لرسول الله ﷺ»[٤].

وصية الحبيب ﷺ له

وفي يوم من الأيام يأخذ معاوية الإداوة ليكتب للنبي ﷺ كعادته فلما تبع بها رسول الله ﷺ رفع رأسه إليه وقال: «**يا معاوية، إن ولِّيت أمرًا فاتق الله واعدل**». فقال معاوية: فما زلت أظن أني مبتلي بعملٍ لقول رسول الله ﷺ حتى ابتُليت[٥].

---

(١) السير (٣/ ١٢٢)، وابن عساكر (١٦/ ٣٣٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذي وابن عساكر وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٦٩).

(٣) رواه أحمد (٤/ ١٢٧)، وفي إسناده: الحارث بن زياد الشامي، قال الحافظ في التقريب: لين الحديث وباقي رجاله ثقات. وقال الذهبي: وللحديث شاهد قوي.

(٤) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات - السير (٣/ ١٢٣).

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٠١)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات.

وتمر الأيام الجميلة فى صحبة الحبيب ﷺ. لكن دوام الحال من المُحال. فإذا بالحبيب يفارق الدنيا ويترك أصحابه فبكى أصحابه الدماء بدل الدموع على موته.. وحزن معاوية ﭬ على فراق الحبيب ﷺ حزنًا كاد أن يمزق قلبه.

الولاية على الشام

وتمر الأيام إلى أن يتولى عمر ﭬ الخلافة وإذا به يستعين بخير الناس على الولاية فى كل بقعة من بقاع الدولة المسلمة. وكان ينتقى الولاة بكل دقة فكان من بين من اختارهم للولاية على الشام (معاوية) فولاه على الشام وأقرّه عثمان ﭬ.

قال الإمام الذهبى: قلت: حسبُكَ بمن يؤمره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر، فيضبطه، ويقومُ به أتمَّ قيام، ويُرضى الناس بسخائه وحِلْمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيرُهُ من أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجلُ ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرطِ حلمه، وسعَة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وله هنَّات وأمور، والله الموعد.

وكان مُحبَّبًا إلى رعيته، عمل على نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد فى دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك[1].

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

قدره ومنزلته فى قلوب الصحابة ﷺ

وتالله إنه لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال.. وهل هناك فى الكون رجال أفضل من أصحاب الحبيب ﷺ الذين تربوا بين يديه؟!!

فعن أبى الدرداء ﷺ أنه قال: ما رأيت أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا.. يعنى معاوية[١].

وعن على بن أبى طالب قال: «لا تكرهوا إمرة معاوية فإنكم لو فقدتموه رأيتم الرءوس تندّ عن كواهلها»[٢].

وعن كريب مولى ابن عباس: أنه رأى معاوية صلى العشاء، ثم أوتر بركعة واحدة لم يزد، فأخبر ابن عباس فقال: أصاب، أى بُنىَّ! ليس أحدٌ منا أعلم من معاوية، هى واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر[٣].

إنفاقه ﷺ

عن سعيد بن عبد العزيز قال: قضى معاوية عن عائشة ثمانية عشر ألف دينار.

وقال عُروة: بعث معاوية مرة إلى عائشة بمائة ألف فوالله ما أمست حتى فرّقتها[٤].

---

(١) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات - السير (٣/ ١٣٥).

(٢) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٧٨).

(٣) قال الأرناؤوط: رجاله ثقات - السير (٣/ ١٥٢).

(٤) سير أعلام النبلاء(٣/ ١٥٤).

جهاده فى سبيل الله تعالى

قال أحمد بن حنبل: فُتحت قيسارية سنة تسع عشرة وأميرها معاوية[١].

وقال زيد بن عبيدة: غزا معاوية قبرص سنة خمس وعشرين[٢].

دفاعٌ عن معاوية رضي الله عنه

ولما حدثت الفتنة بين على ومعاوية رضي الله عنهما وحدث بينهما ما حدث وكان كل واحد منهما لا يريد إلا وجه الله والدار الآخرة فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ... والمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر ونحن على يقين من أن أصحاب الرسول ﷺ كلهم عدول لا يريدون الدنيا وزينتها الفانية ولا يطمعون فى شىء من حطامها.

❁ **قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:**

«... ثم كان ما كان بينه، أى معاوية، وبين على بعد مقتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأى، فجرى بينهما قتال عظيم كما قدمنا، وكان الحق والصواب مع على، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا، وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين، كما ثبت فى الحديث الصحيح: «**تمرق مارقة على خير فرقة المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق**». فكانت المارقة الخوارج وقتلهم على وأصحابه. ثم قُتل على، فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين، وكان يغزو الروم فى كل سنة مرتين، مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلا من قومه فيحج بالناس، وحج هو

(١) تاريخ دمشق لأبى زرعة (١/ ١٧٩).

(٢) تاريخ دمشق لأبى زرعة (١/ ١٨٤).

سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين، وفيها أو فى التى بعدها أغزاه بلاد الروم.. فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت فى الصحيح: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»(١).

قال الإمام الذهبى: فنحمد الله على العافية الذى أوجدنا فى زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا، واستغفرنا وأحببنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ فى الجملة، أو بخطأ - إن شاء الله - مغفور، وقلنا كما علمنا الله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٢) وترضينا أيضًا عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبى وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخَلْقٌ. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليًّا، وكفروا الفريقين. فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصُّلبان(٣).

وقال أيضًا معلقًا على تلك الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية رضي الله عنهما: «... فسبيلنا الكف والاستغفار للصحابة ولا نحب ما شجر بينهم ونعوذ بالله منه ونتولى أمير المؤمنين عليًّا»(٤).

---

(١) البداية والنهاية (٥/ ٦٢٩، ٦٣٠).

(٢) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩).

وقال عن معاوية رضي الله عنه: «ومعاوية من خيار الملوك الذين غلب عدلهم على ظلمهم، وما هو ببرىء من الهنات، والله يعفو عنه»[(١)].

وحان وقت الرحيل

وتمر الأيام وتأتى اللحظة التى ينام فيها معاوية رضي الله عنه على فراش الموت.

قال محمد بن سيرين: جعل معاوية لما احتضر يضع خده على الأرض ثم يقلّب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكى ويقول: اللهم إنك قلت فى كتابك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[(٢)].

اللهم اجعلنى فيمن شئت أن تغفر له[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما احتُضر معاوية، قال: إنى كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا، وإنى دعوت بمشقص، فأخذت من شعره وهو فى موضع كذا وكذا، فإذا أنا متُّ، فخذوا ذلك الشعر، فاحشوا به فمى ومنخرى[(٤)].

وعن عبد الأعلى بن ميمون بن مهران عن أبيه أن معاوية أوصى فقال:

كنت أوضِّىء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزع قميصه وكسانيه، فرفعته، وخبأت

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٥٩).

(٢) سورة النساء: الآية: (٤٨).

(٣) البداية والنهاية (٥/ ٦٤٧).

(٤) رجاله ثقات خلا على بن عاصم - وهو الواسطى - فإنه يخطئ ويصر على خطئه. وتقصيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره بمشقص ثابت عند البخارى (٣/ ٤٤٨، ٤٤٩)، ومسلم (١٢٤٦)، والمشقص: نصل السهم إذا كان طويلًا ليس بعريض.

قلامة أظفاره، فإذا متُّ، فألبسونى القميص على جلدى، واجعلوا القلامة مسحوقة فى عينى، فعسى الله أن يرحمنى ببركتها[١].

وقال أبو عمرو بن العلاء لما احتضر معاوية، قيل له: ألا توصى؟ فقال: اللهم أقل العثرة، واعف عن الزَّلةِ، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرج غيرك، فما وراءك مذهب. وقال:

هو الموت لا منجى من الموت والذى ... نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع[٢]

فرضى الله عنه وأرضاه وجمعنا به فى جنته ودار كرامته إنه ولى ذلك والقادر عليه.

---

(١) تاريخ الإسلام (٢/ ٣٢٣)، وأنساب الأشراف (٤/ ١٥٣).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٦٠).

دفاع أهل العلم عن معاوية رضي الله عنه

❁ قال الإمام الذهبى رحمه الله:

قلت: حسبُك بمن يؤمِّره عمر، ثم عثمان على إقليم، وهو ثغر، فيضبطه، ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه، وإن كان بعضهم تألم مرةً منه، وكذلك فليكن الملك. وإن كان غيره من، أصحاب رسول الله ﷺ خيرًا منه بكثير وأفضل وأصلح، فهذا الرجل ساد، وساس العالم بكمال عقله،وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه، ورأيه. وله هنَّات وأمور، والله الموعد.

وكان مُحبَّبًا إلى رعيته. عمل على نيابة الشام عشرين سنة، والخلافة عشرين سنة، ولم يهجه أحد فى دولته، بل دانت له الأمم، وحكم على العرب والعجم، وكان ملكه على الحرمين، ومصر، والشام، والعراق، وخراسان، وفارس،والجزيرة، واليمن، والمغرب، وغير ذلك[١].

❁ رأى الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

عن الفضل بن زياد قال: سمعت أبا عبد الله- أى: أحمد بن حنبل- يُسئل عن رجل تنقَّص معاوية وعمرو ابن العاص أيقال له رافضى؟

فقال: إنه لم يجترئ عليهما إلا وله خبيئة سوء، ما انتقَّص أحدٌ أحدًا من الصحابة إلا وله داخلة سوء[٢].

❁ وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عمن يلعن معاوية، فماذا يجب

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٣٣).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٦٤٤).

عليه؟.

فأجاب:

«الحمد لله، ومن لعن أحدًا من أصحاب النبى ﷺ، كمعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، ونحوهما.. فإنه مستحق للعقوبة البليغة باتفاق أئمة الدين، وتنازع العلماء: هل يُعاقَب بالقتل أو ما دون القتل؟»[1]

❁ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«.... ثم ما كان بينه - أى: معاوية- وبين علىّ بعد مقتل عثمان، على سبيل الاجتهاد والرأى، فجرى بينهما قتال عظيم... وكان الحق والصواب مع على، ومعاوية معذور عند جمهور العلماء سلفًا وخلفًا،وقد شهدت الأحاديث الصحيحة بالإسلام للفريقين، كما ثبت فى الحديث الصحيح: «تمرق مارقة على خير فرقة المسلمين، فيقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق» فكانت المارقة الخوارج، وقتلهم علىّ وأصحابه، ثم قُتل علىّ، فاستقل معاوية بالأمر سنة إحدى وأربعين،وكان يغزو الروم فى كل سنة مرتين، مرة فى الصيف ومرة فى الشتاء، ويأمر رجلًا من قومه فيحج بالناس، وحج هو سنة خمسين، وحج ابنه يزيد سنة إحدى وخمسين، وفيها - أو فى التى بعدها- أغزاه بلاد الروم.. فسار معه خلق كثير من كبراء الصحابة حتى حاصر القسطنطينية، وقد ثبت فى الصحيح: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور لهم»»[2].

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧، ٣٨).

(٢) البداية والنهاية (٥/ ٦٢٩، ٦٣٠).

❁ **قال الإمام الذهبى**: فنحمد الله على العافية الذى أوجدنا فى زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا، واستغفرنا، وأحببنا باقتصاد، وترحَّمنا على البُغاة بتأويل سائغ فى الجملة، أو بخطإٍ إن شاء الله مغفور، وقلنا كما علَّمنا الله ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] وترضينا أيضًا عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبى وقاص،وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلق. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليًّا وكفَّروا الفريقين، فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين،ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعَبَدة الأصنام والصلبان[2].

وقال أيضًا معلقًا على تلك الفتنة التى حدثت بين على ومعاوية رضي الله عنهما: «... فسبيلنا الكف والاستغفار للصحابة ولا نحب ما شجر بينهم ونعوذ بالله منه ونتولى أمير المؤمنين عليًّا»[3].

فرضى الله عن الصحابة أجمعين.

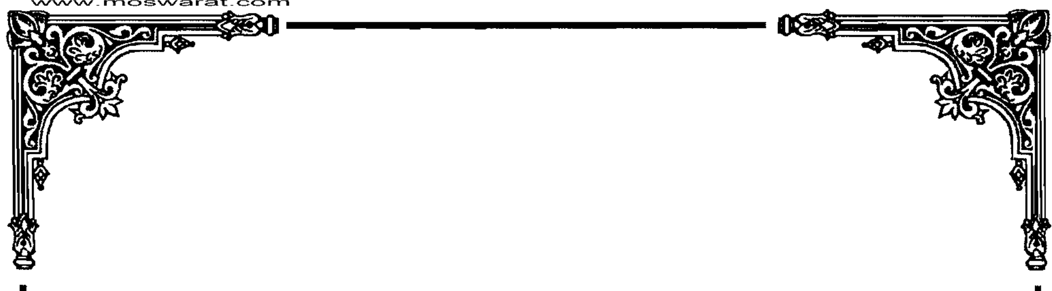
---

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/ ١٢٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٩).





موقف أهل السنة فى تلك الحروب

التحذير من كتب شوّهت تاريخ الصحابة





موقف أهل السنة من تلك الحروب

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التى وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم لما يسببه الخوض فى ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين.

وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويرضى عنهم ويترحم عليهم، ويحفظ لهم فضائلهم، ويعترف لهم بسوابقهم، وينشر مناقبهم، وأن الذى حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد، والجميع مُثابون فى حالتى الصواب والخطأ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطئ فى اجتهاده، وأن القاتل والمقتول من الصحابة فى الجنة، ولم يُجوِّز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم،.... وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التى تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التى فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال وبما وصفوا به فيها وتلك النصوص هي(١):

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٢).

ففى هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٢/ ٧٢٧) تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبى سفيان من الظلم والفسق فى مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان، (ص ٤١).

(٢) سورة الحجرات: الآية: (٩).

قتال لأنهم إخوة،... وهذا الاقتتال لا يُخرجهم عن وصف الإيمان حيث سمَّاهم الله عَزَّوَجَلَّ مؤمنين وأمر بالإصلاح بينهم وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين، ولم يُخرجهم ذلك من الإيمان، فأصحاب رسول الله ﷺ الذين اقتتلوا فى موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل فى اسم الإيمان الذى ذُكر فى هذه الآية... فهم لا يزالون عند ربهم مؤمنين إيمانًا حقيقيًّا ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار فى إيمانهم بحالٍ لأنه كان عن اجتهاد[1].

(٢) عن أبى سعيد الخدرى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين تقتلتهم أَولَى الطائفتين بالحق**»[2]، والفرقة المُشار إليها فى الحديث هى ما كان من الاختلاف بين علىٍّ ومعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وقد وصف ﷺ الطائفتين معًا بأنهما مسلمتان، وأنهما متعلقتان بالحق، والحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علىٍّ أدنى الطائفتين إلى الحق،... وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة أن عليًّا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدًا، وهو مأجور، إن شاء الله، ولكن عليًّا هو الإمام فله أجران كما ثبت فى صحيح البخاري: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**»[3].

(٣) وعن أبى بكرة قال: بينما النبى ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبى

---

(١) العواصم من القواصم، (ص ١٦٩، ١٧٠) أحكام القرآن (٤/ ١٧١٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢/ ٧٤٥).

(٣) البخارى مع شرحه فى فتح البارى (١٣/ ٣١٨).

ﷺ: «**ابنى هذا سيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين**»[١].

ففى هذا الحديث شهادة النبى ﷺ بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام، والحديث فيه رَدٌّ واضح على الخوارج الذين كَفَّروا عليًّا ومَن معه، ومعاوية ومَن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع بالإسلام.

ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله فئتين من المسلمين يعجبنا جدًّا،... قال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإنما أعجبهم لأن النبى ﷺ سماهم جميعًا مسلمين وهذا خبر من رسول الله بما كان من الحسن بن عليٍّ بعد وفاة عليٍّ فى تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبى سفيان[٢].

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع عليٍّ وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبى سفيان.

وقد وصفهم النبى ﷺ بأنهم من أمته[٣]، كما وصفهم بأنهم جميعًا متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه كما شهد لهم ﷺ بأنهم مستمرون على الإيمان، ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذى حصل بينهم، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾[٤].

وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضى الله عنهم أجمعين، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم بل هم مجتهدون متأولون، وقد بيَّن الحكم فى

---

(١) البخاري، كتاب الفتن، رقم (٧١٠٩).

(٢) الاعتقاد للبيهقي، (ص ١٩٨)، فتح البارى (١٣/ ٦٦).

(٣) فى صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦) تكون فى أمتى فرقتان.

(٤) سورة الحجرات: الآية: (٩).

قتالهم ذلك على بن أبى طالب رضي الله عنه كما مر معنا. فالواجب على المسلم أن يسلك فى اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك أهل السنة والجماعة، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم، وكتب أهل السنة مليئة ببيان عقيدتهم الصافية النقية فى حق أولئك الصفوة المختارة، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التى وقعت بينهم فى أقوالهم الحسنة التى منها[(١)]:

(١) سُئل **عمر بن عبد العزيز** رحمه الله تعالى عن القتال الذى حصل بين الصحابة فقال: تلك دماء طهر الله يدى منها أفلا أطهر منها لساني.

مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العيون، ودواء العيون تركُ مسِّها[(٢)].

(٢) سُئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم فقال:

قتال شهده أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا[(٣)]... ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل إذ كانوا غير متهمين فى الدين[(٤)].

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٢/ ٧٤٦).

(٢) الإنصاف للباقلاني، (ص ٦٩)، الطبقات (٥/ ٣٩٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٣٣٢).

(٤) المصدر نفسه (١٦/ ٣٣٢).

(٣) سُئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1][2].

وعن إبراهيم الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل وسأله رجل عما جرى بين عليٍّ ومعاوية؟ فأعرض عنه فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه فقال: اقرأ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

(٤) وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك نَكُفُّ عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وُضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم[4].

(٥) قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم أن ما جرى بين أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم، من المشاجرة نَكُفُّ عنه ونترحم على الجميع ونُثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان، ونعتقد أن عليًّا عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران، وأن الصحابة رضي الله عنهم ما صدر منهم كان باجتهاد فلهم الأجر ولا يُفسَّقون ولا يُبدَّعون.

---

(١) سورة طه: الآية: (٥٢).

(٢) الإنصاف للباقلاني، (ص ٦).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٤).

(٤) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، (ص ٢٦٨).

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾(١).

وقوله ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**» فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه؟! ويدل على صحة هذا القول: قوله ﷺ للحسن رضي الله عنه: «**إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(٢)، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين وحكم لهما بصحة الإسلام، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾(٣). إلى أن قال: ويجب الكَفّ عما شجر بينهم والسكوت عنه(٤).

(٦) وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زِيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون، إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون(٥).

(٧) وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه

---

(١) سورة الفتح: الآية: (١٨).
(٢) البخاري، الفتن، رقم (٧١٠٩).
(٣) سورة الحجر: الآية: (٤٧).
(٤) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (ص ٦٧-٦٩).
(٥) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، (ص ٦٧-٦٩).

ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صِفِّين، والاجتهاد يخطئ ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضًا: وأما المصيب فله أجران[١].

(٨) وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحدٍ من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المُحق منهم لأنهم لم يقاتلوا فى تلك الحروب إلا عن اجتهاد، بل ثبت أنه يُؤجَر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يُؤجَر أجرين[٢].

فأهل السنة مُجمعون على وجوب السكوت عن الخوض فى الفتن التى جرت بين الصحابة، رضي الله عنهم، بعد قتل عثمان والترحُّم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر محاسنهم رضى الله عنهم وأرضاهم[٣].

---

(١) الباعث الحثيث، (ص ١٨٢).

(٢) فتح البارى (١٣/ ٣٤).

(٣) عقيدة أهل السنة (٢/ ٧٤٠) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة) د. على الصلابي.



التحذير من بعض الكتب التى شوَّهت تاريخ الصحابة

۞ وها هى بعض الكتب التى ينبغى أن نحذر منها؛ لأنها شوَّهت تاريخ أطهر جيل عرفته البشرية كلها... ألا وهو جيل الصحابة.

(١) الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التى شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة، ... ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان فى كتابه «الإمامة والسياسة فى ميزان التحقيق العلمي» مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذبًا وزورًا.

(٢) نهج البلاغة:

ومن الكتب التى ساهمت فى تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب (نهج البلاغة)؛ فهذا الكتاب مطعون فى سنده ومتنه، فقد جُمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف قرن بلا سند،... وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضى وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند .. خصوصًا فيما يوافق بدعته، فكيف إذا لم يُسند كما فعل فى النهج؟ وأما المتهم – عند المحدثين – فهو أخوه علي[1]، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

۞ قال الذهبي: من طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، ففيه السَّبُّ الصُّراح، والحط على السيدين أبى بكر وعمر رضي الله عنهما وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التى من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين

(١) الأدب الإسلامي، نايف معروف، (ص ٥٣).

جزم بأن أكثره باطل[1].

۞ **وقال ابن تيمية**: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مُفتراة على عليٍّ ولهذا لا يوجد غالبها فى كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف[2].

۞ **وأما ابن حجر**، فيتهم الشريف المرتضى بوضعه، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليٍّ.. وأكثره باطل[3].

(٣) كتاب الأغانى للأصفهاني:

يُعتبر كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى كتاب أدب وسمر وغناء، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه، وله طنين ورنين فى آذان أهل الأدب والتاريخ، فليس معنى ذلك أن يُسكَت عما ورد فيه من الشعوبية والدَّسِّ، والكذب الفاضح والطعن والمعايب، وقد قام الشاعر العراقى والأستاذ الكريم وليد الأعظمى بتأليف كتابه القيم الذى سمَّاه (السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى صاحب الأغاني)، فقد شمَّر – جزاه الله خيرًا – عن ساعد الجد، ليميز الهزل من الجد، والسم من الشهد، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد، وهى تغلى فى الصدور، كغلى القدور، وأخذ يرد على تُرهات الأصفهانى فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة تسئ إلى آل البيت النبوى الشريف، وتجرح سيرتهم، وتُشوه سلوكهم، كما تناول مزاعم الأصفهانى تجاه معاوية بن أبى سفيان

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ١٢٤).

(٢) منهاج السنة (٤/ ٢٤).

(٣) لسان الميزان (٤/ ٢٢٣).

والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ ... وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامى القدير وليد الأعظمى فى كتابه القيم الحكايات المتفرقة التى تضمَّنها الكتاب والتى تطعن فى العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي، وتُفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل(١).

(٤) تاريخ اليعقوبي، ت ٢٩٠هـ:

هو أحمد بن أبى يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسى من أهل بغداد، مؤرخ شيعى إمامى كان يعمل فى كتابة الدواوين فى الدولة العباسية حتى لُقِّب بالكاتب العباسي، وقد عرض اليعقوبى تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية، فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلى بن أبى طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة، ويُسمى عليًّا بالوصي، وعندما أرَّخ لخلافة أبى بكر وعمر وعثمان لم يُضف عليهم لقب الخلافة وإنما قال تولى الأمر فلان، ثم لم يترك واحدًا منهم دون أن يطعن فيه، وكذلك كبار الصحابة، فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخبارًا(٢) سيئة، وكذلك عن خالد بن الوليد(٣)، وعمرو بن العاص(٤)، ومعاوية بن أبى سفيان(٥)، وعرض خبر السقيفة عرضًا مشينًا(٦) ادَّعى فيه أنه قد حصلت

(١) «السيف اليمانى فى نحر الأصفهانى» للأعظمي، (ص ٩-١٤).

(٢) تاريخ اليعقوبى (٢/ ١٨٠-١٨٣).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ١٣١).

(٤) المصدر نفسه (٢/ ٢٢٢).

(٥) المصدر نفسه (٢/ ٢٣٢- ٢٣٨).

(٦) المصدر نفسه (٢/ ١٢٣-١٢٦).

مؤامرة على سلب الخلافة من على بن أبى طالب الذى هو الوصى فى نظره، ... وطريقته فى سياق الاتهامات -الباطلة- هى طريقة قومه من أهل التشيُّع والرفض، وهى إما اختلاق الخبر بالكلية(١)، أو التزيُّد فى الخبر(٢)، والإضافة عليه، أو عرضه فى غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه.

ومن المُلاحَظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك، وعندما ذكر خلفاء بنى العباس وصفهم بالخلفاء، كما وصف دولتهم فى كتابه البلدان باسم الدولة المباركة(٣)، مما يعكس نفاقه وتَستُّره وراء شعار التقية.

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل فى كتابة التاريخ الإسلامي، وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا فى التاريخ الإسلامى وسيرة رجاله، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات، والقسم الثانى كُتب من زاوية نظر حزبية كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي(٤).

(٥) المسعودى (ت : ٣٤٥هـ) كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر :

هو أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، من ولد عبد الله

---

(١)منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص٤٣١).

(٢)المصدر نفسه (ص٤٣١).

(٣)كتاب البلدان لليعقوبى (ص ٤٣٢).

(٤)منهج كتابة التاريخ الإسلامى (ص ٤٣٢).

ابن مسعود رضي الله عنه[١]، وقيل إنه كان رجلًا من أهل المغرب[٢]، ولكن يُرَدُّ عليه بأن المسعودى صرح بنفسه أنه من أهل العراق، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها[٣]، وإن قصد ببلاد المغرب عكس المشرق فمصر من بلاد المغرب الإسلامى فلا إشكال[٤]،... والمسعودى رجل شيعي، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعيًّا معتزليًّا[٥]، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد آدم تُنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا ﷺ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك فى النص والاختيار، فقد رأى الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص[٦]، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلى بن أبى طالب رضي الله عنه فى كتابه مروج الذهب اهتمامًا كبيرًا أكثر من اهتمامه بحياة رسول الله ﷺ فى الكتاب المذكور، وركز اهتمامه بالبيت العلوى وتتبع أخبارهم بشكل واضح فى كتابه مروج الذهب[٧]، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

۞ هذه بعض الكتب القديمة التى نحذر منها، والتى كان لها أثر فى كتابات بعض المعاصرين، كطه حسين (الفتنة الكبرى.. على وبنوه)،

(١) الفهرست لابن النديم، (ص ١٧١).
(٢) الفهرست، (ص ١١٧).
(٣) معجم الأدباء (١٣/ ٩١-٩٣).
(٤) منهج المسعودى فى كتابة التاريخ ص ٤٤، أثر التشيع، (ص ٢٤٣).
(٥) لسان الميزان (٤/ ٢٢٥)، أثر التشيع، (ص ٢٤٦).
(٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/ ٣٨).
(٧) أثر التشيع على الروايات التاريخية، (ص ٢٤٨) - نقلًا عن (حقيقة الخلاف بين الصحابة) / د. على الصلابي.

والعقاد فى (عبقرياته)... فقد تورطا فى الروايات الموضوعة والضعيفة وقامت تحليلاتهما عليها، وبالتالى لم يحالفهما الصواب، ووقعا فى أخطاء شنيعة فى حق الصحابة رضي الله عنهم.

***





فتنة الخوارج



فتنة الخوارج

وكان بداية ظهورهم بعد انتهاء معركة (صِفِّين)، واتفاق أهل العراق والشام على التحكيم بين الطائفتين، وفى أثناء رجوع عليٍّ رضي الله عنه إلى الكوفة فارقه الخوارج - وقد كانوا فى جيشه-، ونزلوا مكانًا يُقال له: (حَرُورَاء)[1]، ويبلغ عددهم ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفًا، فأرسل عليٌّ إليهم ابن عباس رضي الله عنهما، فناظرهم، ورجع معه بعضهم، ودخلوا فى طاعة عليٍّ.

ثم عادت فتنتهم مرة أخرى حتى التقى بهم عليٌّ رضي الله عنه فى موقعة النهروان فهزمهم شرَّ هزيمة.. كما سيأتى تفصيل ذلك إن شاء الله.

نشأة الخوارج والتعريف بهم

عرَّف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بيَّنه أبو الحسن الأشعري، أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة التى خرجت على رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب رضي الله عنه، وبيَّن أن خروجهم على (عليٍّ) هو العلة فى تسميتهم بهذا الاسم، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذى سُمُّوا له خوارج خروجهم على عليٍّ لما حكم[2][3].

❁ وأما ابن حزم رحمه الله: فقد بيَّن أن اسم الخارجى يتعدَّى إلى كل من أشبه أولئك النفر الذين خرجوا على علىّ بن أبى طالب رضي الله عنه، وشاركهم فى

(١) (حروراء): قرية على ميلين من الكوفة، وإليها نُسبت الخوارج، فيقال: حرورية.
انظر: «معجم البلدان» (٢/ ٢٤٥).

(٢) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

(٣) لما حكَّم: أى: لما وافق على التحكيم بينه وبين معاوية .. وذلك بانتداب أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص لذلك رضي الله عنهما.

معتقدهم، ... فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور، وأن أصحاب الكبائر مُخلَّدون فى النار، وأن الإمامة جائزة فى غير قريش فهو خارجى.

وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجيًّا[1].

۞ **وأما الشهرستانى** رَحِمَهُ اللَّهُ: فقد عرَّف الخوارج بتعريفٍ عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذى اجتمعت عليه الكلمة وعلى إمامته الشرعية خروجًا فى أى زمان كان، ... حيث قال فى تعريفه للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه يُسمَّى خارجيًّا سواء كان الخروج فى أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة فى كل زمان[2].

۞ **وقال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ **مُعرفًا لهم**: والخوارج هم الذين أنكروا على عليٍّ التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم،... فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغُلاة، ....وقال فى تعريف آخر: أما الخوارج فهم جماعة خارجة، أي: طائفة، وهم قوم مبتدعون سُمُّوا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين[3].

فالخوارج هم أولئك النفر الذين خرجوا على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد قبوله التحكيم فى موقعة صفين، ولهم ألقاب أخرى عُرفوا بها غير لقب الخوارج،

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٢/ ١١٣).

(٢) هدى السارى فى مقدمة فتح الباري، (ص ٤٥٩).

(٣) فتح البارى (٢/ ٢٨٣).

ومن تلك الألقاب الحرورية(١)، والشراة(٢)، والمارقة، والمحكمة(٣).

وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة، فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقين من الدين كما يمرق السهم من الرمية(٤).

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول ﷺ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذى اعترض على الرسول ﷺ فى قسمة ذهب كان قد بعث به عليٌّ رضي الله عنه من اليمن فى جلد مقروظ.

فقد جاء عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال: بعث على بن أبى طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهبة فى أديم مقرظ(٥)، لم تحصل من ترابها(٦)، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عُيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة بن علاثة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبى ﷺ، فقال: «**ألا تأمنونى وأنا أمين مَن فى السماء يأتينى خبر السماء صباحًا ومساء**»، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة(٧)، كَثّ اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتقِ الله، فقال: «**ويلك أَوَلست أحق أهل الأرض أن يتقى الله**» قال: ثم ولَّى الرجل، فقال خالد بن

---

(١) سُمُّوا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء فى أول أمرهم.

(٢) سُمُّوا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله، أي: بعناها بالجنة.

(٣) سُمُّوا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين، وقولهم: لا حكم إلا لله.

(٤) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٧).

(٥) أديم مقرظ: فى جلد مدبوغ بالقرظ.

(٦) أي: لم تميز ولم تصف من تراب معدنها.

(٧) ناشز الجبهة: مرتفع الجبهة.

الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟، فقال: «**لا، لعله أن يكون يصلي**»، قال خالد: وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «**إنى لم أؤمر أن أُنقب عن قلوب الناس**[١]**، ولا أشق بطونهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ[٢]، فقال: «**إنه يخرج من ضئضئ**[٣] **هذا قوم يتلون كتاب الله رَطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»، قال: أظنه قال: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود**»[٤].

۞ **قال ابن الجوزى رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند هذا الحديث**: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي، وفى لفظ: أنه قال له: اعدل، فقال: «**ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل**»[٥]، فهذا أول خارجى خرج فى الإسلام، ... وآفته أنه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ.

وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٦].

وممن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة: أبو محمد ابن حزم[٧]، وكذا الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل[٨]،... ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بإحداثهم الفتنة التى أدت إلى قتله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ظلمًا وعدوانًا، ... وسُمِّيت تلك الفتنة التى أحدثوها بالفتنة

---

(١) أي: أفتش وأكشف- ومعناه: أنى أُمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

(٢) مُقفٍ: أى مُولٍّ.

(٣) ضئضئ: هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز وهو أصل الشيء.

(٤) أخرجه البخارى (٢/ ٢٣٢)، ومسلم (٢/ ٧٤٢).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٧٤٠).

(٦) تلبيس إبليس (ص ٩٠).

(٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٥٧).

(٨) الملل والنحل (١/ ١١٦).

الأولى»[١]، وقال شارح الطحاوية: الخوارج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى»[٢]، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جدًّا[٣].

الرأى الراجح فى بداية نشأة الخوارج

وبالرغم من الارتباط القوى بين ذى الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان وبين الخوارج الذين خرجوا على عليٍّ بسبب التحكيم، فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم، بحكم كونهم جماعة فى شكل طائفة لها اتجاهها السياسى وآراؤها الخاصة، أحدثت أثرًا فكريًّا عَقَديًّا واضحًا، بعكس ما سبقها من حالات»[٤].

النبى ﷺ يخبر عن الخوارج

۞ ولقد أخبر النبى ﷺ بخروج هذه الطائفة المخالفة لمنهج النبى ﷺ وأصحابه الكرام.

فقد تواترت الأحاديث بذلك،... ذكر منها الحافظ ابن كثير أكثر من ثلاثين حديثًا وردت فى الصحاح والسنن والمسانيد[٥].

---

(١) عقيدة أهل السنة فى الصحابة (٣/ ١١٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٦٣).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٢).

(٤) فرق معاصرة للعواجى (١/ ٦٧)، خلافة علي/ عبد الحميد (ص ٢٩٧)، نقلًا عن فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة / د. على الصلابى.

(٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٩٠-٣٠٧).

منها ما رواه أبو سعيد الخُدرى رضي الله عنه؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»[(١)].

وعنه رضي الله عنه أَنَّهُ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الحَرورِيَّةِ؟ قَالَ: لاَ أَدْرِى مَا الحَرُورِيَّةُ؟ سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِى هَذِهِ الأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا - قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، - أَوْ حَنَاجِرَهُمْ - يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[(٢)].

۞ **ومن صفاتهم الذميمة التى ذمَّهم بها الرسول ﷺ**: أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم وهو عليهم،... فقد روى البخارى رحمه الله من حديث علىٍّ رضي الله عنه أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثًا، فوالله لأن أَخِرّ من السماء أحبّ إلىَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بينى وبينكم فإن الحرب خدعة، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج قوم فى آخر الزمان[(٣)] أحداث الأسنان[(٤)]، سفهاء الأحلام[(٥)] يقولون من خير قول البرية[(٦)] لا يجاوز إيمانهم**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٩٣١).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: المراد بآخر الزمان زمان خلافة النبوة، فإن فى حديث سفينة المُخَرَّج فى السنن، وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعًا: «الخلافة بعدى ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا»، وكانت قصة الخوارج وقتلهم يوم النهروان فى أواخر خلافة علىٍّ سنة ثمان وثلاثين للهجرة، فتح البارى (١٢/ ٢٨٧).

(٤) أحداث الأسنان: صغار السن- شرح النووى (٧/ ١٦٩).

(٥) سفهاء الأحلام: ضعفاء العقول- فتح البارى (٦/ ٦١٩).

(٦) أى من القرآن كما فى حديث أبى سعيد المتقدم يقرؤون القرآن.

حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[١].

ومن صفاتهم القبيحة التى كانت ذمًّا لهم على لسان رسول الله ﷺ: أنهم حُرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه[٢]،... فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أسيد بن عمرو عن سهل بن حنيف عن النبى ﷺ قال: «**يتيه قومٌ قِبَل المشرق مُحلّقة رؤوسهم**»[٣]، قال النووي: قوله ﷺ: «**يتيه قوم قِبَل المشرق**»، أي: يذهبون عن الصواب، وعن طريق الحق، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتدِ لطريق الحق ... والله أعلم[٤].

۞ ومن الصفات المذمومة التى تلبَّسوا بها وأخبر النبى ﷺ أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام وترك عَبَدة الأوثان والصُّلبان[٥].

۞ قال رسول الله ﷺ: «**إن من ضئضئ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»[٦].

وفى هذا معجزة باهرة للرسول ﷺ حيث وقع منهم ما أخبر به ﷺ، فإنهم كانوا يسلُّون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى[٧].

---

(١) البخارى (٢/ ٢٨١).

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٨) كتاب الزكاة.

(٤) شرح النووى (٧/ ١٧٥).

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٤).

(٦) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٣٢) كتاب التوحيد، ومسلم (١٠٦٤) كتاب الزكاة.

(٧) عقيدة أهل السنة فى الصحابة الكرام (٣/ ١١٨٥).

ثم إنهم تجمَّعوا وقتلوا مَن اجتاز بهم من المسلِمين ومرَّ بهم عبد الله بن خبَّاب بن الأرت[(١)] ومعه زوجته، فقتلوه، وبقروا بطن زوجته عن ولدها، فلما علم بذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه، وسألهم مَن قتله؟ فقالوا: كلُّنا قتله.

فتجهَّز عليٌّ للقتال، والتقى بهم فى الموقعة المشهورة بـ(النهروان)[(٢)]، فهزمهم شرَّ هزيمة، ولم ينجُ منهم إلا القليل.

وقد أمر النبى ﷺ بقتال الخوارج، وبيَّن أن فى قتلهم أجرًا لمن قتلهم، وهذا دليلٌ على فساد هذه الطائفة، وبُعدها عن الإسلام، وضررها العظيم على الأمة؛ بما تُثيره من فتن وقلاقل.

۞ ففى «الصحيحين» عن عليٍّ رضي الله عنه؛ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِى آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[(٣)].

---

(١) عبد الله بن خباب بن الأرت التميمى، صحابى جليل، وُلد فى زمن النبى ﷺ، فسمَّاه عبد الله، وكان هو وعبد الله بن الزبير أول من ولد فى الإسلام، قتله الخوارج سنة (٣٧ هـ).
انظر: «الإصابة فى تمييز الصحابة» (٢/ ٣٠٢)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٨)، و«تجريد أسماء الصحابة» (١/ ٣٠٧).

(٢) (النهروان): هى ثلاثة نهروانات، وهى بلاد واسعة قريبة من بغداد بالعراق، أصلها وادى جرار، بدايته من أذربيجان، ويسقى قرى كثيرة ثم يصب باقيه فى دجلة أسفل المدائن، ويقال له بالفارسية: جوروان، فعرب الإسلام، فقيل: نهروان؛ بفتح النون.
انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٣٢٤-٣٢٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٩٣٠) كتاب استتابة المرتدين، ومسلم (١٠٦٦) كتاب الزكاة.

۞ قال الإمام البُخاريُّ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، وَقَالَ: «إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ»[1].

۞ وقال الحافظ ابن حجر: «وَعَظُمَ الْبَلَاءُ بِهِمْ وَتَوَسَّعُوا فِي مُعْتَقَدِهِمُ الْفَاسِدِ فَأَبْطَلُوا رَجْمَ الْمُحْصَنِ وَقَطَعُوا يَدَ السَّارِقِ مِنَ الْإِبِطِ وَأَوْجَبُوا الصَّلَاةَ عَلَى الْحَائِضِ فِي حَالِ حَيْضِهَا وَكَفَّرُوا مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنْ كَانَ قَادِرًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا فَقَدِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةً وَحُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الْكَافِرِ وَكَفُّوا عَنْ أَمْوَالِ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَعَنِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ مُطْلَقًا وَفَتَكُوا فِيمَنْ يُنْسَبُ إِلَى الْإِسْلَامِ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ»[2].

۞ ولا يزال الخوارج يَظْهرون حتى يدرك آخرهم الدَّجَّال.

ففي الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ** (أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً) **حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**»[3][4].

---

(١) علقه البخاري (١٢/ ٣٥٠)، ووصله ابن عبد البر في التمهيد (فتح البر ١/ ٤٦٩)، قال ابن حجر: «ووصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار... وسنده صحيح».

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٢٨٥).

(٣) **حسن**: رواه ابن ماجه (١٧٤)، وحسنه الألباني رحمه الله في الصحيحة (٢٤٥٥)، وصحيح الجامع (٨١٧١).

(٤) بتصرف من أشراط الساعة.

وهكذا بدأت الفتنة

انفصل الخوارج فى جماعة كبيرة من جيش علىٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثناء عودته من صِفِّين إلى الكوفة، ... قُدِّر عددها فى رواية ببضعة عشر ألفًا، وحُدِّد فى رواية باثنى عشر ألفًا[١]، وفى رواية بثمانية آلاف[٢]، وفى رواية بأنهم أربعة عشر ألفًا[٣]، كما ذُكر أنهم عشرون ألفًا[٤]، وهذه الرواية التى تذكر أنهم عشرون ألفًا، قد جاءت بدون إسناد[٥]،... وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علىٍّ وهالهم، وسار عليٌّ بمن بقى من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصًا بعد ما بلغه تنظيم جماعتهم من تعيين أمير للصلاة وآخر للقتال، وأن البيعة لله عَزَّ وَجَلَّ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مما يعنى انفصالهم فعليًّا عن جماعة المسلمين.

۞ وعلى الرغم من أنَّ الفتنة فى موقعة صِفِّين كانت كبيرة وخطيرة إلا أن فتنة الخوارج كانت فى غاية الخطورة؛ لأنها كانت تُمثل انشقاقًا فى صف أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ وتأملوا معى لهذا التفصيل الذى رواه الإمام أحمد فى «مسنده» وابن أبى شيبة فى «مصنفه»[٦] بسندٍ صحيح عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِى ثَابِتٍ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا

(١) تاريخ بغداد (١/ ١٦٠).

(٢) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٠، ٢٨١) إسناده صحيح.

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٧-١٦٠) بسند حسن.

(٤) تاريخ خليفة، (ص ١٩٢).

(٥) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد، (ص ٣٠٣).

(٦) أخرجه أحمد فى المسند» (٣/ ٤٨٥، ٤٨٦)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٤٣٨، ٤٣٩)، والنسائى في

وَائِلٍ فِي مَسْجِدِ أَهْلِهِ أَسْأَلُهُ عَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ بِالنَّهْرَوَانِ -أي: الخوارج-، فِيمَا اسْتَجَابُوا لَهُ، وَفِيمَا فَارَقُوهُ، وَفِيمَا اسْتَحَلَّ قِتَالَهُمْ؟!

فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْقَتْلُ بِأَهْلِ الشَّامِ اعْتَصَمُوا بِتَلٍّ -أي: بمكان مرتفع- فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ مُصْحَفًا، وَادْعُهُ إِلَى كِتَابِ اللهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ، فَجَاءَ بِكِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ، من قِبَلِ معاوية فنَادَى: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1]

فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَعَمْ أَنَا أَوْلَى بِذَلِكَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ.

قَالَ: فَجَاءَتْهُ الْخَوَارِجُ، وَنَحْنُ نَدْعُوهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُرَّاءَ، وَسُيُوفُهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ -يُنادون على عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، مَا نَنْتَظِرُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَلَى التَّلِّ؟! -يقصدون فريق معاوية- أَلَا نَمْشِي إِلَيْهِمْ بِسُيُوفِنَا، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟! فتكَلَّمَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ فَقَالَ -وهو يردُّ على الخوارج: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، -يَعْنِي: الصُّلْحَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ- وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ -بعدما كُتبت بنود الصُّلح الظَّالمة- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟! أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟! فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «بَلَى». فَقَالَ عُمَرُ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا، وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا، وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ

= «الكبرى» (١١٥٠٤)، وأصله في «صحيح البخاري» مختصرًا (٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥).

(١) سورة آل عمران: الآية: (٢٣).

النَّبِيُّ ﷺ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللهُ أَبَدًا».

فَرَجَعَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَغَيِّظٌ، فَلَمْ يَصْبِرْ، حَتَّى أَتَى أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنهما، فَقَالَ عُمَرُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ، وَهُمْ عَلَى البَاطِلِ؟! أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ عُمَرُ: فَفِيمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ، وَلَمَّا يَحْكُمِ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ إِنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللهُ أَبَدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[١].

فَأَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى عُمَرَ، فَأَقْرَأَهَا إِيَّاهُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَفَتْحٌ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».

فطابت نفس عمر، ورجع رضي الله عنه.

۞ وزاد ابن أبي شيبة وغيره على رواية «المسند» قال: قَالَ عَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا فَتْحٌ،... فَقَبِلَ عَلِيٌّ الْقَضِيَّةَ وَرَجَعَ، وَرَجَعَ النَّاسُ، ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا بِحَرُورَاءَ أُولَئِكَ الْعِصَابَةُ مِنَ الْخَوَارِجِ».

۞ ورواية ابن أبي شيبة لها شاهدٌ في «صحيح الإمام البخاري»[٢].

فلقد أخرج البخاري عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا وَائِلٍ أَسْأَلُهُ، فَقَالَ: كُنَّا بِصِفِّينَ فَقَالَ رَجُلٌ -وهو رسول معاوية-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ﴾[٣]؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ، فَقَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: اتَّهِمُوا أَنْفُسَكُمْ.

---

(١) سورة الفتح: الآية: (١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨٤٤) كتاب التفسير، ومسلم (١٧٨٥) كتاب الجهاد.

(٣) سورة آل عمران: الآية: (٢٣).

وفى رواية[١]: «اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ»، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ - يَعْنِى الصُّلْحَ الَّذِى كَانَ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَالمُشْرِكِينَ - وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ... إلى آخر الرواية التى ذكرت آنفًا.

۞ ولقد ساق سهل بن حنيف رضي الله عنه حديث الحديبية؛ لأن القرَّاء - أي: الخوارج - أصرُّوا على مواصلة القتال، ورفضوا رفضًا باتًّا قَضِيَّةَ التَّحكيم، مع أنَّهم هم الذين أشاروا بها ابتداءً على عليٍّ رضي الله عنه؛ فأشار عليهم سهلُ بن حنيف رضي الله عنه بمطاوعة عليٍّ رضي الله عنه، وألَّا يُخَالفوا ما يشير به؛ لكونه أعلم بالمصلحة منهم، وذكر لهم ما وقع بالحديبية من أن الصَّحابة رأوا يومئذٍ أن يقاتلوا، وأن يخالفوا أمر النبيِّ ﷺ وما دُعوا إليه من الصُّلح؛ فظهر لهم بعد ذلك أن الأصلح كان فيما رآه النبيُّ ﷺ، فقد شرع لهم الصُّلح.

ويقول أيضًا **بعضُ أهل العلم**[٢]: كأن القُرَّاء اتهموا سَهْلَ بنَ حُنَيْفٍ بالتَّقصير فى القتال حينئذٍ؛ فقال لهم: «بل اتهموا أنتم رأيكم»؛ فإنِّى لا أُقَصِّرُ فى القتال؛ كما لم أكن مُقَصِّرًا يوم الحديبية من أجل أنى لا أخالف حُكمَ رسول الله ﷺ كذلك أتوقَّف اليوم عن القتال؛ لأجل مصلحة المسلمين. أي: كما توقفت عن القتال يوم الحديبية.

وهكذا أيها الأحبة؛ بهذه الروايات يتبين لنا أنَّ الخوارج فرقة خرجت من جيش عليٍّ، (قيل: كانوا اثنى عشر ألفًا، وقيل: كانوا ستة عشر ألفًا؛ وقيل: كانوا عشرين ألفًا)[٣]، فُتنوا بهذه الفتنة، وانطلقوا يرددون:

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٨٥) كتاب الجهاد.

(٢) الحافظ ابن حجر «الفتح» (١٣/ ٢٨٩).

(٣) «تاريخ بغداد» (١/ ١٦٠)، و«مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٥٧، ١٦٠)، و«تاريخ خليفة» (ص٤٤)، و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٨٠، ٢٨١)، و«مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣٥).

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[(١)]!!

ثم كفَّروا عليًّا رضي الله عنه؛ لأنَّه أذعن لحكمِ الرِّجال، زعموا!! بل وانطلقوا يُكفِّرون كلَّ مسلمٍ يَقْبَلُ حُكْمَ عليٍّ ويقتلونه بزعم أنه خرج من الإسلام؛ لموافقته عليًّا رضي الله عنه،... وراحوا يُفسدون فى الأرض، ويتَّهمون كلَّ مسلمٍ لا يقول بقولهم.. بالكفر البواح!

فماذا يفعل عليٌّ أمام هذه الفتنة الشعواء؟[(٢)]

على رضي الله عنه يرسل ابن عباس رضي الله عنهما لمناظرة الخوارج

۞ لقد كان أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه حريصًا كل الحرص على إرجاع هؤلاء الخوارج إلى جماعة المسلمين.. فما كان منه إلا أن أرسل إليهم حَبر الأمة وتُرجمان القرآن الذى دعا له النبى ﷺ أن يُفقهه الله فى الدين، وأن يُعلمه التأويل... أرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا ابن عباس يروى لنا الحادثة، فيقول:.... فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حُلل اليمن، وترجَّلت، ودخلت عليهم فى دارٍ فى نصف النهار،... وكان ابن عباس رجلًا جميلًا جهيرًا، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، ما هذه الحُلة؟، قال: ما تعيبون عليَّ؟، لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحُلل، ونزلت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[(٣)]قالوا: فما جاء بك؟، قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار، من عند ابن عم النبى ﷺ

---

(١) سورة الأنعام: الآية: (٥٧).

(٢) بتصرف من كتاب (الفتنة بين الصحابة).

(٣) سورة الأعراف: الآية: (٣٢).

وصهره وعليهم نزل القرآن، فهم أعلم بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحد لأبلغكم ما يقولون، وأبلغهم ما تقولون، ... فانتحى لى نفرٌ منهم، قلت: هاتوا ما نقمتم على أصحاب رسول الله ﷺ وابن عمه، .. قالوا: ثلاث، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حَكَّم الرجال فى أمر الله، وقد قال الله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] ما شأن الرجال والحكم؟، قلت: هذه واحدة،.. قالوا: وأما الثانية فإنه قاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم، فإن كانوا كفارًا لقد حَلَّ سبيهم، ولئن كانوا مؤمنين ما حَلَّ سبيهم ولا قتلهم، قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟، قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا .... قلت لهم: أرأيتكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، قالوا: نعم، قلت: أما قولكم: حكَّم الرجال فى أمر الله، فإنى أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صيَّر الله حكمه إلى الرجال فى ثمن ربع درهم، فأمر الله تبارك وتعالى أن يُحكِّموا فيه،... أرأيتم قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[2]، وكان من حكم الرجال،.. أنشدكم بالله أحكم الرجال فى صلاح ذات البين، وحقن دمائهم أفضل أو فى أرنب؟ قالوا: بلى، بل هذا أفضل، قلت: وفى المرأة وزوجها ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[3]، فنشدتكم بالله حكم الرجال فى صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم فى بضع امرأة،

(١) سورة الأنعام: الآية: (٥٧).

(٢) سورة المائدة: الآية: (٩٥).

(٣) سورة النساء: الآية: (٣٥).

أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، قلت: وأما قولكم: قاتَل ولم يَسْبِ ولم يغنم، أفتَسْبُون أمكم عائشة، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهى أمكم؟، فإن قلتم: إنَّا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[1]، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، فقال: وأما قولكم أنه محا اسمه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، إن نبى الله ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين، فقال لعليٍّ: «**اكتب يا عليّ: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، فقال رسول الله ﷺ: «**امحُ يا عليّ، اللهم إنك تعلم أنى رسول الله، امحُ يا علىّ واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله**»، والله لرسول الله خيرٌ من عليٍّ، وقد محا نفسه، ولم يكن محوه نفسه ذلك يمحوه من النبوة، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم، ... فعاد منهم عددٌ كبير بعد هذه المناظرة، وبقيت فرقة منهم تحمل هذا الضلال فقاتلوا على ضلالتهم، والتقى بهم علىٌّ رضي الله عنه فى موقعة النهروان فهزمهم شرَّ هزيمة[2].

۞ **ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:**

(١) حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم:

فقد اختار أمير المؤمنين (علىّ) ابن عمه عبد الله بن عباس، وهو حبر

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٦).

(٢) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب للنسائي - بتصرف - تحقيق أحمد البلوشي، (ص ٢٠٠)، إسناده حسن.

الأمة وترجمان القرآن؛ لأن القوم كانوا يُعرفون بالقُراء ويعتمدون فى الاستدلال على معتقدهم بالقرآن، لذا كان أَولَى الناس بمناظرتهم من هو أدرى الناس بالقرآن وبتأويله... ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه هو صاحب الاختصاص فى هذه المناظرة، لما يتحلى به من إخلاص النية لله، واجتناب الهوى، والتحلِّى بالحلم والصبر، والتريُّث والتَّرفُّق بالخصم، وحسن الاستماع لكل الخصوم، وتجنُّب المماراة، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

(٢) الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق:

فقد كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ وكذلك كان عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال لهم: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ ما يرد قولكم أترجعون؟، ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنه يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

(٣) معرفة ما عند الخصم من الحُجج واستقصاؤها:

والاستعداد لها قبل بداية المناظرة، ... ونتوقع أن أمير المؤمنين على رضي الله عنه عَلِم بحُججهم قبل مناظرتهم، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

(٤) تفنيد مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى:

حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما فى مناظرته لهم كلما فرغ من تفنيد حُجة قال: أَخَرجتُ من هذه؟.

(٥) التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق:

فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال فى بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبى ﷺ وصهره وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله

منكم، وليس فيكم أحد منهم[١].

(٦) إظهار احترام رأى الخصم أثناء المناظرة:

ليكون أدعى لسماع كل ما عنده، وأن يحمله على احترام رأيه، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج[٢]،

(٧) وقد وفق الله عَزَّوَجَلَّ الآلاف من هؤلاء:

إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة آلاف –كما سيأتى بيانه بإذن الله تعالى– وذلك عندما عرفوا الحق، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله...ثم بسبب ما أُوتيه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من علم وقوة وحُجة وبيان، إذ وضح لهم بُطلان ما احتجوا به، بتفسير الآيات التى تأولوها التفسير الصحيح، وبالسُّنة النبوية المشرفة والتى توضح معانى القرآن الكريم[٣].

(٨) قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وليس فيكم أحد منهم[٤]:

هذا نَصٌّ صريح من ابن عباس فى كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج.

أمير المؤمنين يناظر بقية الخوارج... وخروجهم عليه من جديد!!!

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم له، خرج أمير المؤمنين علىٌّ بنفسه إليهم فكلمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة، إلا أن هذا الوفاق

(١) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب، (ص ١٩٧) إسناده حسن.

(٢) منهج على بن أبى طالب فى الدعوة إلى الله، (ص ٣٣٩).

(٣) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد (ص ٣٠٧).

(٤) خصائص على بن أبى طالب/ للنسائي، (ص ٢٠٠)، إسناده حسن، للبلوشي– نقلًا عن فكر الخوارج والشيعة.

لم يستمر طويلًا، بسبب أن الخوارج فهموا من عليٍّ رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته - حسب زعمهم - وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس، فجاء الأشعث بن قيس الكِنْدى إلى أمير المؤمنين، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر، ... فخطب عليٌّ رضي الله عنه يوم الجمعة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس وأمرهم الذى فارقوه فيه[١].

وفى رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله، ثم قاموا نواحى المسجد يُحكمون الله، فأشار عليهم بيده، اجلسوا، نعم لا حكم إلا لله، كلمة حق يُبتغى بها باطل، حكم الله أنتظر فيكم[٢]، وأخذ يُسكتهم بالإشارة وهو على المنبر، فقام رجل منهم واضعًا إصبعيه فى أذنيه ويقول: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣]، فردَّ أمير المؤمنين علىّ بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[٤].

❁ وأعلن أمير المؤمنين عن سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثًا:

(١) لا نمنعكم صلاة فى هذا المسجد.

(٢) ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا.

(٣) ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا[٥].

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٢،٣١٣)، صححه الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ١١٨،١١٩).

(٢) مرويات أبى مخنف فى تاريخ الطبري، (ص ٤٥٢).

(٣) سورة الزمر: الآية: (٦٥).

(٤) سورة الروم: الآية: (٦٠).

(٥) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٧،٣٢٨)، والشافعى فى الأم (٤/ ١٣٦)، وتاريخ الطبرى (٥/ ٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع على أن للسند شواهد وقد توبع - قاله الألبانى فى إرواء الغليل (٨/ ١١٧،١١٨).

فقد سلَّم لهم أمير المؤمنين عليٌّ بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة، أو يخرجوا على جماعة المسلمين، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة فى إطار العقيدة الإسلامية، فهو لا يُخرجهم بداية من الإسلام، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدى إلى الفُرقة وحمل السلاح[1]...ولم يزج أمير المؤمنين بالخوارج فى السجون أو يسلط عليهم الجواسيس، ولم يحجر على حرياتهم، ولكنه رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بآرائهم ومظهرهم.

فقد أمر مؤذنه بأن يُدخل عليه القراء ولا يَدخل أحدٌ إلا قد حفظ القرآن، فامتلأ الدار من قُراء الناس، فدعا بمصحفٍ إمام عظيم، فطفق يصكُّه بيديه ويقول: أيها المصحف حدِّث الناس، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه، إنما هو مِداد فى ورق، ونحن نتكلم بما وعينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بينى وبينهم كتاب الله، ... يقول الله تعالى فى كتابه فى امرأة ورجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾[2] فأمة محمد أعظم دمًا وحرمة من امرأة ورجل، ... ونقموا علىَّ أن كاتبت معاوية، فكتبت على بن أبى طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، قال: «**كيف تكتب؟**» قال: اكتب باسمك اللهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية، حامد عبد الماجد، (ص ٤٧).

(٢) سورة النساء: الآية: (٣٥).

«اكتب»، فكتبت، فقال: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، ... فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله فى كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾[1] [2].

۞ ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبى موسى الأشعرى حَكَمًا، طلبوا منه الامتناع عن ذلك، فأبى علىٌّ عليهم ذلك وبيَّن لهم أن هذا يُعَدُّ غدرًا ونقضًا للأيمان والعهود، وقد كتبنا بيننا وبين القوم عهودًا، وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾[3].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علىّ وتعيين أمير عليهم، فاجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبي، فخطبهم خطبة بليغة زهَّدهم فى الدنيا ورغَّبهم فى الآخرة والجنة، وحثَّهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن مُنكرين لهذه الأحكام الجائرة، ... ثم قام حرقوص بن زهير فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل، وإن الفراق لها وشيك، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية: (٢١).

(٢) مسند أحمد (٢/ ٦٥٦)، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٣) سورة النحل: الآية: (٩١).

(٤) سورة النحل: الآية: (١٢٨).

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم، إن الرأى ما رأيتم وإن الحق ما ذكرتم، فولوا أمركم رجلًا منكم، فإنه لابد لكم من عماد وسنان، ومن راية تحفون بها، وترجعون إليها... فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائى -وكان من رؤوسهم- فعرضوا عليه الإمارة فأبى، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى، وعرضوها على شُريح بن أبى أوفى العبسى فأبى، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبى فقبلها، وقال: أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا، ولا أدعها فَرَقًا من الموت[1] -أي: خوفًا من الموت-.

واجتمعوا أيضًا فى بيت زيد بن حصن الطائى السنبيسى فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[3]، والآية التى بعدها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[4]، والآية التى بعدها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[5].

ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب، وجاروا فى القول والأعمال، وأن جهادهم حق على

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢)، تاريخ الطبرى (٥/ ٦٨٩).

(٢) سورة ص: الآية: (٢٦).

(٣) سورة المائدة: الآية: (٤٤).

(٤) سورة المائدة: الآية: (٤٥).

(٥) سورة المائدة: الآية: (٤٧).

المؤمنين، وبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال فى كلامه: اضربوا وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يُطاع الرحمن الرحيم، فإن أنتم ظفرتم وأُطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره، وإن فشلتم فأى شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته.

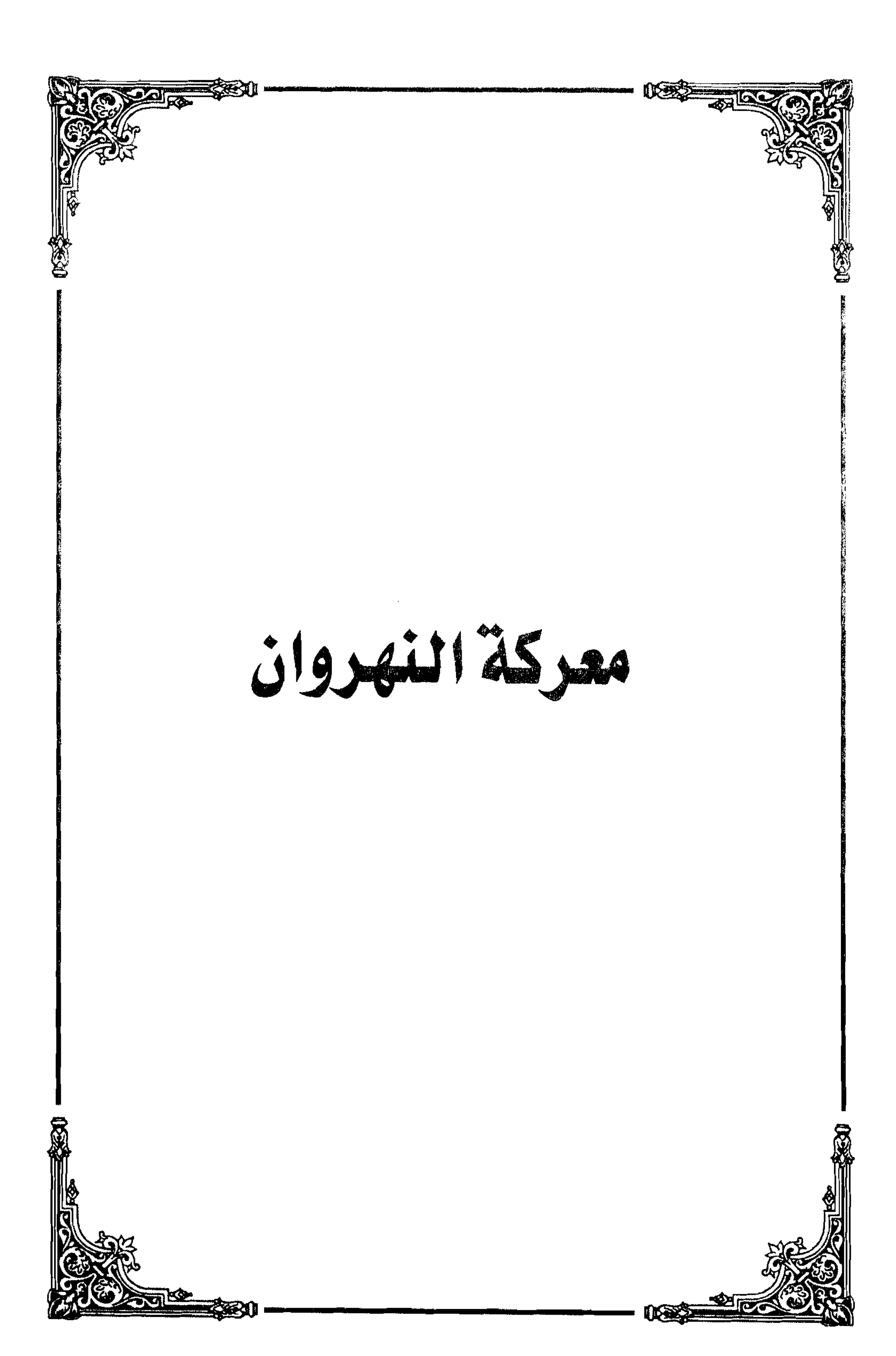
والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضُّلال، والأشقياء فى الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس، ويتحصنوا بها، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها، ويكون اجتماعهم عليها،... فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدرون عليها، فإن بها جيشًا لا تطيقونه وسيمنعونها منكم، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوخى ولا تخرجوا من الكوفة جماعات، ولكن اخرجوا وحدانًا لئلا يُفطَن بكم... فكتبوا كتابًا عامًّا إلى من هو على مذهبهم، ومسلكهم من أهل البصرة وغيرها، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يدًا واحدة على الناس، ثم خرجوا يتسللون وحدانًا لئلا يعلم أحدٌ بهم فيمنعوهم من الخروج، فخرجوا من بين الآباء والأمهات، والأخوال والخالات، وفارقوا سائر القرابات يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يُرضى رب الأرض والسماوات، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظائم والخطيئات، وأنه مما زيَّنه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود من السماوات، الذى نصب العداوة لأبينا آدم، ثم لذريته ما دامت أرواحهم فى أجسادهم مترددات.

وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم، فردوهم وأنَّبوهم ووبخوهم، فمنهم من استمر على الاستقامة ومنهم مَن فَرَّ بعد ذلك فلحق بالخوارج فخسر إلى يوم القيامة، ... وذهب الباقون إلى ذلك الموضع ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل البصرة وغيرها، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة[1].

۞ ولما تفرق الحَكَمان على غير رضا، كتب أمير المؤمنين عليٌّ إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان أن الحَكَمين تفرقا على غير رضا، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام، فأبوا ذلك، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب،.. فأبى[2].

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٢،٣١٣).

(٢) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه ضعف وله شواهد - نقلًا عن فكر الخوارج والشيعة/ للدكتور علي الصلابي.



معركة النهروان



معركة النهروان

وتعالوا بنا لنتعايش مع تفاصيل معركة النهروان التى انتصر فيها أمير المؤمنين علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هؤلاء الخوارج.

سبب المعركة

كانت الشروط التى أخذها أمير المؤمنين (علىٌّ) على الخوارج أن لا يسفكوا دمًا، ولا يُروعوا آمنًا، ولا يقطعوا سبيلًا، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب...ونظرًا لأن الخوارج يُكفِّرون مَن خالفهم ويستبيحون دمه وماله، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة فى الإسلام.

وقد تعددت الروايات فى ارتكابهم المحظورات، ومما صح من هذه الروايات ما حدَّث به شاهد عيان كان من الخوارج ثم تركهم حيث قال: صحبت أصحاب النهر، ثم كرهت أمرهم، فكتمته خشية أن يقتلوني، فبينما أنا مع طائفة منهم، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر، إذ خرج رجل من القرية مذعورًا يجر رداءه، فقالوا له: كأننا روَّعناك؟، قال: أجل، قالوا: لا روع لك، فقلت: والله يعرفونه ولم أعرفه، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله ﷺ؟. قال: نعم، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبى ﷺ؟، قال: سمعته يقول: إنه سمع النبى ﷺ ذكر فتنة فقال: «**القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشى فيها خير من الساعي، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول**»، فأخذوه وسُرِّيَّة له معهم، فمرَّ بعضهم على ثمرة ساقطة من نخلة، فأخذها فألقاها فى فيه، فقال بعضهم: ثمرة معاهد فبِمَ استحللتها؟ فألقاها من فِيه ثم مروا على خنزير

فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبِمَ استحللته؟

فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم، قال: أنا،... ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه.

يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء، كأنه شراك نعل اندفر بالماء حتى توارى عنهم[1]، ثم دعوا بالسرية وهى حُبلى، فبقروا عما فى بطنها.

يقول الراوي: لم أصحب قومًا هم أبغض إليَّ صحبة منهم، حتى وجدت خلوة فانفلتُّ[2].

ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلًا، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم ما على هذا فارقنا عليًّا[3].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة، لم يبادر أمير المؤمنين عليٌّ إلى قتالهم، بل أرسل إليهم أن يُسلِّموا القتلة لإقامة الحد عليهم، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة[4]، فسار إليهم بجيشه الذى قد أعدَّه لقتال أهل الشام فى شهر محرم من عام ٣٨هـ[5]، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان، ... والخوارج على الضفة الشرقية بحذاء مدينة النهروان[6].

---

(١) أى لم يختلط بالماء - تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥،٢٠٦).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٠،٣١١) بسند صحيح.

(٣) مجمع الزوائد (٦/ ٢٣٧،٢٣٨) إسناده صحيح.

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٠٨،٣٠٩) بسند صحيح.

(٥) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول - خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد (ص ٣٢٢).

(٦) تاريخ بغداد (١/ ٢٠٥،٢٠٦).

أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه يُحرض جيشه على القتال

۞ ولقد كان أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه يعلم يقينًا أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ومن أجل ذلك كان عليٌّ يحث أصحابه على قتالهم ويحرضهم على ذلك.

وكان لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه، فقد كان رضي الله عنه يحث جيشه على البدء بهؤلاء الخوارج، فقال: أيها الناس إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية**»، لو يعلم الجيش الذى يصيبونه ما قضى لهم على لسان نبيهم صلى الله عليه وسلم لاتكلوا على العمل، وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى عليه شعيرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم، والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا فى سرح الناس، فسيروا على اسم الله[(١)].

عليٌّ رضي الله عنه يرسل إليهم رُسله ليرجعوا عن ضلالهم

وعسكر الجيش فى مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال، حتى يجتاز الخوارج النهر غربًا،... وأرسل على رضي الله عنه

---

(١) مسلم (٧٤٨، ٧٤٩).

رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا، وأرسل إليهم البراء بن عازب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا[١]، ولم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله، واجتازوا النهر[٢]، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء، ورفضوا عنادًا واستكبارًا العودة إلى الحق وأصروا على القتال، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش، وتهيئته للقتال[٣]، فجعل على ميمنته حجر بن عدي، وعلى الميسرة شبث بن ربعي، ومعقل بن قيس الرياحي، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري، وعلى أهل المدينة – وكانوا سبعمائة- قيس بن سعد بن عبادة، وأمر عليٌّ أبا أيوب الأنصارى أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمِن، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمِن، إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون، وكانوا أربعة آلاف، فلم يبقَ منهم إلا ألف أو أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي، فرجعوا على عليٍّ وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائى السنبيسي، وعلى الميسرة شريح بن أوفى، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي، فوقفوا مقاتلين لعليٍّ وأصحابه[٤].

وبدأ القتال.. وانهزم الخوارج

وزحف الخوارج إلى عليٍّ، وقدَّم عليٌّ بين يديه الخيل، وقدَّم منهم

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٩٧)، خلافة علي/ عبد الحميد (ص ٣٢٤).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٥-٣٢٧).

(٣) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد (ص ٣٢٤).

(٤) تاريخ الخلافة الراشدة/ محمد كنعان، (ص ٤٢٥)، مختصر من البداية والنهاية.

الرُّماة وصَفَّ الرجالة وراء الخيالة، وقال لأصحابه: كُفُّوا عنهم حتى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، الرواح الرواح إلى الجنة، ... فحملوا على الخيالة الذين قدَّمهم عليٌّ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة، وأخرى إلى الميسرة فاستقبلتهم الرماة بالنبل، فرموا وجوههم، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فأناموا الخوارج فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول،... وقُتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب، وحرقوص بن زهير، وشريح بن أوفى، وعبد الله بن سخبرة السُّلمي[1].

وقال أبو أيوب: وطعنتُ رجلًا من الخوارج بالرمح، فأنفذته من ظهره وقلت له: أبشر يا عدو الله بالنار، فقال: ستعلم أيُّنا أولَى بها صِليًّا[2].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن فى اليقين،... وهذه الكلمة قالها عندما ضرب عليٌّ رضي الله عنه رجلًا من الخوارج بسيفه، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب: ما أدرى إلى الجنة أم إلى النار[3]، فقال رجل من بنى سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغترارًا بهذا وأراه قد شك، فانعزل بجماعة من أصحابه، ومال ألفٌ إلى أبى أيوب الأنصاري، وجعل الناس يتسللون[4].

وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتًا من اليوم التاسع من شهر

(١) تاريخ الخلافة الراشدة (ص ٤٢٥).

(٢) تاريخ الخلافة الراشدة (ص ٤٢٥).

(٣) أخبار الخوارج من الكامل للمبرد (ص ٢١)، خلافة علي (ص ٣٢٥).

(٤) المصدر نفسه (ص ٢١)، خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد (ص ٣٢٥).

صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٩/ ٢/ ٣٨هـ[١]، وأسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى فى صفوف الخوارج، وكان الحال على عكس ذلك تمامًا فى جيش أمير المؤمنين علىّ ﵁، فقتلى أصحاب علىٍّ فيما رواه مسلم فى صحيحه، وعن زيد بن وهب: رجلان فقط[٢]. وفى رواية بسند حسن قال: وقُتل من أصحاب علىٍّ اثنا عشر أو ثلاثة عشر[٣]. وجاء فى رواية صحيحة أن أبا مجلز[٤] قال: ولم يُقتل من المسلمين يقصد جيش علىٍّ إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبى برزة[٥]، فاسأله فإنه قد شهد ذلك[٦]، وأما قتلى الخوارج، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعًا[٧]، ويذكر المسعودى أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة، فَرُّوا بعد الهزيمة الساحقة[٨].

عليٌّ ﵁ يبحث عن ذى الثدية

ظهرت روايات مختلفة فى تحديد شخصية ذى الثدية، وهذه الرواية منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي،... وقد جاء فى الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية، فمن ذلك أنه أسود البشرة[٩]، وفى رواية: حبشي،

(١) أنساب الأشراف (٢/ ٦٣) بسند فيه مجهول.

(٢) مسلم (٢/ ٧٤٨).

(٣) مصنف ابن أبى شيبة (٥/ ٣١١)، تاريخ خليفة (ص ١٩٧) بسند حسن.

(٤) لاحق ابن حميد السدوسى البصرى ثقة من الطبقة الثالثة.

(٥) نضلة بن عبيد الأسلمى صحابى مشهور بكنيته - مات سنة ٦٥هـ.

(٦) المعرفة والتاريخ (٣/ ٣١٥)، تاريخ بغداد (١/ ١٨٢).

(٧) أخبار الخوارج من الكامل (ص ٣٣٨).

(٨) خلافة على بن أبى طالب (ص ٣٢٩)، تاريخ خليفة (ص ١٩٧).

(٩) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٤٦).

وأنه مخدج اليد - أى: ناقص اليد- ويده صغيرة مجتمعة، فهى من المنكب إلى العضد فقط، أى بدون ذراع، وفى نهاية عضده مثل حلمة الثدى وعليها شعيرات بيض، وعضده ليست ثابتة، كأنها بلا عظم إذ إنها تدردر أى: تتحرك تذهب وتجىء، أما مخدج اليد، أو مودون اليد أو مثدون اليد، فكلها بمعنى واحد وهو ناقص اليد[١].

۞ كان عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم، ... وكثيرًا ما كان يتعرض إلى ذكر ذى الثدية، وأنه علامة هؤلاء، ويسرد أوصافه، وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر عليٌّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أصحابه بالبحث عن جثة المُخدج، لأن وجودها من الأدلة على أن عليًّا رَضِوَاللَّهُعَنْهُ على حَقٍّ وصواب.

وبعد مدة من البحث مرت على عليٍّ وأصحابه وجد أمير المؤمنين عليٌّ جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر قال: أخرجوهم، فإذا المخدج تحتهم جميعًا مما يلى الأرض، فكبَّر عليٌّ ثُم قال: صدق الله، وبلَّغ رسوله وسجد سجود الشكر، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا[٢].

۞ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: «إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقُولَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَقُلْ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ» سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«سَيَخْرُجُ فِى آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِى قَتْلِهِمْ أَجْرًا، لِمَنْ**

---

(١) النهاية فى غريب الحديث (١/ ١٢،١٣) فتح البارى (١٢/ ٢٩٤،٢٩٥).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣١٧- ٣١٩) بسند صحيح.

قَتلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

۞ وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ الْجُهَنِيُّ، أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»، لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ، «**وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ، وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ، عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ**» فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَاللهِ، إِنِّي

---

(١) رواه مسلم (١٠٦٦) (١٥٤) كتاب الزكاة.

قَوْلُهُ ﷺ: «**فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا**» هَذَا تَصْرِيحٌ بِوُجُوبِ قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ، وَهُوَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ، قَالَ الْقَاضِي: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْبَغْيِ مَتَى خَرَجُوا عَلَى الْإِمَامِ وَخَالَفُوا رَأْيَ الْجَمَاعَةِ وَشَقُّوا الْعَصَا؛ وَجَبَ قِتَالُهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ وَالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ لَكِنْ لَا يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَا يُتْبَعُ مُنْهَزِمُهُمْ، وَلَا يُقْتَلُ أَسِيرُهُمْ، وَلَا تُبَاحُ أَمْوَالُهُمْ، وَمَا لَمْ يَخْرُجُوا عَنِ الطَّاعَةِ وَيَنْتَصِبُوا لِلْحَرْبِ لَا يُقَاتَلُونَ، بَلْ يُوعَظُونَ وَيُسْتَتَابُونَ مِنْ بِدْعَتِهِمْ وَبَاطِلِهِمْ. وَهَذَا كُلُّهُ مَا لَمْ يَكْفُرُوا بِبِدْعَتِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ بِدْعَةً مِمَّا يَكْفُرُونَ بِهِ جَرَتْ عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّينَ. وَأَمَّا الْبُغَاةُ الَّذِينَ لَا يَكْفُرُونَ فَيَرِثُونَ وَيُورَثُونَ، وَدَمُهُمْ فِي حَالِ الْقِتَالِ هَدَرٌ، وَكَذَا أَمْوَالُهُمُ الَّتِي تُتْلَفُ فِي الْقِتَالِ، وَالْأَصَحُّ أَنَّهُمْ لَا يَضْمَنُونَ أَيْضًا مَا أَتْلَفُوهُ عَلَى أَهْلِ الْعَدْلِ فِي حَالِ الْقِتَالِ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ. وَمَا أَتْلَفُوهُ فِي غَيْرِ حَالِ الْقِتَالِ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ ضَمِنُوهُ، وَلَا يَحِلُّ الِانْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنْ دَوَابِّهِمْ وَسِلَاحِهِمْ فِي حَالِ الْحَرْبِ عِنْدَنَا وَعِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَجَوَّزَهُ أَبُو حَنِيفَةَ. [مسلم بشرح النووي (٧/ ٢٣٧، ٢٣٨)].

لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِى سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ. قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِى زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا، حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ: لَهُمْ أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّى أَخَافُ أَنْ يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ، قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِى الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ، وَبَلَّغَ رَسُولُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَللَّهَ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي، وَاللهِ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ[1].

أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه .. ومعاملته للخوارج

عامَل أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعدها معاملة المسلمين،... فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره فى جنده أن لا يتبعوا مُدْبِرًا، أو يُذففوا على جريح، أو يُمثلوا بقتيل.

يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبى وائل – أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع عليٍّ حروبه– لم يَسْبِ عليٌّ يوم الجمل ولا يوم النهروان[2].

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٦) (١٥٦) كتاب الزكاة.

(٢) السنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٨٢) بسند صحيح.

وقد حمل رثة أهل النهر إلى الكوفة وقال: من عرف شيئًا فليأخذه فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها،... وهذه الرواية لها طرق عدة[١]، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط.

وأمير المؤمنين عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم يُكفِّر الخوارج، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة، وقد رجع كثير منهم، ووعظهم وخوَّفهم القتال.

يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك لأن المقصود كَفُّهم ودفع شرهم لا قتلهم، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال، لما فيه من الضرر بالفريقين، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين، كما قال بذلك كثير من العلماء[٢].

۞ وكان سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يسميهم الفاسقين، ... فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٣] أهم الحرورية؟، قال: لا، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى، أما اليهود فكذبوا بمحمدٍ ﷺ، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب، ... ولكن الحرورية: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٤].

---

(١) التلخيص الحبير (٤/ ٤٧).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٠٠،٣٠١)، نيل الأوطار (٨/ ١٨٢).

(٣) سورة الكهف: الآيتان: (١٠٣، ١٠٤).

(٤) سورة البقرة: الآيتان: (٢٦، ٢٧).

وكان سعد يسميهم الفاسقين[1]، ... وفى رواية عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لما سُئل عنهم: «هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم»[2].

وقد سُئل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: منافقون؟، قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: قومٌ بَغوا علينا فقاتلناهم، ... وفى رواية: قوم بغوا علينا فنُصرنا عليهم،... وفى رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصَمُّوا[3]، كما أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجَّه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إمامًا عادلًا فقاتلوهم، وإن خالفوا إمامًا جائرًا فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالًا[4].

۞ والمُلاحَظ فى قتال أمير المؤمنين علىّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للخوارج وقتاله فى الجمل وصفين، أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ندم وحزن على قتاله فى وقعة الجمل وصفين، أما فى قتاله مع الخوارج فكان يُظهر الفرح والسرور لقتالهم.

قال ابن تيمية: فإن النَّص والإجماع فرَّق بين هذا وهذا، فإنه قاتَل الخوارج بنَصِّ رسول الله ﷺ، وفرح بذلك، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر[5].

تغيُّر الموازين لصالح معاوية بعد معركة صِفِّين والنهروان

كان قتال أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلًا قويًّا

(١) صحيح البخاري، فتح البارى (٥/ ٨٤٢).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٤،٣٢٥) الاعتصام للشاطبى (١/ ٦٢).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١٥٠)، مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٣٢) بسند صحيح.

(٤) مصنف ابن أبى شيبة (١٥/ ٣٢٠)، فتح البارى (١٢/ ٣٠١) له سند صحيح عند الطبري.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٦) – نقلًا عن (فكر الخوارج والشيعة).

وحجة ظاهرة فى أنه مصيب فى قتاله لأهل الشام، وأنه أولى بالحق من معاوية،... فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**»[١]، فالقارئ يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة فى قتال أهل الشام لما تيقن لديهم هذه البراهين وغيرها مما سبق، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، إلا أنه بالرغم من ذلك فالذى حدث عكس ما هو متوقع منهم، فالخطة التى رسمها أمير المؤمنين على رضي الله عنه هى الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه وغاية يسعى إلى الوصول إليها،... وما حربه للخوارج إلا تأمين للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن فى العراق من الذرارى أثناء غيابه -كما ذكر ذلك فى خطبته- ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن، إذ لم يستطع رضي الله عنه غزو الشام حتى استُشهد[٢]، فلقد كان لخروج الخوارج أثر فى إضعاف جيش أمير المؤمنين على رضي الله عنه، كما أن الحروب فى الجمل وصفين والنهروان، تسببت فى ملل أهل العراق للحرب ونفورهم منها، وخاصة أهل الشام فى صفين، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم، فكم يُتِّمت أطفال ورُمِّلت نساء، بدون أن يتحقق مقصودهم، ولولا الصلح أو التحكيم الذى رحب به أمير المؤمنين (علىّ) وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامى لا يُتخيل آثارها السيئة، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علىٍّ رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم وتميل إليه نفوسهم، وإن كانوا

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٦٤).

(٢) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد على، (ص ٣٤٥).

يعلمون أن عليًّا على حق[١]،... ومن المعضلات التى أوهنت جانب أمير المؤمنين على رضي الله عنه خروج فرقة تغالى فى تعظيم أمير المؤمنين (عليٍّ) وترفعه إلى مقام الألوهية، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرءون من عليٍّ ويُكفرونه[٢]، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئًا وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة، وليس جيش عليٍّ فقط[٣]، ولقد تصدى لهم أمير المؤمنين علىّ رضي الله عنه -كما بيَّنا بحزمٍ وقوة-، ولا شك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب عليٍّ كثيرًا، تم تتابعت الفتوق على (عليٍّ) من بعد، ... فخرج الخريت بن راشد، وقيل اسمه الحارث بن راشد فى قومه من بنى ناجية، وكان من ولاة عليٍّ على الأهواز، فدعا إلى خلع عليٍّ، فأجابه خلقٌ كثير واحتوى على البلاد وجَبَى الأموال، فبعث إليه جيشًا بقيادة معقل بن قيس الرياحى فهزمه وقتله[٤]، وطمع أهل الخراج فى ناحية عليٍّ فى كسر الخراج، وانتقض أهل الأهواز، ولابد أن عليًّا واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية، وقد روى عن الشعبى فى هذا الخصوص قوله: لما قَتل عليٌّ أهل النهروان، خالفه قوم كثير، وانقضت عليه أطرافه، وخالفه بنو ناجية، وقدم ابن الحضرمى البصرة وانتقض أهل الأهواز، وطمع أهل الخراج فى كسره وأخرجوا سهل بن حنيف عامل على بن أبى طالب من فارس[٥].

(١) خلافة على بن أبى طالب، (ص ٣٤٥).

(٢) نظام الخلافة فى الفكر الإسلامي، (ص ١٥، ١٦) مصطفى حلمي.

(٣) خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد علي، (ص ٣٥٠).

(٤) تاريخ الطبرى (٦/ ٢٧ - ٤٧).

(٥) المصدر نفسه (٦/ ٥٣).

۞ فالشاهد أنه بعد معركة صفين بدأت الموازين تتبدل لصالح معاوية ﷺ فقد خرج الخوارج من جيش عليّ ﷺ وانشغل بقتالهم، بينما ازداد أمر معاوية قوة لا سيما بعد انتهاء أمر التحكيم، وعدم الوصول إلى حَلٍّ جذري، ...

وكان معاوية ﷺ يعمل بشتَّى الوسائل سرًّا وعلانيةً على إضعاف جانب أمير المؤمنين عليٍّ ﷺ، واستغل ما أصاب جيشه من تفكُّك وخلاف، فأرسل جيشًا إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص ﷺ سيطر عليها وضمَّها إليه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها:

(١) انشغال أمير المؤمنين عليّ ﷺ بالخوارج.

(٢) عامل أمير المؤمنين عليّ ﷺ على مصر محمد بن أبى بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدى الأنصاري، فدخل فى حرب مع المطالبين بدم عثمان، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالى السابق فهزموه.

(٣) اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان فى مصر فى الرأى ساعده فى السيطرة عليها[١].

(٤) بُعد مصر عن مركز أمير المؤمنين عليّ ﷺ وقربها من الشام.

(٥) طبيعتها الجغرافية فهى متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء وتمثل امتدادًا طبيعيًّا، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية ﷺ، ... قوة بشرية واقتصادية كبيرة، وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى الجزيرة العربية، ومكة

---

(١) مصنف عبد الرزاق، الطبقات لابن سعد (٣/ ٨٣) خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد على (ص ٣٥١) سنده صحيح.

والمدينة وإلى اليمن، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن رُدَّت على أعقابها عندما أرسل أمير المؤمنين عليٌّ مَن يصدها[١].

وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علىّ رضي الله عنه، فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه، عامل عليٍّ على مصر إليه فلم يستطع، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية عليٍّ ومستشاريه فيه فعزله[٢]، وكان عزل سعد بن قيس مكسبًا كبيرًا لمعاوية، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل عليٍّ رضي الله عنه على فارس ففشل فى ذلك[٣]، وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمنيهم ويعدهم به، ولما يرونه من علو أمر معاوية، وتفرُّق أمر عليٍّ رضي الله عنه إذ يقول فى إحدى خُطبه: إلا أن بسرًا قد اطلع من قِبَل معاوية، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرُّقكم عن حقكم، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم، ... استعملت فلانًا فغَلَّ وغدر وحمل المال إلى معاوية، واستعملت فلانًا آخر فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته، اللهم إنى أبغضتهم وأبغضونى فأرحهم منى وأرحنى منهم[٤].

استنهاض أمير المؤمنين (علىّ) همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه لهذه المصائب، وهذا التقاعس والتخاذل، فقد بذل جهده فى انتهاض همة جيشه بكل ما أُوتى من علم

(١) تاريخ خليفة، (ص ١٩٨) بدون سند.

(٢) ولاة مصر، (ص ٤٥، ٤٦).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦).

(٤) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ١٢٥) بسند منقطع وله شواهده.

وحُجة وفصاحة وبيان، ... فخُطبه الحماسية المشهورة -التى اشتهرت عنه، تعتبر من عيون التراث- لم يقلها من فراغ أو خيال، بل من مُرٍّ تجرعه وواقع أليم عاصره.

هذا ومن ناحية أخرى أخذ علىٌّ ﵁ يُذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة فى الإسلام، ... فيحدثنا عدد من شهود العيان أن عليًّا ﵁ ناشد الناس فى الرحبة: من سمع رسول يوم غدير خم يقول: «**ألستم تعلمون أنى أولى بالمؤمنين من أنفسهم**؟ قالوا: بلى، قال: **فمن كنت مولاه فعلىٌّ مولاه اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه**» فقام اثنا عشر رجل -وفى رواية- ستة عشر رجلًا فشهدوا بذلك[1]، وهذا يُذكرنا بعثمان ﵁ عندما كان يَستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام أهكذا يكون جزاؤه؟... مع اختلاف المناسبات.

المهادنة بين أمير المؤمنين علىّ ومعاوية ﵄

بالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع أمير المؤمنين ﵁ أن يحقق ما يريد، إذ لم يستطع أن يغزوا الشام بسبب التفكك والتصدع الذى حدث فى داخل جيشه، وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء فاضطر أمير المؤمنين علىّ ﵁ فى سنة أربعين للهجرة أن يوافق لمعاوية بن أبى سفيان ﵁ على أن يكون العراق له (أى: لعلىٍّ ﵁) والشام لمعاوية ﵁، ولا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[2].

---

(١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٠٥) إسناده صحيح.

(٢) خلافة على بن أبى طالب / عبد الحميد، (ص ٣٥٦).

قال الطبرى فى تاريخه: وفى سنة -٤٠هـ- جرت بين علىٍّ ومعاوية المهادنة بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما، ويكون لعلىٍّ العراق ولمعاوية الشام، فلا يدخل أحدهما على صاحبه فى عمله بجيش ولا غارة ولا غزو[1]. ويبدو أن هذه المهادنة لم تستمر، فمعاوية أرسل بسر بن أرطأة إلى الحجاز واليمن فى العام الذى استشهد فيه علىّ رضي الله عنه.

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٦).





مقتل عليٍّ رضي الله عنه



أمير المؤمنين عليّ يدعو الله أن يُعجِّل له الشهادة

۞ هادَن أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه.. ويبدو أن الهدنة لم تستمر... فمعاوية أرسل بسر بن أبى أرطأة إلى الحجاز فى العام الذى استُشهد فيه على رضي الله عنه[1]، ولما لم يتمكن عليٌّ رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد، ورأى خُذلانهم كَرِه الحياة وتمنى الموت، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ويطلب منه عز وجل أن يُعجل منيته، ... فمما روى عنه أنه خطب يومًا فقال: اللهم إنى قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحنى منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ... ووضع يده على لحيته[2]، وقد ألحَّ عليٌّ رضي الله عنه فى الدعاء فى أيامه الأخيرة، ... فعن جندب قال: ازدحموا على عليٍّ رضي الله عنه حتى وطئوا على رجله فقال: إنى قد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، فأرحنى منهم وأرحهم منى[3].

وفى رواية فلم يلبث إلا ثلاثًا أو نحو ذلك، حتى قُتل رحمه الله[4].

وقال الحسن بن علي: قال لى عليٌّ رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنح لى الليلة فى منامي، فقلت: يا رسول الله ماذا لقيتُ من أمتك من الأود واللدد؟[5]، قال: «**ادعُ عليهم**»، قلت: اللهم أبدلنى بهم من هو خيرًا منهم، وأبدلهم من هو شر منى لهم، قال الحسن رضي الله عنه: فخرج فضربه الرجل[6].

---

(١) التاريخ الصغير للبخارى (١/ ٤١)، خلافة على بن أبى طالب/ عبد الحميد (ص ٤٣١).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠ / ١٥٤) بإسناد صحيح، الطبقات (٣/ ٤) إسناده صحيح.

(٣) الآحاد والمثانى لابن أبى عاصم (١/ ٣٧) بإسناد حسن، خلافة علي، (ص ٤٣٢).

(٤) المحن، (ص ٩٩) لأبى العرب، خلافة علي/ عبد الحميد، (ص ٤٣٢).

(٥) الأود: العوج - اللدد: الخصومة.

(٦) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرشدين، (ص ٦٤٩).

علم أمير المؤمنين بأنه سيُستشهد

تفيد بعض أحاديث النبى ﷺ التى تُعَدُّ من دلائل نبوته ﷺ إخباره بأن عليًّا سيكون من الشهداء، ... فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد**»[(١)]، وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث، تخبر أن عليًّا سيُستشهد بأرض العراق وتبين كيفية اغتياله أيضًا، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد ﷺ، وبأنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي،... وقد أطلع النبى ﷺ عليًّا على ما سيحدث له، وقد آمن عليٌّ بذلك وأيقن، فكان يتحدث إلى الناس بذلك، فمما حدث من ذلك فى العراق،... إذ يروى عنه أبو الأسود الدؤلي، يقول أبو الأسود: سمعت عليًّا يقول: أتانى عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلى فى الغرز، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف، فقال عليٌّ: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ قبله يقوله.

قال أبو الأسود: فعجبت منه، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه[(٢)]، وحدث بهذا الحديث فى ينبُع قبل تولِّيه الخلافة على من عاده فى مرضه وهو أبو فضالة الأنصارى البدري رضي الله عنه: إنى لست ميتًا فى مرضى هذا، أو من وجعى هذا، إنه عَهِد إليَّ النبى ﷺ أنى لا أموت حتى تخضب

---

(١) مسلم (٤/ ١٨٨٠).

(٢) تاريخ الذهبي، عهد الخلفاء الرشدين، (ص ٦٤٨).

هذه -يعنى لحيته- من هذه - يعنى: هامته[1]- وحدَّث به الخوارج وحدَّث به أصحابه.

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا، إذ تفيد أن عليًّا رضي الله عنه يعرف هذا الشقى الذى سيقتله.

قال عليٌّ رضي الله عنه، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلنى بعد[2]، وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم أنه مقتول، فاعتذر عن ذلك.

فعن عبد الله بن سبع، قال: سمعت عليًّا يقول: لتخضبن هذه من هذا، فما ينتظر بى الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[3]، قال إذن تالله تقتلون بى غير قاتلي، قالوا: فاستخلِف علينا، قال: لا ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله ﷺ، قالوا: فما تقول لربك إذا لقيته؟ قال: أقول: اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[4]،... وعن على رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق ﷺ يقول: «**إنك ستُضرب ضربة ههنا** -وأشار إلى صدغيه- **فيسيل دمه حتى يخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود**»[5].

---

(١) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، (ص ٤٣٣) طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

(٢) الاستيعاب (٣/ ١٢٧).

(٣) نبير عترته: نهلك ذريته.

(٤) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) الموسوعة الحديثية - حسن لغيره.

(٥) خصائص أمير المؤمنين على بن أبى طالب (ص ١٦٣، ١٦٤)، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشى رحمه الله بالصحة.

استشهاد أمير المؤمنين عليّ ﷺ وما فيه من دروس وعبر وفوائد

لقد تركت معركة النهروان فى نفوس الخوارج جُرحًا غائرًا لم تزده الأيام والليالى إلا إيلامًا وحسرة، فاتفق نفرٌ منهم على أن يفتكوا بعلى ﷺ ويثأروا لمن قُتل من إخوانهم فى النهروان، ... وإليك تفصيل مقتله ﷺ .

اجتماع المتآمرين

كان من حديث ابن ملجم وأصحابه أن ابن ملجم والبُرَك بن عبد الله وعمرو بن بكر التيمى اجتمعوا، فتذاكروا أمر الناس، وعابوا على ولاتهم، ثم ذكروا أهل النهر، فترحَّموا عليهم، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعد قتل إخواننا الذين كانوا دُعاة الناس لعبادة ربهم، والذين كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسهم فأتينا أئمة الضلالة[1] فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد، وثأرنا بهم إخواننا.

فانبعث أشقى الآخرين: رجل يقال له: عبد الرحمن بن ملجم التميمي: وقال: أنا أكفيكم عليّ بن أبى طالب!

وقام رجلٌ آخر يُقالُ له: البرك بن عبد الله التميمي، وقال: أنا أكفيكم معاوية!

وقام رجلٌ ثالثٌ يُقالُ له: عمرو بن بكر التميمي، فقال: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

۞ فتعاهدوا وتواثقوا بالله لا ينكص رجلٌ منا عن صاحبه الذى توجَّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، ... فأخذوا أسيافهم، فسَمُّوها (غمسوها فى

---

(١) وكانوا يقصدون بأئمة الضلالة عليّ ومعاوية وعمرو بن العاص ﷺ.

السُّم بعد وضعها على النار) واتَّعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذى توجه إليه، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذى صاحبه فيه يطلب[1].

خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجنة

فأما ابن ملجم المرادى فكان عداده فى كِنْدة، فخرج فلقى أصحابه بالكوفة وكاتَمهم أمره كراهة أن يُظهروا شيئًا من أمره، فإنه رأى ذات يوم أصحابًا من تَيم الرباب -وكان علىٌّ قتل منهم يوم النهر عشرة- فذكروا قتلاهم، ولقى من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: قطام ابنة الشجنة - وقد قُتل أبوها وأخوها يوم النهر، وكانت فائقة الجمال، فلما رآها التبست بعقله، ونسى حاجته التى جاء لها، ثم خطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفى لي، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة آلاف وعبدٌ وقَينة وقتلُ على بن أبى طالب، ... قال: هو مهرٌ لك، ... فأما قتل علىٍّ فلا أراك ذكرته لى وأنت تريديني، قالت: بلى التمس غرته، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي، ويهنئك العيش معي، وإن قُتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها،... قال فوالله ما جاء بى إلى هذا المصر إلا قتل عليٍّ، فلك ما سألت، قالت: إنى أطلب لك من يسند ظهرك، ويساعدك على أمرك، فبعثت إلى رجلٍ من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان، فكلمته فأجابها، وأتى ابن ملجم رجلًا من أشجع يقال له: شبيب بن بجرة فقال له: هل لك فى شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل على بن أبى طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئًا إدًّا، كيف تقدر على عليٍّ؟! قال: أكمن له فى

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٥٩).

المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها، ... قال: ويحك لو كان غير عليٍّ لكان أهون عليَّ، قد عرفت بلاءه فى الإسلام، وسابقته مع النبى ﷺ وما أجدنى أنشرح لقتله، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى، قال: فنقتله بمن قُتل من إخواننا، فأجابه.

فجاءوا قطام وهى فى المسجد الأعظم معتكفة -فقالوا لها- قد أجمع رأينا على قتل عليٍّ.

قالت: فإذا أردتم فأتوني، ... ثم عاد إليها ابن ملجم فى ليلة الجمعة- التى قُتل فى صبيحتها علىٌّ رضي الله عنه سنة ٤٠ للهجرة- فقال: هذه الليلة التى وعدت فيها صاحبى أن يقتل كل منا صاحبه، فدعت لهم بالحرير فعصبتهم به، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها علىٌّ.

وكان قتلُ عليٍّ رضي الله عنه ميسورًا؛ لأنه كان ينطلق فى ظلِّ هذه الأزمة الحالكة وحده بدون حرس، فاختبأ له عبد الرحمن بن ملجم - عليه من الله ما يستحقه - وانتظر حتى يخرج عليٌّ كعادته ليوقظ المسلمين للصَّلاة وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه!

فلما خرج ضربه شبيب بالسيف، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق، وضربه ابن ملجم فى قرنه بالسيف .. وهرب وردان حتى دخل منزله فدخل عليه رجل من بنى أبيه وهو ينزع الحرير عن صدره، فقال: ما هذا الحرير والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف،... فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله، وخرج شبيب نحو أبواب كِنْده فى الغلس، وصاح الناس، فلحقه رجل من حضرموت يقال له عويمر، وفى يد شبيب السيف، فأخذه وجثم عليه

الحضرمى فلما رأى الناس قد أقبلوا فى طلبه، وسيف شبيب فى يده، خشى على نفسه، فتركه، ... ونجا شبيب فى غمار الناس فشدُّوا على ابن ملجم، فأخذوه، ... قال عليٌّ: علىَّ بالرجل، فأُدخل عليه، ثم قال: أى عدو الله، ألم أُحسن إليك؟، قال: بلى، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحًا، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه، ... فقال علىٌّ رضي الله عنه: لا أراك إلا مقتولًا به، ولا أراك إلا من شر خلقه [1].

قمة فى العدل والمروءة

۞ ولقى الإمام ربه أخيرًا مصابًا بضربة سيف مسموم كما لقيه من قبل عمر الفاروق مصابًا بضربة خنجر محموم!

وتأبى عظمة البطل إلا أن يكون آخر مشهد فى حياته جديرًا بها أكثر ما تكون الجدارة ودالًّا على حقيقته أصدق ما تكون الدلالة!

فإنه لم يكد يتلقى ضربة القدر فى رأسه، حتى حُمِل إلى داره..

وإذ هو فى لحظات الكارثة هذه، يأمر حامليه والحافين حوله أن يذهبوا إلى المسجد، ليدركوا صلاة الفجر قبل أن تؤذن بفوات هذه الصلاة التى كان يتهيأ لها حين حال الاغتيال الأثيم بينه وبين بلوغها أو إتمامها وحين يفرغون من صلاتهم ويعودون إليه كما يعود فى نفس الوقت، بعض الرجال ممسكين بالقاتل عبد الرحمن ابن ملجم يفتح الإمام عينيه، فتقعان عليه فيهز رأسه فى أسى حين يعرفه ويقول:

أهو أنت...؟ لطالما أحسنتُ إليك..!!

ويُلقى البطل العظيم على وجوه بنيه وأصحابه نظرة، فيراها تتفجر

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

غيظًا، وتضطرم نقمة، ويحس برد الموت يسرى فى أوصاله، ويكاد يرى المصير الذى سيحيق بـ «ابن ملجم»... يكاد يرى الانتقام المروع الذى سيثأر به أولاده، وأصحابه فيتقدم هو فى إصرار ليحمى قاتله من أية مجاوزة أو تخطٍّ لحدود القصاص المشروع.

وهكذا ناداهم إليه، وخرجت الكلمات من فمه مبحوحة فقال لبنيه، ولأهله: أحسنوا نُزله وأكرموا مثواه... فإن أعش فأنا أولى بدمه قصاصًا أو عفوًا.. وإن أَمُتْ فألحقوه بى، أخاصمه عند رب العالمين.. ولا تقتلوا بى سواه إن الله لا يحب المعتدين[1].

وفى هذه اللحظات ... وعليٌّ فى ساعاته الأخيرة لا يزال يتكلَّم، ولا يزال يُذكِّرُ وينصح، دخل عليه أصحابه، وقالوا: استخلِفْ على الأمَّة من بعدك الحسن بن عليٍّ؟ فأبى عليٌّ، وقال: «لا آمركم ولا أنهاكم - أي: باستخلاف الحسن - أنتم بأموركم أبصر. فقالوا له: فماذا تقول لربك (جلَّ وعلا) إن لقيته غدًا ولم تستخلف علينا؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: «أقول له: يا رب، تركتهم دون أن أستخلف عليهم، كما ترك رسول الله ﷺ أمته دون أن يستخلف عليهم!».

وصية أمير المؤمنين علىّ لولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم

دعا أمير المؤمنين عليٌّ حسنًا وحُسينًا، فقال: «أوصيكما بتقوى الله، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تبكيا على شيء زُوى عنكما، وقولا الحق، وارحما اليتيم، وأغيثا الملهوف، واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم ناصرًا، واعملا بما فى الكتاب ولا تأخذكما فى الله لومة

(١) خلفاء الرسول / أ. خالد محمد خالد (٥٩٨ - ٥٩٩) بتصرف.

لائم» ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، قال: فإنى أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك، لعظم حقهما عليك، فاتبع أمرهما، ولا تقطع أمرًا دونهما، ثم قال: أوصيكما به، فإنه ابن أبيكما، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه.

وقال للحسن: «أوصيك أى بُنى بتقوى الله،وإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة عند محلها، وحسن الوضوء، فإنه لا صلاة إلا بطهور، ولا تُقبل صلاة من مانع زكاة، وأوصيك بغفر الذنب، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الأمر، والتعهُّد للقرآن، وحُسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش»[1].

۞ فلما حضرته الوفاة أوصى، فكانت وصيته:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به على بن أبى طالب.

أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتى ونُسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا من المسلمين، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدى وأهلى بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا، فإنى سمعت أبا القاسم يقول: إن صلاح ذات البَين أفضل من عامة الصلاة والصيام، انظروا إلى ذوى أرحامكم فَصِلُوهم يُهون الله عليكم الحساب، ... الله الله في الأيتام، فلا تُعنوا أفواههم، ولا يضيعون بحضرتكم، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ﷺ، مازال يوصى به حتى

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٢).

ظننا أنه سيُورثه، والله الله فى القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله فى الصلاة فإنها عمود دينكم، والله الله فى بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم يناظر، والله الله فى الجهاد فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله فى الزكاة، فإنها تُطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، فلا يُظلَمن بين أظهركم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين، فأشركوهم في معايشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة لا تخافُن فى الله لومة لائم، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حُسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيولى الأمر أشراركم ثم تدعون فلا يُستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب...حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله» ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قُبض رضي الله عنه فى شهر رمضان سنة أربعين[1]، ... وجاء فى رواية أنه قُتل فى صبيحة إحدى وعشرين من رمضان[2]، وتُحمَل هذه الرواية على اليوم الذى فارق فيه الدنيا، لأنه بقى ثلاثة أيام بعد ضربة الشقى[3].

- وهكذا رحل الشهيد البطل الذى بشَّره النبى صلى الله عليه وسلم بالجنة.
- هكذا رحل أبو الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.
- رضى الله عن على بن أبى طالب وجمعنا به فى الفردوس الأعلى.

---

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٤).

(٢) التاريخ الكبير للبخارى (١/ ٩٩) بسند صحيح.

(٣) خلافة على بن أبى طالب، عبد الحميد، (٤٣٩).

وماذا فُعل بمعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما

وأما البُرَك بن عبد الله فإنه فى تلك الليلة التى ضُرب فيها علىٌّ قعد لمعاوية، فلما خرج ليصلى الغداة شَدَّ عليه بسيفه، فوقع السيف فى إليته، فأُخذ الرجل فقال لمعاوية: إن عندى خبرًا أسرك به الليلة فلأن أخبرتك فنافعى ذلك عندك؟ قال: نعم، قال: إن أخًا لى قتل عليًّا فى مثل هذه الليلة، قال: فلعله لم يقدر على ذلك، قال: بلى، إن عليًّا يخرج ليس معه أحد يحرسه.

فأمر به معاوية فقُتل، ... وبعث معاوية إلى الساعدى - وكان طبيبًا- فلما نظر إليه قال اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمى حديدة، فأضعها موضع السيف، وإما أن أسقيك شربة تقطع منها الولد، وتبرأ منها، فإن ضربتك مسمومة، فقال معاوية أما النار فلا صبر لى عليها، وأما انقطاع الولد فإن فى يزيد وعبد الله ما تقرّ به عيني... فسقاه تلك الشربة فبرأ، ولم يولد له بعدها... وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة، فلم يخرج، وكان اشتكى بطنه، فأمر خارجة بن حذافة، وكان صاحب شرطته، وكان من بنى عامر بن لؤي، فخرج ليصلي، فشد عليه فقتله وهو يرى أنه عمرو فضربه فقتله فأخذه الناس فانطلقوا به إلى عمرو يُسلِّمون عليه بالإمرة، فقال: من هذا؟ قالوا:عمرو قال:فمن قتلت؟ قالوا خارجة بن حذافة، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك، فقال عمرو: أردتنى وأراد الله خارجة... فقدَّمه عمرو فقتله[1].

(١) تاريخ الطبرى (٦/ ٦٥).

استقبال معاوية خبر مقتل عليّ

ولما جاء خبر قتل عليٍّ إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم[١]...وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له على بن أبى طالب رضي الله عنه عن ذلك،... فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام، فقال له: دعنى عنك[٢].

۞ وقد تعجب حينما تعلم أن معاوية طلب يومًا من ضرار بن ضمرة أن يصف له على بن أبى طالب ... ولله درُّ ضرار بن ضمرة الكنانى الذى وصف عليًّا رضي الله عنه وصفًا بليغًا؛ فقال: وهو يصف عليًّا رضي الله عنه: «كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى شَدِيدَ الْقُوَى، يَقُولُ فَصْلا وَيَحْكُمُ عَدْلا، يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ، يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَيَسْتَأْنِسُ بِاللَّيْلِ وَظُلْمَتِهِ، كَانَ وَاللهِ غَزِيرَ الدَّمْعَةِ طَوِيلَ الْفِكْرَةِ، يَقْلِبُ كَفَّهُ وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ، يُعْجِبُهُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا خَشُنَ وَمِنَ الطَّعَامِ مَا جَشَبَ، كَانَ وَاللهِ كَأَحَدِنَا يُجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ وَيَبْتَدِئُنَا إِذَا أَتَيْنَاهُ، وَيَأْتِينَا إِذَا دَعَوْنَاهُ، وَنَحْنُ وَاللهِ مَعَ تَقْرِيبِهِ لَنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لا نُكَلِّمُهُ هَيْبَةً [لَهُ] وَلا نَبْتَدِيهِ تَعْظِمَةً، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعَنْ مِثْلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَنْظُومِ، يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ، لا يَطْمَعُ القوى فى باطله ولا ييأس الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ، فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَرَأَيْتُهُ فِى بَعْضِ مَوَاقِفِهِ وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُجُوفَهُ وَغَارَتْ نُجُومُهُ، وَقَدْ مَثَلَ فِى مِحْرَابِهِ قَابِضًا عَلَى لِحْيَتِهِ

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٢) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

يَتمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا أَبِي تَعَرَضْتِ أَمْ بِي تَشَوَّفْتِ؟ هَيْهَاتَ غُرِّي غَيْرِي، قَدْ بَتَتُّكِ ثَلاثًا لا رَجْعَةَ لِي فِيكِ، فَعُمْرُكِ قَصِيرٌ وَعَيْشُكِ حَقِيرٌ وَخَطَرُكِ كَبِيرٌ، آهٍ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ الطَّرِيقِ[1].

۞ وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده، فسلمت عليه وجلست، فبينما أنا جالس إذ أتى بعليٍّ ومعاوية فأُدخلا بيتًا وأُجيف[2] الباب وأنا أنظر، فما كان بأسرع من أن خرج عليٌّ وهو يقول: غُفر لي ورب الكعبة، فما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة[3].

وروى ابن عساكر عن أبي زُرعة الرازي أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية فقال له: ولِمَ؟ قال: لأنه قاتَل عليًّا، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم وخصم معاوية خصم كريم فإيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما[4].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٨٤، ٨٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٣٤١)، وابن عساكر (٢٤/ ٤٠١، ٤٠٢).

(٢) أُجيف الباب: رُدَّ وأُغلق.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣).

(٤) البداية والنهاية (٨/ ١٣٣) نقلًا عن سيرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

بعض فضائل على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

۞ وها هى بعض فضائل أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ عَنْ أَبِى حَازِمٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ**». فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِى عَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ**». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(١).

۞ وَعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَمَرَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِى سُفْيَانَ سَعْدًا فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسُبَّ أَبَا التُّرَابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا مَا ذَكَرْتُ ثَلَاثًا قَالَهُنَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَنْ أَسُبَّهُ، لأَنْ تَكُونَ لِى وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَهُ، خَلَّفَهُ فِى بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ خَلَّفْتَنِى مَعَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي**» وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ خَيْبَرَ «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ**

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٤٢١٠) كتاب المغازي، ومسلم (٢٤٠٦) كتاب فضائل الصحابة.

وَرَسُولُهُ» قَالَ فَتَطَاوَلْنَا لَهَا فَقَالَ: «**ادْعُوا لِي عَلِيًّا**» فَأُتِيَ بِهِ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنِهِ وَدَفَعَ الرَّايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، ... وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾(١) دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «**اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»(٢).

۞ وَعَنْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عِصْمَةَ الْعِجْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ الرَّايَةَ فَهَزَّهَا، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ يَأْخُذُهَا بِحَقِّهَا**»، فَجَاءَ فُلَانٌ فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «**أَمِطْ**»، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: «**أَمِطْ**»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَأُعْطِيَنَّهَا رَجُلًا لَا يَفِرُّ، .. هَاكَ يَا عَلِيُّ**» فَانْطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ وَفَدَكَ، وَجَاءَ بِعَجْوَتِهِمَا وَقَدِيدِهِمَا(٣).

۞ وعَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زِرٍّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»(٤)(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (٦١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) رواه أحمد (٣/ ١٦) بإسنادٍ حسن.

(٤) المراد بالمحبة هنا المحبة الشرعية، أي: مَن أحبه لنَصره للإسلام ولشجاعته وتضحيته في سبيل الله، ثم سبيل نشر دينه ولفدائه رسول الله ﷺ بنفسه وسبقه للإسلام وغير ذلك من أمور الخير فذلك مؤمن، ...وكذلك من أبغضه؛ لأنه ناصر الإسلام وأسلم منذ الصغر وقتل صناديد الكفر إلى غير ذلك .. من أبغضه لذلك فهو منافق.
أما ما وقع بين الصحابة من اجتهادات أخطأ بعضهم فيها، وقاتل بعضهم بعضًا بسببها فلا يدخل في هذا الباب ... فمثلًا قد وقع لعليٍّ ما وقع مع طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم، والجميع مُبشَّر بالجنة فلا يجوز الحكم على أحدٍ منهم بالنفاق ... إذ الكل مُبشر بالجنة ويجب إعمال الأحاديث كلها. والله أعلم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٧٨) كتاب الإيمان.

۞ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اهْدَأْ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»(١).

۞ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَخْنَسِ قَالَ: خَطَبَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَنَالَ مِنْ فُلَانٍ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**النَّبِيُّ فِى الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِى الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِى الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِى الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِى الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِى الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِى الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِى الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِى الْجَنَّةِ**»، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أُسَمِّيَ الْعَاشِرَ(٢) -يقصد نفسه رضي الله عنه-.

۞ وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: بَعَثَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ تَبْعَثُنِى إِلَى قَوْمٍ هُمْ أَسَنُّ مِنِّى لِأَقْضِيَ بَيْنَهُمْ. قَالَ: «**اذْهَبْ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، وَيَهْدِى قَلْبَكَ**»(٣).

۞ وَعَنْ حُبْشِيِّ بْنِ جُنَادَةَ السَّلُولِيِّ - وَكَانَ قَدْ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَلِيٌّ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُ، وَلَا يُؤَدِّى عَنِّى إِلَّا أَنَا أَوْ عَلِيٌّ**»(٤).

۞ وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِى الْمَسْجِدِ أَنَا وَرَجُلَانِ، مَعِي، فَنِلْنَا مِنْ عَلِيٍّ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَضْبَانَ، يُعْرَفُ فِى وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَتَعَوَّذْتُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ، فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ وَمَا لِي؟**

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٧) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وأحمد، والضياء، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٠).

(٣) صحيح: رواه أبو داود، وأحمد، وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٥٠٠).

(٤) حسن: رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٠٩١).

مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي»[١].

۞ وَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي»[٢].

---

(١) رواه أبو يعلى (٢/ ١٠٩)، وأحمد فى فضائل الصحابة (١٠٧٨) بإسنادٍ حسن.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة.

بعض فضائل الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

۞كانت بشرى رسول الله ﷺ بمولد الحسن عظيمة، وكان ﷺ يحمله ويداعبه، ويدعوه ليتسلق صدره ويلعب معه، ... وترعرع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى حجر النبوة، ولاحظته عين الرعاية النبوية، والعناية المصطفوية، من ولادته حتى يفاعته، لاسيما شبهه بالنبى ﷺ ظاهر فى مُحيَّاه وأساريره، وقد تمتع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بمكانة كبيرة وتقدير عالٍ من جده الرسول الكريم ﷺ.

وهذا ليس لكونه سبطه فحسب، بل لما تحمله نفس الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صفاتٍ طيبة وخُلقٍ عالٍ وتواضع كريم[1].

وهذه بعض الأحاديث والمواقف التى تبين مكانة الحسن عند جده ﷺ.

۞ عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[2].

۞ وَعَنِ ابْنِ أَبِى نُعْمٍ، قَالَ: كُنْتُ شَاهِدًا لِابْنِ عُمَرَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ، فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا، يَسْأَلُنِى عَنْ دَمِ الْبَعُوضِ، وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ -أى: الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا**»[3].

۞ وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالْحَسَنَ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا**» أَوْ كَمَا قَالَ[4].

---

(١) الحسن بن على سيرته ودوره السياسى والإداري/ فتيخان كردى (صـ ٤٥)، الدوحة النبوية الشريفة (صـ ٧٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١٨٢).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٧٥٣) كتاب المناقب.

(٤) صحيح: رواه البخارى (٣٧٤٧) كتاب المناقب.

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةِ النَّهَارِ، لاَ يُكَلِّمُنِي وَلاَ أُكَلِّمُهُ، حَتَّى أَتَى سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَ بِفِنَاءِ بَيْتِ فَاطِمَةَ، فَقَالَ: «**أَثَمَّ لُكَعُ**[1]، **أَثَمَّ لُكَعُ**» فَحَبَسَتْهُ شَيْئًا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا تُلْبِسُهُ سِخَابًا، أَوْ تُغَسِّلُهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ حَتَّى عَانَقَهُ، وَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**»[2][3].

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، فَإِذَا سَجَدَ وَثَبَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَمْنَعُوهُمَا أَشَارَ إِلَيْهِمْ: أَنْ دَعُوهُمَا فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ وَضَعَهُمَا فِي حِجْرِهِ. فَقَالَ: «**مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّ هَذَيْنِ**»[4].

۞ وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ وَالحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وَإِلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»[5].

۞ وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، قَالَ: وَفَدَ الْمِقْدَامُ بْنُ مَعْدِي كَرِبَ وَعَمْرُو بْنُ الْأَسْوَدِ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْمِقْدَامِ: أَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ تُوُفِّيَ؟ فَرَجَّعَ الْمِقْدَامُ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَتُرَاهَا مُصِيبَةً؟ فَقَالَ: وَلِمَ لَا أَرَاهَا

---

(١) المراد باللُّكَع هنا: الصغير، وفى رواية البخارى (٥٨٨٤) أين لكع؟ ثلاثًا. ادع الحسن بن عليّ....

(٢) عند البخارى عقب حديث (٥٨٨٤): وقال أبو هريرة: فما كان أحد أحب إليَّ من الحسن بن على بعدما قال رسول الله ﷺ ما قال.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٢٢) كتاب البيوع، ومسلم (٢٤٢١) كتاب فضائل الصحابة.

(٤) صحيح: رواه أبو يعلى (٨/ ٤٣٤)، والنسائى (٦٧) بإسنادٍ حسن، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣١٢).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٣٧٤٦) كتاب المناقب.

مُصِيبَةً وَقَدْ وَضَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، وَقَالَ: «هَذَا مِنِّي وَحُسَيْنٌ مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنهما»[١].

۞ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ، قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه، وَحَمَلَ الحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: «بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ، لَيْسَ شَبِيهًا بِعَلِيٍّ» وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ[٢].

۞ وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسٌ، قَالَ: «لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشْبَهَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ»[٣].

۞ وَعَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْطُبُنَا فَأَقْبَلَ حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، وَيَقُومَانِ .. فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَخَذَهُمَا فَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٤]، رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ» ثُمَّ أَخَذَ فِي خُطْبَتِهِ[٥].

۞ وَعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخل الأقرع بن حابس على النبي ﷺ فرآه يُقبِّل إما حَسنًا وإما حُسينًا قال: تُقبله ولي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا منهم فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرحم لا يُرحم»[٦].

۞ وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمُصُّ لِسَانَ الحَسَنِ أَوْ شَفَتَهُ، ...وَإِنَّهُ لَنْ يُعَذَّبَ لِسَانٌ أَوْ شَفَتَانِ مَصَّهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ[٧]، ورواية معاوية للحديث يدل على محبته للحسن.

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني في صَحِيح الْجَامِع (٣١٧٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٧٥٠) كتاب المناقب.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٧٥٢) كتاب المناقب.

(٤) سورة التغابن: الآية: (١٥).

(٥) رواه ابن أبي شيبة (١٢٢٣٧) بإسنادٍ حسن.

(٦) صحيح: رواه مسلم (٢٣١٨) كتاب الفضائل.

(٧) رواه أحمد (٤/ ٩٣) إسناده صحيح - سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٥٩).

۞ وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لَقِيَ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فى بعض طرق المدينة، فَقَالَ لَهُ: «اكْشِفْ لِى عَنْ بَطْنِكَ -فداك أبي-، حتى أُقبِّل حَيْثُ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُ مِنْهُ»، قَالَ: فَكَشَفَ لَهُ عَنْ بَطْنِهِ، فَقبَّلَ سُرَّتَهُ[1].

---

(١) المستدرك (٣/ ١٦٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.





بيعة الحسن بن علي رضي الله عنهما

الحسن يتنازل عن الخلافة لمعاوية





بيعة الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

كانت بيعة الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فى شهر رمضان من سنة ٤٠هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم المرادي[١]، ... وقد اختار الناس الحسن بعد والده ولم يعين أمير المؤمنين أحدًا من بعده.

فعن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليًّا يقول: لتخضبن هذه من هذا[٢] فما ينتظر بى الأشقى[٣]. قالوا: يا أمير المؤمنين، فأخبرنا به نبير عترته[٤]، قال: إذن تالله تقتلون بى غير قاتلي. قالوا: فاستخلِف علينا قال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته، قال: أقول: اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم[٥]...وبعد مقتل (علىٍّ) صلى عليه الحسن ابن على وكبر عليه أربع تكبيرات، ودُفن بالكوفة، وكان أول مَن بايعه قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ، وسنة نبيه، وقتال المُحلِّين،... فقال له الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتى من وراء كل شرط ... فبايعه وسكت، وبايعه الناس[٦].

وقد اشترط الحسن بن علىٍّ على أهل العراق عندما أرادوا بيعته فقال

---

(١) الطبقات (٣/ ٣٥-٣٨) تحقيق د. إحسان عباس.

(٢) أى لتخضبن لحيته من دم رأسه.

(٣) مجمع الزوائد (٩/ ١٣٩) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) حسن لغيره.

(٤) نبير عترتَه: نهلك أقرباءه – لسان العرب (٤/ ٥) (٤/ ٥٣٨).

(٥) مسند أحمد (٢/ ٣٢٥) حسن لغيره – الموسعة الحديثية.

(٦) تاريخ الطبرى (٦/ ٧٣).

لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون مَن سالمت، وتحاربون مَن حاربت[١]، وفى رواية قال لهم: والله لا أبايعكم إلا على ما أقول لكم ... قالوا: ما هو؟ قال: تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت[٢]... وفى رواية ابن سعد: إن الحسن بن على بن أبى طالب بايع أهل العراق بعد عليٍّ على بيعتين، بايعهم على الإمرة، وبايعهم على أن يدخلوا فيما دخل فيه، ويرضوا بما رضى به[٣].

ويُستفاد من الروايات السابقة ابتداء الحسن رضي الله عنه فى التمهيد للصلح فور استخلافه والذى سيأتى تفصيله لاحقًا بإذن الله تعالي.

مدة خلافة أمير المؤمنين الحسن ومعتقد أهل السنة فى خلافته

استمر أمير المؤمنين الحسن بن عليٍّ بعد بيعته خليفة على الحجاز واليمن والعراق وغير ذلك نحو سبعة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل ستة أشهر ... وكانت خلافته هذه المدة خلافة راشدة حقة لأن تلك المدة كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التى أخبر النبى ﷺ أن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا[٤].

۞ قال رسول الله ﷺ: **«الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك»**[٥].

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ٧٧).

(٢) الطبقات تحقيق د. محمد السلمى (١/ ٢٨٦، ٢٨٧)

(٣) المصدر نفسه (١/ ٣١٦، ٣١٧) - نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي) / د.على الصلابي.

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة فى الصحابة (٢/ ٧٤٣).

(٥) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٤١).

وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال: وإنما كَمُلت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية فى ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ فإنه توفى فى ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله وسلامه عليه[1]، وبذلك يكون الحسن بن على رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين[2] وعند الإمام أحمد من حديث سفينة أيضًا بلفظ: «**الخلافة بعدى فى أُمتى ثلاثون عامًا ثم مُلكٌ بعد ذلك**»[3]. وعند أبى داود بلفظ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك من يشاء أو ملكه ما يشاء**»[4]، ولم يكن فى الثلاثين بعده ﷺ إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد قرر جمع من أهل العلم عند شرحهم لقوله ﷺ: «**الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة**». أن الأَشْهُر التى تولى فيها الحسن بن علىٍّ بعد موت أبيه كانت داخلة فى خلافة النبوة ومكملة لها فقد قال كل من:

(١) أبو بكر بن العربى رحمه الله: فنفذ الوعد الصادق فى قوله ﷺ ـ: «**الخلافة فى أمتى ثلاثون سنة ثم تعود ملكًا**». فكانت لأبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ وللحسن منها ثمانية أشهر لا تزيد ولا تنقص يومًا فسبحان المحيط لا رَبَّ غيره[5].

(٢) وقال القاضى عياض رحمه الله: لم يكن فى ثلاثين سنة إلا الخلفاء

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٢) مآثر الأنافة (١/ ١٠٥)، مرويات خلافة معاوية/ خالد الغيث (صـ ١٥٥).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٤١).

(٤) صحيح سنن أبى داود (٣/ ٨٧٩)، سنن أبى داود (٢/ ٥١٥).

(٥) أحكام القرآن لابن العربى (٤/ ١٧٢٠).

الراشدون الأربعة والأَشْهُر التى بويع فيها الحسن بن عليٍّ.. والمراد فى حديث: الخلافة ثلاثون سنة. خلافة النبوة فقد جاء مفسرًا فى بعض الروايات: «**خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا**»[١].

(٣) وقال **الحافظ بن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذى أوردناه فى دلائل النبوة[٢] من طريق سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «**الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا**»، وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي[٣].

صُلح الحسن بن علىّ مع معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

بويع الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيعة عامة، وبايعه الأمراء الذين كانوا مع والده.

وكل الناس الذين بايعوا لأمير المؤمنين علىٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وباشر سُلطته كخليفة، فرتَّب العمال وأمَّر الأمراء وجنَّد الجنود وفرق العطايا، وزاد المقاتلة فى العطاء .. مائة؛ فاكتسب بذلك رضاءهم[٤]، وكان فى وسعه أن يخوض حربًا لا هوادة فيها ضد معاوية، وكانت شخصيته الفذة من الناحية السياسية، والعسكرية، والأخلاقية، والدينية تساعد على ذلك مع وجود عوامل أخرى، كوجود قيس بن سعد بن عبادة، وحاتم بن عدى الطائى وغيرهما من قادة المسلمين الذين لهم من القدرات القيادية الشيء الكثير، إلا أن الحسن بن علىٍّ مال إلى السِّلم والصلح لحقن الدماء، وتوحيد

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (١٢/ ٢٠١).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٣) البداية والنهاية (١١/ ١٣٤).

(٤) تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموي، (ص ٦٧) - مقاتل الطالبيين، (ص ٥٥).

الأمة، ورغبة فيما عند الله وزهده في الملك،... وقد قاد الحسن بن عليٍّ مشروع الإصلاح الذي تُوِّج بوحدة الأمة، وظل زمام الموقف في جانبه وبيده ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما جاء في رواية البخاري.

وقد عبر عن ذلك عمرو بن العاص عندما قال: إني لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها[١]، وقال الحسن بن علي: كانت جماجم العرب بيدي تحارب مَن حاربت وتُسالم مَن سالمت[٢]، ولو لم يكن الحسن مرهوب الجانب لما احتاج معاوية رضي الله عنه إلى أن يفاوضه ويوافق على ما طلب من الشروط والضمانات، ولكان عرف ضعف جانب الحسن وانحلال قوته عن طريق عيونه، ولدخل الكوفة من غير أن يكلف نفسه مفاوضة أحد أو ينزل على شروطه، ومطالبه.

وتفوُّق جانب معاوية على الحسن لا مراء فيه فهل صَالَح الحسن معاوية لهذا السبب[٣]؟ .... قال ابن تيمية في منهاج السنة:

فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه وإن كان أقل ممن كان مع معاوية صنيع الذين قاتلوا خصومهم على قلة من كان معهم من الأعوان والأنصار، ولكن الحسن كان ذا خُلقٍ يجنح إلى السلم وكراهة الفتنة ونبذ الفُرقة، ...جعل الله به رأب الصدع، وجمع الكلمة [٤].

وكان رضي الله عنه يملك رؤية إصلاحية واضحة المعالم، خضعت لمراحل، وبواعث، وتغلبت على العوائق وكُتبت فيها شروط، وترتبت عليها نتائج،

---

(١) البخاري - كتاب الصلح رقم (٢٧٠٤).

(٢) المستدرك (٣/ ١٧٠) صحيح على شرط الشيخين.

(٣) دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين / بطاينة، (ص ٦٠، ٦١).

(٤) منهاج السنة (٤/ ٥٣٦)، دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، (ص ٦١).

وأصبح هذا الصلح من مفاخر الحسن بن على رضي الله عنهما على مر العصور وتوالى الأزمان، ... حتى قال الدكتور خالد الغيث حفظه الله: كان الحسن رضوان الله عليه فى صلحه مع معاوية رضي الله عنه، وحقنه لدماء المسلمين، كعثمان فى جَمْعِهِ للقرآن، وكأبى بكر فى الرِّدة [(١)]، ولا أدلَّ على ذلك فى كون هذا الفعل من الحسن يُعَدُّ عَلَمًا من أعلام النبوة، والحجة فى ذلك ما أخرجه البخارى من طريق أبى بكرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، والحسن بن على إلى جنبه ... وهو يُقْبِل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» [(٢)]... إن صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنه من الأحداث العظام فى تاريخ الأمة الإسلامية.

۞ وقد أسهم فى تبوُّؤ هذا الحدث لهذه المنزلة عدة أسباب منها:

(١) كونه علمًا من أعلام النبوة.

(٢) إن من ثمار هذا الصلح حقن دماء المسلمين وجمع كلمتهم على إمامٍ واحد بعد سنوات من الفُرقة.

(٣) كون الحسن رضي الله عنه أول خليفة يتنازل عن منصبه ويخلع نفسه طواعية، وبدون أي ضغوط، ومن مركز قوة لا من مركز ضعف، من أجل إصلاح ذات بَين المسلمين.

(٤) كون الحسن رضي الله عنه آخر خلفاء مرحلة النبوة.

من هذه الأسباب وغيرها امتلأت كتب العقيدة والسنة والتاريخ

---

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى / خالد الغيث، (ص ١٣٤).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧١٠٩).

والأدب وغيرها من المصادر بأخبار صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما[١].

أهم مراحل الصلح

المرحلة الأولى:

دعوة الرسول ﷺ للحسن بأن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين،... فتلك الدعوة المباركة التى دفعت الحسن رضي الله عنه إلى الإقدام على الصلح بكل ثقة وتصميم[٢]... فقد قال ﷺ: **«إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»**[٣].

فهذه الكلمة استولت على مشاعره، وامتزجت بلحمه ودمه، واعتبرها كوصيّة من الرسول ﷺ- وهو نبيه وجدُّه- وهو يتكلم بهذه الكلمات رأى السرور فى أسارير وجهه، والبريق فى عينيه ﷺ، فتمسك بها كهدفٍ من أهداف حياته، وكالمثل الأعلى له فى مستقبله، ... لقد كان الحسن زاهدًا فى الدنيا والملك والرئاسة، ولو أرادها لأدار الحرب الطحون سنين وسنين ولكنه كان ينظر إلى الدار الآخرة، ويريد حفظ دماء أمة محمد ﷺ.

قال الحسن البصرى: فلما ولى الحسن ما أهريق فى سببه محجمة دم[٤]، وكان يعلنها صريحة ويفتخر بذلك ويعتز بتنفيذه للوصية النبوية، وسلوكه مسلك التربية الإيمانية[٥]، فقد أصلح الله بالحسن بين أهل العراق والأمة كلها.

---

(١) سيرة أمير المؤمنين الحسن بن على / د. على الصلابى (ص ٢٨٦-٢٨٨) بتصرف.

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، (ص ١٢٥).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٧١٠٩).

(٤) دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٤٤٣)، الدوحة النبوية الشريفة، (ص ٩٥).

(٥) الدوحة النبوية الشريفة، (ص ٩٥).

۞ **المرحلة الثانية:**

شرط البيعة الذى وضعه الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أساسًا لقبوله مبايعة أهل العراق له، ... ذلك الشرط الذى نَصَّ على أنهم يُسالمون مَن يسالم ويحاربون مَن يحارب [١].

۞ **المرحلة الثالثة:**

وقوع المحاولة الأولى لاغتيال الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بعد أن كشف عن نيته فى الصلح مع معاوية رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، وهذه المحاولة يبدو أنها قد جرت بعد استخلافه بقليل، وهو ما أشارت إليه الروايات التالية: ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته من طريق أبى جميلة [٢]: أن الحسن بن على لما استُخلف حين قُتل علىٌّ، فبينما هو يصلى إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر - وزعم حصين بن عبد الرحمن السلمى أنه بلغه أن الذى طعنه رجل من بنى أسد - والحسن ساجد، ... قال: فيزعمون أن الطعنة وقعت فى وركه فمرض منها أشهرًا ثم برئ، فقعد على المنبر فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا، فإنَّا أُمراؤكم وضيفانكم، أهل البيت الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [٣].

قال: فما رأيت يومًا قط أكثر باكيًا من يومئذ [٤].

۞ **المرحلة الرابعة:**

خروج الحسن رَضِوَاللَّهُعَنْهُ بجيش العراق من الكوفة إلى المدائن، وإرساله

(١) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، (ص ١٥٦).

(٢) ميسرة بن يعقوب، أبو جميلة الطهوى الكوفى- ذكره ابن حبان فى ثقاته (٥/ ٤٢٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية: (٣٣).

(٤) الطبقات: تحقيق السلمى (١/ ٣٨١) إسناده صحيح.

للقوة الضاربة من الجيش وهى شرطة الخميس إلى مسكن بقيادة قيس بن سعد بن عبادة [١]،... وقد أشار ابن سعد فى طبقاته إلى ذلك فى الرواية التى أخرجها من طريق الشعبى، قال: بايع أهل العراق بعد على بن أبى طالب الحسن بن علىّ، ثم قالوا له: سِرْ إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، ارتكبوا العظيم وابتزوا [٢] الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يُمكِّن الله منهم، فسار الحسن إلى أهل الشام، وجعل على مُقدمته قيس بن سعد بن عبادة فى اثنى عشر ألفًا، وكانوا يسمون شرطة الخميس [٣].

من خلال الرواية السابقة يتضح أن أهل العراق هم الذين دفعوا الحسن رضي الله عنه إلى الخروج لقتال أهل الشام من غير رغبة منه، وهذا الأمر قد أشار إليه ابن كثير رحمه الله بقوله: ولم يكن فى نية الحسن أن يقاتل أحدًا، ولكن غلبوه على رأيه، فاجتمعوا اجتماعًا عظيمًا لم يُسمَع بمثله، فأمَّر الحسن بن على، قيس بن سعد بن عبادة، على المقدمة فى اثنى عشر ألفًا بين يديه، وسار هو بالجيوش فى أثره قاصدًا بلاد الشام، فلما اجتاز بالمدائن نزلها وقدم المقدمة بين يديه [٤]، وقد أظهر الحسن حنكة كبيرة دلَّت على سعة أفقه ودهائه وبصيرته، عندما لم يشأ أن يواجه أهل العراق من البداية بميله إلى مصالحة معاوية وتسليمه الأمر لأنه يعرف خفتهم وتهورهم، فأراد أن يقيم من مسلكهم الدليل على صدق نظرته فيهم، وعلى سلامة ما اتجه

(١) المصدر نفسه (١/ ٣٢١).

(٢) الابتزاز: أخذ الشيء بجفاء وقهر.

(٣) الطبقات، تحقيق السلمى (١/ ٣١٩ - ٣٢١) إسناده لا بأس به.

(٤) البداية والنهاية (١١/ ١٣٢).

إليه، ... فوافقهم على المسير لحرب معاوية وعبأ جيشه[١]، وكان خروج الحسن بن عليّ من الكوفة إلى المدائن فى شهر صفر من السنة التالية وهى سنة ٤١هـ[٢].

۞ المرحلة الخامسة:

خرج معاوية رضي الله عنه من الشام وتوجَّه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن بجيوشه.

يقول ابن سعد فى طبقاته: وأقبل معاوية فى أهل الشام يريد الحسن حتى نزل جسر منيح[٣]، ثم أضاف قائلًا: فأقبل من جسر منيح إلى مسكن فى خمسة أيام وقد دخل يوم السادس[٤]، وقد تأخر خروج معاوية وكان ذلك بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه، وكان معاوية قد أصيب إصابة بليغة من جراء محاولة الاغتيال التى تعرض لها من قِبَلْ الخارجى البُرَك بن عبد الله التميمى، حين خرج لصلاة الفجر، وهى المحاولةَ التى نُفِّذت فى نفس فجر اليوم الذى اغتيل فيه عليٌّ رضي الله عنه، وهو فجر يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ على الصحيح المشهور من الأقوال[٥].

وقد أشار الخلاَّل إلى شدة إصابة معاوية رضي الله عنه فى الرواية التى أخرجها من طريق جندب ... قال: كنا مع سعد بن أبى وقاص فى رَكْبٍ فنزل سعد ونزلت واغتنمت نزوله قال: فجعلت أمشى إلى جانبه فحمدت الله وأثنيت

---

(١) العالم الإسلامى فى العصر الأموي/ د. عبد الشافى محمد، (ص ١٠١).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، (ص ١٣٠).

(٣) جسر منيح: قرية فى الجزيرة الفراتية – الطبقات، السلمى (١/ ٣٢١).

(٤) الطبقات/ تحقيق السلمى (١/ ٣٢٣).

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١٣١).

عليه وقلت: إن معاوية طُعن طعنًا بيِّنًا لا أراها إلا قاتلته، وإن الناس[1] قاتلون بقية أصحاب الشورى، وبقية أصحاب رسول الله ﷺ، فأنشدك الله إن وليت شيئًا من أمرهم، أن تشق عصاهم وأن تُفرق جَمْعَهم، أو تدعوهم إلى أمر مهلكة.

فحمد سعدٌ الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فوالله لا أشق عصاهم ولا أُفَرِّق جمعهم، ولا أدعهم إلى أمر هلكة حتى يأتونى بسيفٍ يقول: يا سعد هذا مؤمن فدعه، وهذا كافر فاقتله[2].

وبينما الحسن فى المدائن، إذ نادى منادٍ من أهل العراق: إن قيسًا قد قتل فَسَرتْ الفوضى فى الجيش، وعادت إلى أهل العراق طبيعتهم فى عدم الثبات، فاعتدوا على سرادق الحسن ونهبوا متاعه حتى أنهم نازعوه بساطًا كان تحته، وطعنوه وجرحوه، وهنا حدثت حادثة لها دلالة كبيرة، فقد كان والى المدائن من قِبَل علىٍّ (سعد بن مسعود الثقفى) فأتاه ابن أخيه المختار ابن أبى عبيد بن مسعود، وكان شابًّا، فقال له: هل لك فى الغِنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية، فقال له عمه: عليك لعنة الله، أَثِبُ على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه، بئس الرجل أنت[3]، فلما رأى الحسن صُنع أصحابه أيقن أنه لا فائدة منهم، ولا نصر يُرجَى على أيديهم، وهذه كانت قناعته من البداية[4]، فدفعه ذلك إلى قطع خطوات أوسع والاقتراب أكثر من الصلح.

(١) يقصد الخوارج.

(٢) السنة للخلال / تحقيق د. الزهرانى، (ص ٤٧٤، ٤٧٥) إسناده صحيح.

(٣) تاريخ الطبرى (٥/ ١٥٩) نقلًا عن العالم الإسلامى فى العصر الأموي، (ص ١٠١).

(٤) العالم الإسلامى فى العصر الأموي، (ص ١٠١).

۞ المرحلة السادسة:

تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية، ووقوع الصلح بينهما رضوان الله عليهما،... فقد سجل الإمام البخارى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى الجمعان: جمع أهل الشام وجمع أهل العراق، وذلك فى الرواية التى أخرجها من طريق الحسن البصرى، قال: استقبل -والله- الحسن بن علىّ معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية -وكان والله خير الرجلين-: أى عَمرو، وإن قُتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، مَنْ لى بنسائهم، من لى بضيعتهم[(١)]؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس- عبد الرحمن بن سمرة، وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه. فأتياه، فدخلا عليه، فتكلما، وقالا له، وطلبا إليه، ... فقال لهما الحسن بن على: إنَّا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال[(٢)]، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها، ... قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك، قال: فمن لى بهذا؟[(٣)] قالا: نحن لك به[(٤)]، فما سألهما شيئًا إلا قالا: نحن لك به، فصالحه.

---

(١) قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: يشير -يقصد معاوية- إلى أن رجال العسكرين معظم من فى الإقليمين، فإذا قُتلوا ضاع أمر الناس وفسد حالهم بعدهم وذراريهم، والمراد بقوله: ضيعتهم: الأطفال والضعفاء سُمُّوا بما يؤول إليه أمرهم، لأنهم إذا تُركوا ضاعوا لعدم استقلالهم بأمر المعاش.

(٢) أى فرقنا منه فى حياة علىّ وبعده ما رأينا فى ذلك صلاحه، فنبه على ذلك خشية أن يرجع عليه بما تصرف فيه - الفتح (١٣/ ٦٩، ٧٠).

(٣) أى من يضمن لى الوفاء من معاوية - الفتح (١٣/ ٧٠).

(٤) أى نحن نضمن، لأن معاوية كان فوض لهما ذلك - الفتح (١٣/ ٧٠).

فقال الحسن البصرى: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر -والحسن بن على إلى جنبه- وهو يُقْبِل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**» .... وقد تحدث ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ عن الفوائد المستنبطة من رواية الصلح فقال:

(١) وفى هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة.

(٢) ومنقبة للحسن بن على، فإنه ترك المُلك لا لقلة، ولا لذلة، ولا لعلة، بل لرغبته فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى مصلحة الدين ومصلحة الأمة.

(٣) وفيها رَدٌّ على الخوارج الذين كانوا يُكفِّرون عليًّا ومن معه، ومعاوية ومن معه،... بشهادة النبى ﷺ بالطائفتين بأنهم من المسلمين.

(٤) وفيها فضيلة الإصلاح بين الناس ولاسيما فى حقن دماء المسلمين.

(٥) ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره فى تدبير الملك، ونظره فى العواقب.

(٦) وفيه ولاية المفضول الخلافة مع وجود الأفضل... لأن الحسن ومعاوية ولى كُلٌّ منهما الخلافة، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد فى الحياة وهما بدريان.

(٧) وفيه جواز خلع الخليفة نفسه، إذا رأى فى ذلك صلاحًا للمسلمين، والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال، وجواز أخذ المال على ذلك وإعطائه، بعد استيفاء شرائطه، بأن يكون المنزول له أولى من النازل،

وأن يكون المبذول من مال الباذل، فإن كان فى ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة فى ذلك عامة [(١)].

كما أخرج ابن سعد رَحِمَهُ اللهُ رواية لا تقل أهمية عن رواية البخارى فى الصلح، وتُعَدُّ مُكملة لها، وهى من طريق عمرو بن دينار [(٢)]: إن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما توفى علىٌّ بعث إلى الحسن، فأصلح الذى بينه وبينه سرًّا، وأعطاه معاوية عهدًا إن حدث به حدث والحسن حى لَيُسَمِّيَنَّه [(٣)]، وليجعلن هذا الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابن جعفر [(٤)]، والله إنى لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم فجذب بثوبى وقال: اقعد يا هَناه [(٥)]، واجلس، فجلست ... قال: إنى قد رأيت رأيًا وأحب أن تتابعنى عليه قال: قلت: ما هو؟ قال: قد رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأُخلى بين معاوية، وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسقطت فيها الدماء، وقُطعت فيها الأرحام، وقُطعت السُّبل، وعُطلت الفروج – يعنى الثغور– فقال ابن جعفر: جزاك الله عن أمة محمد، فأنا معك على هذا الحديث، ... فقال الحسن: ادع لى الحُسين، فبعث إلى الحسين فأتاه فقال: يا أخى قد رأيت رأيًا وإنى أحب أن تتابعنى عليه. قال:

---

(١) فتح البارى (١٣/ ٧١، ٧٢).

(٢) عمرو بن دينار المكى الجمحى مولاهم، ثقة ثبت، من الطبقة الرابعة مات ١٢٦هـ أخرج له الستة – التقريب، (ص ٤٢١).

(٣) أى يرشحه للخلافة من بعده – وعندما نتعرض لشروط الصلح، بإذن الله، سوف نبين أن الأمر الذى استقر هو أن يكون بعد وفاة معاوية شورى بين المسلمين.

(٤) أى: عبد الله بن جعفر.

(٥) يا هَناه: يا رجل.

ما هو؟ قال: فقَصَّ عليه الذى قال لابن جعفر ... قال الحسين: أُعيذك بالله أن تكذب عليًّا فى قبره وتصدق معاوية. قال الحسن: والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتنى إلى غيره، والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فأُطينه عليك حتى أقضى أمرى. قال: فلما رأى الحسين غضبه قال: أنت أكبر ولد علىٍّ، وأنت خليفته، أَمرُنا لأمرك تبعٌ، فافعل ما بدا لك [1].

ويُلاحَظ على روايتى البخارى وابن سعد اتفاقهما على أن معاوية رضي الله عنه كان صاحب المبادرة فى الاتصال بالحسن رضي الله عنه وعرض الصلح عليه [2].

من المبادر إلى الصلح: الحسن أم معاوية؟

وهنا قد يسأل سائل: من المبادر إلى الصلح، أهو الحسن رضي الله عنه الذى ورد حديث الرسول فى الصلح بحقه، والذى كاد أن يُقتَل فى المحاولة الأولى لاغتياله بسبب شرط البيعة الذى اشترطه على أهل العراق والذى يُفهَم منه عزمه على صلح معاوية، أم معاوية رضي الله عنه؟

وجواب ذلك: أن الرغبة فى الصلح كانت موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن رضي الله عنه إلى الصلح، وخطط له منذ اللحظات الأولى لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن، فكان عمل كل واحد منهما مكملًا للآخر رضوان الله عليهم أجمعين [3] ... والقدح المُعلَّى فى السعى فى نجاح الصلح للحسن.

---

(١) الطبقات / تحقيق السلمى (١/ ٣٣٠، ٣٣١).

(٢) مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى (ص ١٣٨).

(٣) المصدر نفسه، (ص ١٤١) نقلًا عن سيرة أمير المؤمنين الحسن بن على / د. على الصلابى.

موقف معاوية رضي الله عنه من قتلة عثمان رضي الله عنه

وقد يسأل سائل عما فعل معاوية بقتلة عثمان بعد صيرورة الخلافة إليه؟ ... ويجيب ابن قتيبة فى عيون الأخبار قائلًا: إن معاوية بن أبى سفيان لما قَدِم بعد عام الجماعة، دخل دار عثمان بن عفان، فصاحت عائشة بنت عفان بن عثمان وبكت ونادت أباها، فقال معاوية: يا ابنة أخى، إن الناس أعطونا طاعة، وأعطيناهم أمانًا، وأظهرنا لهم حلمًا تحته غضب، وأظهروا لنا ذلًا تحته حقد، ومع كل إنسان سيفه ويرى موضع أصحابه، فإن نكثناهَم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا، لأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خيرًا من أن تكونى امرأة من عرض الناس.

والذى يُعتد به من كلام ابن قتيبة ما جاء عن العهود والمواثيق التى أُبرمت بين معاوية والحسن، وقضت بالصلح بين الناس، ووضع الحرب، وحقن الدماء، وعدم تهييج النفوس، وإضافة إلى ذلك فإن السنوات الخمس التى احتضنت المعارك فى الجمل وصِفِّين والنهروان ومصر وغيرها ذهبت بأولئك الذين ترددت أسماؤهم بتهمة قتل عثمان، ومع ذلك فإن مسألة قتل عثمان ظلت حاضرة فى ذهن الخلفاء من بنى أمية ونوابهم فى الأغلب، وأما انتصار بنى أمية لعثمان كان حقيقة لا شبهة فيها [(١)].

كما أن الصحابة الذين بايعوا معاوية رضى الله عنهم جميعًا يُستحال أن يرضوا بسبِّ علىٍّ على منابر الدولة الأموية ولا يتكلم منهم أحد أو يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإليك أسماؤهم:

---

(١) دراسة فى تاريخ الخلفاء الأمويين، (ص ٧٠).

فقد روى عن الأوزاعى أنه قال: أكدت خلافة معاوية عدة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سعد، وأسامة وجابر، وابن عمر، وزيد بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، وأبو سعيد الخدرى، ورافع بن خديج، وأبو أُمامة، وأنس بن مالك، ورجال أكثر مما سَمَّيت أضعاف مضاعفة، كانوا مصابيح الهدى، وأوعية العلم، حضروا من الكتاب تنزيله، وأخذوا عن رسول الله تأويله، ... ومن التابعين لهم بإحسان إن شاء الله، منهم، عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبد الله بن محيريز فى أشباهٍ له، لم ينزعوا يده عن مجامعه فى أمة محمد ﷺ (١).

هل الحسن بن عليّ تنازل لمعاوية من موقف قوة أو ضعف؟

تنازل الحسن بن على رضي الله عنهما لمعاوية من موقف قوة وهناك دلائل تشير إلى ذلك منها:

(١) الشرعية التى كان يملكها الحسن:

فقد كانت بيعته فى شهر رمضان من سنة ٤٠هـ وذلك بعد استشهاد أمير المؤمنين على رضي الله عنه، وقد اختير الحسن بعده اختيارًا شوريًّا وأصبح الخليفة الشرعى على الحجاز واليمن والعراق، وكل الأماكن التى كانت خاضعة لوالده، وقد استمر فى خلافته ستة أشهر، وتلك المدة تدخل ضمن الخلافة الراشدة التى أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكًا.

(١) البداية والنهاية (٨/ ٣٣) نقلًا عن أثر العلماء فى الحياة السياسية فى الدولة الأموية/ عبد الله الخرعان (ص ٨٣).

قال ﷺ: «**الخلافة بعدى فى أمتى ثلاثون سنة ثم مُلكٌ بعد ذلك**»[1].

ولو أراد الحسن أن يتعب معاوية بحكم أن الشرعية معه لأمكن ذلك، ولرتَّب حملة إعلامية مُنظمة فى أوساط أهل الشام، لكسب ثقتهم أو على الأقل زعزعة موقف معاوية بينهم، فقد كان يملك قوة معنوية ونفوذًا روحيًا لا يُستهان به بحكم الشرعية التى يستند إليها، ولكونه حفيد الرسول ﷺ.

(٢) تقييم الحسن بن على للموقف وقدراته القيادية:

فعندما قال له نفير بن الحضرمى: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة، فقال: كانت جماجم العرب بيدى، يُسالمون مَن سالمت ويحاربون من حاربت، فتركتها ابتغاء وجه الله[2]. فهذه شهادة من الحسن رضي الله عنه، بأنه كان فى وضع قوة، وبأن أتباعه على استعداد لمحاربة من يريد أو مسالمتهم.

كما كان رضي الله عنه يملك من الملكات الخطابية والفصاحة البيانية، وصدق العاطفة وقوة التأثير، وقُربًا من رسول الله ﷺ ما يجعله أكثر قوة وتماسكًا.

(٣) إن صَفَّ الحسن بن على كان يملك من القيادات الكبيرة، كأخيه الحسين، وابن عمه عبد الله بن جعفر، وقيس بن سعد بن عبادة -وهو من دُهاة العرب- وعدى بن حازم وغيرهم، فلو أراد الخلافة لأعطى المجال لقياداته للتحرك نحو تعبئة الناس والدخول فى الحرب مع معاوية وعلى الأقل يكون خليفةً على دولته إلى حين.

(٤) كانت له قدرات خاصة فى التعامل مع أهل العراق ومعرفة نفوسهم ولذلك زاد لهم فى العطاء منذ بداية خلافته، كما أن مهمته التى قادها فى

---

(١) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٣٤١).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).

نجاح مشروعه الإصلاحى كانت أصعب من حربه لمعاوية، ومع ذلك تغلب على الكثير من العوائق التى واجهته ... فقد حاولوا قتله، ورفض بعض الناس الصلح، وغير ذلك من العوائق إلا أنه تغلب عليها كلها وحقق الأهداف التى رسمها من حقن الدماء، ووحدة الأمة، وأمن السبيل، وعودة حركة الفتوح.. إلخ .... مما يدل على قدراته القيادية الفذّة.

(٥)تقييم عمرو بن العاص، ومعاوية لقوات الحسن ﷺ:

فقد جاء فى البخارى: استَقبل والله (الحسن بن على) معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها. فقال معاوية-وكان خير الرجلين- أى عمرو: إن قتل هؤلاء هؤلاء مَنْ لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من لى بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس -عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز- فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فأعرضا عليه وقولا له، واطلبا إليه [(١)].

أ- فعمرو بن العاص رضي الله عنه القائد العسكرى الشهير والسياسى المحنك والذى عركته الحروب يقول: إنى أرى كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها.

ب-وأما معاوية رضي الله عنه، فتقييمه للموقف العسكرى بأنه لا يستطيع أحد أن ينتصر ويحقق حسمًا عسكريًا إلا بعد خسائر فادحة للطرفين ولا يستطيع معاوية حتى لو كان هو المنتصر أن يتحمل تركة الحرب من أرامل وأيتام وقتل خير المسلمين، وما يترتب على ذلك من مفاسد كبرى اجتماعية وسياسية واقتصادية، وأخلاقية للأمة الإسلامية وغيرها.

---

(١) صحيح: رواه البخارى (٢٧٠٤) كتاب الصلح.

ج- ولذلك اختار معاوية رضي الله عنه شخصيتين كبيرتين من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أصحاب النفوذ فى المجتمع الإسلامى ولهم حضور واحترام عند الحسن رضي الله عنه وهما من قريش:

۞ عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أبو سعيد القرشى العبشمى الأمير،... أسلم عبد الرحمن يوم الفتح وكان أحد الأشراف، نزل البصرة، وغزا سجستان [(١)]، وهو الذى قال له رسول الله ﷺ: يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وُكِّلت إليها [(٢)].

۞ عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ القرشى العبشمى [(٣)]... وُلد فى عهد رسول الله ﷺ وذلك فى السنة الرابعة من الهجرة [(٤)]، وعندما اعتمر الرسول الكريم ﷺ فى السَّنة السابعة للهجرة عمرة القضاء، ودخل مكة، حُمل إليه عبد الله بن عامر.

فالشخصيتان اللتان أرسلهما معاوية رضي الله عنه تدل على حرصه على نجاح الصلح مع الحسن بأى ثمن ممكن،... وقد ظل زمام الموقف بيد الحسن ابن على رضي الله عنه ويد أنصاره، وكانت جبهته العسكرية قوية كما مرّ معنا.

وقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية، بمن كان معه من الأنصار والأعوان، ولكن الحسن كان ذا خُلقٍ يجنح للسلم ويكره الفتنة وينبذ

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٧١).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٥٢) كتاب الإيمان.

(٣) البداية والنهاية (٨/ ٩١).

(٤) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٢).

الفُرقة،... وقد جمع الله به رأب الصدع وجمع الكلمة، وقد كان رسول الله ﷺ أشار[١] إلى ذلك فقال: «**إن ابنى هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٢].

كيف كنت العلاقة بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما بعد الصلح؟

كان الحسن بن على يَقْدُم على معاوية فى خلافته،... فقَدِمَ عليه ذات مرة فقال له معاوية: لأُجيزنك بجائزة ما أجزت بها أحدًا قبلك ولا أجيز بها أحدًا بعدك، فأعطاه أربع مائة ألف فقبلها[٣].

وجاء فى رواية: أن الحسن بن على كان يَفِدُ كل سنة إلى معاوية فيصله بمائة ألف درهم، فقعد سنة عنه ولم يبعث إليه معاوية بشىء فدعا بدواة ليكتب إليه فأغفى قبل أن يكتب فرأى النبى ﷺ فى منامه كأنه يقول: يا حسن أتكتب إلى مخلوق تسأله حاجتك وتدع أن تسأل ربك؟ قال: فما أصنع يا رسول الله وقد كَثُر دَينى؟ قال: قل اللهم إنى أسألك من كل أمر ضعفت عنه قوتى وحيلتى ولم تنتهِ إليه رغبتى، ولم يخطر ببالى ولم يبلغه أملى، ولم يجرِ على لسانى من اليقين الذى أعطيته أحدًا من المخلوقين الأولين والمهاجرين والآخرين إلا خصصتنى يا أرحم الراحمين. قال الحسن: فانتبهت وقد حفظت الدعاء فكنت أدعو به فلم يلبث معاوية أن ذكرنى فقيل له: لم يَقْدُم الحسن السنة، فأمر له بمائتى ألف درهم[٤].

---

(١) دراسة فى تاريخ خلفاء الدولة الأموية، (ص ٦١)- نقلًا عن (سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧١٠٩).

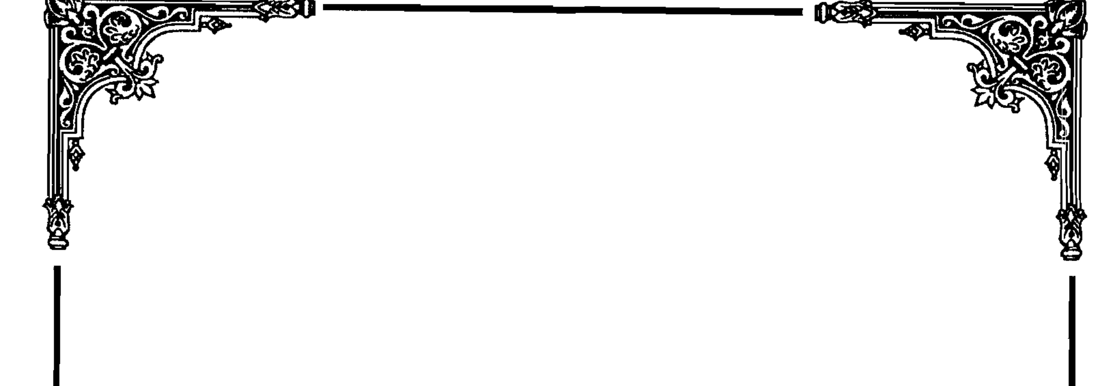
(٣) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٩).

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ٨).

۞ وجاء في رواية: بأن الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ للحسن في المنام هو: اللهم اقذف في قلبي رجاك، واقطع رجائي عما سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك. اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقَصُر عنه عملي، ولم تنتهِ إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي ولم يجرِ على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخُصَّني به يا رب العالمين، ... قال: فوالله ما ألححت به أسبوعًا حتى بعث إليَّ معاوية بألف ألف وخمس مائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى مَن ذَكَره، ولا يُخيب مَن دعاه، فرأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته حديثي، فقال: يا بُني هكذا من رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق(١).

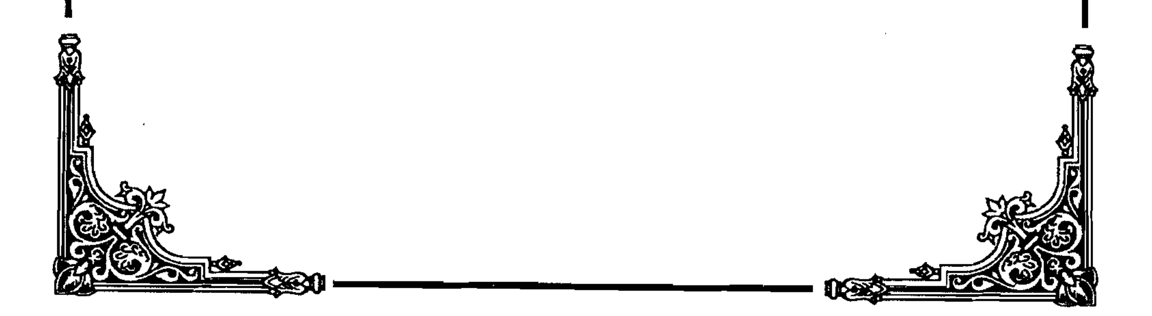
---

(١) تاريخ دمشق (١٤/ ٨).



واجب الأمة

نحو أصحاب الرسول ﷺ





واجب الأمة نحو أصحاب الرسول ﷺ

إن حقوق الصحابة رضي الله عنهم على الأمة من أعظم الحقوق وأوجبها.... ومنها:

الحق الأول: محبتهم رضي الله عنهم وأرضاهم:

فإنه يجب على كل مسلم أن يحب أصحاب رسول الله ﷺ فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ففى الصحيح عن النبى ﷺ قال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**»[1]، وقال فى الأنصار: «**لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**»[2] وإذا كان هذا فى الأنصار فإن المهاجرين أولى بالحب؛ لأنهم أفضل فى الجملة لما لهم من السابقة إلى الإسلام والهجرة مع النصرة، وورد تقديمهم فى الذكر على الأنصار فى نصوص كثيرة بيَّنت فضل الجميع وما وعدهم الله من الثواب الكريم والأجر العظيم رضوان الله عليهم أجمعين.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال ابن أبى ليلى: الناس على ثلاث منازل: المهاجرين، والذين تبوؤوا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم. فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل...وقال بعضهم: كن شمسًا، فإن لم تستطع فكن قمرًا، فإن لم

(١) متفق عليه: رواه البخارى (١٧) كتاب الإيمان، ومسلم (٧٤) كتاب الإيمان.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٣٧٨٣) كتاب المناقب، ومسلم (٧٥) كتاب الإيمان.

(٣) سورة الحشر: الآية: (١٠).

تستطع فكن كوكبًا مضيئًا، فإن لم تستطع فكن كوكبًا صغيرًا، ومن جهة النور لا تنقطع....ومعنى هذا: كن مهاجريًّا. فإن قلت: لا أجد، فكن أنصاريًّا. فإن لم تجد فاعمل كأعمالهم، فإن لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمرك الله [(١)].

۞ وإذا كان النبى ﷺ قد قال: «**أوثق عُرى الإيمان: الموالاة فى الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله عَزَّ وَجَلَّ**» [(٢)].

وقال ﷺ: «**من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» [(٣)]... فإن كان هذا فى حق آحاد المؤمنين فكيف تكون محبتنا لأصحاب سيد المرسلين ﷺ ؟!

۞ الحق الثانى: الاعتراف بفضلهم ومكانتهم العالية:

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم المخاطَبون بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [(٤)]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [(٥)] فهم أول وأفضل وأحق من يدخل فى هذا الخطاب، وصح الحديث عن النبى ﷺ أنهم خير قرون هذه الأمة وأنهم خير الناس وأنهم يوم القيامة يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله عَزَّ وَجَلَّ، والنصوص

---

(١) تفسير القرطبى (١٨/ ٣٢، ٣٣).

(٢) صحيح: رواه الطبرانى (١١/ ٢١٥)، والبيهقى فى شعب الإيمان (٧/ ٧٠)، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٦٨١) كتاب السنة، وصححه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى السلسلة الصحيحة (٣٨٠).

(٤) سورة آل عمران: الآية: (١١٠).

(٥) سورة البقرة: الآية: (١٤٣).

من الكتاب والسنة فى بيان فضل الصحابة وفضائلهم والثناء عليهم ووعدهم بالأجر العظيم والثواب الكريم أكثر من أن تُحصر.

ومن نظر فى سيرتهم وتأمل أحوالهم وما جاء من النصوص بشأنهم وما هم عليه من الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله وبذل النفس والنفيس فى سبيل الله لإعلاء كلمته ونصرة رسوله ﷺ وإظهار دينه مع ما هم عليه من الإيمان بالله والصدق مع الله والمسارعة إلى الخير والعلم النافع والعمل الصالح إلى غير ذلك من صفاتهم الفاضلة علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأنهم أفضل هذه الأمة علمًا وعقلًا ودينًا وأنهم كانوا على الهدى المستقيم وأنه ما كان ولا يكون ولن يكون مثلهم فى خصائصهم ومناقبهم رضي الله عنهم.

لذا اتفق أهل السنة والجماعة على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ثقات لا يفتش عن عدالة أحد منهم، وذلك لما ورد فى نصوص الكتاب والسنة من تزكيتهم والثناء عليهم ووصفهم بالخيرية والوسطية والصدق إلى غير ذلك من خصائصهم وفضائلهم فلا يُترك العلم المتيقن المحقق الثابت لأمر مشكوك فيه بل مقطوع بكذبه مما اختلقه وتفوّه به أهل الأهواء وأشباههم والجهال وأعداء الإسلام.

۞ وما يُروى فى حقهم من المثالب:

(١) إما أن يكون كذبًا محضًا.

(٢) وإما أن يكون محرفًا قد دخله من الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن.

(٣) والصحيح من ذلك هو من موارد الاجتهاد التى إن أصاب فيه

المجتهد فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه مغفور.

فما وقع منهم رضي الله عنهم إن ثبت فهو عن اجتهادهم فيه.. فهم معذورون ومأجورون على كلا الحالين.

❁ قال الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى:

«ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط فى حُبّ أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم. ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم. ولا نذكرهم إلا بخير. وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ».

❁ الحق الثالث: التلقِّى عنهم وحسن التأسى بهم:

أما عن الحق الثالث من حقوق الصحابة رضي الله عنهم فهو: التلقى عنهم وحسن التأسى بهم فى العلم والعمل والدعوة والأمر والنهى ومعاملة عامة الأمة والغلظة على خصوم الملة فإنهم رضي الله عنهم أعلم الأمة بمراد الله تعالى فى كلامه ومراد الرسول ﷺ فى سنته وأوفقهم عملًا بالكتاب والسنة وأكمل نصحًا للأمة وأبعد الأمة عن الهوى والبدعة.

❁ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان مستنًا فليستنَّ بمن قد مات، فإن الحى لا تؤمَن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا قد اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم»[1].

(١) أخرجه ابن عبد البر فى جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧)، والهروى ورقمه (٨٦)، وفيه من طريق قتادة عنه فهو منقطع، قاله الألبانى فى تخريج المشكاة (ص: ١٩٣).

۞ **الحق الرابع: الترحُّم عليهم والاستغفار لهم:**

الترحم عليهم والاستغفار لهم تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾(١).

فحقوق الصحابة على الأمة من أعظم الحقوق فإنهم خيار الناس بعد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ورضى الله عن الصحابة أجمعين.

۞ وأهل السنة والجماعة لا يعتقدون عصمة أحد من الصحابة ولا القرابة لا السابقين ولا غيرهم ممن لقى النبى ﷺ بل يجوز عند أهل السنة وقوع الذنوب منهم فى الجملة من كبائر الإثم وصغائره لكن الله تعالى يغفر لهم بأسباب قيضها لهم منها:

(١) بالتوبة ويرفع درجاتهم بها.

(٢) ويغفر لهم بالحسنات الماحية.. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾(٢).

وهم رضي الله عنهم أعظم الأمة صدقًا فى الإيمان وتصديقًا للرسول ﷺ ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم - إن صدر.

(٣) حتى إنهم يُغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لغيرهم ممن بعدهم وقد ثبت بقول النبى ﷺ أنهم خير القرون وأن المُد من أحدهم إذا تصدق

(١) سورة الحشر: الآية: (١٠).

(٢) سورة الزمر: الآيتان: (٣٣، ٣٤).

به كان أفضل من مثل جبل أُحد ذهبًا ممن بعدهم.

(٤) ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه فإنهم أعظم الأمة خشية لله ومسارعة إلى التوبة وأسباب المغفرة وبعدًا عن الإصرار.

(٥) وأيضًا فإن لهم من فضل السابقة وعظم الحسنات الماحية، وغير ذلك مما خصهم الله به مع ما ابتُلوا به من المصائب المكفرة.

(٦) ثم إنهم أيضًا أحق الناس بشفاعة النبى ﷺ إلى غير ذلك من أسباب المغفرة.

فإذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف بالأمور التى كانوا فيها مجتهدين مأجورين... المصيب منهم له أجران؛ أجر على الاجتهاد وأجر على الإصابة والمخطئ له أجر اجتهاده وخطؤه مغفور له.

۞ الحق الخامس: الحذر من إشاعة ما نُسب إليهم من مساوئ:

الحذر من إشاعة ما قد نسب إلى أحد منهم من مساوئ فإن جملته كذب مختلق من أهل الأهواء والغلو والعصبية.

وما قد يثبت ظاهره فلا يدرى ما وجهه.. وإشاعة ذلك من دواعى تسويد القلوب بالغل عليهم والوقيعة فيهم وأسباب بغضهم والقدح فيهم وتلك من كبائر الذنوب وأعظم أسباب غضب علام الغيوب.

۞ الحق السادس: الكف عن الخوض فيما شجر بينهم:

الكف عن الخوض فيما شجر بينهم من خلاف.. واعتقاد أنهم مجتهدون مأجورون فالمصيب له أجران والمخطئ له أجر وخطؤه مغفور لاجتهاده.

فلقد زلّت أقدام وأقلام كثير ممن كتبوا عن الخلاف الذى دار بين أصحاب النبى ﷺ... وضلّت أفهام كثير منهم... وأعان على ذلك بعض أعداء الإسلام الذين دسّوا معلومات مزوّرة... بقصد تهميش دورهم، والتقليل من شأنهم.. وتقليص ظلّهم.. فسمعنا من المسلمين من يَسُبّ «معاوية بن أبى سفيان» رضي الله عنه، ويشتم «عمرو بن العاص» رضي الله عنه وغيرهما من أصحاب الرسول ﷺ الكرام.. وصَمُّوا آذانهم عن تحذير نبيهم.. وأعموا أبصارهم عن مشوار جهادهم.. وبذلهم لأموالهم فى سبيل إعزاز الدين والتمكين له!! حقًّا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1] [2].

۞ ولذا أجمع أهل السنة والجماعة على وجوب السكوت عن الخوض فى الفتن التى جرت بين الصحابة رضي الله عنهم - بعد مقتل عثمان رضي الله عنه - والاسترجاع على تلك المصائب والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم.

قال أحد السلف لما سُئل عن القتال بين الصحابة رضي الله عنه: «تلك دماء وأشلاء طهر الله منها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا ثم قرأ قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[3].

فالواجب حفظ فضائل الصحابة والاعتراف بسابقتهم ونشر مناقبهم والاعتقاد أن كل واحد منهم مجتهد لم يتعمد الخطأ فمن أصاب فله أجران

---

(١) سورة الحج: الآية: (٤٦).

(٢) موسوعة الحقوق الإسلامية (ص: ٦٢٨).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٣٤).

ومن أخطأ فله أجر وخطؤه مغفور.

وما روى من الأحاديث فى مساويهم فالكثير منه مكذوب ومنه ما قد روى وزيد فيه أو نُقص منه وغُيِّر من وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون - لعدم العمد - ثم إن القدر الذى يُنكَر من فعل بعضهم قليل مغمور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والهجرة والنصرة والجهاد فى سبيل الله والعلم النافع والعمل الصالح فإن مَن نظر بعلم وبصيرة فى سيرة القوم وما منَّ الله عليهم به من الفضائل عَلِم علمًا يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل.

۞ الحق السابع: اعتقاد حُرمة سب الصحابة رضي الله عنهم:

اعتقاد حرمة سبهم أو أحد منهم - ولعنهم أشد حرمة - لأن ذلك من تكذيب الله تعالى فى تزكيتهم والثناء عليهم ووعدهم بالحسنى، ولما فيه من سوء أدب مع النبى ﷺ الذى نهى عن سبهم.

وما فيه من ظلمهم والتعدى عليهم وهم خاصة أولياء الله تعالى بعد النبيين والمرسلين وقد قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[1].

وفى الحديث القدسى الصحيح يقول تعالى: «**من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب**»[2].

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**لا تسُبُّوا أصحابى،**

---

(١) سورة الأحزاب: (٨٥).

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٥٠٢) كتاب الرقاق.

فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

وعن عبد الله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: «**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي لهم أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبَّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل**»(٣).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ، وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان، والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه، وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا.

فمن طعن فيهم، أو سبهم، فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم، وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨٧)، (٥/ ٥٤، ٥٧)، وقال محققه: إسناده حسن، ورواه أيضًا الترمذي رقم (٣٨٦٢) وغيره.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٣٢)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة، والوسائط من المنقول، والطعن فى الوسائط طعن فى الأصل والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول، وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد فى عقيدته»[١].اهـ.

۞ الحق الثامن: الدفاع عن الصحابة والذود عن أعراضهم:

فلقد سمعنا فى هذا الزمان من يسب أصحاب النبى ﷺ ويتهمهم بأشنع التهم التى تُدمى القلب - ولا حول ولا قوة إلا بالله - ونسى هؤلاء جميعًا وصية النبى ﷺ حين قال: «لا تسبوا أصحابى».

۞ وإن كان من الواجب مع كل مسلم أن ينصر أخاه المسلم وأن يدافع عنه ولا يتأخر عن نُصرته بنفسه وبحاله وبالذب عن عرضه.. فما الظن بالدفاع عن أصحاب النبى ﷺ.

قال ﷺ: «ما من امرئ يخذل امرًا مسلمًا فى موطن يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من أحد ينصر مسلمًا من موضع ينتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته»[٢].. وقال ﷺ: **«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»**. قيل: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: **«تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره»**[٣].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه..»[٤].

(١) الكبائر للإمام الذهبى (ص: ٢٧٦) كبيرة سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٢) حسن: رواه أبو داود (٤٨٨٤) كتاب الأدب، وأحمد (١٥٩٣٣)، وحسنه العلامة الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٩٠).

(٣) صحيح: رواه البخارى (٦٩٥٢) كتاب الإكراه.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب.

۞ وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه ﵁ عن النبي ﷺ قال: «من حمى مؤمنًا من منافق بعث الله ملكًا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلمًا يريد به شينه؛ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال»(١).

وقال ﷺ: «من ذَبَّ عن عرض أخيه بالغَيبة؛ كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار»(٢).

۞ ولله در الإمام ابن القيم ﵀ عندما قال:

قل لي متى سلم الرسول وصحبه ... والتابعون لهم على الإحسانِ

من جاهلٍ ومعاندٍ ومنافقٍ ... ومحاربٍ بالبغي والطغيانِ

وتظن أنك وارثًا لهم وما ... نلت الأذى في نصرة الرحمن

كلا ولا جاهدت حق جهاده ... في الله لا بيدٍ ولا بلسانِ(٣)

۞ ويصف الحسن البصري أحوال الصحابة ﵃ فيقول:

«والله لقد أدركت أقوامًا وصحبت طوائف منهم، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل، ولا يأسفون على شيء منها أدبر، ولهي كانت أهون في أعينهم من هذا التراب، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يُطوَ له ثوب قط، ولا نُصب له قدر، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئًا، ولا أمر في بيته

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٤٨٨٣) كتاب الأدب، وأحمد (١٥٢٢٢)، وحسنه العلامة الألباني ﵀ في المشكاة (٤٩٨٦).

(٢) صحيح لغيره: رواه أحمد (٢٧٢٦٢)، وصححه العلامة الألباني ﵀ في صحيح الترغيب (٢٨٤٧) وقال: صحيح لغيره.

(٣) من نونية الإمام ابن القيم ﵀.

بصنعة طعام قط، فإذا كان الليل، فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم، تجرى دموعهم على خدودهم يناجون ربهم فى فكاك رقابهم، وكانوا إذا عملوا حسنة، دأبوا فى شكرها وسألوا الله أن يقبلها،وإذا عملوا السيئة، أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها، فمازالوا على ذلك، فو الله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة، وإنكم أصبحتم فى أجلٍ منقوص،وعملٍ محفوظ، والموت والله فى رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عَزَّوَجَلَّ فى كل يوم وليلة»[1].

❁ **عن أبى راكة قال:** صليت مع على رَضِوَاللَّهُ عَنْهُ صلاة الفجر، فلما انفتل[2] عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده، فقال:«والله لقد رأيت أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صُفرًا شُعثًا، وغُبرًا، بين أعينهم كأمثال رُكَب المعزى قد باتوا لله سُجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا[3] كما يميد الشجر فى يوم الريح، وهملت[4] أعينهم حتى تبل ثيابهم، والله فكأن القوم[5] قد باتوا غافلين»[6]، ثم نهض فما رُئى بعد ذلك مفترًا يضحك حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق[7].

---

(١) الزهد/ للحسن البصرى (ص: ٣٠).

(٢) انفتل: انصرف.

(٣) مادوا: تحركوا.

(٤) هملت: أرخت بالبكاء.

(٥) يقصد أصحابه الذين صلوا خلفه ذلك اليوم.

(٦) قال هذا عن قوم كانوا من خير القرون،فماذا لو رأى حال أهل زماننا؟!!

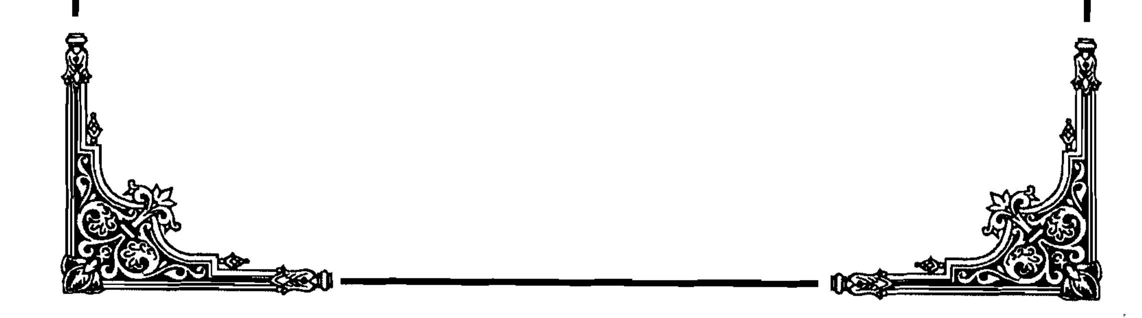
(٧) حياة الصحابة (١/ ٢٣).





كيف ننجو

من الفتن





كيف ننجو من الفتن

اجتهد كثير من الصحابة فى التعرف على الفتن التى ستعصف بالأمة وتبيين طريق النجاة والخلاص منها، ومن هؤلاء بل فى مقدمتهم حذيفة بن اليمان فقد صَحَّ عنه أنه قال: «إنى لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة، فيما بينى وبين الساعة»(١).

وقد كان حذيفة يُكثر من سؤال الرسول ﷺ عن الفتن حتى لا يقع فيها، ففى صحيح البخارى عن حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: يا رسول الله، إنَّا كنا فى جاهلية وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَن**»، قلت: ما دَخَنُه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديى، تعرف منهم وتنكر**»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دُعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها**». قلت: يا رسول الله: صِفْهُم لنا. قال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**»(٢).

وفى حديث العرباض بن سارية أمر الرسول ﷺ بالتمسك بالإسلام، وطاعة الإمام، والتزام سنة الرسول ﷺ وسنة خلفائه الراشدين المهديين

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٩١) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٤) كتاب الفتن.

من بعده،... فقد روى عبد الرحمن بن عمرو السُّلَمى أنه سمع العرباض ابن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأنَّها موعظة مُودِّع فأوصنا. فقال ﷺ: «**أوصِيكم بِتَقْوَى الله والسَّمعِ والطّاعَةِ وَإن أُمِّرَ علَيْكم عَبْدٌ حَبْشِيٌّ فإنهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكمْ بسُنّتِى وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكوا بِها وَعَضُّوا عَلَيْها بالنَّوَاجِذِ وإيَّاكُمْ ومُحْدَثاتِ الأمُورِ فإنّ كلَّ مُحْدثَة بِدْعَةٌ وكلَّ بِدعَةٍ ضلالَةٌ**»(١).

۞ كيف يتصرف المسلم فى الحروب التى تثور بين المسلمين:

أرشد الرسول ﷺ أمته إلى كيفية التصرف فى مثل هذه الفتن التى تثور بين المسلمين، حيث يخفى الحق، وتضطرب الأمور، فقد دعا الرسول ﷺ إلى اجتناب الصراع والقتال فى مثل هذه الحال، والاعتزال فى مكانٍ ناءٍ، يرعى الرجل الغنم فى قمم الجبال، أو يجاهد الأعداء على حدود الدولة المسلمة، فإن وصلت إليه سيوف المتحاربين، فقد أُمر بأن يمتنع عن الدفاع عن نفسه، ولو كان فى هذا هلاكه،... فقد روى لنا أبو بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتن، ألا ثَمَّ ستكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشى فيها، والماشى خير من الساعى إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كان له أرض فليلحق بأرضه**». قال: فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حَدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**» فقال رجل: يا

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

رسول الله، أرأيت إن أُكرهت حتى يُنطلق بى إلى أحد الصفين، أو إلى إحدى الفئتين؟ فضربنى رجل بسيفه، أو يجىء سهم فيقتلنى؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(١).

وعن أبى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن**»(٢).

وفى حديث أبى هريرة عند الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «**أظلتكم فتن كقطع الليل المظلم، أنجى الناس منها صاحب شاهقة، يأكل من رَسل غنمه** (اللبن) **أو رجل من وراء الدروب، آخذٌ بعنان فرسه، يأكل من فَىء رُمحه**»(٣).

وقد بيَّن الرسول ﷺ لأبى ذر كيف يتصرف فى الفتنة، فقال له: «**أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء**(٤)، كيف تصنع؟ قال: **اقعد فى بيتك، وأغلق عليك بابك**»، قال: فإن لم أترك؟ قال: «**فأتِ مَن كنت معه، فكن فيهم**». قال: فآخذ سلاحى؟ قال: «**إذًا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألقِ من طرف ردائك على وجهك، كى يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**»(٥).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٨٧) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٨) كتاب الفتنة.

(٣) صحيح: رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤/ ٦٤٢).

(٤) حجارة الزيت: موضع فى المدينة المنورة.

(٥) صحيح: رواه أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨١٩).

وقد احتج بالأحاديث التى سُقناها وما أشبهها من لم يرَ القتال فى الفتنة من الصحابة، «وهم كل من ترك القتال مع على بن أبى طالب فى حروبه، كسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبى بكرة، وغيرهم، وقالوا: يجب الكف حتى لو أراد أحد قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل فى الفتنة، فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وحَمَل هؤلاء الأحاديث الواردة فى ذلك على من ضعف على القتال، أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق»(١).

وقال الطبرى: «الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على من قدر عليه، فمن أعان المحق أصاب، ومن أعان المخطئ أخطأ، وإن أُشكل الأمر فهى الحالة التى ورد النهى عن القتال فيها»(٢).

ولا شك أن تبين الحق والصواب فى مثل هذه الظروف التى تقع فيها الفتن، وتظهر فيها الأهواء صعب جدًّا، والأقرب إلى السلامة هو البعد والاعتزال، كيلا يصيب المسلمُ دمًا حرامًا، ولا يؤذى مسلمًا، والله أعلم بالصواب(٣).

---

(١) فتح البارى: (١٣/ ٣٣).

(٢) فتح البارى: (١٣/ ٣١).

(٣) القيامة الصُّغرى د/ عمر الأشقر (ص ١٧٨-١٨١).

طرق النجاة من الفتن

۞ وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع طرق النجاة من الفتن فى هذا الزمان وفى كل زمان ومكان.

(١) الاعتصام بالله (جلّ وعلا):

۞ فإن العبد إذا اعتصم بالله (جلَّ وعلا) فإنَّ الله يحفظه من كل الفتن ويثبت قلبه على الإيمان والتوحيد.. فالمعصوم مَن عصمه الله والمخذول مَن خُذل.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٢].

(٢) الإيمان والتقوى:

۞ فالإيمان والتقوى يجعلان العبد ثابتًا أمام الفتن؛ لأن الله هو الذى يثبت أهل الإيمان الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان والتقوى.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٣]

وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٤].

وعن **أبى أُمامة صُدى بن عجلان الباهلى** رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يخطُبُ فى حجة الوداع فقال: **«اتقوا الله، وصلُّوا خمسكُم، وصُومُوا**

---

(١) سورة آل عمران: الآية: (١٠١).

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٠٣).

(٣) سوة الطلاق: الآيتان: (٢، ٣).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٩٢).

شهركم، وأدُّوا زكاة أموالكُم، وأطيعُوا أُمراءكُم، تدخُلُوا جنة ربكم»[١].

ولذلك كان النبى ﷺ -وهو أتقى الناس جميعًا - يدعو بهذا الدعاء: «**اللهُم إنى أسألك الهُدى، والتُّقى، والعفاف، والغنى**»[٢].

۞ والتقوى كما عرَّفها على بن أبى طالب رضي الله عنه: هى الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل.

۞ وقال طلق بن حبيب: التقوى: أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخشى عقاب الله.

(٣) الاستعاذة بالله من الفتن:

فيجب على المسلم أن يستعيذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

۞ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**»[٣].

۞ وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَخَفَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدُعَاءٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى**

---

(١) صحيح: رواه الترمذى، وابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[(١)].

۞ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(٢)].

۞ وَعَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ، وَالْهَرَمِ، وَسُوءِ الْكِبَرِ، وَفِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[(٣)].

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[(٤)].

۞ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ

---

(١) صحيح: رواه النسائي، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (١٣٧٧) كتاب الجنائز، ومسلم (٥٨٨) كتاب المساجد.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٢٣) كتاب الذكر والدعاء.

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٨٣٣) كتاب الأذان، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد.

وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّى خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِى مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِى وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»(١).

۞ وَعَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الأَوْدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ سَعْدٌ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ المُعَلِّمُ الغِلْمَانَ الكِتَابَةَ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبُرَ الصَّلاَةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(٢).

۞ وَعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ»(٣).

۞ وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِى حَائِطٍ لِبَنِى النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ أَنْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - فَقَالَ: «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قَالَ: مَاتُوا فِى الإِشْرَاكِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِى قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا، لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِى أَسْمَعُ مِنْهُ» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦٨) كتاب الدعوات، ومسلم (٥٨٩) كتاب المساجد.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢٢) كتاب الجهاد والسير.

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٦٣٦٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧٠٦) كتاب الذكر والدعاء.

بطَنَ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ(١).

(٤) التوكل:

❁ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(٢)، أي: فهو كافيه وحافظه ... وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ» حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٤).

(٥) الاستعانة بالصبر والصلاة:

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾(٦).

وقال عز وجل: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾(٧).

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) سورة الطلاق: الآية: (٣).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان: (١٧٣، ١٧٤).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٤٥٦٣) كتاب تفسير القرآن.

(٥) سورة البقرة: الآية: (٤٥).

(٦) سورة البقرة: الآية: (١٥٣).

(٧) سورة طه: الآية: (١٣٠).

وفي «صحيح البخاري» عَن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةً فَزِعًا، يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ - لِكَيْ يُصَلِّينَ - رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»[1].

(٦) الإقبال على الله والتفرغ لعبادته:

۞ فكلما أقبل العبد على ربه بالطاعة والعبادة.. كلما أقبل الله عليه بالحب والرضا والقبول وتثبيت قلبه أمام الفتن والبلايا.

۞ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدر له**»[2].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «**من جعل الهموم همًا واحدًا: هم المعاد كفاه الله سائر همومه ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يُبالِ الله في أي أوديتها هلك**»[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[4] قال: «**يقول الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غِنى وأَسُدّ فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلًا ولم أَسُدّ فقرك**»[5].

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧٠٦٩) كتاب الفتن.

(٢) صحيح: رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠).

(٣) حسن: رواه ابن ماجه، والحاكم والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٨٩).

(٤) سورة الشورى: الآية: (٢٠).

(٥) صحيح: رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩١٤).

وقال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[(١)].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**العِبَادَةُ فِى الهَرْجِ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»[(٢)].

قال النووى رحمه الله: «والمراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد»[(٣)].

فضل العبادة فى أيام الفتن:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس فى الفتن رجل آخذٌ بعنان فرسه خلف أعداء الله يخيفهم ويخيفونه أو رجل معتزل فى بادية يؤدى حق الله الذى عليه**»[(٤)].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ»[(٥)].

وعن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**»[(٦)].

---

(١) سورة الحجر: الآيات: (٩٧-٩٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٨) كتاب الفتن.

(٣) مسلم بشرح النووى (٩/ ٣١٣).

(٤) صحيح: رواه الحاكم والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٢).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٦) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه، والترمذى، وأبو داود وزاد«قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلًا =

(٧) التمسك بهدى النبى ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٣).

۞ فما أحوجنا فى هذا الزمان الذى أقبلت فيه الفتن من كل حدبٍ وصوبٍ إلى التمسك بالكتاب والسُّنة.

۞ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بنى إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بنى إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»**، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**(٤).

۞ وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: **«أُوصِيكُمْ**

= منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٧٢).

(١) سورة الحشر: الآية: (٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية: (٣٦).

(٣) سورة النساء: الآية: (٦٥).

(٤) حسن: رواه الترمذى (٢٦٤١)، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٤٣).

بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

قال ﷺ: «المتمسك بسُنتى عند اختلاف أمتى كالقابض على الجمر»[٢].

وقال ﷺ: «يأتى على الناس زمانٌ الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»[٣].

وقال ﷺ: «إن من ورائكم زمان صبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم»[٤].

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عبادة فى الهرج كهجرة إلىَّ»[٥].

وعن أبى ثعلبة الخشنى قال: قال رسول الله ﷺ: «فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»[٦].

---

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٧٦)، والحاكم فى المستدرك (٣٢٩)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٤٩).

(٢) حسن: رواه الحكيم (١/ ١١٩)، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٧٦).

(٣) صحيح: رواه الترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٠٠٢).

(٤) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣٤).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٩٤٨) كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٦) صحيح لغيره: رواه ابن ماجه، والترمذى، وأبو داود وزاد «قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلًا منا أو منهم؟ قال: «بل أجر خمسين منكم»، وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٣١٧٢).

(٨) الاستقامة:

۞ فالاستقامة تجعل العبد دائمًا ثابتًا فى مواطن الفتن صابرًا فى مواطن البلاء مستقيمًا على طاعة الله (جلَّ وعلا).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[٢].

۞ وعن أبى عمرو، وقيل: أبى عمرة سُفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلتُ: يا رسول الله قُل لى فى الإسلام قولًا لا أسأَلُ عنه أحدًا غيرك. قال: «**قُل: آمنت بالله ثُم استقم**»[٣].

(٩) طلب العلم:

والعلم الشرعى من أفضل المخارج من الفتن وأنفعها، فكثيرًا ما تكثر الشائعات والأباطيل، والقيل والقال، والتحدث بالأحاديث الضعيفة بل والمكذوبة على رسول الله ﷺ، وكذلك تكثر الرؤى والأحلام، فيتحدث الناس بحديث فينام الشخص فتحدثه نفسه بالذى يتحدث به الناس فيظن هذا من وحى النبوة، ومن الرؤيا الحق فيبنى عليها أعمالًا، فى كثيرٍ من الأحيان تخالف الشرع، وتخالف النصوص الثوابت، فمن ثَمَّ ينبغى ألا

(١) سورة فصلت: الآيات: (٣٠، ٣٢).

(٢) سورة الأحقاف: الآيتان: (١٣، ١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (٣٨) كتاب الإيمان.

يُتكلم فى الفتن إلا بعلمٍ صحيح ثابت وموثق من الكتاب والسنة إن رأيت فى بثِّه نفعًا، وإلَّا فالسكوت والصمت أولى وأنفع، .. وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[١].

وها هو حديث يبين مدى انتفاع الصحابى الجليل أبى بكرة رضي الله عنه بحديث سمعه من رسول الله ﷺ.

فعَنْ أَبِى بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِى اللهُ بِكَلِمَةٍ[٢] سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ، قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: «**لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[٣].

فالعلماء هم أعلم الناس بالفتن والشبهات، والشهوات، فإذا أقبلت عليهم اعتصموا بإيمانهم بالله وبعلمهم بالعواقب الوخيمة للمعاصى ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[٤].

أما الجاهل فقد يفعل البدعة أو يقع فى المعصية وهو يظن أنه طائع لله (جل وعلا) ... ولذلك قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥].

---

(١) سورة الإسراء: الآية: (٣٦).

(٢) أي: نفعه الله بقول النبى ﷺ «**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**»، فلم يتبع عائشة وطلحة والزبير فى موقعة الجمل فعصمه الله مما وقع لأهلها.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٤٤٢٥) كتاب المغازي.

(٤) سورة فاطر: الآية: (٢٨).

(٥) سورة الزمر: الآية: (٩).

«فالعلم دواءٌ للفتن؛ لأن الفتنة تجيء من جهة الاشتباه، والشبهة يزيلها العلم، ... أي: أن يعرف المرء الفتنة من غيرها؛ لأنه إذا اشتبه عليه أمرُها لم يأمن التورُّط فيها، ... وما أوقع شبابنا اليوم فى دواهى النوازل إلا عدم تفريقهم بين الجهاد الشرعى والفتن» [1].

قال الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل» [2].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [3].

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين» [4].

وقال ﷺ: «... ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنة» [5].

وعن أبى أُمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«فضلُ العالم على العابد كفضلى على أدناكم»**، ثم قال رسول الله ﷺ: **«إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة فى جُحرها وحتى الحوت ليُصلُّون على معلِّمى الناس الخير»** [6].

---

(١) «تمييز ذوى الفِطن بين شرف الجهاد وشرف الفتن» للشيخ عبد المالك الرمضانى (٧٣، ٧٤).

(٢) رواه ابن سعد فى «الطبقات» (٧/ ١٦٥).

(٣) سورة المجادلة: الآية: (١١).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٧١) كتاب العلم، ومسلم (١٠٣٧) كتاب الزكاة.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٦) صحيح: رواه الترمذى (٢٦٨٥)، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٢١٣).

(١٠) قراءة القرآن الكريم والعمل بما فيه:

إنه حبل الله المتين الذى من تمسَّك به عصمه الله، ومن اتَّبَعَه هداه ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم.

۞ فالقرآن أعظم معجزة أيَّد الله بها نبيه محمدًا ﷺ، فأخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، وهدانا الله به سُبل السلام، وبيَّن لنا فيه كل خير يكون سببًا لدخول الجنة، فمن نالها فقد فاز الفوز العظيم، وحذرنا الله فيه من كل شرٍّ يورد النار فمن وقع فيها فقد باء بالخزى العظيم، فلله الحمد على هذا الكتاب القيم الذى لم يجعل له عوجًا،... مَن اتبعه لا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عنه فإن له معيشة ضنكًا، ويُحشر يوم القيامة أعمى.

۞ قَصَّ الله لنا فيه على لسان النبى الأُمى الكريم أخبار ما قد سبق، وأوضح لنا نبأ ما بعدنا، وجلَّى لنا حُكم ما بيننا.

۞ فوعظنا الله به ورقَّق قلوبنا وشفانا وفتح الله به آذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلفًا وأعينًا عُميًا،... فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين.

۞ عرَّفنا بربنا الكريم الرحيم الجليل القدير الذى له الأسماء الحسنى كلها وله الكبرياء فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

۞ هدانا الله به لأقوم السُّبل من توحيده والإعراض عن الإشراك به.

۞ حفظ الله لنا به ديننا وأنفسنا وعقولنا وأنسابنا وأعراضنا وأموالنا[١].

۞ بل لقد بيَّن الحق (جل وعلا) الغاية التى من أجلها أنزل هذا الكتاب مُنجَّمًا ومُفصلًا (وهى التثبيت).

قال تعالى فى ردِّه على المشركين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ

(١) من معجزات النبى ﷺ / للشيخ مصطفى العدوى (ص ١٢، ١٣) بتصرف.

جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (١).

❁ القرآن شفاء لأمراض الشُّبهات والشهوات:

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (٢).

❁ القرآن يزرع الإيمان ويزكى النفس بالصلة بالله ويجعل الإيمان يزداد فى قلب العبد يومًا بعد يوم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٤).

❁ إن آيات القرآن تنزل على قلب المؤمن بردًا وسلامًا فلا تعصف به رياح الفتنة، بل يثبت أمام الابتلاءات.

(١١) ذكر الله (جلَّ وعلا):

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الفرقان: الآية: (٣٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية: (٨٢).

(٣) سورة التوبة: الآية: (١٢٤).

(٤) سورة الأنفال: الآية: (٢).

(٥) سورة الأنفال: الآية: (٤٥).

تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾[(١)].

وقال ﷺ: «ألا أُنبئُكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها فى درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والورِق، وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى. قال: ذكر الله»[(٢)].

۞ وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسُول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علىَّ فأخبرنى بشىء أتشبث به. قال: «لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله»[(٣)].

فالذكر يجعل قلبك حيًّا بذكر الله (جلَّ وعلا).

عَنْ أَبِى مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِى يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِى لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[(٤)].

۞ والذكر يعصمك من الوقوع فى المعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[(٥)].

---

(١) سورة الرعد: الآيتان: (٢٨، ٢٩).

(٢) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٢٩).

(٣) صحيح: رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى (٢٦٨٧)، وصحيح ابن ماجه (٣٠٦٠) وصحيح الجامع (٧٧٠٠).

(٤) متفق عليه: رواه البخارى (٦٤٠٧) كتاب الدعوات، ومسلم (٧٧٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) سورة الأعراف: الآيتان: (٢٠٠، ٢٠١).

۞ والذاكر لا يرد الله دعاءه... فمن أكثر من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وسأل الله أن ينجيه من الفتن أجابه الله عَزَّوَجَلَّ ونجاه من الفتن.

وقال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يَردُّ اللهُ دعاءهم: الذاكرُ الله كثيرًا، والمظلومُ، والإمامُ المُقسطُ**»[1].

۞ والذكر يجعلك فى معية الله (جل وعلا).

۞ عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبى ﷺ: «**يقول اللهُ تعالَى: أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه إذا ذكرنى....**»[2] الحديث.

۞ وقد ذكر أهل العلم أن المعية معيتان: معية عامة، ومعية خاصة.

أما المعية العامة: هى معية علم وإحاطة. والمعية الخاصة: فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصر والتوفيق.

(١٢) مرافقة الصالحين:

فالصاحب ساحب.. فالصاحب إما أن يأخذ بيديك إلى طاعة الله، وإما أن يأخذ بيديك إلا معصية الله.

والصاحب إما أن يكون سببًا فى ثباتك أمام الفتن، وإما أن يكون سببًا فى وقوعك فى الفتن، أو سقوطك أمام الفتن.

ولذا قال ﷺ: «**الرجُلُ على دين خليله، فلينظُر أحدُكم من يُخالل**»[3].

---

(١) حسن: رواه البيهقى فى الشعب (٦/ ١١)، وحسنه العلامة الألبانى رَحِمَهُ اللَّهُ فى الصحيحة (١٢١١)، وصحيح الجامع (٣٠٦٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٤٠٥) كتاب التوحيد، ومسلم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٣) حسن: رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٤٥).

۞ وعن أبى موسى الأشعرى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبى ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السُّوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحاملُ المسك، إما أن يُحذيك، وإما أن تبتاع منهُ وإما أن تجد منهُ ريحًا طيبةً. ونافخُ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منهُ ريحًا خبيثةً»[1].

وقال ﷺ: «المرء مع من أحب»[2].

(١٣) القرب من العناصر المثبتة:

تلك العناصر التى من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام: «إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر»[3].

البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين والالتفاف حولهم مُعين كبير على الثبات.

وقد حَدَثت فى التاريخ الإسلامى فتنٌ ثَبَّت الله فيها المسلمين برجال.

ومن ذلك ما قاله على بن المدينى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعزَّ الله الدين بالصدِّيق يوم الرِّدة، وبأحمد يوم المحنة»[4].

۞ **قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:** وعَلِم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، وما كان فيه من

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٢١٠١) كتاب البيوع، ومسلم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٦١٦٨) كتاب الأدب، ومسلم (٢٦٤١) كتاب البر والصلة والآداب.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٢٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦).

الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنَّا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة[1].

وهنا تبرز الأخوة الإسلامية كمصدر أساسى للتثبيت.

فإخوانك الصالحون والقدوات والمُربون هم العون لك فى الطريق، والركن الشديد الذى تأوى إليه فيثبتوك بما معهم من آيات الله والحكمة..

الزمهم وعش فى أكنافهم وإياك والوحدة فتتخطفك الشياطين، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

۞ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**البركةُ مع أكابركم**»[2].

قال المُناويُّ فى «**فيض القدير**» (٣/ ٢٢٠) شارحًا: «البركةُ مع أكابركم، المُجربين للأمور، المُحافظين على تكثير الأُجور، فجالسوهم لتقتدوا برأيهم، وتهتدوا بهديهم»[3].

(١٤) تجديد الإيمان فى القلوب:

فالإيمان يزيد وينقص.. يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.. يزيد فى الأجواء الإيمانية.. وينقص فى أماكن المعصية.. ولذا فإنه ينبغى علينا أن

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم / بتحقيق الشيخ مصطفى العدوى (٧٦).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٨٨٤).

(٣) موقف المؤمن من الفتنة (٦١).

نجدد الإيمان بالطاعة والعبادة والصلاة وقراءة القرآن وذكر الله ومجالسة العلماء الربانيين وكثرة الاستغفار والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وبر الوالدين وصلة الأرحام وإكرام اليتامى وزيارة القبور... وغيرها من الطاعات.

۞ فكل هذا يجعل القلب قويًّا ثابتًا لا تعصف به الفتن مهما كانت.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إن الإيمان ليخلَقُ فى جوف أحدكم كما يَخلقُ الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان فى قلوبكم**»[1].

هذا الإشكال أجاب عنه النبى ﷺ «**إن الإيمان ليخلق**» يعني: ليبلى كما يبلى الثوب.

(١٥) الإكثار من ذكر الموت:

۞ فالعبد إذا أكثر من ذكر الموت، وعلم يقينًا أنه سيرحل عن هذه الدنيا ليقف بين يدى الله (جلَّ وعلا) وأنه سوف يُحاسَب على كل ما فعله.. فإنَّ ذلك يكون حاديًا له؛ لأن يثبت أمام الفتن ليلقى الله على الإيمان والتوحيد.

قال ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت**»[2]. فتذكر الموت يردع عن المعاصى ويُلين القلب القاسى.. وزيارة القبور من أعظم وسائل ترقيق

(١) صحيح: رواه الطبرانى فى الكبير، والحاكم، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٥٩٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) كتاب الزهد، والنسائى (١٨٢٤) كتاب الجنائز، وابن ماجه (٤٢٥٨) كتاب الزهد، وأحمد (٧٨٦٥)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع(١٢١٠).

القلوب. ومن أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضا بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

ومما يؤثر فى النفس من مشاهد الموت رؤية المحتضرين فإن فى النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويمنع الأجفان من النوم والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد فى الاجتهاد.

دخل الحسن البصرى على مريض يعوده فوجده فى سكرات الموت فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من عندهم فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم فو الله لقد رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

(١٦) الاستغفار:

وذلك لأن الفتن فى كثير من الأحيان تحل بسبب الذنوب والمعاصى والآثار ومخالفة أمر النبى ﷺ... ألم تر أن الله ﷻ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[٢].

والاستغفار يدفع ذلك بإذن الله... قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة النور: الآية: (٦٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية: (١٦٣).

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٣٣).

وقال تعالى: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)].

وقال عز وجل: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(٤)(٥)].

وقال ﷺ: «من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»[(٦)].

وقال ﷺ: «طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارًا كثيرًا»[(٧)].

فالعبد لا يدرى ولا يعلم ذنوبه كلها فعليه أن يكثر من الاستغفار.

وأين نحن من الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

(١) سورة النساء: الآية: (١٤٧).

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان: (٨٧، ٨٨).

(٣) سورة الصافات: الآيتان: (١٤٣، ١٤٤).

(٤) سورة الأنعام: الآيتان: (٤٢، ٤٣).

(٥) مخارج من الفتن/ الشيخ مصطفى العدوى (ص ١٤، ١٥).

(٦) حسن: رواه البيهقى فى شُعب الإيمان، والضياء، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٩٥).

(٧) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه (٣٠٧٨)، وصحيح الترغيب والترهيب (١٦١٨) وصحيح الجامع (٣٩٣٠).

وعلى الرغم من ذلك يقول ﷺ: «إنه ليُغانُ على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة»(١).

وقال ﷺ: «والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة»(٢).

۞ بل تأمل معى ما قاله النبى ﷺ عن قدر نعمة الاستغفار.

۞ قال ﷺ: «إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أُغوى عبادك مادامت أرواحهم فى أجسادهم، فقال الربُّ: وعزتى وجلالى لا أزالُ أغفر لهم ما استغفرونى»(٣).

(١٧) الزهد فى الدنيا:

فعن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال»(٤).

۞ وقد جاء فضل الزهد فى الدنيا فى القرآن والسنة.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح: رواه البخارى (٦٣٠٧) كتاب الدعوات.

(٣) حسن: رواه أحمد، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٥٠).

(٤) صحيح: رواه الترمذي، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٤٨).

(٥) سورة الحديد: آية (٢٠).

ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[١].

❁ قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقرآن مملوء من التزهيد فى الدنيا، والإخبار بخستها[٢] وقلتها وانقطاعها، وسرعة فنائها. والترغيب فى الآخرة، والإخبار بشرفها ودوامها، فإذا أراد الله بعبدٍ خيرًا أقام فى قلبه شاهدًا يعاين به حقيقة الدنيا والآخرة. ويؤثر منهما ما هو أولى بالإيثار.

وتعالوا بنا لنتعرف على فضائل الزهد فى الدنيا من خلال سُنة الحبيب ﷺ.

- فها هو ﷺ يخبر أصحابه والأمة من بعدهم بضآلة الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضة.

- روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[٣].

- وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**ما الدنيا فى الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم، فلينظر بم يرجع؟**»[٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى**

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٤).

(٢) إنما ذلك للحياة الدنية الخسيسة، التى يتعلق بها الغافلون عن كرامتهم، وينصرفون بها إلى البهيمية، ويخلدون إلى أرضها. أما الذاكرون لكرامتهم ودرجاتهم العالية. فإنهم يتخذون من حياتهم الأولى وما فيها مما أنعم الله عليهم به وسخره لهم - أسبابًا يرتفعون بها على مراق البر والإحسان. فهى حياة كريمة مباركة.

(٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٤) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها.

كافرًا منها شربة ماءٍ»(١).

۞ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله تعالى، وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»(٢).

۞ وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»(٣).

(١٨) الفرار من الفتن:

عَنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه قَالَ: ايْمُ اللهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا»(٤)(٥).

۞ فعلى المسلم أن يبتعد عن أماكن الفتن، ولا يقف أمامها ظنًّا منه أنه يمتلك إيمانًا راسخًا... فقد يُفتن العبد ويقع فى الفتنة من حيث لا يدري.. فقد أخبر النبى ﷺ بأن من سمع بالدجال فلا بد أن يبتعد عنه ولا يأتيه ظنًّا منه أنه لن يتأثر بفتنته.

(١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٠) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٠) كتاب الزهد، وصححه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٩٤٣)، وصحيح الجامع (٥٢٩٢).

(٢) حسن: رواه الترمذى (٢٣٢٢) كتاب الزهد، وابن ماجه (٤١١٢) كتاب الزهد، وحسنه الألبانى رحمه الله فى السلسلة الصحيحة (٢٧٩٧)، وصحيح الجامع (٣٤١٤).

(٣) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٣٥٧)، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٤) صحيح: رواه أبو داود، وصححه الألبانى رحمه الله فى صحيح الجامع (١٦٣٧).

(٥) والمراد التعجب من أمر من ابتُلى فصبر على البلاء، والتعجب من عظيم أجره عند الله وما ادخر له،... فكأنه عليه السلام قال: وما أحسن وما أطيب مَن ابتُلى فصبر على البلاء. والله أعلم. هذا وليس فى الحديث التعرض لطلب البلاء بل فى مطلعه ما يحث على البعد عن الفتن.

۞ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ أَوْ لِمَا يُبْعَثُ بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ»(١).

۞ وبذلك يتضح لنا أن من أعظم المخارج من الفتن: البعد عن مواطنها والفرار منها.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾(٣).

وقد شُرع تغريب الزاني، ... وذلك - كما قال بعض أهل العلم - حتى ينسى مواطن الزنا، تلك المواطن التي تُذكره بالفاحشة الحين بعد الحين كلما مر بها.

۞ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَير مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ(٤)، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ(٥)، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ»(٦).

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٣٠١).

(٢) سورة الأنعام: آية (٦٨).

(٣) سورة النساء: آية (١٤٠).

(٤) شعف الجبال: رؤوس الجبال.

(٥) مواقع القطر: هي في بطون الأودية.

(٦) صحيح: رواه البخاري (١٩) كتاب الإيمان.

۞وَعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ» قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»(١).

۞وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً، أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»(٢).

۞ وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»(٣).

۞ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟

---

(١) صحيح: رواه أبو يعلى - وهذا يتنزل فى حق من يخشى على نفسه من مخالطة الناس، أما من أَمِن على نفسه ذلك واستطاع أن يؤثِّر فى الناس ويعظهم ويقول لهم فى أنفسهم قولًا بليغًا فهذا يتنزل فى حقه حديث رسول الله ﷺ: «**من خالط الناس وصبر على أذاهم خيرٌ ممن لم يخالط الناس ولم يصبر على أذاهم**».

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٩) كتاب الإمارة.

(٣) صحيح: رواه البخارى (٣٦٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٨٨٦) كتاب الفتن.

انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ[(١)]، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[(٢)].

(١٩) اعتزال أهل الفتنة:

❁ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَكُونُ فِتَنٌ عَلَى أَبْوَابِهَا دُعَاةٌ إِلَى النَّارِ، فَأَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتْبَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ»[(٣)].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ، القَاعِدُ

---

(١) في رواية البخاري: «فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَاءَ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا» (أي: نحو القرية الطيبة) وفي رواية: «فَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَأَوْحَى اللهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي» وفي رواية: «فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وَفِيهِ فَضْل التَّحَوُّل مِنْ الْأَرْض الَّتِي يُصِيب الْإِنْسَان فِيهَا الْمَعْصِيَة لِمَا يَغْلِب بِحُكْمِ الْعَادَة عَلَى مِثْل ذَلِكَ إِمَّا لِتَذَكُّرِهِ لِأَفْعَالِهِ الصَّادِرَة قَبْل ذَلِكَ وَالْفِتْنَة بِهَا وَإِمَّا لِوُجُودِ مَنْ كَانَ يُعِينهُ عَلَى ذَلِكَ وَيَحُضّهُ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ الْأَخِير: وَلَا تَرْجِع إِلَى أَرْضك فَإِنَّهَا أَرْض سُوء، فَفِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ التَّائِب يَنْبَغِي لَهُ مُفَارَقَة الْأَحْوَال الَّتِي اعْتَادَهَا فِي زَمَن الْمَعْصِيَة، وَالتَّحَوُّل مِنْهَا كُلّهَا وَالِاشْتِغَال بِغَيْرِهَا، وَفِيهِ فَضْل الْعَالِم عَلَى الْعَابِد لِأَنَّ الَّذِي أَفْتَاهُ أَوَّلًا بِأَنْ لَا تَوْبَة لَهُ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْعِبَادَة فَاسْتَعْظَمَ وُقُوع مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ الْقَاتِل مِنْ اسْتِجْرَائِهِ عَلَى قَتْل هَذَا الْعَدَد الْكَثِير، وَأَمَّا الثَّانِي فَغَلَبَ عَلَيْهِ الْعِلْم فَأَفْتَاهُ بِالصَّوَابِ وَدَلَّهُ عَلَى طَرِيق النَّجَاة.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٦) كتاب التوبة.

(٣) صحيح: رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٩١).

فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»(١).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعليقًا على هذا الحديث: « وَفِيهِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْحَثُّ عَلَى اجْتِنَابِ الدُّخُولِ فِيهَا وَأَنَّ شَرَّهَا يَكُونُ بِحَسَبِ التَّعَلُّقِ بِهَا وَالْمُرَادُ بِالْفِتْنَةِ مَا يَنْشَأُ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي طَلَبِ الْمُلْكِ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ الْمُحِقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ».

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فَحَمَلَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْعُمُومِ، وَهُمْ مَنْ قَعَدَ عَنِ الدُّخُولِ فِي الْقِتَالِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مُطْلَقًا كسعد، وابن عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ ابْنِ مَسْلَمَةَ، وَأَبِي بَكْرَةَ فِي آخَرِينَ، ... ثُمَّ اخْتَلَفَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بِلُزُومِ الْبُيُوتِ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: بَلْ بِالتَّحَوُّلِ عَنْ بَلَدِ الْفِتَنِ أَصْلًا(٢).

(٢٠) تغيير المنكر (في حدود الاستطاعة):

فالفتنة والعذاب لا تصيب الظالمين فقط بل تَعُم، ... كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ﴾(٣).

۞ وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(٤).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٠٢) كتاب المناقب، ومسلم (٢٨٨٦) كتاب الفتن.

(٢) المراد بالفتنة هنا: ما ينشأ عن الخلاف في طلب الحكم.

(٣) سورة الأنفال: الآية: (٢٥).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٢٤٩٣) كتاب الشركة.

۞ وعَنْ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾[1]، وَإِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[2][3].

(٢١) حفظ اللسان فى الفتنة:

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن صَمت نجا**»[4].

وَعَن عبد الله بْن عمر رضي الله عنهما قَالَ: لم يكن يُقَصُّ فِى زَمَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلا أَبِى بَكْرٍ وَلا عُمَرَ وَلا عُثْمَانَ إِنَّمَا كَانَ الْقَصَص زمن الْفِتْنَة[5].

(٢٢) تمنى الموت عند خشية الفتنة:

رَوَى مَالِك عن يحيى بن سعيد أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِى النَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِى إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**»[6].

قال ابن وهب: وحدثنى مالك قال: كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له: مُت إن استطعت فيقول له: لِمَ؟ قال: تموت وأنت تدرى على ما تموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدرى على ما تموت عليه.

---

(١) سورة المائدة: الآية: (١٠٥).

(٢) وهذا في حدود الاستطاعة، وفي حالة ما إذا كان المنكر لن يعقبه منكرٌ أعظم منه.

(٣) صحيح: رواه أبو داود والترمذي، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٤) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٣٦٧).

(٥) رواه ابن حبان بإسنادٍ صحيح.

(٦) صحيح: رواه عبد الرزاق، وأحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩).

قال مالك: ولا أرى عمر دعا ما دعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن[١].

۞ وَعَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِى سُفْيَانَ، عَنْ أُمِّهَا أُمِّ حَبِيبَةَ، عَنْ زَيْنَبَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتِ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمٍ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ ... قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ ﷺ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»[٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: قَالَ ابن بَطَّالٍ: أَنْذَرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ زَيْنَبَ بِقُرْبِ قِيَامِ السَّاعَةِ كَيْ يَتُوبُوا قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ عَلَيْهِمْ ... وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ خُرُوجَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ قُرْب قِيَامِ السَّاعَةِ فَإِذَا فُتِحَ مِنْ رَدْمِهِمْ ذَاكَ الْقَدْرُ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يَزَلِ الْفَتْحُ يَتَّسِعُ عَلَى مَرِّ الْأَوْقَاتِ ... وَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ مُوتُوا إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**» قَالَ: وَهَذَا غَايَةٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ وَالْخَوْضِ فِيهَا حَيْثُ جَعَلَ الْمَوْتَ خَيْرًا مِنْ مُبَاشَرَتِهَا[٣]. اهـ.

۞ وقالت مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ لما علمت أن الناس سيقذفونها بالفاحشة؛ لأنها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت-: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا﴾[٤].

---

(١) صحيح: رواه مالك.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٧٠٥٩) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٨٠) كتاب الفتن.

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ١٦).

(٤) سورة مريم: الآية: (٢٣).

۞ وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ»[1].

۞ وعَنْ قَيْسِ بْنِ عبادٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بِالْقَوْمِ صَلَاةً أَخَفَّهَا، فَكَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوهَا، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدُعَاءٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»[2].

(٢٣) الدعاء وطلب النجاة من الفتن:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾[5].

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وسعيد بن منصور، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٩).

(٢) صحيح: رواه النسائي، والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٨٦).

(٤) سورة النمل: الآية: (٦٢).

(٥) سورة النساء: الآية: (٣٢).

وقال النبى ﷺ: «الدعاء هو العبادة» ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[(١)] [(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «ليس شىء أكرم على الله سبحانه من الدعاء»[(٣)].

وقال ﷺ: «من لم يدعُ الله يغضب عليه»، وفى رواية: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[(٤)].

وقال ﷺ: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس مَن بَخِل بالسلام»[(٥)].

وقال ﷺ: «إنِ ربكم حَيِيٌّ كريم يستحيى من عبده أن يرفع إليه يديه فيردَّهما صِفرًا خائبتين»[(٦)].

۞ وكان من دعاء النبى ﷺ: «... اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ فِى النَّاسِ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِى إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ...»[(٧)].

---

(١) سورة غافر: الآية: (٦٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٣) حسن: رواه الترمذى، وابن ماجه، وحسنه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (٥٣٩٢).

(٤) صحيح: رواه الترمذى، وابن ماجة، وصححه العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٦٥٤).

(٥) صحيح: أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٥/ ٣٧١)، وصححه العلامة الألبانى فى صحيح الجامع (١٠٤٤).

(٦) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وابن ماجه، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٧) صحيح: رواه عبد الرزاق، وأحمد، والترمذى، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٩).

(٢٤) الثقة فى وعد الله ورسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٤].

فالله (جل وعلا) لا يُسلم أولياءه لأعدائه... وإن ظهر أعداؤه فى وقت فهذا كله بتقدير الله ولكن العاقبة دائمًا تكون لأهل الإيمان والتوحيد.

واسمع لما قاله النبى ﷺ لخباب بن الأرت لما ذهب هو وبعض الصحابة إلى النبى ﷺ وهو متوسد بُردة له فى حضن الكعبة فقال له خباب:

---

(١) سورة النور: الآية: (٥٥)

(٢) سورة غافر: الآية: (٥١).

(٣) سورة الأنبياء: الآية: (١٠٥).

(٤) سورة الأنفال: الآيتان: (٣٦، ٣٧).

ألا تستنصر لنا؟ فماذا قال له النبى ﷺ؟ قال: «**لقد كان الرجل فيمن قبلكم يُؤتَى به فيُحفَر له الحفرة فى الأرض فيوضع فيها ويوضع المِنْشار عند مَفْرِق رأسه ويُشق نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يَردُّه ذلك عن دينه، والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون**»[١].

فعلى الرغم من هذا الظلام الحالك الذى تعيشه الأمة فوالله إنا لمتفائلون وموقنون بنصر الله ... فهو وعد الله ووعد رسول الله ﷺ بالنصرة لهذا الدين، وإن ما نحن فيه ما هو إلا حالة مؤقتة ليميز الله الخبيث من الطيب فى زمن عمَّت فيه الفتنة وطمَّت فكان لا بد من البلاء والتمحيص.

وعن تميم الدارى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عِزًّا يُعز الله به الإسلام وذُلًّا يذل الله به الكفر**»[٢].

فلا تيأسوا واطمئنوا فإنه دين الله ... والله ناصرٌ دينه لا محالة... فنسأله تعالى أن يُقر أعيننا بنُصرة الإسلام والمسلمين.

(٢٥) الرجوع إلى الحق:

۞ أورد ابن كثير[٣] من رواية أبى يعلى فى «مسنده»[٤] عن أبى جَروٍ المازنى قال: «شهدت عليًّا والزُّبير حين تَواقَفَا – فى معركة الجمل – فَقال له

---

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٢٠٢) مناقب الأنصار – وأحمد (٥/ ١٠٩).

(٢) رواه أحمد والطبرانى والحاكم عن تميم الداري، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الألبانى فى تحذير الساجد (ص١٢١): صحيح على شرط مسلم.

(٣) فى «البداية والنهاية» (٧/ ٢٤١).

(٤) برقم (٦٦٦).

عليّ: يا زبير أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك تقاتلني وأنت ظالمٌ لي»، قال: نعم، لم أذكره إلّا في موقفي هذا، ثم انصرف».

۞ وروى البيهقي[1] بسنده عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: لما دنا عليٌّ وأصحابه من طلحة والزبير، ودَنَتْ الصفوف بعضها من بعض خرج عليٌّ على بغلة رسول الله ﷺ فنادى الزبير فأقبل حتى اختلف أعناق دوابهما فقال عليٌّ: يا زبير نشدتك بالله أتذكر يوم مَرَّ بك رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا وقال: «**يا زبير تُحب عليًّا؟**» قلت: ألا أحب عليًّا ابن خالي وعلى ديني؟ فقال: «**يا عليّ أتحبه؟**» فقلت: يا رسول الله: ألا أحب ابن عمتي وعلى ديني؟ فقال: «**يا زبير لتقاتلنه وأنت له ظالم**» قال: بلى والله لقد أُنسيته مُذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن، ... والله لا أقاتلك، فرجع الزبير على دابته يشق الصفوف.

والله إن هذا الموقف لموقف الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

فإنَّ الزبير رضي الله عنه كان شجاعًا وكان له قدرٌ ووجاهةٌ عند الصحابة، ومع ذلك لم يأبه بقول الناس أن يقولوا: فلان جبان، أو يقولوا: خوَّار، إلى غير ذلك من الألفاظ النابية التي يستطيعها كلُّ واحدٍ، ... بل لما تبين له الحق ترك الباطل وانصرف، وانقاد إلى حديث رسول الله ﷺ[2].

(٢٦) إصلاح ذات البين

۞ فإذا وقعت الفتنة وأشعلت نيران الخلاف والقتال بين المسلمين ففي ذلك الوقت فإنه يجب علينا أن نسعى للإصلاح بين المسلمين.

---

(١) وهو في «المستدرك» للحاكم (٣/ ٣٦٦).

(٢) «موقف المؤمن في الفتن» (٥٩، ٦٠).

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1].

قال ﷺ: **«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟»**.

قالوا: بلى يا رسول الله!

قال: **«إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة»**[2].

۞ وتالله إنه لعملٌ جليل أن يسعى المسلم للإصلاح بين إخوانه المسلمين.

۞ حتى إن النبى ﷺ أباح الكذب فى هذا الموضع من أجل الإصلاح بين المتخاصمين.

قال ﷺ: **«ليس الكذاب بالذى يُصلح بين الناس فينمى خيرًا ويقول خيرًا»**[3].

۞ وعن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أدلُّك على صدقة يحبُّ الله موضعها؟ تُصلحُ بين الناس، فإنها صدقةٌ يحبُّ الله موضعها»**[4].

---

(١) سورة الحجرات: الآيتان: (٩، ١٠).

(٢) صحيح: رواه أبو داود، والترمذى، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٥٩٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخارى (٢٦٩٢) كتاب الصلح، ومسلم (٢٦٠٥) كتاب البر والصلة والآداب.

(٤) حسن: رواه الطبرانى والأصبهانى، وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب (٢٨٢٠).

۞ وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقة إصلاحُ ذات البين**»[١].

(٢٧) تجنُّب الدخول على السلاطين:

۞ فقد كان سلفنا الصالح يحذرون من الدخول على السلطان إلا لتذكيره بالله وبذل النصيحة الخالصة له.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتَتَنَ**»[٢].

(٢٨) طاعة الإمام وعدم الخروج عليه:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ[٣]، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ[٤] بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ**

---

(١) صحيح: رواه الطبراني والبزار وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٨١٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٦).

(٣) جشره: الدواب التي ترعى وتبيت في مكانها.

(٤) فيرقق: أي: يخفف لعظم ما بعده.

هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ»، فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنْشُدُكَ اللهَ آنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَأَهْوَى إِلَى أُذُنَيْهِ، وَقَلْبِهِ بِيَدَيْهِ، وَقَالَ: «سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي»، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَأْكُلَ أَمْوَالَنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ، وَنَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾(١) قَالَ: فَسَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «أَطِعْهُ فِى طَاعَةِ اللهِ، وَاعْصِهِ فِى مَعْصِيَةِ اللهِ»(٢).

۞ وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَتَاهُ رَجُلَانِ فِى فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَا: إِنَّ النَّاسَ صَنَعُوا مَا تَرَى وَأَنْتَ ابْنُ عُمَرَ، وَصَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَخْرُجَ؟ فَقَالَ «يَمْنَعُنِى أَنَّ اللهَ حَرَّمَ دَمَ أَخِي» فَقَالَا: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾(٣)، فَقَالَ: «قَاتَلْنَا حَتَّى لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ، وَكَانَ الدِّينُ لِلَّهِ، وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُقَاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ لِغَيْرِ اللهِ»(٤).

(٢٩) بر الوالدين:

فبر الوالدين من أعظم أسباب النجاة من الفتن، ومن أعظم أسباب

(١) سورة النساء: الآية: (٢٩).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤).

(٣) سورة البقرة: الآية: (١٩٣).

(٤) صحيح: رواه البخارى (٤٥١٤).

السعادة فى الدنيا والآخرة... والعقوق من أسباب الوقوع فى الفتن.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ جُرَيْجٌ يَتَعَبَّدُ فِى صَوْمَعَةٍ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ. قَالَ حُمَيْدٌ(١): فَوَصَفَ لَنَا أَبُو رَافِعٍ صِفَةَ أَبِى هُرَيْرَةَ لِصِفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهُ حِينَ دَعَتْهُ، كَيْفَ جَعَلَتْ كَفَّهَا فَوْقَ حَاجِبِهَا، ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَيْهِ تَدْعُوهُ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ كَلِّمْنِى فَصَادَفَتْهُ يُصَلِّي، فَقَالَ: اللهُمَّ أُمِّى وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَرَجَعَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فِى الثَّانِيَةِ، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ أَنَا أُمُّكَ فَكَلِّمْنِي، قَالَ: اللهُمَّ أُمِّى وَصَلَاتِي، فَاخْتَارَ صَلَاتَهُ، فَقَالَتْ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا جُرَيْجٌ وَهُوَ ابْنِى وَإِنِّى كَلَّمْتُهُ، فَأَبَى أَنْ يُكَلِّمَنِي، اللهُمَّ فَلَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ الْمُومِسَاتِ. قَالَ: وَلَوْ دَعَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَنَ لَفُتِنَ. قَالَ: وَكَانَ رَاعِى ضَأْنٍ يَأْوِى إِلَى دَيْرِهِ، قَالَ: فَخَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْقَرْيَةِ فَوَقَعَ عَلَيْهَا الرَّاعِي، فَحَمَلَتْ فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقِيلَ لَهَا: مَا هَذَا؟ قَالَتْ: مِنْ صَاحِبِ هَذَا الدَّيْرِ، قَالَ فَجَاءُوا بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَنَادَوْهُ فَصَادَفُوهُ يُصَلِّي، فَلَمْ يُكَلِّمْهُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا يَهْدِمُونَ دَيْرَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ نَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: سَلْ هَذِهِ، قَالَ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِى رَاعِى الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: نَبْنِى مَا هَدَمْنَا مِنْ دَيْرِكَ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَعِيدُوهُ تُرَابًا كَمَا كَانَ، ثُمَّ عَلَاهُ»(٢).

(٣٠) البُعد عن المشركين والظالمين:

فمن المخارج من الفتن: البُعد عن المشركين والظالمين وترك تكثير

---

(١) حميد هو ابن هلال بن أبى رافع، أحد رواة هذا الحديث.

(٢) متفق عليه: رواه البخارى (٢٤٨٢) كتاب المظالم والغصب، ومسلم (٢٥٥٠) كتاب البر والصلة.

سوادهم وترك مظاهرتهم ومعاونتهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

وقال تعالى حاكيًا عن موسى عليه السلام أنّه قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[3].

وَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يُكَثِّرُونَ سَوَادَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَأْتِي السَّهْمُ فَيُرْمَى فَيُصِيبُ أَحَدَهُمْ فَيَقْتُلُهُ، أَوْ يَضْرِبُهُ فَيَقْتُلُهُ، ... فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[4][5].

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ، يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ»[6].

---

(١) سورة هود: الآية: (١١٣).

(٢) سورة القصص: الآية: (٨٦).

(٣) سورة القصص: الآية: (١٧).

(٤) سورة النساء: الآيتان: (٩٧، ٩٨).

(٥) صحيح: رواه البخارى (٧٠٨٥) كتاب الفتن.

(٦) صحيح: رواه البخارى (٢١١٨) كتاب البيوع.

وَعَن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»**[1].

(٣١) الحذر من فتنة النساء:

لقد أشار القرآن الكريم إلى خطر الفتنة بالمرأة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ** ﴾[2].

فقدم سبحانه النساء لعراقتهن فى هذا الباب، ولأن أكثر الرجال إنما دخل عليهم الخلل من قِبل هذه الشهوة، ولعله لأجل ذلك أيضًا قدم سبحانه وتعالى المرأة على الرجل فى قوله جل وعلا: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ** ﴾[3] الآية، وقال سبحانه وتعالى حاكيًا عن عزيز مصر: ﴿ **قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾[4].

وبيَّن النبى ﷺ خطر فتنة النساء قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان.

فقال ﷺ: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»[5].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٧١٠٨) كتاب الفتن، ومسلم (٢٨٧٩) كتاب الجنة وصفة نعيمها.

(٢) سورة آل عمران: الآية: (١٤).

(٣) سورة النور: الآية: (٢).

(٤) سورة يوسف: الآية: (٢٨).

(٥) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

وقال ﷺ: «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء»[١].

۞ قال النووى رَحِمَهُ اللهُ فى شرحه لهذا الحديث: مَعْنَاهُ تَجَنَّبُوا الِافْتِتَانَ بِهَا وَبِالنِّسَاءِ ... وَتَدْخُلُ فِي النِّسَاءِ الزَّوْجَاتُ وغيرهن وأكثرهن فتنة الزوجات ودوام فِتْنَتِهِنَّ وَابْتِلَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِهِنَّ[٢].

۞ وقال ابن حجر فى حديث: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»: وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْفِتْنَةَ بِالنِّسَاءِ أَشَدُّ مِنَ الْفِتْنَةِ بِغَيْرِهِنَّ وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فَجَعَلَهُنَّ مِنْ حُبِّ الشَّهَوَاتِ ... وَبَدَأَ بِهِنَّ قَبْلَ بَقِيَّةِ الْأَنْوَاعِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُنَّ الْأَصْلُ فِي ذَلِكَ.

وَيَقَع فِي الْمُشَاهدَة حُب الرجل ولده مِن امْرَأَتِهِ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُ أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ وَلَدَهُ مِنْ غَيْرِهَا ... وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قِصَّةُ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فِي الْهِبَةِ.

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: النِّسَاءُ شَرٌّ كُلُّهُنَّ وَأَشَرُّ مَا فِيهِنَّ عَدَمُ الِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُنَّ.

وَمَعَ أَنَّهَا نَاقِصَةُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ تَحْمِلِ الرَّجُلِ عَلَى تَعَاطِي مَا فِيهِ نَقْصُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ كَشَغْلِهِ عَنْ طَلَبِ أُمُورِ الدِّينِ وَحَمْلِهِ عَلَى التَّهَالُكِ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَشَدُّ الْفَسَادِ. اهـ[٣].

(٣٢) شرب ماء زمزم بنية النجاة من الفتن:

قال رسول الله ﷺ: «ماء زمزم لما شُرب له»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخارى (٥٠٩٦) كتاب النكاح، ومسلم (٢٧٤٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٩/ ٦٥).

(٣) «فتح الباري» (٩/ ٤١).

(٤) صحيح: رواه ابن ماجه، وأحمد، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٠٢).

وقال المناوي: سيد المياه وأشرفها وأجلُّها قدرًا، وأحبها إلى النفوس وهمزة جبرائيل وسُقيا إسماعيل.

فمن شرب ماء زمزم بنية النجاة من الفتن والثبات أمامها فإن الله ينجيه من الفتن... وإذا أقبلت الفتن فإن الله يرزقه الثبات أمام تلك الفتن.

دعوة مستجابة

❁ أخى الحبيب.. أختى الفاضلة:

أضع بين أيديكم هذا الكتاب المتواضع سائلًا ربى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع به المسلمين فى كل زمان ومكان، وأن يجعله فى ميزان حسنات أبى وأمى.

فما كان فى هذا الكتاب من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من سهوٍ أو خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان.. والله ورسوله ﷺ منه براء... وأعوذ بالله أن أُذكّركم به وأنساه.

فمن استفاد فائدة من هذا الكتيب فلا يبخل على بدعوة لعل الله أن يتجاوز عنى وعنكم، وأن يجمعنا جميعًا فى جنته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

❁ روى مسلم أن النبى ﷺ قال: «**من دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك الموكَّل به: آمين ولك بمثله**»(١).

❁ جزى الله خيرًا كل من قرأ هذا الكتاب وتعلم منه شيئًا وعلَّمه لمن حوله.

❁ كما أنصح إخوانى وأخواتى بقراءة هذا الكتاب على المسلمين فى المساجد والبيوت ومجالس العلم لتعم الفائدة وتموت البدع وتحيا السنن وتعود الأمة مرة أخرى خير أمة أُخرجت للناس.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٣٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

۞سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك....

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه الفقير إلى عفو الرحيم الغفار



فهرس الموضوعات

إخبار الرسول ﷺ عن الفتنة التى يُقتل فيها عثمان رضي الله عنه

وقفات المؤمنين للدفاع عن (ذى النورين)

مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

مبايعة على بن أبى طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

موقعة الجمل

موقعة صِفِّين

قضية التحكيم

فتنة الخوارج

معركة النهروان

مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

بيعة الحسن بن على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

الحسن يتنازل عن الخلافة لمعاوية

واجب الأمة نحو أصحاب الرسول ﷺ

كيف ننجو من الفتن



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



قصص الصالحين والصالحات
من قصص نهاية الظالمين



من إصداراتنا
قصص التائبين
قصص الزاهدين والزاهدات




قصص مفاتيح الفرج وتفريج الهموم
قصة النهاية
أحداث نهاية العالم



تحذير الساجد
من أخطاء العبادات والعقائد



الحياة
ليلة في بيت النبي



ساعة وساعة
نوادر وعجائب



لا تحزن
وابتسم للحياة



يوم في الجنة



مسك الختام



الزواج الإسلامي السعيد



يوسف الأحلام



كيف تكسب قلوب الناس



السحر الحلال
أسباب النزول



مواقف إيمانية للمرأة المسلمة



عقيدة المسلم



الفقه الميسر



منهاج المسلم



أخلاق الرسول



قصص نساء الأنبياء



من مواعظ الأنبياء والصحابة والتابعين



تفسير جزء عم



الآداب الإسلامية



قصص القرآن



أذكار المسلم
حكايات عمو محمود



حكايات عمو محمود
للأطفال



معجزات الأنبياء وكرامات الصحابة



أمهات المؤمنين
زوجات الرسول
أصحاب الرسول



قصص الرسول



قصص الأنبياء



سيرة الرسول



فقه المسلم



فقه المسلم



فقه المسلم



من روائع الفتاوى المعاصرة



موسوعة غزوات الرسول
عالم الجن والشياطين